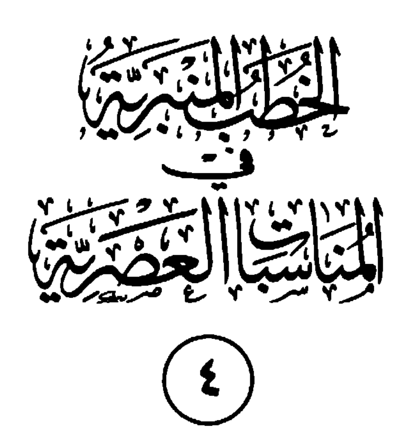

الخطب المنبرية
في
المناسبات العصرية
تأليف
فضيلة الشيخ
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء
طبعة جديدة محققة ومضبوطة بالشكل
الجزء الرابع
دار العاصمة
للنشر والتوزيع
www.iqra.ahlamontada.com
منتدى اقرأ الثقافي


الخطب المنبرية
في
المناسبات العصرية
٤

ⓒ دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان، صالح بن فوزان

الخطب المنبرية في المناسبات العصرية ./ صالح بن فوزان الفوزان .

- الرياض ١٤٢٦ هـ

٦ مج

ردمك : ٠-٠٠-٦٩٢-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-٠٤-٦٩٢-٩٩٦٠ (ج ٤)

١- خطبة الجمعة أ - العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٢٦/٢٠٤

رقم الإيداع : ١٤٢٦/٢٠٤

ردمك : ٠-٠٠-٦٩٢-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-٠٤-٦٩٢-٩٩٦٠ (ج ٤)

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الصف والإخراج دار العاصمة للنشر والتوزيع

دار العاصمة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

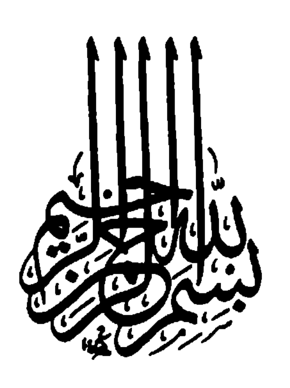


تأليف
فضيلة الشيخ
الدكتور صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان
عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء

طبعة جديدة محققة ومضبوطة بالشكل

الجزء الرابع

دار العاصمة
للنشر والتوزيع



فِي التذكيرِ بنِعمةِ الإِسلامِ والتحذيرِ مِن المَبادِىءِ الهَدَّامَةِ

الحمدُ للهِ الذي أرسَلَ رسُولَه بالهُدَى ودِين الحَقِّ ليُظهرَه على الدِّينِ كُلِّه ولو كَرِهَ المشركُونَ، وأشهدُ أنْ لاَ إلَه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه. يَعْلَمُ مَا كَانَ ومَا يَكُونُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه على حِينِ فَترةٍ مِنَ الرسلِ، ودُروسٍ مِنَ السُّبُلِ، فَهَدى بِه مِنَ الضَّلالةِ، وبَصَّرَ بِه مِنَ العَمَى، وعَلَّمَ به مِنَ الجَهَالَةِ، وصَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم وعلى آلِه وأصحابِه الذِين قَامُوا بدعوتِه مِن بعدِه، ونَشَرُوا فِي مَشارِق الأرضِ ومغَارِبها، وقادُوا البشَريةَ إلى سَعادتِها فجزَاهم اللهُ عن الإسلامِ والمُسلمينَ خَيراً. ووفقَنَا للاقتداءِ بِهم والسيرِ على طَريقِهم . .

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتقُوا اللهُ تعَالى واشكُرُوه علَى نِعَمِهِ التي أَجَلُّها نِعْمَةُ الإسلامِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ ﴾ [المائدة: ٣] وقَالَ تعالى: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨].

فاللهُ سُبحانَه قَد مَنَّ على هٰذِه الأُمَّةِ بهذَا الدِّينِ العَظيمِ الذِي فَضَّلَها بِهِ على سَائرِ الأُمَمِ، فَيَجِبُ علَيها مِنَ الشُّكْرِ أكثرُ مِمَّا يَجبُ علَى غيرها، وقَد جَعَلها اللهُ

فِي مَنْصِبِ المَسؤوليةِ فَقَالَ: ﴿ لِتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وأَمَرَها بالقيامِ بشُكرِ هذه النعمةِ بأداءِ حَقِّ اللهِ بِفعْلِ مَا أَوْجَبَ وتَرْكِ مَا حَرَّمَ، ومِنْ أَهَمِّ مَا أوجبَ إقامُ الصلاةِ وإيتاءُ الزَّكاةِ، لأنَّ الصلاةَ عَمودُ الإسلامِ وهِي تَنْهَى عَنْ الفَحْشَاءِ والآثامِ، ومَنْ أقامَهَا فقَد أقامَ دِينه، ومَنْ ضَيَّعها فقد ضَيَّع دِينَه، وفي أَدَاءِ الزكاةِ إِحْسَانٌ إلى الخَلْقِ وبَراءةٌ مِنَ الشُّحِّ والبُخلِ. ومَنْ جَادَ بالزكاةِ جَادَ بغيرِها مِنَ الصَّدَقَاتِ، ثُمَّ أَمَرَهُ سُبحانهُ بالاعتصامِ به، أي: التوكلِ عَليه والاستعانةِ به في طَلَبِ الحَوائِجِ، وجَلْبِ المَنَافِعِ، ودَفْعِ المَكَارِهِ والمَضَارِّ، والنَّصْرِ علَى الأَعْداءِ والحَاسِدينَ، وهذَا هُو التوحيد الخالصُ، الدِّينُ القَويمُ، والعَقِيدةُ السَّليمَةُ، فدينُ الإسلامِ يشتملُ على العقيدةِ السَّليمَةِ، والعبادةِ الصَّحِيحَةِ، والأوامرِ الرَّشِيدَةِ، والأخلاقِ القَويمَةِ، ويَنْهَى عَنْ كُلِّ اعتقادٍ فَاسدٍ، وكُلِّ عِبادةٍ بَاطلَةٍ، وكُلِّ فِعْلٍ أثيمٍ وخُلُقٍ ذَميم، ولهذا شَهِدَ اللهُ لَه بالكمالِ فَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

فهُو كَاملٌ في اعْتِقَاداتِه، كَاملٌ في تشريعاتِه، كَامِلٌ في أوامِرِه ومَنهياتِه، كَامِلٌ في آدابِه وأخلاقياتِه.

وإذَا أَرَدْتَ أيُّهَا المُسْلمُ مَعرفةَ نعمةِ اللهِ عَليكَ بهذَا الإسلامِ، فانظرْ مَا عَلَيه أُمَمُ الكُفْرِ اليومَ ومَا تَعيشُه مِنْ تَخبُّطٍ في العَقَائدِ، وفَسَادٍ في الأخلاقِ، وضَيَاعٍ للأعراضِ، وهَمجيةٍ في النُّظُمِ والقَوانينِ، واختلالٍ في الأمنِ، واضطرابٍ في السِّيَاسَةِ مَا بَيْنَ شُيوعيةٍ مُسْتَبِدَّةٍ تحكُمُ شعوبَها بالحديدِ والنار، ويهوديةٍ حاقدةٍ على البشرية تخططُ لهلاكِها، ونصرانية ضالةٍ مُتحيرةٍ، ووثنيةٍ تعبُدُ الأشجارَ والأحجارَ والقُبورَ والحَيواناتِ وكُلَّ ما تُزَيِّنُ شَياطينُ الإنسِ والجِنِّ لَهَا عِبادتَه مِن دُونِ اللهِ، وهكَذا كُلُّ مَنْ حُرِمَ النورَ فإنه يَتَخَبَّطُ في الظَّلَامِ، قَال تعَالى: ﴿ ٱللَّهُ

وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

عِبَادَ اللهِ: لقَد حَسَدُونَا علَى نِعمةِ الإسلام كَمَا قَال تَعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ [البقرة: ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ﴾ [النساء: ٨٩] وقال تعالَى: ﴿ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الممتحنة: ٢].

وقد ذَكَرَ اللهُ ذٰلكَ لنَا وكَرَّرَه فِي كِتَابه، لنأخُذَ حِذْرَنَا مِنْ كَيْدِهم ودَسَائسِهم. فَهُمْ يَكيدُون لهذا الدِّين وأهلِه مُنذُ أنزلَه اللهُ علَى رَسولِه ﷺ إلى آخرِ الدُّنيا. كَمَ قَالَ تعَالَى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقَال تعَالىَ: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة: ٣٢].

وليسَ الخَطرُ على الإسلام نَفْسِه لأنَّه مَحفوظٌ بحفظِ اللهِ لَه كَمَا قَالَ تَعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

ومِصْدَاقُ ذٰلكَ أنَّ الإسلامَ قَد تَعرَّضَ ومَا زَالَ يتعرَّضُ للهجماتِ الشَّرِسَةِ مِنْ مُخْتَلفِ أُمَمِ الكُفْرِ، ولَمْ تُؤثِّرْ فيه تلكَ الهَجَمَاتُ ولمْ تغيِّرْ مِنه شَيئاً، فهُو لايَزالُ غَضَّاً طَرِيّاً كمَا أُنزلَ علَى مُحمدٍ ﷺ، ولاَ يزالُ اللهُ يُقَيِّضُ لهٰذَا الدِّينِ مَنْ يدافعُ عَنه ويردُّ كَيدَ أَعْدَائِه وَيُبيِّنَهُ للنَّاسِ، كَمَا قَالَ النبيُّ ﷺ: «لا تَزالُ طَائفةٌ مِنْ أُمَّتِي علَى الحَقِّ ظَاهرينَ لاَ يَضُرُّهُم مَنْ خَذَلَهم ولا مَنْ خَالفَهُم حتَّى يَأتيَ أمرُ اللهِ

تعَالى وهُم علَى ذٰلكَ»[1] . وكَمَا أخبرَ ﷺ: «أنَّ الله يبعَثُ لهٰذِه الأُمَّة على رأسِ كُلِّ قرنٍ مَنْ يُجَدِّدُ لهَا دِينَها»[2] .

فَالإسْلامُ بِعَقِيدَتِه وتشريعاتِه وأحكامِه ليسَ علَيه خَطَرٌ مِنْ كَيدِ أعدائِه، وإنَّمَا الخَطرُ علَينا نَحنُ المُسلمينَ أنْ نَصُدَّ عَنْهُ أوْ نُضَلِّلَ، فأَعْدَاؤُنَا اليومَ يُواصلونَ الصَّدَّ عَن سَبيلِ اللهِ وصَرْفَ المُسلمينَ عَن دِينهم بشَتَّى الوسائِل والمُغْرياتِ، ويستخدمُونَ لذٰلكَ بعضاً مِن مَنْسُوبِي العَالَمِ الإسلامي مِمَّنْ جَاءَ وصْفُهُم في الحَدِيثِ بأنَّهم «قَومٌ مِن جِلْدَتِنا ويتكلمُونَ بأَلْسِنَتِنَا» .

فَفي مَجَال العقيدةِ يُحاولونَ إفسَادَ عَقائِد المُسلمينَ بالعملِ علَى إبرازِ الفِرَقِ المُنْحَرفةِ مِنْ قبُوريةٍ وصُوفيةٍ ومُبتدِعةٍ، فيُؤيدُون هٰذِه الفِرَقَ بِشَتَّى الوَسائلِ، حَتَّى تُبْرَزَ في السَّاحَةِ، ويَكُونَ لهَا كيَانٌ قَويٌّ ليقضُوا بِهَا علَى العَقِيدَةِ الصَّحيحةِ، ويَجْعَلُوا هَذِه الفِرَقَ المُنْحَرِفَةَ هِي التِي تُمَثِّلُ المُسلمينَ .

وفِي مَجَال العِبَادَةِ: يُحاولونَ نَشْرَ البِدَعِ والخُرافاتِ، ويؤيدونَ أَهلَهَا بالدَّعْمِ المَالِيِّ والمَعنويِّ .

فِي مَجَال الحُكْمِ يَجلِبونَ القَوانينَ الوَضعيةَ للحُكم بِهَا بَينَ الناسِ بدِيَلاً عنِ الشَّريعةِ الإسلاميةِ، حَتَّى أَدْخَلُوا دِرَاسَةَ هذِه القُوانينَ ضِمْنَ المَوادِ التِي تُدَرَّسُ في جَامِعَاتِ البِلَادِ الإسلاميةِ إلاَّ مَن رَحِمَ الله، فَجَعَلُوهَا عَدِيلَةً للشريعةِ في المُؤَسَّسَات الدِّراسيةِ حَتَّى سَمَّوْا بعْضَ الكُلياتِ «كليةَ الشريعة والقَانونِ» .

وفِي مَجَالِ إفْسادِ الأخلاقِ دَسُّوا علَى المُسلمينَ العُرْيَ والسُّفورَ والاختلاطَ بينَ الجنسينِ والأفلامَ الهابطةَ والمَسرحياتِ الهزيلةَ والأغاني والمُجونَ والصُّورَ

---

(١) رواه مسلم (١٩٢٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٩١).

الخليعةَ والمُوسيقى والمَزاميرَ، وجَعلُوها باسم الفَنِّ، أو التراثِ الشَّعبيِّ، أو التقدمِ والحَضارةِ.

وفِي مجالِ شَغْلِ المُسلمينَ عَنِ العَمَلِ المُفيدِ وإعدادِ القُوةِ للجهادِ ونَشْرِ الدِّينِ وحِمَايةِ الوَطَنِ، شَغَلُوا شَبَابَ المُسلمينَ في كَثيرٍ مِنَ البلادِ الإسلاميةِ بالنَّوادِي الرياضيةِ وأنواعِ الألعابِ البدَنيةِ والذهنيةِ التي شَغَلَتْ وقتَهم واستنفَدتْ طَاقاتِهم، فَفِي البلدِ الوَاحِدِ فِرَقٌ وأحزابٌ، ولِكُلِّ فَريقٍ مُشَجِّعونَ تَحْدُثُ بينَهم عَداواتٌ ومُشاحناتٌ، والنتيجةُ لاَ شَيء ولاَ فَائدةَ تَعودُ علَيهم ولا علَى مُجتمعاتِهم.

وفَي مَجَال الاقتصاد أدخلُوا علَى المُسلمينَ المُعَاملاتِ الرِّبويةَ، والمواردِ المُحَرَّمَةِ كالاتجارِ بالخُمورِ، والقمارِ وغيرِ ذٰلكَ.

أيُّها المُسلمونَ: إنَّ عدوَّكُم لا يُريدُ لكُما الخيرَ، وإنَّمَا يُريدُ لكُم الشَّرَّ. كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]. وقَالَ تعَالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

فَلمَاذا تُحسنونَ الظنَّ بِهم وتَغْفُلونَ عَن كيدِهم ومَكرِهم بِكُم مِن قَديمِ الزمانِ، إنَّهم لمَّا عَجَزُوا عَنِ القضاءِ علَى دَعوةِ الرسولِ ﷺ في مَكَة حِينَ حَاولُوا قَتْلَهُ، واجتمعُوا عندَ بَابه ينتظرُونَ خُروجَه ليقتلُوه، فأخرجَه اللهُ مِن بينِهم وهُم لايشعرُون، وأنزَل في ذٰلكَ قولَه تعَالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

ولمَّا عَلِمُوا بِخُرُوجِه مِن بينِهم وفَشَلِ خُطَّتِهم خَرجُوا فِي طَلَبِ البحثِ عَنه،

فرَدَّ اللهُ كَيدَهم في نُحورِهم، وهاجَرَ رسولُ الله ﷺ إلى المَدينةِ، فَعمِلُوا كُلَّ مَا بوسْعِهم لِلقَضَاءِ عَلَيه وعلَى دَعوتِه، وجَيَّشُوا الجيوشَ لمُحَاربتِه، فنصرَه اللهُ علَيهم، ولمَّا رَأَوا أنَّ مُقَابَلَتَهُ بقوةِ السِّلَاحِ والجُنُودِ لا تُجدي لَجَأَ بعضُهم إلى حِيلَةٍ خَبيثةٍ، وهِي حِيلةُ النِّفَاقِ، كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٢].

وذٰلكَ بأنْ يَدْخُلُوا فِي دِينِه وَيكِيدُوا لَه فِي البَاطِنِ، ويُقعُوا بينَ أَصْحَابه، فتكوَّنَتْ جَماعةُ المُنافقينَ مِنَ اليهودِ والمُشركينَ، فَكَشفَ اللهُ سِرَّهُم وَهَتَكَ سَتْرَهم، وعُرِفَتْ صِفاتُهم ودَسائسُهم فكَانَ المُسلمونَ مِنهم علَى حَذَرٍ، ومَازَال الكفارُ يَكيدونَ للمُسلمينَ ولنْ يزالوا كذَلك.

وفِي عَصْرِنَا هٰذَا استحدثُوا طُرُقاً جَديدةً للمَكْرِ بِنَا وغَزْوِنَا عَن طَرِيقِ الحَضارةِ، ومَا تَركُوا بَاباً مِنْ أَبوابِها إلاَّ دَخَلُوا فِيه، دَخَلُوا من طَرِيقِ وسَائِل الإعلامِ، ودَخَلُوا مِنْ طَريقِ التعليمِ، ودَخَلُوا مِنْ طَريقِ الطِّبِّ، ودَخَلُوا مِنْ طَريقِ السِّيَاسَةِ والحُكْمِ، ودَخَلُوا مِنْ طَريقِ الاقتصادِ، وهٰكَذا وَقَفُوا في كُلِّ طَرِيقٍ يَنفُثُونَ سُمُومَهم ويُنَفِّذُونَ مُخَطَّطَاتِهم للقضاءِ عَلى الإسلامِ وأَهْلِهِ. ولَكِنْ والحمدُ للهِ لاَيَزَالُ في المُسلمينَ مَنْ يَتَنَبَّهُ لدَسَائِسِهم، ويَحَذَّرُ مِنْ كيدِهِم، ولَو رجَعْنَا إِلَى كِتَابِ اللهِ تعَالى وسُنَّةِ رَسُولِه ﷺ لَوَجَدْنَا فِيهِمَا البيانَ الكَافي لمَكَائِد أَعْدَائِنَا، ولوَ وجَدْنَا الدَّواءَ الشَّافِيَ، والسلاحَ الكَافِيَ لِصَدِّ عُدوانِهم.

أعوذُ بالله مِنَ الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ

يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩ـ١٥١].

بَاركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ وحدَه، نَصَرَ عَبْدَه، وأعزَّ جُنْدَه، وهَزَمَ الأحزابَ وحْدَهُ، وأَشْهَدُ أنْ لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللهُ وحْده لاَ شَريكَ لَه شَهادةَ مَنْ عَرفَ رَبَّهُ، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبدُه ورسولُه صَلَّى اللهُ عليَه وعلَى آلِه وصَحْبِه، وسَلَّمَ تَسليمَاً كَثيراً. .

أَمَّا بعدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تعَالى حَقَّ تُقاتِه، وسَارِعُوا إلى مَغفرتِهِ وجَنَّتِه ومَرْضَاتِه.

عبَادَ اللهِ: كَثِيرٌ منَ الناسِ اليومَ يَنتسبُ إلى الإسلامِ وهُو لاَ يَعرفُ مَا هُو الإسلامُ. ولاَ يَعرِفُ مَا يُضادُّ الإسلامَ ويُناقضُه، بَعضُهم يَدَّعِي أنَّه مُسلمٌ وهُو يعبُدُ غيرَ اللهِ، فَيستغيثُ بالأمواتِ ويَطوفُ بالقبورِ ويَدْعُو غَيرَ اللهِ، وبعضُهم يَدَّعِي أنَّه مُسلمٌ وهُو لايُصلي الصلواتِ الخمس، ولايُزكي ولا يصومُ ولاَ يَحُجُّ وبَعْضُهُم يَدَّعِي أَنَّهُ مُسْلِمٌ وهُو يُنَفِّذُ مُخططاتِ الكفارِ التِي تُناقضُ الإسلامَ.

فالواجبُ عَلَى كُلِّ مُسلمٍ أنْ يعرِفَ مَا هُو الإسلامُ أولاً حَتَّى يَقُومَ بأداءِ شَرائِعه، ثُمَّ يَعرفَ مَا هِي مناقضاتُ الإسلامِ حتَّى يتجنبها ويقومَ بِرَدِّهَا ومُقاومتِها والتحذيرِ مِنها، ولمَّا سُئِلَ النبيُّ ﷺ عَنِ الإسلامِ قَال: «**الإِسلامُ أن تشهَدَ أَنْ لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ، وأنَّ مُحمداً رَسولُ اللهِ، وتُقيمَ الصَّلاَةَ، وتؤتِيَ الزَّكَاةَ، وتَصومَ رمضانَ،**

وتَحُجَّ البيتَ إنِ استطعتَ إليه سَبيلًا»[١] فقد بَيَّنَ ﷺ فِي هٰذَا الحديثِ أنَّ الإسلامَ قَوْلٌ وعَمَلٌ واعتقادٌ وأنَّه ليس مُجردَ انتساب أنْ يقولَ الإنسانُ: أنَا مُسلمٌ وهو لا يعرفُ مَعنى الإسلامِ ولاَ يلتزمُ بأحكامِه، ثُمَّ إنَّ الذي يَعْرِفُ مَعنَى الإسلامِ ولاَ يَعْرِفُ مَعنى نَواقضِه قَد يتقبَّلُ مُخططاتِ الكفارِ ويُنفِّذُها وهُو لاَ يَدْري عَنْ خُطورتِها وضَرَرِها علَى دِينهِ، فَالواجبُ علَى كُلِّ مسلمِ الاهتمامُ بهٰذَا الأَمْرِ، والحَذَرُ مِنْ هٰذه التياراتِ الكُفْرية المُعَاصِرَة التي غَزَتِ المُسلمينَ فِي بُلدانِهم وبيوتِهم، وأنْ يَحذرها المُسلمونَ علَى أنفُسِهم وعلَى أولادِهم وعلَى مُجتمعِهم، ويقُومُوا بمُقاومَتِها ومُدافَعَتِها، قالَ اللهُ تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [التوبة: ٧٣].

والجِهَادُ يكونُ باليدِ واللسانِ والحُجةِ والبيانِ، ويكونُ الجِهَادُ جِهَادًا للنفسِ والشيطانِ والعُصَاةِ والفَسقةِ والكُفارِ والمُنافقينَ، فالمُسلمُ في جِهادٍ دَائمٍ.

فتنبَّهُوا لذلكَ ـ رَحمكُم اللهُ ـ واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ.. إلخ.

* * *

---

(١) رواه مسلم (٨).

فِي الأُخُوةِ الإيمانيةِ وثَمَرَاتِهَا

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ، جَعَلَ المُؤمنينَ أخوةً فِي الدِّينِ مُتحابينَ، وأشهدُ أنْ لاَ إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له شَهادةَ الحقِّ واليقينِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عَبدُه ورسولُه الصادقُ الأَمينُ، صَلَّى اللهُ علَيه وعلَى آلِه وأصحابِه والتابعينَ لَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ وسلَّمَ تسليمَاً كَثيراً. .

أمَّا بعدُ:

أَيُّها النَّاسُ: اتَّقُوا اللهُ تعَالى واعلَمُوا أَنَّ الأُخوَّةَ في الدِّينِ تعلُو الأُخوةَ في النَّسبِ، فاللهُ أَمَرَ المؤاخاةِ بينَ المُؤمنينَ والمُسلمينَ، ولَو اخْتَلَفَتْ أنسابُهم وتباعدتْ أوطانُهم، فَقَالَ تعَالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وأَمَرَ بمُعاداةِ الكافرينَ ولَو تقاربتْ أنسابُهم، فَقَالَ تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [التوبة: ٢٣].

ولهٰذه الأُخوةِ بينَ المُسلمينَ والمؤمنينَ حُقوقٌ عَظيمةٌ وثَمراتٌ كَريمةٌ قَد بيَّنها اللهُ ورسولُه في الكتابِ والسنَّة، تَجِبُ مُراعاتُها والقيامُ بِهَا، ولايجوزُ إهمالُها والتهاونُ بِهَا.

ومِنْ هٰذِه الحقوقِ والثمراتِ وجوبُ الإصلاح بينَ المُسلمينَ عندَما يَحصُلُ بينَهم اختلافٌ ونزاعٌ، أو تظهرُ بينَهم عَداوةٌ وقَطيعةٌ، قَالَ تعَالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا

ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات ٩-١٠].

ومِنْ حُقوقِ الأخوةِ بينَ المُسلمينَ والمُؤمنينَ تَعظيمُ بَعضِهم لحُرماتِ بعضٍ، وعدمُ تنقصِ بعضِهم لبعضٍ، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات: ١١].

وينهى سُبحانه المُؤمنينَ في هٰذه الآيةِ الكريمةِ عن سُخريةِ بعضِهم مِن بَعضٍ رِجالاً ونِساءً، فربَّما يكونُ المَسخورُ مِنه خيراً مِنَ السَّاخِرِ في الدُّنيا والآخرةِ، والسُّخريةُ لا تَصدرُ إلاَّ مِن ناقصٍ، ونهى سُبحانه عَنِ اللَّمْزِ، وهُو الطعنُ في حَقِّ المُسلمِ. وعَنِ التَّنابُزِ بالألقابِ، وهُو أنْ يُدْعَى الإنسانُ بغيرِ مَا سُمِّيَ بِهِ، واللقبُ مَا يَسوءُ الشخصَ سَمَاعُهُ.

قَال بَعْضُ المُفسرينَ: ومِنْهُ قولُ: يَافَاسِقُ، يَا كَلْبُ، يَا حِمَارُ، .. وقَد سَمَّى اللهُ السُّخريةَ واللَّمْزَ، والتنابُزَ بالألقابِ فُسُوقاً. مِمَّا يَدُلُّ على قُبْحِ ذٰلِكَ وشَنَاعَتِه ووجُوبِ الابتعادِ عَنه.

ومِنْ حُقوقِ الأخوةِ بينَ المُسلمينَ والمُؤمنينَ: تجنُّبُ إساءةِ الظَّنِّ فيمَا بينَهم، والتجسُّس مِنْ بعضِهم علَى بعضٍ، واغتيابِ بعضِهم لبعضٍ، قَال تعَالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ ﴾ [الحجرات: ١٢]. وذَلَك بأنْ يُظَنَّ بِأهْلِ الخَيرِ شَرّاً ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾ [الحجرات: ١٢]. والتجسُّسُ هو البحثُ عَنْ عيوبِ الناسِ، نَهى اللهُ عَنِ البحثِ عَن المَستورِ مِنْ عُيوبِ الناسِ وتتبُّع عَوراتِهم. ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ ﴾ [الحجرات: ١٢].

وفسَّر النبيُّ ﷺ الغِيبةَ بأنَّها ذِكرُكَ أخاكَ بمَا يَكْرَهُ. . والغيبةُ مُحرمةٌ بالإجماعِ تَحريمَاً شَديداً. وقد شَبَّهَهَا بأكلِ اللَّحْمِ مِنَ الإنسانِ الميتِ، فَقَالَ سُبحانَه: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

أي: كَمَا تكرهونَ هٰذا طَبْعَاً فاكرَهُوا ذَاكَ شَرْعَاً، فإنَّ عقوبَتَه أشدُّ مِنْ هٰذا.

ومِنْ حَقوقِ الأُخوةِ الإيمانيةِ والإسلاميةِ: التعاونُ بينَ المُسلمينَ علَى البرِّ التَّقْوىٰ، والتعاونُ علَى تَحصيلِ مَصَالِحِهم ودَفْعِ المَضَارِّ عَنْهُم. قَال تعَالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وقَالَ النبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ المُسلمينَ في توادِّهم وتَعاطُفِهم وتَراحُمِهم كَمَثَلِ الجَسَدِ الواحِدِ إذَا اشتكَى مِنه عُضوٌ تَدَاعَى لَه سَائرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى**»[1].

فالمُسلمُ يفرَحُ لفَرَحِ أَخِيه المُسلمِ ويَسُرُّه مَا يَسُرُّه، ويتألَّمُ لألمِ أخيه. .

ومِنْ حُقوقِ الأُخوةِ الإيمانيةِ والإسلاميةِ: التناصُحُ بينَ المُسلمينَ والتآمُرُ بالمَعروفِ والتَّنَاهِي عَنِ المُنْكَرِ، قَالَ تعَالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وقَال النبيُّ ﷺ: «**الدينُ النصيحةُ**» ثَلاثَ مَراتٍ. قيلَ: لِمَنْ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «**للهِ ولِكِتَابِه، ولِرسولِه، ولأئمةِ المُسلمينَ، وعَامتِهم**».

ومِنْ حُقوقِ الأُخوةِ الإسلاميةِ والإيمانيةِ: أنْ يُحِبَّ المُؤمنُ لأَخِيه مَا يُحبُّ لِنَفْسِهِ. كَمَا قَالَ ﷺ: «**لا يُؤمنُ أحدُكم حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيه مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه**»[2].

---

(١) رواه مسلم (٥٥).

(٢) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

والمُرَادُ المَحبةُ الدينيةُ لاَ المَحبةَ البشريةَ، فإنَّ بعضَ النفوسِ البشريةِ قَد تُحِبُّ الشرَّ.

فالواجبُ علَى المؤمنِ أنْ يُحِبَّ لأخِيه مَا يُحبُّ مِنَ الخَيرِ والنفعِ لِنَفْسِه، ومَنْ لَمْ يُحِبّ لأخِيه مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه كَانَ حَسُوداً، والحَسدُ مَذمومٌ.

ومِنْ حُقوقِ الأُخوةِ في الإيمانِ والإسلام: عَدَمُ الغِشِّ والخديعةِ للمُسلمينَ قَال ﷺ: «مَنْ غَشَّنا فليسَ مِنَّا»[١] ومِن ذٰلك الغِشُّ في البيعِ والشِّرَاءِ.

فإنَّ كَثيراً مِنَ النَّاسِ اليومَ اتخذُوا البيعَ والشراءَ وسِيلةَ احتيالٍ يَحْتَالُونَ بِهِمَا للاستيلاءِ علَى أموالِ الناسِ بالكَذبِ والخِداعِ والغِشِّ.

عَن حكيم بنِ حزامٍ رَضيَ اللهُ عَنْه: أنَّ رَسولَ الله ﷺ قَالَ: «**البَيِّعانِ بالخيارِ مَا لَمْ يَتَفرَّقَا، فإنْ صَدَقَ البيِّعانِ وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا في بيعِهما، وإنْ كَتَما وكَذِبا فعسَى أَنْ يربَحا رِبْحاً وَيَمْحَقا بَركةَ بيعِهما، واليَمينُ الفاجرةُ مَنفقةٌ للسِّلْعةِ مَمْحَقَةٌ للكسبِ**» رواه البخاريُّ ومُسلمٌ وغيرُهما[٢].

وعَنْ إسماعيلَ بنِ عُبيد بنِ رِفاعةَ عن أبيهِ عن جَدِّه رضي الله عَنْهُمَا: أنَّه خَرجَ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ إلى المُصَلَّىٰ: فَرَأىٰ الناسَ يتبايَعونَ فَقَالَ: «**يا معشرَ التجارِ**» فاستجَابُوا لرسولِ الله ﷺ ورفَعوا أعناقَهم وأبصارَهم إليه. فقَال: «**إنَّ التجارَ يُبعثونَ يومَ القيامةِ فُجّاراً إلاَّ مَنِ اتقَى اللهُ وبَرَّ وصَدَقَ**» رواه التِّرمذيُّ وقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ، وابنُ مَاجة، وابن حِبَّانَ فِي «صَحيحهِ» والحَاكمُ وقَالَ: صَحيحُ الإسنادِ[٣].

---

(١) رواه مسلم (١٠١).

(٢) رواه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).

(٣) رواه الترمذي (١٢١٠).

وعَن أبي ذَرٍّ رَضي اللهُ عَنه عَنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: **«ثلاثةٌ لا ينظُرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ، ولا يُزَكِّيهم ولَهُم عذابٌ أليم»** قَالَ: فقَرَأَهَا رَسولُ اللهِ ﷺ ثلاثَ مَراتٍ، فَقُلْتُ: خابُوا وخَسِروا يَا رَسولَ اللهَ، وَمَنْ هُم؟ قال: **المُسبلُ والمَنَّانُ والمُنَفِّقُ سِلعتَه بالحَلِفِ الكاذبِ»** رواه مُسلمٌ وغيرُه[١].

ومِنْ حُقوقِ المُسلمينَ والمُؤمنينَ بعضِهم علَى بعضٍ: احترامُ حُقوقِهم التِي سَبقُوا إلَيْهَا، فَلاَ يبعْ بعضُهم علَى بيعِ بعضٍ بأنْ يَقولَ لِمَن اشترَى سِلعةٍ بثَمنٍ: أنَا أُعطيكَ مِثلَها أو أحسنَ مِنها بأقلَّ مِنْ ذٰلكَ الثمنِ. ولا يَسُمْ بعضُهم علَى سَوْمِ بعضٍ، وذٰلك إذَا سَامَ سِلعةً وأرادَ صَاحبُها أن يَبيعَ علَيه جَاءَ آخر وقَالَ لَه: لا تبعْ، أَنَا أزيدُ فَي السَّوْمِ.

ولا يَخْطِبْ علَى خِطْبةِ أَخِيه، وذٰلِك إذا خَطَبَ امرأة رَضِيَتْ به جَاءَ آخَرُ يخطِبُها، فَقَد نَهى النبيُّ ﷺ عَن هَذِه الأشياءِ كُلِّها فقَال: **«لا يَبعِ الرجلُ على بيعِ أَخِيه، ولا يخْطِبْ علَى خِطْبتِهِ»**[٢] وفي رواية **«لا يَسُمْ على سَوْمِهِ»**[٣].

ومِمَّا نَهى عَنه الرسولُ ﷺ: التناجُشُ بينَ المُسلمينَ، وهُو أنْ يزيدَ في السِّلْعَةِ المعروضةِ للبيع مَنْ لا يُريدُ شَراءَها، وإنَّما يُريدُ رَفْعَ قِيمتِها على المُشتري، قَالَ ﷺ: **«لاَ تَحاسَدُوا ولا تناجَشُوا، ولا تَباغَضُوا ولا تَدَابَرُوا، ولا يَبِعْ بعضُكم علَى بيعِ بَعْضٍ»**[٤].

والتدابُرُ: أَنْ يُعْرِضَ عَنِ الإنسانِ ويهجُرَه كالشيء الذِي وراءَ الظَّهْر والدُّبُر.

---

(١) رواه مسلم (١٠٦)، والترمذي (١٢١١).
(٢) رواه البخاري (٥١٤٢)، ومسلم (١٤١٢).
(٣) رواه مسلم (١٤١٣).
(٤) رواه مسلم (٢٥٦٣).

ومِن حُقوقِ المُسلمينَ بَعْضِهِم علَى بعضٍ: التزاوُرُ فيمَا بينَهم، وإفشاءُ السَّلَامِ، وقَضَاءُ حَوائِجِهم، والرفقُ بضُعفَائِهم، وتَوقيرُ كَبارِهِم ورَحمةُ صِغارِهم وعِيادةُ مَرْضَاهُم واتبَاعُ جَنائزِهِم، قَال ﷺ: «حَقُّ المُسلمِ على المُسلمِ خَمسٌ: عيادةُ المريضِ، واتباعُ الجنائزِ، وإجابةُ الدعوةِ وتشميتُ العَاطِسِ» متَّفَقٌ عَليه(١).

ومِنْ حُقوقِ المُسلمينَ: دُعاءُ بعضِهم لبعضٍ. قَال تعَالى: لمَّا ذَكَرَ المُهاجرينَ والأَنصارَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]. وقَالَ تعَالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

فالمُؤمنونَ أُخوةٌ فِي جَميعِ الأزمانِ مِنْ أَوَّلِ الخَليقةِ إلى آخِرهَا، وفِي جَميعِ أقطارِ الأرضِ وإنْ تَباعَدَت دِيارُهم يَدْعُو بعضُهم لبعضٍ، ويستغفرُ بعضهم لبعضٍ، ويُحبُّ بعضُهم بعضاً، ويُعينُ بعضُهم بعضا علَى البرِّ والتَّقْوىٰ، وَيَنْصَحُ بعضُهم لبعضٍ، ويَصْدُقُونَ فِي تعامُلِهم فيمَا بينهُم، ويحترِمُ بعضُهم حُقوقَ بعضٍ، لأنَّ اللهَ رَبَطَ بينَهم برابطةِ الإيمانِ التي هِي أَقوى مِن رَابطةِ النَّسَبِ والوطنِ واللُّغَةِ.

فاتقُوا اللهَ ـ عِبادَ اللهِ ـ وراعُوا حُقوقَ هٰذِه الأُخوةِ، ولا تُضيِّعوهَا فتكُونُوا مِنَ الخَاسرينَ.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجيمِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

---

(١) أخرجه البخاريُّ (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢) من طريق أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢: ١٠٥].

بَارَكَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ، وأشهَدُ أَنْ لاَ إِله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شَريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه صَلَّى الله علَيه وعلَى آلِه وأصحابِه وسَلَّمَ تسليمَاً كَثيراً . . .

أَمَّا بعدُ:

أيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تعَالى واعلَمُوا أَنَّ مِنَ الناسِ مَن يَدَّعِي الإيمانَ مَكْراً وخِداعاً لأذيةِ المُؤمنينَ، وهُو في بَاطِنِ الأَمْرِ مَعَ الكَافرينَ، قَالَ تعَالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: ٨: ١٥].

هَمُّهُم تَتبعُ عَوراتِ المُسلمينَ ومُحاولةُ تَفريقِ كَلمتِهم، وفِيهم قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا مَعشرَ مَنْ آمنَ بلسانِه ولَم يَدخُل الإيمانُ في قلبِه، لاتَغتَابوا المُسلمينَ، ولاتَتَّبِعُوا عَوراتِهم، فإنَّه مَن يتتبَّع عَوراتِهم يَتتبعِ اللهُ عَورتَه ومَنْ يتتبعِ اللهُ عَورتَه يَفْضَحه فِي بَيْتِه» رَواه أبو دَاود[1].

ومِنَ النَّاسِ مَن يكُونُ مُؤمناً ضَعيفَ الإيمانِ، فيتصفُ ببعضِ صِفاتِ المُنافقِينَ، فَيكذبُ في الحديثِ ويَخُونُ في الأَمَانَةِ، ويَفْجُرُ في الخُصومَةِ، وفي مِثْلِ هَؤلاءِ قَال النبيُّ ﷺ: «آية المُنافقِ ثَلاثٌ: إذَا حَدَّثَ كَذَّبَ، وإذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا اؤتُمِنَ خَانَ، وفي رِوايةٍ: «وإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

فاتَّقُوا اللهَ ـ عِبادَ اللهِ ـ وكُونُوا مُؤمنينَ حَقّاً كمَا أمرَكُم اللهُ بِذلكَ، واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحَديثِ كتابُ اللهِ . . . إلخ.

* * *

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٨٠).

في البَرَاءَة مِنَ الكُفَّار

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمِينَ، أَمَرَ بمُوالاةِ المُؤمنينَ وعَدَاوةِ الكَافِرينَ، وأشهَدُ أَنْ لاَ إلٰه إلاَّ اللهُ وحْدَه لا شَريكَ لَه مُخْلِصينَ لَه الدِّينَ، وأَشهَدُ أَنَّ مُحمداً عَبْدُه ورسولُه المَبعوثُ رَحمةً للعَالمِينَ، وقَد أَمَرَهُ اللهُ بِجِهَادِ الكُفَّارِ والمُنافقينَ. صَلَّىٰ اللهُ علَيه وعلَى آلِه وأصحابِه أَجْمَعِينَ، وسَلّم تسليمَاً كَثيراً إِلى يوم الدِّينِ . . . أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتَّقُوا اللهَ تعَالى وتَذكَّروا أَنَّه سُبحانَه وتعَالى قَد نَهَاكُم عَنْ مُوالاةِ عَدُوِّهِ وعَدُوكُم فَقَال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

وأَخبَرَ سُبحانَه أنَّ مَنْ تولاَّهُم فإنَّه مِنْهُم وأنَّه لَيْسَ مِنَ اللهِ في شَيءٍ، ومُوالاتُهم مَعنَاها مَحبتُهم في القلوبِ، أو استحسانُ مَا هُم علَيه مِنَ الكُفرِ أو مَدحُهم والثناءُ عَلَيهم، أو مُناصَرَتُهُم ومُعَاونَتُهم، أَو الفَرَحُ بانتصَارِهم علَى المُسلمينَ، ومَا أَشْبَهَ ذَلك مِنْ كُلِّ مَا فِيه تَعظيمُهم واحْتِرَامُهُم.

وقَد خَفِيَ هذا الأمرُ على كَثيرٍ مِنَ المُسلمينَ لِقِلَّةِ التَّحدُّثِ عَنه وبيانِه، أَو للتسَاهُلِ فِيه، أو لِضَعْفِ الإيمانِ، أو لِكَثْرَةِ اختلاطِ المُسلمينَ بالكفارِ بِسببِ قُدومِهم إِلى بِلاَدِ المُسلمينَ، أو سَفَرِ بعضِ المُسلمينَ إِلى بِلاَدِهِم، أو غَيرِ ذَلكَ مِنَ الأسْبَابِ، وهذَا أَمْرٌ خَطيرٌ وشَرٌّ كَبيرٌ، ينتجُ عَنه فَسَادُ العَقِيدَةِ، وعَدَمُ التَّمْييزِ بينَ المُؤمنِ والكَافِرِ والبرِّ والفَاجِرِ، وانتشارُ الشَّرِّ، وقِلَّةُ الخيرِ.

قَالَ تعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى

ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣].

وقد نفى الله الإيمان عمَّن تولى الكافر ولو كان أقرب قريب إليه، فقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

عِبادَ اللهِ: إنَّه يَجبُ علَى كُلِّ مُسلمٍ يَدينُ بدينِ الإسلامِ ويَعتقِدُ عَقيدةَ التَّوحيدِ أَنْ يُواليَ أَهْلَ هذَا الدِّينِ أَصْحَابَ هَذِه العَقِيدةِ، ويُعَادِيَ أَعْدَاءَهَا، فيُحِبَّ أَهْلَ الإِخْلَاصِ والتوحيدِ ويُواليَهم، ويُبْغِضَ أَهْلَ الشِّرْكِ والنِّفَاقِ ويُعادِيَهم.

وهذِه مِلَّةُ إبراهيمَ التِي أُمِرْنَا باتباعِها. قَالَ تعَالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

ومَحَبَّةُ الكُفَّارِ وإنْ كانتْ عَمَلاً قَلبياً خَفِياً إِلاَّ أَنَّها يُعَبِّرُ عَنْهَا اللِّسَانُ وأعمالُ الجَوارحِ. ولَهَا عَلامَاتٌ ومَظاهِرُ تُعْرَفُ بِهَا، فَمِنْ مَظَاهِرِ مُوالاةِ الكُفَّارِ: التشبُّهُ بِهم فيمَا هُو مِنْ خَصائِصِهم مِنَ العَادَاتِ والسَّمْتِ والأخلاقِ، كَحَلْقِ اللِّحَى وإِطَالَةِ الشَوَارِبِ، واسْتِعْمَالِ لُغَتِهم فِي التَّخَاطُبِ والكِتَابةِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، والتَّشَبُّهِ بِهم في الزِّيِّ واللِّبَاسِ، وفِي كَيفيةِ الأَكْلِ والشُّرْبِ. فإنَّ التَّشبهَ يَدُلُّ على مَحبةِ المُتشَبَّهِ به. ولهذا قَال ﷺ: «مَنْ تشبَّهَ بقومٍ فهو مِنهم»[1] لأنَّ التشبهَ بهِم في الظَّاهِرِ يدُلُّ علَى مَحبتِهم في البَاطِنِ، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

ومِنْ مَظَاهِرِ مُوالاةِ الكُفَّارِ: الإقامةُ فِي بِلادِهِم، والتَّجَنُّسُ بِجِنْسِيَّتِهِم،

(١) أبو داود (٤٠٣١).

وتَرْكُ الهِجْرَةِ مِنْ بِلادِهِم إِلى بِلَادِ المُسلمينَ مَعَ القُدْرَةِ علَيها، فقَد حَرَّمَ اللهُ الإقامةَ في بلادِ الكُفَّارِ مَعَ القُدرةِ علَى الهِجرةِ مِنْها إلى بِلَادِ المُسلمينَ وتوَّعدَ علَيها بأشدِّ الوَعِيدِ. قَالَ تعَالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء: ٩٧ـ٩٩].

فَلَمْ يَعْذُرِ اللهُ فِي الإقَامَةِ فِي بِلَادِ الكُفَّارِ إلاَّ المُستضعَفينَ الذِينَ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الهِجْرَةَ، وكذلكَ يَعْذُرُ مَن كَانَ في إقامتِهِ مَصلحةٌ دِينيةٌ كالدعوةِ إلى اللهِ تعَالى ونَشْرِ الإسلامِ فِي بِلادِهم.

ومِنْ مَظَاهِرِ مُوالاةِ الكُفَّارِ: السَّفَرُ إلى بِلَادِهِم لِغَرَضِ النُّزْهَةِ ومُتْعَةِ النَّفْسِ، لأنَّ السفرَ إلى بِلَادِ الكُفَّارِ مُحرمٌ إلاَّ عند الضَّرورةِ، كالسفرِ لِأَجْلِ العِلَاجِ، أَوْ لأجلِ التِّجَارَةِ، أَوْ لأَجلِ تَعلُّمِ التَّخَصُّصَاتِ التِي يَحتاجُ المُسلمونَ إليها، فيجوزُ السفرُ إلى بلادِ الكُفَّارِ لتحقيقِ هذه الأغراضِ بقَدْرِ الحَاجَةِ، وبِشَرْطِ أَنْ يكونَ المُسْلِمُ مُظْهراً لِدينِهِ مُعْتزّاً بإسلامِهِ مُبتعِداً عَنْ مَواطِنِ الشَّرِّ، حَذرًا مِنْ دَسَائِسِ الأَعْدَاءِ ومَكائدِهم. وكذلكَ يَجُوزُ السفرُ إلى بلادِ الكُفَّارِ إذَا كَانَ لأجلِ الدَّعوةِ إلى اللهِ ونَشْرِ الإسلامِ.

ومِنْ مَظاهِرِ مُوالاةِ الكُفَّارِ: إعانَتُهم ومُناصرتُهم علَى المُسلمينَ ومَدحُهم والثناءُ علَيهم، وهذا مِن نوَاقضِ الدِّينِ والرِّدَّةِ عن الإسلامِ. نعوذُ باللهِ مِنْ ذلكَ.

ومِنْ مَظَاهِرِ مُوالاةِ الكُفَّارِ: الثقةُ بِهم وتوليتُهم المَنَاصِبَ التِي فِيهَا أَسْرَارُ المُسلمينَ، أو اتخاذُهم بِطانةً ومُستشَارينَ. قَال اللهُ تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

فقد بَيَّنَ الله فِي هَذِه الآياتِ دَخَائِلَ الكُفَّارِ وما يُكِنُّونَه نحوَ المُسلمينَ مِن بغضٍ وما يُدَبِّرونَه ضِدَّهُم مِنْ مَكرٍ وخِيَانَةٍ، وما يُحِبُّونَه مِنْ مَضَرَّةِ المُسلمينَ والإلحَاقِ الأذى بِهم، وأنَّهم يَسْتَغِلُّونَ ثِقَةَ المُسلمينَ وغِرَّتَهم للتخطيطِ ضِدَّهم، وهذا واقعٌ اليومَ ومُشاهدٌ مِنْ مَكرِ الدَّولةِ الكَافرةِ بالمُسلمينَ وعَمَلِ المُخَطَّطاتِ الإجْرَامِيَّةِ ضِدَّهم.

ومِنْ مَظَاهِرِ مُوالاةِ الكُفَّارِ: التأريخُ بتاريخِهم خُصُوصاً التَّاريخَ الذِي يُعَبِّرُ عَن طقوسِهم وأعيادِهم، كالتاريخِ المِيلاديِّ الذِي هُو عِبارةٌ عَنْ ذِكرِ مَولِدِ المَسيحِ عَلَيه السَّلامُ، والذِي ابْتَدَعُوا الاحتفالَ بِه سَنَوياً. فاستعمالُ هذا التاريخِ فِيه تَشَبُّهٌ بِهم ومَشَارَكَةٌ لَهم فِي إِحْيَاءِ شِعَارِهِم وعِيدِهم، ولتجنُّبِ هذا لَمَّا أَرَادَ الصَّحَابةُ رَضِيَ الله عَنهم عَمَلَ تاريخٍ للمُسلمينَ يؤرخون بِه أَعْمَالَهم ويَعرِفُون بِه أَجَالَ مُعاملاتِهم عَدَلُوا عَنْ تواريخِ الكُفَّارِ وأَرَّخوا بِهِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وهذا مِمَّا يدُلُّ على وجُوبِ مُخَالَفَةِ الكُفَّارِ.

ومِنْ مَظَاهِرِ مُوالاةِ الكُفَّارِ: تَهنئتهُم بمُناسبةِ أَعيادِهم، وتَعْطِيلُ الأعمالِ الرَّسميةِ فِي أيامِها، أَوْ حُضُورُ احتفالاتِهم. وقَد قَالَ الله تعَالى فِي وصفِ عِبادِه المُؤمنينَ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٢٥]. أي: لا يَحضُرون أعيادَ الكُفَّارِ.

ومِنْ مَظَاهِرِ مُوالاةِ الكُفَّارِ: مَدْحُهُم والإشادةُ بمَا هُم علَيه مِنَ المَدَنِيَّةِ والحضَارةِ والإعجابِ بأخلاقِهم ومُعاملاتِهم، حتَّى قَال بَعْضُ الجُهَّالِ لَمَّا ذَهبَ إليهم: وجدتُ مُسلمينَ بِلاَ إسلامٍ، قَالَ هذَا دُونَ نَظرٍ إِلى عَقَائِدِهِم البَاطِلَةِ ودِينِهم الفَاسِدِ وخَلاعتِهم وانْحلاَلِهم الخُلُقيِّ. وأمَّا مَا عِندَهم مِنَ القُوةِ المَاديةِ والتقنيةِ الصِّناعيةِ فَالوَاجبُ علَى المُسلمينَ أنْ يَسبِقُوهم إِلَيْهَا، لأنَّهم أولَى بذلكَ، قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقَالَ تعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فَهَذِه الأَسْرَارُ والمَنَافِعُ الكَونيةُ خَلَقَهَا اللهُ للمُؤمنينَ، ويشَارِكُهم فِيهَا الكُفَّارُ فِي هذِه الحياةِ الدُّنيا. وفِي الآخرةِ تَخْلُصُ للمُؤمنينَ لاَ يشارِكُهم فِيها أَحَدٌ غَيرهُم.

ومِنْ مَظَاهِرِ مُوالاةِ الكُفَّارِ: التَّسَمِّي بِأَسْمَائِهم كَمَا يَحْصُلُ مِنْ بَعْضِ المُسلمينَ أنَّهم يُسَمُّون أولادَهم بأسماءٍ أَجنبيةٍ مُسْتَوْرَدَةٍ مِنْ أَسْمَاءِ الكُفَّارِ، ويتركُونَ أَسْمَاءَ آبائِهم وأجدادِهم والأسماءَ المُستعملَةَ فِي مُجتمعِهم. وقَدْ قَالَ النبيُّ ﷺ: «خَيرُ الأسماءِ عبدُ اللهِ وعبدُ الرحمٰنِ»[1]. وبِسببِ تَغييرِ الأسماءِ فقَد وُجِدَ جِيلٌ يَحْمِلُ أسمَاءَ غَريبةً: مِمَّا قَد يُسَبِّبُ انفصَالاً بَيْنَ هذاَ الجِيلِ والأَجْيالِ السَّابِقَةِ للمُسلمينَ.

ومِنْ مَظَاهرِ مُوالاةِ الكُفَّارِ: بَداءتُهم بالسَّلاَمِ، وقَد نَهَانَا الرُّسولُ ﷺ عَن

---

(١) رواه الطبرانيُّ عن أبي سبرة ـ رضي الله عنه ـ وهو صحيحٌ «صحيح الجامع» (٣٢٦٩).

ذٰلكَ، فقَالَ: «إذا لَقيتُم المُشركينَ في الطَّريقِ فلا تَبدؤوهم بالسَّلامِ واضْطَرُّوهُم إلى أَضْيَقِهَا» رواه البخاريُّ فِي «الأدبِ المُفْرَدِ»[1].

وعَنْ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ الله ﷺ قَال: «لا تَبدؤوا اليهودَ والنَّصارَى بالسَّلامِ، وإذَا لقيتُم أحدَهم في طَريقٍ فَاضْطرُّوهُم إلى أَضْيَقِهِ» رواه مُسلمٌ[2].

وعَنْ أنسٍ رضي اللهُ عَنه قَال: قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «إذا سَلَّمَ عليكم أهلُ الكتابِ فقُولوا: «وعلَيكم» رواه البخاريُّ ومُسلمٌ[3].

وَمِنْ مَظَاهرِ مُوالاةِ الكُفَّارِ: مُخاطبتُهم بألفاظِ الاحترامِ والتَّبجيلِ، وقَد نَهَى النبيُّ ﷺ عَن ذَلكَ، فقَال: «لا تَقُولُوا للمُنافقِ يا سَيِّدُ. فإنَّه إنْ يَكُ سَيِّداً فقَد أَسْخَطْتُم رَبَّكُمْ عَزَّ وجَلَّ» رَواه البخَاريُّ فِي «الأَدبِ المُفردِ»[4].

ومِنْ مَظَاهرِ مُوالاةِ الكُفَّارِ: تَشْييعُ جَنائزِهم، وتَولِّي دَفنِهم، وإلقاءُ الزُّهُورِ علَى قبُورهم أَو دَفنُهم فِي مَقَابرِ المُسلمينَ ـ وقَد قَال اللهُ تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الممتحنة: ١٣].

وهذَا يَشْمَلُ حَمْلَ جَنازةِ الكَافرِ وتَشْييعَهُ أَو تَكْفِينَه أَو الصلاةَ علَيه. وقَد قَال اللهُ تَعَالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة: ٨٤].

ومِنْ مَظَاهرِ مُوالاةِ الكُفَّارِ: الترحُّمُ علَى أَمواتِهم، والاستغفارُ لَهم، وقَد

---

(١) الحديث صحيح وانظره في «صحيح الجامع» (٧٩١).

(٢) رواه مسلم (٢١٦٧).

(٣) رواه البخاريُّ (٦٢٥٨)، ومسلمٌ (٢١٦٣).

(٤) والحديث رواه أيضاً أبو داود (٤٩٧٧) وهو صحيح.

نَهى اللهُ عَنْ ذَلكَ فقَال: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة: ١١٣].

ومِنْ مَظَاهِر مُوالاةِ الكُفَّارِ: مَا ابتُلِي بِهِ كَثيرٌ مِنَ المُسلمينَ اليَوم مِنْ استقدَامِهِم إلى بِلاَدِ المُسلمينَ وبِلادِ الحَرَمَين، بِصفةِ عُمَّالٍ وسَائقينَ ومُستخدَمين، وإدخالِهم في بيُوتِ المُسلمينَ وبَينَ عوائلِهم وتَسكينِهم بجوارِ المَسَاجِدِ، حتَّى يَتكونَ مِنهم مَظهرٌ سَيِّءٌ حِينَ تُقامُ الصَّلاَةُ وهُم يَتجمهَرُونَ فِي الشَّوارعِ، فَيَرَاهُم الكُسَالَى مِنَ المُسلمينَ وشَبابهم فَيَقْتَدُونَ بِهِم ولا يَحضُرُون الصَّلاةَ، مَعَ مَا يُخشَى مِنْ أَنَّهُم يأتُونَ دُعاةً إلى كُفرِهِم وعَقَائِدِهِم ويُحَاوِلُونَ تَغييرَ عَقائِدِ أَولادِ المُسلمينَ. إِلَى غَير ذَلكَ مِنَ المَحاذيرِ الشَّديدةِ.

فَيَا مَنْ تَستقدمُون العُمَّالَ، ويَا أَصْحَابَ مَكاتِب الاستقدامِ اتَّقُوا اللهَ تعَالى، لاَ تَجلُبُوا علَى المُسلمينَ وبِلادِ المُسلمينَ شَرّاً تَتَحَمَّلُونَ إثمَهُ وتأكلُون في مُقابلِه أَموالاً حَرَاماً، وإِذَا اضطررتُم إلى الاستقدام فَاسْتقدمُوا مِنَ المُسلمينَ الصَّالِحينَ. وهُم كَثيرٌ والحمدُ للهِ وفِيهم الكِفَايةُ، ولَكِنَّ الأَمْرَ يَحْتَاجُ إلى اهتمامٍ ومُراقبةٍ للهِ سُبحانَه وتعَالي.

فاتَّقُوا اللهَ فِي أنفسِكم، وفِي إخوانِكم المُسلمينَ، وفِي بِلاَدِ المُسلمينَ، واعلمُوا أنَّه كَمَا تَجِبُ مُعَادَاةُ الكَافِرِ الأَصْليِّ، فكذلكَ تَجبُ مُعاداةُ الكَافِرِ المُرتَدِّ عَنْ دِينِ الإسلامِ، ولَو كَانَ أقربَ قريبٍ. قَالَ تعَالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ومِنْ أَشَدِّ المُحادينَ للهِ ورَسولِه الذِي يترُكُ الصَلاَةَ مُتَعَمِّداً. وقَدْ كثُرَ هَذَا

النَّوْعُ فِي بِلاَدِ المُسلمينَ ولَمْ نَرَ مَنْ يُعَادِيهم ويُقَاطِعهُم، بَلْ نَرَى الكَثِيرَ مِنْهُم يَعيشُونَ فِي بُيوتِ المُسلمينَ وفِي بِلادِ المُسلمينَ مُعَزَّزِينَ مُكَرَّمِينَ، مَعَ أنَّ الوَاجِبَ اسْتِتَابَتُهُم فإنْ تَابُوا وإلاَّ قُتِلُوا مُرتدينَ، وإنْ بَقُوا عَلَى قَيْدِ الحياة فإنَّه يجبُ طَرْدُهم وإبعَادُهُم، ولاَ تَجُوزُ مُساكَنَتُهم فِي البيوتِ، ولا تَزويجُهم مِنْ نِسَاءِ المُسلمينَ، ولا مُعاشرتُهم ومُخالطَتُهم، لأنَّهُم مُحَادونَ للهِ ولِرَسُولِهِ وأعداءٌ للهِ ولِرَسُولِه. فأينَ الحُبُّ في اللهِ والبغض في اللهِ؟!

يَا عِبَادَ اللهِ، أينَ الغِيرةُ للهِ؟ أينَ العَمَلُ بكتابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسولِه؟ فاتَّقُوا الله فِي هذَا الأمرِ، ولاَ تَسَاهَلُوا فيه، فإنَّه خَطِيرٌ.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجيمِ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١].

بَارَكَ اللهُ لِي ولكُم فِي القرآنِ العَظِيم

الخُطْبَة الثَّانية:

الحَمْدُ للهِ الذِي جَعَلَ لنَا مِنْ أَمْرِنَا رِشَداً. ونَهانَا أنْ نَتَّخذَ المُضلِّين عَضُداً. وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لاَ شَريكَ لَه، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً ولاَ ولَداً، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورسولُه أَرْسَلَه بدِينِ الحَقِّ والهُدَى، صَلَّى اللهُ عَلَيه وعلَى آلِه وأَصْحَابِه وسَلَّمَ تَسليماً كَثِيراً دَائِماً ومُستمراً أبداً..

أَمَّا بعدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتقُوا الله تعَالَى، واعْلمُوا أنَّ عَدواتَنَا لِلكُفَّارِ وَوجُوبَ بُغْضِنَا لَهُم ومَا يتبَعُ ذَلِكَ مِنَ الامْتِناعِ عَن مَظَاهِرِ مُوالاتِهم التِي سَبَقَ بَيانُهَا، فَإنَّنَا مَعَ ذَلِكَ لاَ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَظْلمهُم أَوْ نَجُورَ عَلَيهم فِي الحُكْمِ، قَالَ تَعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ ﴾ [المائدة: ٨] وقَال تعَالى: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ ﴾ [المائدة: ٤٢].

وكَذلِكَ عَدَواتُنا لَهُم لاَ تَمْنَعُنَا مِنْ عَقْدِ المُعَاهَدات مَعَهم والاتفاقياتِ التِي هِي فِي صَالِح المُسلمينَ، ولاَ مِنَ التَّعامُلِ التجَارِي مَعهم واستيرادِ مَا يَحتَاجُه المُسلمونَ مِنْ مُنتجَاتِهم، ولاَ البيعِ والشِّراءِ مَعهُم ومُشاركتِهم فِي حُدودِ مَا تُبيحُه الشَّريعَةُ الإسلاميةُ، لأنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يَستدينُ مِنَ اليَهودِ، وكَذَلِكَ لاَ يَمْنَعُ بُغْضُنَا لَهم مِنْ مُكافأةِ مَنْ أَحْسَنَ مِنهم إليْنَا، قَال تَعَالَى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [المُمتحنة: ٨] وهذَا مِنْ بَابِ المُكافأةِ والعَدْلِ لاَ مِنْ بَابِ المَحبَّةِ والمُوالاَةِ لَهُم.

ومِنْ ذَلكَ إحسانُ الوَلَدِ المُسْلِمِ إلى وَالِديهِ الكَافِرينِ قَال تعالي: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان: ١٤ـ١٥].

كَمَا أنَّه يَجبُ عَلينَا مَع بُغضِ الكُفَّارِ وعَدمِ مُوالاتِهم أنْ نَدعُوهُم إلى اللهِ ونَنْصَحَهُم بالدُّخُولِ فِي الإسلامِ، لَعَلَّ اللهَ يهديهم ونكونُ سَبباً في ذَلكَ ولَنَا مِثْلُ أَجْرِ مَنِ اهْتَدَى مِنْهُم. وهكذَا يَجبُ عَلَيْنَا أنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ هذِه الأُمُورِ وبَيْنَ المَحبَّةِ والمُوالاَةِ، كَمَ يَجبُ عَليْنَا أنْ نَعْلَمَ أنَّ اللهَ سُبحانَه وتعَالى مَعَ أَمرِهِ لنَا بمُعادَاة اليهودِ والنَّصارَى، فقَد أَبَاحَ لَنَا التَزَوُّجَ مِنْ نِسَائِهم المُحْصَنَاتِ، والأَكْلِ مِنْ

ذَبَائِحِهم المُذَكَّاةِ بالذَّكَاةِ الشَرْعِيَّةِ. وأنْ نَأْخُذَ الجزْيَةَ مِنْهُم إذَا أَعْطُوهَا وهُم صَاغِرُونَ، ونَتْرُكَهُم عَلَى دِينِهم.

كُلُّ هَذِه تَعَامُلاتٌ مَعَ الكُفَّارِ قَد شَرَعَها اللهُ سُبحانَه مَعَ مَا شَرَعَهُ مِنْ مُعاداتِهم وعَدَمِ مُوالاتِهم، لأنْ التَعَامُلَ الظَاهِرِيَّ الذِي فِيه مَصْلَحَةٌ لِلمُسلمينَ لاَ يَتَعَارَضُ مَعَ وجُوبِ بُغْضِهم وبُغْضِ مَا هُم عليه مِنَ الكُفْرِ والضَّلاَلِ، كَمَا أنَّ بُغضَنا لَهم وعَدَم مُوالاتِهم لاَ يَمْنَعُ مِن استئجارِهم للقيامِ ببعضِ الأعمالِ التِي يُحْسنُونَهَا ونَحْنُ بِحَاجَةٍ إلَيْهَا، كُلُّ ذَلِكَ مِن التعامُلِ الدُّنيويِّ لاَ التعامُلِ القَلْبِيِّ، فَلْنَتَنبه لهذِه الأحكامِ المُسْتَمَدَّةِ مِنْ كِتَابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسولِه، فإنَّ خَيرَ الحَديثِ كِتَابُ اللهِ وخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمدٍ ﷺ.

* * *

الحَثُّ عَلَى العَمَلِ بالكتابِ والسُّنَّةِ والتَّحْذِيرُ مِمَّا سِواهُمَا

الحَمدُ للهِ الذِي أنزلَ علَى عَبْدِهِ الكِتَابَ ولَمْ يَجْعلْ لَه عِوَجَاً، وأشهَدُ أنْ لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَه ـ وَعدَ مَنِ اتقَاه أنْ يَجعَلَ لَه مَخرجَاً ـ وأشهَدُ أنَّ مُحمداً عَبدُه ورَسولُه أَزَالَ اللهُ بِه عن هَذِه الأمَّةِ آصَاراً وأَغْلاَلاً وحَرَجَاً، صَلَّى اللهُ علَيه وعلَى آلِه وأصحابِه أفضلِ قُرونِ هذِه الأُمَّةِ وأهدَاهُم طَرِيقاً ومَنْهَجَاً، وسَلَّمَ تَسْلِيمَاً كَثِيراً.

أَمَّا بعدُ:

أَيُّها النَّاسُ اتقُوا اللهَ تعَالى وتمسكُوا بِكتابِ رَبِّكُم وسُنةِ نَبيكُم ومَا كَانَ عليه السَّلَفُ الصَّالِحُ فِي الاعتقادِ والعَملِ، وإيَّاكُم والأَهْواءَ المُضِلَّةَ والمَذاهبَ البَاطلَة والدِّعاياتِ المُزورةَ المَكْذُوبَةَ التِي يُرَوِّجُهَا شَياطِينُ الإنسِ والجِنِّ لِيَصُدُّوكُم بِهَا عَنْ دِينكُم، واحْذَروا كَذلكَ مِنْ تَضْلِيلِ الجُهَّالِ الذِين يقُولُونَ فِي دِينِ اللهِ وعلَى اللهِ مَا لاَ يَعلمُون، واتقُوا البِدَعَ المُحْدَثَةَ فِي الدِّينِ «**فإنَّ كُلَّ بِدعةٍ ضَلالةٌ**» والبدعةُ: هِي كُلُّ مَا أُحْدِثَ في الدِّينِ ولَيسَ لَه دَليلٌ صَحيحٌ مِنْ كِتابِ اللهِ وسُنةِ رَسولِه ﷺ. قَال ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً ليسَ علَيه أمرُنا فهُو رَدٌّ**» رواه مسلم[(١)].

ومِنَ العَجِيبِ أَنَّ كَثيراً مِنَ النَّاسِ يَحرِصُون علَى فِعْلِ العِبَادَاتِ التِي لَمْ تَثْبُتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْثَر مِمَّا يَحْرِصُونَ علَى فِعْلِ العِبَادَاتِ الثَّابِتةِ. فيحرصُون مَثَلاً علَى

---

(١) رواه مسلم (١٧١٨).

فِعْلِ صَلواتٍ مُبْتَدَعَة مثْلَ صَلاةِ التَّسبيحِ، وصَلاةِ الرَّغَائِبِ فِي رَجَب، وعَلَى تَخْصِيصِ لَيلةِ النِّصْفِ مِنْ شَعبانَ بِصَلاةٍ، وتَخصيصِ يَوم النِّصْفِ مِنْ شَعبانَ بِصِيَامٍ. كُلُّ هذِه الأُمُورِ لَمْ يَثْبُتْ فِيهَا شَيءٌ عَنِ الرسولِ ﷺ، فَهِي مُبْتَدَعَةٌ.

وفِيمَا شَرَعَهُ اللهُ وَصَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ نَوافلِ الصَّلَواتِ والصِّيام مَا فِيه غُنْيَةٌ لِلمُسْلمِ فِي دِينِه، وفِيه الأَجْرُ العَظِيمُ والثَّوَابُ الجَزيلُ عِنْدَ رَبِّهِ وأَمَّا البِدَعُ فإنَّها تُتْعِبُ الإنسانَ وتُؤثِّمُه وتُبعِدُه عَنِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ.

فَاحْذَرُوا - يَاعِبَادَ اللهِ - هذِه البدعَ وأهلَها، ولا تُقْدِمُوا على شَيءٍ مِنَ العِبَادَاتِ إلاَّ بعدَ التأكد مِن مَشروعيتِه، وذلكَ بالرجوعِ إلى الكِتابِ والسُّنةِ وسُؤالِ المُحققِين مِن أَهْلِ العِلمِ، لاَ سُؤالِ الجُهَالِ، أَوْ عُلماءِ الضَّلالِ، أو الرجوعِ إلى الكُتُبِ المَشْبُوهَةِ، فإنَّ بعضَ الكُتُبِ هي مَصْدَرُ هذه الضَّلاَلاَتِ، ومَخزنُ هذه الجَهالاتِ، ومِنْ ورَاء هذِه الكُتُبِ أُناسٌ يَسْتَلُّونَ مَا فِيهاَ مِنَ السُّمُومِ القاتِلةِ والمَوادِّ المُتَعَفِّنةِ ويَطبعونَها في نَشراتٍ صَغيرةٍ على شَكلِ نَصائح وأدعيةٍ وأَورادٍ، ويحُثُّونَ النَّاسَ علَى استنسَاخِها أو تَصويرِها وتوزيعِها، ويَعِدُون مَن فَعَلَ ذلك بالثوابِ الجَزيلِ، ويتَوعَّدُونَ مَنْ لمْ ينشُرْها أو يكتبْها بالعذابِ الوَبيلِ، فمَا إنْ يَسْمَعُ الجُهَّالُ ذلكَ حتَى يُبادِرُوا بنَشْرِهَا وتَوزيعِها، رَغبةً أو رهبةً. وبهذِه الطَّريقةِ الشَّيطانيةِ يُغَيَّرُ الدِّينُ الصَّحيحُ وتَفسُدُ عَقَائدُ الناسِ.

وهُناكَ مَا هُو أَخطَرُ مِنَ الكُتُبِ، وهُو الأشرطةُ الصَّوتيةُ التِي تُسَجَّلُ فِيها هذه الأَباطِيلُ وتُبَاعُ أَوْ تُوَزَّعُ مَجَّاناً، وهذِه الأشرطةُ أَخطرُ مِنَ الكُتُبِ، لأنَّ شَرَّ الكُتبِ مَقصورٌ علَى مَن يُحسنُ القِرَاءَةَ. أَمَّا هذِه الأشرطةُ فَيسمعُها كُلُّ أَحدٍ مِنَ الكِبَارِ أو الصِّغَارِ والرجالِ والنساءِ والمُتعلمينَ والعَوامِّ. وهُناكَ أَشرطةٌ وأفلامٌ تَحْمِلُ أسماءَ خَدَّاعةً، مِثْلَ: شَريطِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ، وفِلْم اليقينِ، سَمَّوْهما بذلك

خِدَاعاً. وفِيهمَا خليطٌ مِنَ الكَلَامِ والقِصَصِ والوعظِ وذِكرِ أحوالٍ يزعمونَ أَنهم شَاهَدُوهَا لبعضِ المَوتَى. وعلَى فَرْضِ صِحتِها فإنَّه لا يجوزُ لَهم أن يُشِيعُوها، بَلْ يَجبُ علَيهم أنْ يستُروا علَى أمواتِ المُسلمينَ مَا يَرونَه مِنْ أَحوَالِهم ويستغفرُوا لَهم، وإنْ كانَ هؤلاء الأمواتِ كُفاراً لمْ يَجُزْ لَهم أنْ يَتَولَّوا تَجهيزَ جَنائِزهم. ونَحن يَسَعُنا مَا وَسِعَ سَلَفَنا الصَّالحَ، فإنَّهم كَانُوا يعِظُونَ النَّاسَ بمَواعظِ الكِتَابِ العَزِيزِ والسُّنةِ الصَّحيحةِ، ولمْ يَكونُوا يَعظونَهم بالحكاياتِ المَشبوهةِ والأناشيدِ الصُّوفيةِ التِي يسمُونها أناشيدَ إسلاميةً حتَّى غزُّوا بِهَا كُثيراً مِنَ الشَّبَابِ والشَّابَّاتِ بحُجةِ أنَّهَا تُؤثرُ علَى النَّاسِ، فقَد أَغْنَانا اللهُ عَنها بالكتاب والسُّنَّةِ، ومَنْ لمْ يسَعْه الكتابُ والسُّنةُ فَلا وَسَّعَ اللهُ علَيه.

فاتقُوا اللهُ ـ عِبادَ اللهِ ـ واحذَرُوا هذِه الدَّسائسَ وحَذِّروا مِنْهَا، واتقُوا اللهُ يَا أصحابَ مَحلاتِ التَّسْجِيلِ، لا تُسجلُوا مِثْلَ هذِه الأشرطةِ فَتشتركُوا مَع أَصْحَابِهَا فِي الإثمِ، وتحصلُوا مِن ورَائِها علَى الكَسْبِ الحَرام.

نَحْنُ لا نَقولُ: إنَّ كُلَّ مَن يَعملُونَ هذِه الأشرطةَ ويَروون هذِه الحِكَاياتِ والقصصِ، لا نقول: كلُّهم يقصِدون السُّوءَ والإفسادَ، بلْ علَى العَكْسِ فِيهم رجَالٌ صَالحونَ ويقصدُون الخَيرَ، ولكنَّ صَلاحَ الشَّخْصِ وحُسْنَ نِيتِه وقَصدِهِ لا يَكفيانِ لِتَقَبلِ كُلِّ مَا يفعلُه وكُلِّ مَا يقولُه، لاَ سِيَّما مَا يتعلَّقُ بأمورِ الدِّينِ والعقيدةِ. فقَد كانَ العُلماءُ يتركُون رِوايةَ الحَديثِ عَنْ أناسٍ هُم أصحابُ صَلاحٍ ودِينٍ ونِيةٍ صَالحةٍ. لكنْ لَمَّا لَمْ تَتوفَّر فِيهم الشُّروطُ المَطلوبةُ لِلرِّوايةِ تَركُوا مَا يَروُونَه حِفاظاً علَى الدِّينِ والسُّنةِ والعَقيدةِ، وكَانَ السَّلَفُ والمُحققونَ مِنَ العُلماءِ يُحذِّرونَ مِنَ القُصَّاصِ الذِينَ يُزَاولُونَ الوَعْظَ عَنْ طَرِيقِ القِصَصِ والحِكَايَاتِ ويَتْرُكُونَ طَرِيقةَ الكِتَاب والسُّنةِ فِي الوعظِ والتَّذْكِيرِ، ولَهُم فِي ذَلكَ أَخْبارٌ طَويلةٌ وكُتُبٌ مُؤلفةٌ فِي

التَّحْذِيرِ مِنهم، ولنَا فِيهم أُسْوةٌ حَسنةٌ، فَهُم كَانُوا أَعْلمَ مِنَّا بمَا يُصْلِحُ الأمةَ. وقَد قَالَ الإمامُ مَالكٌ رحمه الله: لا يُصْلِحُ آخرَ هذِه الأمةِ إلاَّ ما أَصْلَحَ أوَّلَهَا.

نَعم هُنَاك أشرطةٌ تَحوي مَوادَّ طَيبةً وعُلوماً نَافعةً كأشرطةِ تسجيلاتِ القُرآنِ الكريمِ وتَفسيرِه، وأشرطةِ الخُطَبِ المُفيدةِ والمُحاضراتِ القَيمةِ والدُّروسِ العِلميةِ، فهذه يَجبُ تَداولُها ونَشْرُهَا بينَ المُسلمينَ، لأنَّهَا مِنْ أَهَمِّ وسَائِلِ نَشْرِ الدَّعْوَةِ والعِلْمِ النَّافعِ، وإنَّمَا الذِي نُحَذِّرُ مِنه هُو الأشْرِطَةُ والأفلامُ الهَابِطَةُ والمَشبوهةُ والأشرطةُ التِي تَحوي أفكارَ بعضِ القُصَّاصِ الجُهَّالِ، وكَذَا الأشرطةُ الخَبيثةُ التِي تَحمِلُ الغناءِ المَاجِنَ، وأَصْواتَ المُطربينَ السُّخفاءَ، وأصواتَ المَعازِفِ والمَزاميرِ، وأفلامَ العُرْيِ الرذيلةِ، لأنَّ هذِه الأشرطةَ والأفلامَ تَفتِكُ بإفكارِ الأمَّةِ وعَقائدِها وأَخلاقِها أشَدَّ مِنْ فَتْكِ المُخَدَّراتِ والمُسْكِراتِ في العقولِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ ـ واحذروا فتنتها وامنعوا من دخولها في بيوتكم ووجودها في سَياراتِكم ومَحلاتِكم تَخلُّصاً مِن شرِّها وضَرَرِها.

وَفَّقَ اللهُ الجَميعَ لمَعرفةِ الحَقِّ والعملِ بِه ومَعرفةِ الباطلِ واجتنابه.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرَّجِيمِ: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ـ١٦].

بَارَكَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطْبَة الثَّانِية :

الحَمد للهِ رَبِّ العَالمِينَ. أَمَرَنَا باتباعِ كِتابه وهَدْي رَسولِه، وأشهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لاشريكَ لَه، بَيَّنَ لنَا الحَقَّ بدليلِهِ، وأشهَدُ أَنَّ مُحمداًعَبدُه ورسولُه الهَادي إِلى سَبيلِه صَلَّى اللهُ وعلَى آلِه وأصحابِه وكُلِّ مَنِ اتصفَ باتباعِ الحَقِّ وقَبولِه وسَلَّمَ تسليمَاً كَثيراً . .

أَمَّا بَعْدُ :

أيُّهَا النَّاسُ : اتقُوا الله تعَالى واسألُوه أنْ يُوَفِّقَكُم لمَعرفةِ الحَقِّ واتباعِه ومَعرفةِ الباطلِ واجْتِنَابِه، واعلمُوا أنَّه كَمَا أنَّ هُناك أشرطةً تُنْشَرُ باسمِ الدِّينِ والوَعظِ والتذكيرِ، وفِيها الخَطَرُ الذِي ذَكَرْنَا بعضَاً مِنه، فهُناكَ أشرطةٌ تُنْشَر لإفسادِ الأخلاقِ والأعراضِ ونَشْرِ الخَلاعةِ والمُجونِ. إنَّها أشرطةُ الأغَانِي والمُوسيقَى والمَعازفِ والمَزاميرِ، وأفلامِ الفِيديو المُدمرةِ التي تَعْرِضُ مَشَاهِدَ الفِسْقِ والإجرامِ، والمَناظرِ التِي يَنْدَىٰ لَهَا جَبينُ الإسلامِ. إنَّها أَسْلِحَةٌ مُوجهةٌ ضِدَّ الدِّينِ والعَقيدةِ والأخلاقِ، وتَستهدفُ بصِفَةٍ خَاصةٍ شَبابِ المُسلمينَ، لأنَّهم ثَروة الأُمةِ التِي تَعتمدُ عليها بعدَ الاعتمادِ علَى اللهِ في مُواجهةِ عَدوِّها، فانتبهُوا ـ ياعبادَ اللهِ ـ لِمَا يُرادُ بِكم ومَا يُحاكُ ضِدَّكُم، وتَمسَّكُوا بكتابِ رَبِّكُم وسُنةِ نَبيكُم، فإنَّ خيرَ الحَديثِ كتابُ اللهِ، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمدٍ ﷺ . . إلخ .

* * *

فِي الدُّعَاءِ وفَوائدِه

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ، أَمَرَ ووعَدَ بالإجابةِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لاَ شَريكَ لَه، تَوعَّدَ المُجرمينَ بالعقابِ ووعَدَ المتقينَ بالإثابةِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه صَلَّى اللهُ عَليه وعلَى آلِه وأصحابِه، وسَلَّمَ تَسليمَاً كَثيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّها النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تعَالى، واعلمُوا أنَّ الدُّعاءَ أعظمُ أنوعِ العِبادةِ، فعَن النعمانِ بنِ بَشيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما، عَنِ النبيِّ ﷺ قَال: «**الدُّعَاءُ هُو العبادةُ**» ثُمَّ قَرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

رَواه أبـو دَاودَ والتِّـرمـذيُّ، وقَـال: حـديـثٌ حَسـنٌ صَحيـحٌ. وَصَحَّحه الحاكمُ[١]، وقَد أَمَرَ اللهُ بِدُعَائِه في آياتٍ كَثيرةٍ وَوَعدَ بالإجابةِ، وأَثْنَى علَى أنبيائِه ورُسُلِه فقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وأَخبرَ سُبحانَه أنَّه قَريبٌ يُجيبُ دَعوةَ الدَّاعِي إِذا دَعَاهُ، فقالَ سُبحانَه لِنبيِّه ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وأَمَرَ سُبحانَه بِدُعَائِه والتَّضرُّعِ إِليه لاَ سِيَّما عِنْدَ الشَّدَائِدِ والكُرُباتِ، وأَخْبَرَ أنَّه لاَ يُجيبُ المُضْطَرَّ ولاَ يَكْشِفُ الضُّرَّ إلاَّ هُو، فقَالَ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا

---

(١) رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذيُّ (٢٩٧٣).

دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وذَمَّ الذِينَ يُعْرِضُونَ عَنْ دُعَائِه عِنْدَ نُزُولِ المَصَائِبِ وحَدُوثِ البَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ، فقَالَ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأعراف: ٩٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٢: ٤٣].

وهذَا مِنْ رَحمتِه وكَرَمِه سُبحانِه، فَهُو مَعَ غِنَاهُ عَنْ خَلْقِهِ يَأمُرُهُم بِدُعَائِه، لأنَّهم هم المحتاجونَ إليه، قَالَ تعَالى: ﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]. وقَالَ تعَالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ﴾ [محمد: ٣٨].

وفِي الحَديثِ القُدْسيِّ:

«يَا عِبَادِي، كُلُّكُم ضَالٌّ إلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُم، يَا عِبَادي كُلُّكُم جَائِعٌ إلاَّ مَنْ أَطْعَمْتهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُم، يَا عِبَادِي كُلُّكُم عَارٍ إلاَّ مَنْ كَسَوْتُه فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُم، يا عِبَادِي إنَّكُم تُخطِئونَ بِاللَّيلِ والنَّهارِ وأنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرونِي أَغْفِرْ لكُم» رَواه مُسْلِمٌ[1].

فَادْعُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، واعْلَمُوا أنَّ لِاسْتِجَابةِ الدُّعَاءِ شُرُوطاً لاَ بُدَّ مِنْ تَوَفُّرِهَا، فَقَدْ وَعدَ اللهُ سُبحانَه أنْ يَستجيبَ لِمَنْ دَعَاه. واللهُ لاَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ، ولَكِنْ تكُونُ مَوانعُ القَبُولِ مِنْ قِبَلِ العَبْدِ.

فَمِنْ مَوانِعِ إجابَةِ الدُّعَاءِ: أنْ يكونَ العَبْدُ مُضَيِّعاً لفَرائِضِ اللهِ، مُرْتَكِباً

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

لمَحَارِمِه ومَعَاصِيه، فهذا قَد ابتعدَ عَنِ اللهِ وقَطَعَ الصِّلَةَ بَينَه وبينَه، فَهُو حَرِيٌّ إذَا وَقَعَ في شِدَّةٍ وَدَعَا أنْ لاَ يُستجابَ لَه. وفِي الحَديثِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «تَعرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يعرفْكَ فِي الشِّدَّةِ»[1]. يعني: أنَّ العَبْدَ إذَا اتقَى اللهَ، وحَفِظَ حُدُودَه، ورَاعَى حُقوقَه في حَالِ رَخَائِه، فَقَدْ تَعرَّفَ بذلكَ إلى اللهِ، وصَارَ بينَه وبينَ رَبِّه مَعرفةٌ خَاصَّةٌ فيعرِفُه رَبُّه في الشِّدةِ ويُراعي لَه تَعرُّفه إليه فِي الرَّخَاءِ، فيُنجِيه مِنَ الشَّدائِدِ.

وفي الحديثِ: «ومَا تَقرَّبَ إليَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إليَّ مِمَّا افترضْتُه عليه. ولاَ يَزالُ عَبْدِي يَتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتَى أُحِبَّه، فَإذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذِي يَسْمَعُ بِه، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِه، ويدَه التي يَبطشُ بِهَا، ورِجْلَه التِي يمْشِي بِهَا. ولِئَنْ سَألَني لأعطينَّه، ولَئِنْ استعاذَني لأُعيذَنَّه» رَواه البُخَاريُّ.

فَمَنْ عَاملَ اللهَ بالتقوىٰ والطَّاعَةِ في حَالِ رَخَائِهِ عَامَلَه اللهُ بِاللُّطْفِ والإعَانَةِ فِي حَالِ شِدَّتِه، كَمَا قالَ تعَالى عَن نَبيه يُونُسَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لَمَّا التقَمَهُ الحُوتُ: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٣ـ١٤٤].

أَي لولاَ مَا تقدَّم له مِنَ العملِ الصَّالِحِ في الرَّخَاءِ، وقِيلَ: لَولاَ أَنَّهُ كانَ مِنَ المُصَلِّينَ قَبْلَ ذلكَ ﴿ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٤].

أَيْ: لصَارَ له بَطْنُ الحُوتِ قَبراً إلى يوم القِيامَةِ. قالَ بعضُ السَّلفِ: اذْكُروا اللهَ فِي الرَّخَاءِ يذكُرْكُم في الشِّدَّةِ، إنَّ يُونُسَ عليه الصَّلاَةُ والسَّلامُ كانَ يَذْكُرُ اللهَ فَلَمَّا وَقَعَ في بَطْنِ الحُوتِ قَال اللهُ تعَالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٨) بنحوه وقال: حسن صحيح.

بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤]، وإنَّ فِرعَونَ كَانَ طَاغِياً نَاسِياً لذِكْرِ اللهِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ [يونس: ٩٠]، فقَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس ٩١].

ومِنْ أَعْظمِ مَوانعِ الدُّعَاءِ: أَكْلُ الحَرَامِ، وشُرْبُ الحَرَامِ، ولبسُ الحَرَامِ، فَقَد ذَكَرَ النبيُّ ﷺ: «الرَّجُلَ يُطيلُ السفرَ أشعَثَ أغبرَ، يمُدُّ يدَيه إلى السَّمَاءِ يَارَبِّ، يَارَبِّ، ومَطْعَمُه حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلبسُه حَرامٌ، وغُذِّي بالحرام، فأنَّى يُستجابُ لذلكَ» رواه مُسلم. فَقَد أَشَارَ النبيُّ ﷺ إلى التَّمتُّعَ بالحَرَامِ أَكْلاً وشُرْباً ولبسَاً وتَغَذّياً أعظمُ مَانعٍ مِن قَبُولِ الدُّعَاءِ.

وفِي الحديثِ: «أَطِبْ مَطعمَكَ تَكُنْ مُجَابَ الدعوةِ».

وقَدْ ذَكَرَ عَبْدُ اللهِ ابنُ الإمامِ أحمدَ في كِتَابِ «الزهد» قَالَ: «أَصَابَ بَنِي إسرائيلَ بَلاَءٌ، فَخَرجُوا مَخْرَجَاً، فَأَوحَى اللهُ عَزَّ وجَلَّ إلى نَبيِّهم أَنَّ أَخْبِرْهم أَنَّكُم تَخرجُونَ إلى الصَّعِيدِ بأبدَانٍ نَجسَةٍ، وتَرفَعُونَ إليَّ أَكُفَّاً قَد سَفَكْتُم بِهَا الدِّمَاءَ، ومَلأتُم بِهَا بُيوتَكُم مِنَ الحَرامِ، الآنَ حِينَ اشتَدَّ غَضَبِي عَلَيكُم لَنْ تَزْدَادُوا مِني إلاَّ بُعْداً» فتنبَّهُوا لأنفسِكم أيُّها النَّاسُ. وانظُرُوا في مَكَاسِبِكُم ومَآكِلِكُم ومَشَارِبِكُم ومَا تُغَذُّون بِهِ أَجْسَامَكُم، لِيستجيبَ اللهُ دُعاءَكُم وتَضرُّعَكُم.

ومِنْ مَوانعِ قَبولِ الدُّعَاءِ: عَدَمُ الإخلاصِ فِيه للهِ، لأنَّ اللهَ تَعَالَى يقُولُ: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤] وقَالَ تعَالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فَالذِينَ يَدْعُونَ مَعَه غَيرَه، مِنَ الأصنامِ، وأصحَابِ القُبورِ والأضرحةِ، والأولياءِ والصَّالحينَ، كَمَا يَفعَلُ عُبَّادُ القُبورِ اليَومَ مِن الاسْتِغَاثَةِ بالأمْواتِ، هَؤلاءِ لاَ يَستجيبُ اللهُ دُعاءَهم إذَا دَعَوْهُ لأنَّهُم لَمْ يُخلِصُوا له، وكَذلِكَ الذِينَ

يَتوسَّلُونَ فِي دُعَائِهم بالموتَى فيقُولُونَ: نَسْأَلُكَ بفُلانٍ أو بجاهِه، هَؤلاءِ لاَ يُستجابُ لَهم دُعَاءٌ عِندَ اللهِ، لأنَّ دُعاءَهم مُبتدَعٌ غيرَ مَشروعٍ، فاللهُ لَمْ يَشْرَعْ لَنَا أَنْ نَدعُوَهُ بِواسطةِ أحدٍ ولاَ بِجَاهِه، وإنَّمَا أَمَرَنَا أَنْ نَدْعُوهُ مُباشرةً مِن غَيرِ وَاسطةِ أَحَدٍ، وقَالَ تعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

فَاحْذَرُوا مِنَ الأَدْعِيةِ الشِّرْكِيَّةِ والأدعيةِ المُبتدَعةِ التِي تَروجُ اليومَ.

ومِنْ مَوانعِ قَبُولِ الدُّعَاءِ أَنْ يَدْعُوَ الإنسانُ: وقَلْبُه غَافِلٌ، فَقَدْ رَوى الحَاكِم فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَن أَبِي هُريرةَ رَضي اللهُ عَنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «ادْعُوا اللهَ وأَنْتُم مُوقنونَ بالإجابةِ، واعْلَمُوا أنَّ اللهَ لاَ يَقبَلُ دُعاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ»[1].

ومِنْ مَوانعِ قَبُولِ الدُّعاءِ: تَرْكُ الأمرِ بالمَعروفِ والنَّهي عَنِ المُنْكَرِ، فعَنْ حُذيفَة بنِ اليَمَانِ رَضي اللهُ عَنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «وَالذِي نَفْسِي بيَدِهِ لتَأْمُرنَّ بالمَعْرُوفِ ولتَنْهَونَّ عنِ المُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يبعَثَ علَيكم عَذَاباً مِنه ثُمَّ تَدعُونَه فلاَ يَستجيبَ لكُم» رَواه التِّرمِذِيُّ[2].

قَالَ الإمامُ ابنُ القَيِّمِ: الدُّعَاءُ مِنْ أَقْوىَ الأَسْبَابِ فِي دَفْعِ المَكْرُوهِ وحُصُولِ المَطْلُوبِ، ولَكِنْ قَدْ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ أَثَرُه، : إمَّا لِضَعْفِه فِي نَفْسِهِ، بأنْ يكُونَ دُعاءً لاَ يُحِبُّه اللهُ لِمَا فِيه مِنَ العُدْوانِ، وإمَّا لَضعْفِ القَلْبِ وعَدَمِ إقْبَالِه علَى اللهِ وجَمْعِيتِه عَلَيْه وقْتَ الدُّعَاءِ، فيكُونَ بمنزلةِ القَوْسِ الرَّخْوِ جِدًّا، فَإِنَّ السَّهْمَ يَخْرُجُ مِنه

---

(١) بل ورواه الترمذيُّ أيضاً «كتاب الدعوات» ـ باب الدعاء مع اليقين بالإجابة (برقم: ٧٤٧٥).

(٢) رواه الترمذيُّ (٢١٧٠).

خُروجاً ضَعِيفاً، وإمّا لِحُصُولِ المَانِعِ مِنَ الإجابَةِ مِنْ أَكْلِ الحَرَام، ورَيْنِ الذنوبِ علَى القُلوبِ، واستيلاءِ الغَفلةِ والسَّهوِ واللَّهوِ وغَلبتِها علَيها. قَالَ: والدُّعَاءُ مِن أنفعِ الأَدويةِ. وهُو عَدوُّ البلاءِ يُدافعهُ ويعَالجُه، ويَمنَعُ نُزُولَه ويَرْفَعُه أَو يُخففُه إذَا نَزَلَ، وهُو سِلاَحُ المُؤمنِ ـ كَمَا رَوى الحَاكمُ في «مُستدركِه» مِنْ حَديثِ عَليّ بنِ أبي طَالبِ رَضي اللهُ عَنه قَالَ: قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**الدعاءُ سِلاحُ المُؤمِن، وعِمادُ الدِّينِ، ونُورُ السَّماواتِ والأرضِ**»[1] ورَوىٰ الحَاكمُ أيضاً مِنْ حَديثِ ابنِ عُمرَ رَضي اللهُ عَنهمَا عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**الدُّعاءُ ينفعُ مِمَّا نَزَلَ ومِمَّا لَمْ يَنزلْ فَعَليكُمْ عِبادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ**»[2]. فاتقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وأَلِحُّوا علَى رَبّكُم فِي الدُّعَاءِ: فعَن عَائشةَ رَضي اللهُ عَنها قَالت: قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُلِحِّينَ في الدُّعَاءِ**»[3].

فَالدُّعاءُ هُو أعظمُ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ، لأنَّه يَدُلُّ علَى التَّواضُعِ للهِ، والافتقارِ إلى اللهِ، ولِين القَلْبِ والرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَه، والخوفِ مِنه تعَالى، والاعترافِ بالعَجْزِ والحَاجَةِ إلى اللهِ. وتَرْكُ الدُّعَاءِ يَدُلُّ علَى الكِبْرِ وقَسْوةِ القَلْبِ والإعراضِ عَنِ اللهِ. وهُو سَبَبٌ لدُخُولِ النَّارِ، قَالَ تعَالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

كَمَا أَنَّ دُعاءَ اللهِ سَببٌ لدُخولِ الجنَّةِ، قَال تعَالى: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٥: ٢٨].

---

(١) رواه أبو يعلى والحاكم. والحديث موضوع «ضعيف الجامع» (برقم: ٣٠٠١).
(٢) حسن انظره في «صحيح الجامع» (برقم: ٣٤٠٩).
(٣) موضوع الإرواء: (٦٧٧).

يُخبِرُ سُبحانَه عَنْ أَهْلِ الجَنَّةِ أنَّهم يَسألُ بعضُهم بعضاً عَنْ أَحْوَالِ الدُّنيا وأَعْمَالِهم فِيهَا، وعَنِ السَّبَبِ الذِي أَوصَلَهم إلى دَارِ الكَرامةِ، فيقولُ بعضُهم لبعضٍ: إنَّ السببَ الذِي أَوصَلَهم إلى مَا هُم فِيه مِنَ الكَرامةِ والسُّرورِ أنَّهم كَانوا فِي دَارِ الدُّنيا خَائفينَ مِن ربِّهم ومِن عَذابِه، فتركُوا الذُّنُوبَ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وأنَّ اللهَ سُبحانَه مَنَّ عَليهم بالهدايةِ والتوفيقِ، ووَقَاهُم عَذَابَ الحَريقِ، فَضْلاً مِنْهُ وإحسَاناً لأنَّهم كَانوا فِي الدُّنيا يَدعُونَه أَنْ يَقِيهُم عَذابَ السَّمومِ، ويُوصلَهم إلى دَارِ النَّعيمِ. فَادعُوا اللهَ ـ أيُّها المُسلمونَ ـ وأكْثِرُوا مِن دُعائِه مُخلصينَ لَه الدِّينَ.

أَعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعْرَافُ: ٥٥ـ٥٦].

بَاركَ اللهُ لِي ولكُم فِي القُرآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانية:

الحَمدُ للهِ علَى فَضْلِهِ وإحسَانِهِ، يُجِيبُ الدَّاعِينَ، ويُحِبُّ المُتقينَ، وأشهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إلا اللهُ وحْدَه لاَ شَريكَ لَه شَهادةَ الحَقِّ واليَقِينِ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحمداً عَبدُه ورسولُه، أفضَلُ الدَّاعِينَ، وأخوفُ الخَلْقِ وأخشَاهم لِرَبِّ العَالِمين، صَلَّى اللهُ علَيه وعلَى آلِه وأصحَابِه أَجمعِين، وسَلَّمَ تَسلِيمَاً كَثيراً..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّها النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تعَالَى واعْلَمُوا ـ رَحِمَكُم اللهُ ـ أنَّ لِقَبُولِ الدُّعَاءِ أَسْبَاباً إذَا وُفِّقَ لهَا العَبْدُ حَصَلتْ لَه الإجابةُ. قَالَ الإمامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَه اللهُ مُبيناً تلكَ الأَسبابِ: وإذَا اجتمعَ مَع الدُّعاءِ حُضورُ القَلْبِ وجَمْعِيتِه بكُليتِه علَى المَطْلُوبِ، وصَادفَ وَقْتاً مِن أوقاتِ الإجابةِ السِّتةِ وهِي: الثلثُ الأخيرَ مِنَ اللَّيلِ، وعِنْدَ

الأذانِ، وبينَ الأذانِ، والإقامةِ، وأدبارَ الصلواتِ المكتوباتِ، وعندَ صُعودِ الإمامِ يومَ الجُمعةِ علَى المِنْبَرِ حتَّى تُقضَى الصَّلاَةُ، وآخرَ سَاعةٍ بعدَ العَصْرِ مِنْ ذلكَ اليومِ. وصَادَفَ خُشُوعاً فِي القَلْبِ، وانكسَاراً بينَ يَدي الرَّبِّ وذُلاً له وتَضرُّعًا ورِقَّةً، واستقبلَ الدَّاعي القِبْلَةَ، وكَانَ علَى طَهارةٍ، ورفَع يدَيه إلى اللهِ وبدَأَ بحمدِ اللهِ والثَّناءِ علَيه، ثُمَّ ثَنَّى بالصَّلاةِ علَى مُحمدٍ عبدِه ورسولِه ﷺ. ثُمَّ قَدَّمَ بينَ يدَي حَاجتِه التَّوْبَةَ والاستغفارَ، ثُمَّ دَخَلَ علَى اللهِ وأَلَحَّ علَيه في المَسألَةِ، ودَعاهُ رَغبةً ورَهبةً وتوسَّلَ إليه بِأَسْمَائِه وصِفَاتِه وتَوحيده، وقَدَّمَ بينَ يدَي دُعَائهِ صَدَقَةً، فَإِن هٰذَا الدُّعَاءَ لاَ يَكادُ يُرَدُّ أَبدَاً، ولاَ سِيَّمَا إنْ صَادَف الأدعيةَ التِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا مَظِنَّةُ الإجابةِ أَوْ أَنَّهَا مُتضَمنةٌ للاسمِ الأَعْظَمِ.

عِبَادَ اللهِ: والدُّعاءُ فِيه تَفْرِيجُ الكُرُبَاتِ، وإغاثةُ اللَّهفاتِ، والنَّصْرُ علَى الأَعْدَاءِ، فَأَكْثِرُوا مِنَ الدُّعَاءِ لأنفسِكم ولإخوانِكم المُسلمينَ، وادْعُوا علَى الكَفَرةِ، وأعداءِ الدِّينِ، فإنَّ اللهَ قَرِيبٌ مُجيبٌ، واعلَمُوا أَنَّ دَعوةَ المَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ فاحْذَرُوا الظُّلْمَ، قَال ﷺ: «واتَّقِ دَعوةَ المَظلومِ، فإنَّه لَيس بينَها وبينَ اللهِ حِجابٌ»[1] فَلاَ تَظَالَمُوا يَا عِبَادَ اللهِ، واعلمُوا أَنَّ خيرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ... إلخ.

* * *

---

(١) رواه البخاريُّ (١٣٩٥)، ومسلمٌ (١٩).

فِي بَيَانِ ضَوابِطِ العِبَادَةِ الصَّحِيحَةِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ، أَكْمَلَ لنَا الدِّينَ وأتمَّ علَينا النِّعْمَةَ ورَضِيَ لَنَا الإسلامَ دِيناً، وأَمَرَنَا بالتمسكِ بِه إِلى المَمَاتِ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وتِلْكَ وَصِيةُ إبراهيمَ ويعقوبَ لِبنيه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وأَشهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لاَ شَرِيكَ لَه (ونَحنُ مُسْلِمُون)، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عَبْدُهُ ورسولُه الصَّادِقُ المَأمونُ، أنزلَ اللهُ عليَه: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

اللَّهم صَلِّ علَى عبدِك ورسولِك نَبينَا مُحمدٍ وعلَى آلِه وأصحابِه أَجمعينَ وسَلِّمَ تسليماً كَثيراً..

أَمَّا بَعْدُ:

أيُّها النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعالى وأَطيعُوه تغنموا وتَسْعَدُوا فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ. واعْلَمُوا أنَّ اللهَ خَلَقَ الجِنَّ والإنسَ لعِبَادَتِه كَمَا قَالَ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وفِي ذَلكَ شَرَفُهم وعِزُّهُم وسَعَادَتُهم فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، لأَنَّهُم بِحَاجَةٍ إِلى رَبِّهِم، ولاَ غِنَى لَهُم عَنْهُ طَرْفَةَ عَينٍ، وهُو غنيٌّ عَنْهُم وعَنْ عِبادَتِهم كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، وقَالَ تعالَى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

والعِبَادَةُ: هِي التَّقَرُّبُ إِلَى اللهَ تعَالى بِمَا شَرَعَهُ مِنَ الأَعْمَالِ والأَقْوالِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنةِ. وهِي حَقٌّ للهِ عَلَى خَلْقِهِ، وفَائِدَتُهَا تَعُودُ إِلَيهِم، فمَن أَبَى أَنْ يَعْبُدَ اللهَ فَهُو مُسْتَكْبِرٌ، ومَنْ عَبدَ اللهَ وعَبَدَ مَعَه غَيرَه فهُو مُشْرِكٌ، ومَنْ عَبدَ اللهَ وحْدَه بِغَيْرِ مَا شَرَعَ فَهُو مُبْتَدِعٌ، ومَنْ عَبَدَ اللهُ وحْده بِمَا شَرعَ فَهُو المُؤمِنُ المُوَحِّدُ.

ولمَّا كَانَ العِبَادُ فِي ضَرورةٍ إِلى العِبَادَةِ، ولاَ يُمْكِنُهم أنْ يَعْرِفُوا بأَنفِسهم حَقيقتَها التِي تُرضي اللهَ سُبحانَه وتُوافقُ دِينَهُ، لَم يَكِلهُم إلى أَنْفُسِهم، بَلْ أَرْسَلَ إِليهم الرُّسُلَ وأَنْزلَ الكُتُبَ لِبيانِ حَقيقةِ تلْكَ العِبَادَةِ، كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقَال تعَالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فَمَنْ حَادَ عَمَّا بَينتْهُ الرُّسُلُ، ونَزَلَتْ بِه الكُتُبُ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَعبَدَ اللهَ بِمَا يُمْلِي عَلَيْهِ ذَوقُه ومَاتَهواه نَفْسُه ومَا زَينته لَه شَياطينُ الإنسِ والجِنِّ فَقَدْ ضَلَّ عَنْ سَبيلِ اللهِ، ولَمْ تكُنْ عِبادتَهُ فِي الحَقِيقَةِ عِبادَةً للهِ، بَلْ هِي عِبادَةٌ لِهَوَاهُ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠].

وهَذَا الجِنسُ كَثيرٌ فِي البَشَرِ وفِي طَليعتِهم النَّصَارَى ومَنْ ضَلَّ مِنْ فِرَقِ هٰذِه الأمَّةِ، فإِنَّهم اختَطُّوا لأنفُسِهم خُطَّةً فِي العِبَادةِ مُخَالِفَةً لِمَا شَرَعُه اللهُ فِي كَثيرٍ مِنْ شَعَاراتِهم، وهذَا يَتَّضِحُ بِبَيَانِ حَقِيقَةِ العِبَادَةِ التِي شَرَعَها اللهُ علَى لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لِيَتَبَيَّنَ أَنَّ كُلَّ مَا خَالَفَهَا فَهُو بَاطِلٌ وإِنْ زَعَمَ مَنْ أَتى بِه أَنَّه يُقَرِّبُه إِلى اللهِ، فَهُو يُبعِدُه عَنِ اللهِ.

إِنَّ العِبَادَةَ التِي شَرَعَهَا اللهُ سُبحانَه وتعَالى تَنْبَنِي عَلَى أُصُولٍ وأُسُسٍ ثَابِتَةٍ تَتلَخَّصُ فِيمَا يَلِي:

أولاً: إنَّهَا تَوقِيفِيَّةٌ، بِمَعْنَى أَنَّه لاَ مَجَالَ للرأي فِيهَا، بَلْ لاَ بُدَّ أنْ يَكُونَ المُشَرِّعَ لَهَا هُو اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى، كَمَا قَالَ تعالى لِنبيِّه: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ﴾ [هود: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الجاثية: ١٨]، وقَالَ عَن نبيِّه: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الأحقاف: ٩].

ثانياً: لاَ بُدَّ أنْ تَكُونَ العِبَادَةُ خَالِيةً مِنَ الشِّرْكِ كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

فإنْ خَلَطَ العِبَادَةَ شَيءٌ مِنَ الشِّرْكِ أَبْطَلَهَا كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

ثالِثاً: لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ القُدْوَةَ فِي العِبَادَةِ والمُبَيِّنَ لَهَا رَسولُ اللهِ ﷺ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقَالَ تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧].

وقَال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَليه أمرُنا فُهو رَدٌّ» رواه مسلم[١]. وفي روايةٍ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُو رَدٌّ» متفق عليه[٢] وقَولُه ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» مُتفقٌ عليه[٣]، وقَولُه: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم»

---

(١) رواه مسلم (١٧١٨).

(٢) رواه مسلم (١٧١٨).

(٣) رواه البخاريُّ (٦٣١) وقد وهم الشيخ - حفظه الله تعالى في نسبة هذا الجزء من الحديث لمسلم فليس عنده والحديث عند مسلم (٦٧٤).

رواه مُسْلِمٌ[(١)]، إلى غيرِ ذَلكَ مِنَ النُّصوصِ الدَّالَّةِ علَى وُجوبِ الاقْتِداءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ دُونَ سِواهُ.

رَابِعاً: أنَّ العِبَادَةَ مَحْدُودَةٌ بِمَواقِيت ومَقَادِيرِ لاَ يَجُوزُ تَعدِّيهَا وتَجَاوزُهَا كَالصَّلاَةِ مَثَلاً، قَالَ تعَالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣].

وكَالحَجِّ، قَالَ تَعَالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وكَالصَّوْمِ، قَالَ تعَالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فَلاَ تَصِحُّ هٰذِه العِبادَاتُ أَدَاءً فِي غَيْرِ مَواقِيتِهَا.

خَامِساً: لاَ بُدَّ أنْ تَكُونَ العِبَادَةُ قَائِمَةً علَى مَحبةِ اللهِ تَعَالى والذُّلِّ لَهُ وخَوفِهِ ورجَائِهِ، قَالَ تعَالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقَالَ تعَالى عَنْ أَنْبِيَائِه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقَالَ تعَالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: [٣١-٣٢].

فَذَكَرَ سُبْحَانَه عَلاَمَاتِ مَحبةِ اللهِ وثَمَرَاتِهَا:

أَمَّا عَلاَمَاتُها فاتباعُ الرَّسُولِ ﷺ وَطاعةُ اللهِ وطَاعةُ الرَّسُول.

---

(١) رواه مسلم (١٢٩٧) بلفظ «لتأخذوا مناسككم» وليس «خذوا» فليتنبه لذلك.

أمَّا ثَمَرَاتُها فَنَيْلُ مَحَبَّةِ اللهِ سُبْحَانَه، ومَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، والرَّحمةِ مِنْه سُبْحَانَهُ.

سَادِسَاً: أنَّ العِبَادَةَ لا تَسْقُطُ عَنِ المُكَلَّفِ مِنْ بُلوغِه عَاقِلاً إلى وفَاتِه، قَالَ تعَالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وقَالَ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

عِبَادَ اللهِ: والعِبَادَةُ لَهَا أَنواعٌ كَثيرةٌ فهِي اسمٌ جَامعٌ لِكُلِّ مَا يُحبُّه اللهُ ويَرْضاهُ مِنَ الأَعْمال والأقْوالِ الظَّاهِرَةِ والبَّاطِنَةِ.

فَالصَّلاَةُ والزَّكَاةُ والصِّيَامُ والحَجُّ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ، وهِي أَرْكَانُ الإسْلاَمِ، وكَذٰلكِ الصِّفاتُ الحَميدَةُ والأخْلاَقُ الفَاضِلَةُ هِي مِنْ أَنوَاعِ العِبَادَةِ، كَصِدْقِ الحَديثِ، وأَدَاءِ الأَمَانةِ، وبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وصِلَةِ الأَرْحَامِ، والوَفَاءِ بالعَهْدِ والنَّصِيحَةِ، والأَمْرِ بالمَعْرُوفِ، والنَّهِي عَنِ المُنْكَرِ، والجَهَادِ، والإحْسَانِ إلى الجَارِ، واليتِيمِ، والمِسْكِينِ، والمَمَاليكِ مِنَ الآدَمِيينَ، والبَهَائِمِ، والدُّعَاءِ والذِّكْرِ والقِرَاءَةِ، وأَعْمَالِ القُلُوبِ مِنْ حُبِّ اللهِ ورَسولِه، وخَشْيةِ اللهِ، والإنابةِ إليه، وإخْلاَصِ الدِّين لَه، والصَّبْرِ لِحُكْمِهِ، والشُّكْرِ لِنِعَمِه، والرِّضَا بقَضَائهِ والتوكل عَلَيه، والرَّجَاءِ لِرَحْمَتِهِ، والخَوْفِ مِنْ عَذَابه. فَالدِّينُ كُلُّه دَاخِلٌ فِي العِبَادةِ، وَأَعْظَمُ أنواعِ العِبَادَةِ أَدَاءُ مَا فَرَضَه اللهُ وتَجَنُّبُ مَا حَرَّمَهُ اللهُ تعَالى. قَالَ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّه عَزَّ وَجَلَّ أنَّه قَالَ: **«ومَا تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدِي بمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرضْتُه علَيه»**.

فَأَدَاءُ الفَرَائِضِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ كَمَا قَالَ أَمِيرُ المُؤمنينُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضي اللهُ عَنه: أَفْضَلُ الأَعْمَالِ أداءُ مَا افترَضَ اللهُ، والورعُ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ، وصِدْقُ الرَّغْبةِ فيمَا عِندَ اللهِ، وذٰلكَ أنَّ اللهَ تعَالى إنَّمَا افترَضَ علَى عِبَادِه الفَرَائضَ ليُقربَهم عِندَه ويُوجبَ لَهُم رِضْوانَه ورحمتَه، وأعظمُ فرائضِ البدنِ التِي تُقَرِّبُ إليه ـ الصَّلاَةُ ـ

كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾ [العلق: ١٩].

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَقربُ مَا يكونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّه وهُو سَاجِدٌ»(١).

وقَالَ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُم يُصَلِّي فإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّه». (٢) ولكِنَّ هذِه الصَّلاَةَ خَفَّ مِيزَانُهَا اليومَ عِنْدَ كَثيرٍ مِنَ النَّاسِ، كما قال تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ [مريم: ٥٩ـ٦٠].

والعَجَبُ أَنَّ بَعضَهُم يَأتِي بِبعْضِ النَّوافلِ أَوْ كَثيرٍ مِنْهَا وهُو مُضَيِّعٌ لِلصَّلاَةِ، فتَرَاه يَحُجُّ ويَعْتَمِرُ وهُو مُضيعٌ للصلاة، ومِنهم مَنْ يُكثِرُ مِنَ الصَّدَقَاتِ والتَّبرُّعَاتِ وهُو لاَ يُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، ومِنْهُم مَنْ يُحسِّنُ أَخلاَقَهُ مَعَ النَّاسِ وهُو عَاقٌّ لوَالِدَيْهِ، قَاطِعٌ لِرَحِمِه، سَيِّءُ الخُلُقِ مَعَ زَوجِه وأولادِه. ولاَ شَكَّ أَنَّ العَدْلَ فِي الرَّعِيَّةِ مِنَ الفَرَائِضِ الوَاجِبَةِ، سَواءٌ كَانَتْ رَعِيَّةً عَامَّةً كالحَاكِمِ، أَوْ رَعِيَّةً خَاصَّةً كَالرَّجُلِ مَعَ أهلِ بَيْتِهِ.

قَال ﷺ: «كُلُّكُم رَاعٍ وكُلُّكُم مَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(٣)، وفِي «صَحِيحِ مُسْلمٍ» عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمرَ رَضي اللهُ عَنهمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ المُقْسِطِينَ عَنْدَ اللهِ علَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ علَى يَمينِ الرَّحمٰنِ وكِلْتَا يدَيه يَمينٌ الذِينَ يَعْدِلُون فِي حُكمِهم وأَهْلِيهم ومَا وَلُوا»(٤).

وأَعْظَمُ رِعَايةِ الأَهْلِ والأولاَدِ أَمْرُهُم بالمَعْرُوفِ، ونهيُهمُ عَنِ المُنْكَرِ،

---

(١) رواه مسلمٌ (برقم: ٤٨٢)، وأبو داود (٨٧٥) وغيرُهما.

(٢) ذكره البغويُّ عن رجل من بني بياضة وهو صحيح «صحيح الجامع»، (٧٥٢).

(٣) رواه البخاريُّ (٨٩٣)، ومسلمٌ (١٨٢٩).

(٤) رواه مسلمٌ (١٨٢٧).

وإلزامُهم بأداءِ الصَّلاةِ، ومَنْعُهُم مِنْ سَمَاعِ الأغَانِي والمَعَازِفِ والمَزَامِيرِ ومُشَاهَدَةِ الأفْلَامِ الخَلِيعَةِ والمُسَلْسلاتِ التِي تَحمِلُ أفكاراً مَسْمُومةً، أَوْ تُشْغِلُ عَنْ طاعةِ اللهِ وذِكْرِه، وبعضُ الآباءِ الذين هُم أشباهُ رِجَالٍ، وليسُوا بِرجالٍ يَجْلِبُونَ هذه الآفاتِ إلى بُيوتِهم ويتركُونهَا تفتِكُ فِي أَخْلَاقِ أولادِهم ونِسَائِهم.

إنَّ عِبَادَ اللهِ حَقاً هُم الذِينَ يَعْمُرُونَ بُيوتَهم بطَاعةِ اللهِ ويُرَبُّونَ أَولاَدَهم ونسَاءَهم علَى عِبادةِ اللهِ.

قَالَ تَعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٤-٦٦].

إنَّ عِبَادَ اللهِ هُم الذِينَ يَدْعُونَ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ أزواجَهم وذُريتَهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

عِبادَ اللهِ: إنَّ العِبَادَةَ لا تَنْحَصِرُ فِي حَدٍّ ضَيِّقٍ، ولكنَّها تَشمَلُ كُلَّ مَا شَرَعَه اللهُ مِن الأَقوالِ والأَعمالِ والنياتِ، فَهِي تَشْمَلُ أقوالَ اللِّسَانِ وحَركَاتِ الجَوارِحِ ومَقَاصِدِ القُلوبِ، بَلْ تَشمَلُ كُلَّ حَياةِ المُسْلِمِ، حتَّى أَكْلَه وشُرْبه ونومَه، إذا نَوَى بذلكَ التَّقَوِّي علَى طَاعةِ اللهِ، بَلْ حتَى مُعاشرتَه لزوجتِه إذا نَوى بِهَا التَّعَفُّفَ عَنِ الحَرَامِ، كَمَا قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ بكُلِّ تَسبيحةٍ صَدقةً، وكُلِّ تكبيرةٍ صَدقةً، وكُلِّ تحَميدةٍ صَدقةً، وكُلِّ تَهليلةٍ صَدقةً وأَمْرٍ بمَعروفٍ صَدقةً، ونَهيٍ عنَ مُنْكرٍ صَدَقةً، وفِي بُضْعِ أَحَدِكُم صَدقةً**»، قَالُوا: يَا رسولَ اللهِ، أيأتي أحدُنا شَهوتَه ويكونُ لَه فِيهَا أجرٌ؟ قَالَ: «**أرأيتُم لو وَضَعَها في حَرامٍ أكانَ عليه وِزْرٌ؟ فكذَلكَ إذَا وَضَعَها**

في الحَلالِ كَانَ لَه أجرٌ» رَوا ه مُسلمٌ[(١)].

وفِي حَديثِ أَبِي هُريرَة رَضي اللهُ عَنه، عَن النَّبيِّ ﷺ قَالِ: «كُلُّ يوم تَطْلُعُ فِيه الشَّمْسُ تَعدِلُ بينَ اثنينِ صَدقةٌ، وتُعينُ الرَّجُلَ فِي دَابتِه صَدقةٌ، فَتَحْمِلُه عَلَيهَا، أَوْ تَرفَعُ لَه علَيها مَتاعَه صَدَقةٌ، والكَلِمَةُ الطَّيبةُ صَدقةٌ، وبِكُلِّ خُطوةٍ تَمشيها إلى الصَّلاَةِ صَدقةٌ، وتُميطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدقةٌ» رواه البخاريُّ ومُسلمٌ[(٢)]. فاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ واعْبُدُوه كَمَا أمرَكُم.

أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ـ٢٢].

بَارِكَ اللهُ لِي ولكُم فِي القُرآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانية:

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، خَلَقَ الخلقَ ليعبدُوه وأنعَمَ علَيهم ليشكُروه. وأشهدُ أنْ لاَ إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شَريكَ لَه، وأشهَدُ أنَّ مُحمداً عَبْدُه ورسولُه أَكْمَلُ الخَلْقِ عِبَادَةً للهِ. صَلّى اللهُ عليه وعلَى آلِه وأَصْحَابِه، وكُلِّ مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ وتَمَسَّكَ بِهُدَاه، وسَلَّم تَسْلِيماً كَثِيراً..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى واحْذَرُوا مِمَّا يُبْطِلُ العِبَادَةَ أَوْ يُذهبُ ثوَابَهَا،

---

(١) رواه مسلمٌ (١٠٠٦).

(٢) رواه البخاريُّ (٢٧٠٧)، ومسلمٌ (١٠٠٩).

فَمِنْ ذٰلكَ الشركُ باللهِ عزَّ وَجلَّ، ومِنْهُ الرِّيَاءُ والسُّمْعَةُ، قَالَ تَعَالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

ومِن ذلكَ البِدعُ والمُحدثاتُ. قَالَ ﷺ: «مَن عَمِلَ عَمَلاً لَيسَ عليه أمْرُنا فهُو رَدٌّ»(١).

ومنْ ذٰلِكَ ظُلْمُ النَّاسِ والتَّعَدِّي عَلَيهم فِي دِمَائِهم وأَمْوالِهم وأَعرَاضِهم. فقَد جَاءَ فِي الحَديثِ: «أنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يأتي يومَ القِيَامةِ بأعمالٍ أَمْثَالِ الجِبَالِ، فَيَأْتِي وقَدْ ضَرَبَ هذَا وَشَتَمَ هذَا وأَكَلَ مَالَ هذَا، فيُؤخَذُ لِهٰذَا مِنْ حَسَنَاتِه، ولِهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإذَا فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ أَخَذَ مِنْ سَيئاتِ المُظلومِينَ، فطُرِحَتْ عَلَيه وطُرِحَ فِي النَّارِ»(٢).

ومِنْ ذَلكَ بَعْضُ الكَلِمَاتِ الخَبيثةِ التِي يَنْطِقُ بِهَا الإنسانُ مِنْ غَيرِ تَفْكِيرٍ فِي عَوَاقِبِهَا كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «إنَّ الرَّجُلَ ليتكلَّمَ بالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لاَ يُلقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا في النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ»(٣). وفي الحَديثِ أيضاً: «أنَّ رَجُلاً قَالَ: واللهِ لاَ يَغْفِرُ اللهُ لِفُلاَنٍ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: مَنْ ذَا الذِي يتألَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ، إنِّي قَد غَفَرْتُ لَه وأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ».

ومِنْ ذلكَ الحَسدُ فِفِي الحَديثِ عَنِ النبيِّ ﷺ، قَالَ: «إيَّاكُم والحَسَدَ، فإنَّ الحَسَدَ يأكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَ تَأْكُل النَّارُ الحَطَبَ، أو قَالَ: العُشْبَ» رواه أَبو دَاودَ وغَيْرُهُ(٤).

---

(١) رواه مسلم (١٧١٨).
(٢) رواه مسلمٌ (٣٥٨١).
(٣) رواه الترمذيُّ (٢٢٢٠) ورواه غيره أيضاً.
(٤) رواه أبو داود (٤٩٠٣).

فاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وحَافِظُوا عَلَى أَعْمَالِكُم مِنَ المُبْطِلاَتِ والآفَاتِ، واعْلمُوا أنَّ خَيرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ . . إلخ .

* * *

فِي التَّحذِيرِ مِنَ البدَعِ

الحَمدُ للهِ الذِي أكْمَلَ لنَا الدِّينَ، وأَتَمَّ علَينا النِّعمةَ، وجَعَلَنَا إنْ تمسَّكنَا بِهِ خَيرَ أُمَّةٍ. . . وأشهدُ أَنْ لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لاَ شَريكَ لَه شَهادةً تَفْتَحُ لِمَنْ قَالَهَا صَادِقَاً بَابَ الجَنَّةِ، وأشهَدُ أَنَّ مُحمداً عَبدُه ورسولُه، نَبيٌّ جَعَلَ اللهُ بِعْثَتَهُ وإرسَالَهُ للعَالَمِ رَحْمَةً. صَلَّى اللهُ علَيه وعلَى آلِه وأَصْحَابِهِ الذِينَ كَانُوا فِي الخَيرِ قَادةً وأئِمةً، وسَلَّمَ تَسليمَاً كَثيراً. . . أمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تعَالى وتَمسَّكوا بدِينكُم الذِي بِه نَجَاتُكُم وسَعَادَتُكُم، واحْذَرُوا دَسائسَ الأَعْدَاءِ الذِينَ يُرِيدُونَ القَضَاءَ علَى هٰذَا الدِّينِ بِشَتَّى الوَسائلِ والمُحاولاتِ، ومِنْ شَرِّ هَذِه الدَّسَائِسِ القَضَاءُ علَى الدِّينِ بِاسْمِ الدِّينِ، وذٰلكُم بأنْ تَحْدُثَ أُمُورٌ تُزَادُ فِي الدِّينِ وهِي لَيستْ مِنه.

وقَد حذَّرَنَا اللهُ ورسولُه مِنْ هَذِه الدَّسَائِسِ وهَذِه المُحْدَثاتِ، وأوضَحَا لَنا صِفَاتِ أَصْحَابِهَا لتَكُونَ مِنْهَا علَى حَذَرٍ، قَالَ تَعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ [الزمر: ٥٥]، وقال: ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ ﴾ [البقرة: ٣٨].

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إنِّي تَاركٌ فِيكُم مَا إنْ تَمسَّكْتُم بِه لَنْ تَضِلُّوا، كتابَ اللهِ وسُنَّتي»[1]، وقَالَ ﷺ: «إنَّ خَيرَ الحَديثِ كِتابُ اللهِ وخَيرَ الهَدي هَدْيُ مُحَمَّدٍ

---

(١) رواه الترمذيّ (٣٤٧٩٠).

ﷺ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَة»[١] وقَالَ ﷺ: «فإنَّه مَنْ يَعِشْ مِنْكُم فَسَيَرَى اخْتِلاَفاً كَثِيراً، فعَلَيكُم بسُنتي وسُنةِ الخُلفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهديينَ مِنْ بَعدِي، تمسَّكُوا بِهَا وعَضُوا عَلَيْهَا بالنواجِذِ، وإيَّاكم ومُحدثاتِ الأُمُورِ، فإنَّ كُلَّ مُحدثةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ بِدعةٍ ضَلاَلةٌ»[٢].

عِبادَ اللهِ: فِي هذِه النُّصُوصِ مِنَ الكِتَابِ والسُّنةِ الأمرُ باتباعِ الكِتَابِ والسُّنةِ والنَّهيُ عَن الابتداعِ والمُبتَدِعِينَ. والبِدْعَةُ: عِبارَةٌ عَنْ كُلِّ مَا أُحْدِثَ في الدِّينِ، وهُو لَيسَ مِنه، بأنْ لاَ يَكُونَ عليه دَليلٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ ولاَ مِن سُنَّةِ رَسولِه أَو خُلفَائِه الرَّاشِدِينَ. أمَّا مَا أُحْدِثَ مِنَ العَادَاتِ والأعمالِ الدُّنيويةِ المُبَاحَةِ كالمخترعاتِ الحَديثةِ علَى اختلافِ أنواعِها، فهٰذه مُبَاحَةٌ لأنَّ الأصلَ في العَادَاتِ والمَنَافعِ الحِلُّ، إلاَّ مَا تَرَتَّبَ عَليه ضَرَرٌ أَو اسْتُخْدِمَ فِي مُحرَّمٍ..

والبدعُ في الدِّينِ علَى قِسْمَيْنِ:

الأولُ: بِدْعَةٌ قَوليةٌ اعتقاديةٌ كَمَقَالاَتِ الجَهْمِيَّةِ والمُعتزلةِ والرَّافِضَةِ وسَائرِ الفِرَقِ الضَّالَّةِ فِي العَقَائِدِ.

الثَّانِي: بِدْعةٌ عَمَلِيَّةٌ كَالتعبُّدِ للهِ بِعِبَادَةٍ لَمْ يَشْرَعْهَا، وهذَا مُحَرَّمٌ، لأنَّ الأَصْلَ فِي العِبَادَاتِ التَوقيفُ، والاقتصارُ علَى مَا شَرَعه اللهُ ورَسولُه.

والابتداعُ في العِباداتِ أنواعٌ:

النوعُ الأولُ: مَا يكونُ فِي أَصْلِ العِبَادَةِ بأنْ تُحدثَ عِبادةٌ ليسَ لَهَا أَصْلٌ فِي الشَّرْعِ، كإحداثِ أعيادِ المَوالِدِ للأنبياءِ، وللأولياءِ، أوْ للعُلَمَاءِ، والمُلُوكِ،

---

(١) رواه مسلمٌ (٨٦٧) وغيره.

(٢) رواه الترمذيُّ (٢٦٧٨) وقال: حسن صحيح.

والرُّؤساءِ المَعَظَّمِينَ، أوْ غَيرِ المُعَظَّمِينَ.

النَّوعُ الثَّاني: مَا يَكُونُ فِي الزِّيَادَةِ عَلَى العِبَادَةِ المَشْرُوعَةِ كَمَا لَو زَادَ فِي عَدَدَ رَكَعَاتِ الصَّلاَةِ عَمَّا شَرَعَهُ اللهُ، كَمَا لَو زَادَ رَكْعَةً ثَالثةً فِي الفَجْرِ أَوْ رَابِعَةً فِي المَغْرِبِ أَوْ خَامِسَةً فِي الظُّهْرِ والعَصْرِ والعِشَاءِ.

النَّوعُ الثَّالثُ: مَا يَكُونُ فِي صِفَةِ أَدَاءِ العِبَادَةِ بأَنْ يؤدِّيَها على صِفَةٍ غَيرِ مَشْرُوعَةٍ، وذلك كَأَداءِ الأَذْكَارِ المَشْرُوعَةِ بِصِفَةٍ غَيرِ مَشْرُعِةٍ، كأَنْ تُؤدَّى الأَذْكارُ بأصواتٍ جَمَاعِيَّةٍ..

النَّوعُ الرَّابعُ: تَخصِيصُ وقْتٍ لِلْعِبَادَةِ المَشْرُوعَةِ لَمْ يُخَصِّصْه الشَّرْعُ، كَتَخْصِيصِ لَيلةِ النِّصْفِ مِنْ شَعبانَ بقيامٍ، وتَخْصِيصِ يَومِ النِّصْفِ منه بِصِيَامٍ.

وحُكْمُ البِدَعِ في الدِّينِ بَجَميعِ أنواعِهَا أَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ وضَلاَلَةٌ لِقَولِه ﷺ: «فإنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وكُلَّ بدعةٍ ضَلالةٌ»(١).

ومَنْ زَعَمَ أنَّ هُنَاكَ بِدْعَةً حَسَنَةً فهُو مُخطِىءٌ ومُخَالِفٌ لهٰذَا الحَدِيثِ.

ومِنَ البِدَعِ مَا هُو كُفْرٌ كالطَّوافِ بالقبُورِ تَقَرُّباً إِلى أَصْحَابِهَا، وذَبحِ الذَّبَائِحِ، وتَقْدِيمِ النُّذُورِ لَهَا.

ومِنَ البِدَعِ مَا هُو مِنْ وسَائِلِ الشِّرْكِ والكُفْرِ كَالبِنَاءِ علَى القُبورِ، والصَّلاَةِ عِنْدَهَا، والدُّعاءِ عِنْدَهَا، وعَمَلِ المَوالِدِ لِلرسولِ أَوْ لِغَيْرِه..

ومِنَ البِدَعِ مَا هُو فِسْقٌ اعتقاديٌّ كَمَذاهِبِ الخَوارِجِ والقَدريَّةِ والمُرجِئَةِ..

ومِنَ البِدَعِ مَا هُو مَعصيةٌ دُونَ الفِسْقِ كَالغُلُوِّ والزِّيَادَةِ فِي أَدَاءِ العِبَادَةِ عَنِ الحَدِّ المَشْرُوعِ، كَالذِي يُصَلِّي الليلَ ولاَ يَنَامُ، والذِي لا يَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، أو

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٧٨) وقال: حسن صحيح.

لاَ يأكُلُ اللَّحْمَ والطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، ويعتبرُ ذٰلكَ مِنْ بَابِ الزُّهدِ والتقربِ إلى اللهِ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: إنَّ البِدَعَ تُبْعِدُ عَنِ اللهِ وعَنْ دِينهِ الصَّحِيحِ، وهِي شَرٌّ لاَ خَيرَ فِيهَا، قَالَ ﷺ: «وشَرّ الأمورِ مُحدثاتُها»[1].

والبدْعَةُ أحَبُّ إلى الشيطانِ منَ المَعْصيةِ، لأنَّ العَاصِيَ يَعْتَرِفُ بِخَطَئِه ويتُوبُ، أمَّا المُبْتَدِعُ فيرَى أنَّه على صَوابٍ فَلا يتُوبُ، ولأنَّ المُبْتَدِعَ يُشَرِّعُ دِيناً لَمْ يأذَنْ به اللهُ، ويُحَادُّ اللهَ ورَسولَه ولَو حَسُنَ قَصْدُه، فإنَّ حُسْنَ القَصْدِ وسَلاَمَةَ النِّيةِ لاَ يُبَرِّرَانِ المُخَالَفَةَ للكِتَابِ والسُّنةِ. قَال تَعَالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧].

فَالشَّيَاطِينُ تُزينُ لهٰؤلاءِ مُخالفتَهم حتَّى يَحْسبُوا الضَّلاَلَ هُدَىً والبَاطِلَ حَقاً. وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

قَالَ الإمامُ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: هذِه الآيةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ عَبَدَ اللهَ علَى غَيرِ طَرِيقةٍ مَرضيةٍ، يَحْسَبُ أنَّه مُصيبٌ فِيهَا وأنَّ عَمَلَه مَقْبُولٌ وهُو مُخطِئٌ وعَمَلُه مَرْدُودٌ، كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ ﴾ [الغاشية: ٢-٤].

فَهٰؤلاءِ أتْعَبُوا أنفُسَهُم فِي العَمَلِ والخُشُوعِ، وكَانَت عَاقِبَتَهم النَّارُ الحَامِيَةُ، لأنَّ عَمَلَهم علَ غَيرِ أَسَاسٍ مِنَ الشَّرْعِ الإلٰهِي.

ولمَّا رَأى عُمرُ بنُ الخَطَّابِ رَضي اللهُ عَنهُ بَعْضَ الرُّهْبَانِ مِنَ النَّصَارَى بَكَى،

---

(١) رواه مسلم (٨٦٧) وغيره.

فَقِيل لَه: يَا أَمِيرَ المُؤمنينَ مَا يُبكيكَ مِن هٰذا؟ قَالَ: ذَكَرْتُ قَولَه تَعَالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٢ـ٤].

ومِنْ مَفَاسِدِ البِدَعِ أَنَّهَا تُفرِّقُ جَمَاعَةَ المُسلمينَ وتَجْعَلُ المُسلمينَ شِيَعاً وأَحْزَاباً، كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام ١٥٣].

وعَنِ ابنِ مَسعودٍ رَضي اللهُ عَنه قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطّاً، فَقَالَ «هٰذا سَبيلُ اللهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطاً عِنْ يَمينِه وعَنْ شِمَالِه، ثُمَّ قَالَ: «وهٰذه سُبُلٌ على كُلِّ سَبيلٍ مِنهَا شَيطانٌ يَدْعُو إليه»، ثُمَّ تَلاَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣][1].

وَمِنْ مَفَاسِدِ البِدَعِ أَنَّهَا تُكسلُ صَاحِبَهَا عَنْ فِعْلِ السُّنَنِ. بَلْ إنَّ المُبْتَدِعَ يُبغضُ السُّنَنَ، ولهٰذا تَجدُ المُبْتَدِعَةَ مِنْ أَكْسَلِ النَّاسِ فِي أَدَاءِ الوَاجِبَاتِ وإحْيَاءِ السُّنَنِ، وإنَّمَا نَشَاطُهُم فِي إحياءِ البِدَعِ وإقَامَتِهَا..

وتَجِدُ المُبْتَدِعَةَ دَائماً يَبحثونَ عَنِ الأحَادِيثِ المَوضوعةِ والأحَاديثِ الضَّعيفةِ والحِكَايَاتِ المُختَرَعَةِ التِي تؤيِّدُ بِدْعَتَهُم، ويتْرُكُونَ الآياتِ القُرآنيةَ والأحاديثَ الصَّحيحةَ التِي تدُلُّ علَى بُطْلاَنِ مَا هُو عَليه، أَوْ يؤَولُونَها بِغَير مَعْنَاهَا الصَّحيحِ، وإذَا لَمْ يَجدُوا مَا يَسْتَنِدُونَ إلَيهِ مِنَ الأحَادِيثِ المَوضوعةِ احْتَجُوا بِعَمَلِ فُلاَنٍ وبِمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ الفُلاَنِيِّ.

وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّه لاَ يَجُوزُ العَمَلُ بِكُلِّ مَا وُجِدَ فِي الكُتُبِ أَو الاقتداءُ بِمَا عَلَيه

---

(١) رواه ابنُ ماجة في «كتاب «السُّنةِ» وكذا رواه الحاكم والإمام أحمد ـ رحمهم الله جميعاً.

النَّاسُ، حَتَّى يُعْرَضَ ذَلكَ علَى الكِتَابِ والسُّنةِ، فَمَا وافَقَهُمَا قُبِلَ، ومَا خَالَفَهُمَا رُدَّ، فالكُتُبُ فِيها الدَّسُّ الكَثِيرُ، وفِيهَا الأَحَادِيثُ المَكْذُوبَةُ والحِكَايَاتُ البَاطِلَةُ والخُرَافَاتُ الضَّالَّةُ. وأَعْمَالُ النَّاسِ فِيهَا الخَطَأُ والصَّوَابُ، ولاَ يُميِّزُ هٰذَا إلاَّ الكِتَابُ العَزِيزُ والسُّنةُ الصَّحِيحَةُ، ومَا كَانَ علَيه السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنْ صَدْرِ هٰذِه الأُمَّةِ. كَمَ قَالَ ﷺ: «فإِنَّه مَنْ يَعِشْ مِنكُم فسَيَرَى اختلافاً كَثيراً فعَليكُم بسُنتي وسُنةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي»[1].

وَفِي «سُنن أبي دَاودَ» عَنْ حُذيفةَ بْنِ اليَمانِ رَضيَ اللهُ عَنهُمَا: كُلُّ عِبادةٍ لاَ يتعبَّدَها أصحابُ مُحمدٍ ﷺ فلاَ تَعبَّدُوها، فإنَّ الأولَ لَمْ يَدَعْ للآخرِ مَقَالاً. فاتَّقُوا اللهَ يَا مَعْشَرَ القُرَّاءِ وخُذُوا طَرِيقَ مَن كَانَ قَبْلَكُم.

وعَنِ الحَسَنِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: لا يَقْبَلُ اللهُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ صَوْماً ولاَ صَلاةً ولاَ حَجاً ولاَ عُمْرَةً حَتَّى يَدَعَهَا.

وقَالَ مُحمدُ بنُ مُسلمٍ: مَنْ وَقَّرَ صَاحِبَ بِدعةٍ فَقَدْ أَعَانَ علَى هَدْمِ الإسلامِ. وهَكَذَا كَانَ السَّلَفُ رَحِمَهُم اللهُ يُحَذِّرُونَ مِنَ البِدَعِ، لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَذَّرَ مِنْهَا. ولِمَا تَجُرُّه علَى المُسلمينَ مِنْ وَيْلاَتٍ وعَلَى الدِّينِ مِنْ خلَلٍ. ولمَّا بَلَغَ ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه أنَّ جَماعةً يَجلسونَ فِي المَسجدِ حِلَقاً في كُلِّ حلقةٍ رَجُلٌ، وفي أَيدِيهم حَصَىً، فيَقُولُ: كَبِّروا مِئةً فَيُكَبِّرُونَ مِئةً، ثُمَّ يقُولُ: هَلِّلوا مِئةً فيُهلِّلُون مِئةً ثُمَّ يَقُولُ: سَبِّحوا مِئةً فيُسبِّحونَ مِئَة، فأَتَاهُم ابنُ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهُم عَلَى تِلْكَ الحَالِ، فقَالَ: مَا هٰذَا الذِي أَرَاكُم تَصْنَعونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبد الرَّحمٰنِ حَصىً نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ والتَّهْلِيلَ والتَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ، قَال: فعُدُّوا سَيِّئَاتِكُم، فَأَنَا ضَامِنٌ

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٧٨) وقال: حسن صحيح.

ألا يَضيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُم شَيءٌ، ويْحَكُم يَا أُمَّةَ مُحمدٍ ومَا أَسْرَعَ هَلكَتكم، هَؤلاءِ أَصْحَابُهُ مُتوافِرُون، وهٰذه ثِيابُه لَمْ تَبْلَ وآنيتُه لَمْ تُكْسَرْ، والذِي نَفْسِي بِيدِهِ إنَّكُم لعَلى مِلَّةٍ هِي أَهدَى مِنْ مِلَّةِ مُحمدٍ، أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلالةٍ، قَالُوا: واللهِ يَا أبا عبدَ الرحمٰن مَاأردْنا إلا الخَيرَ، وقَالَ: وكَمْ مِرُيدٍ للخيرِ لَنْ يُصيبَه.

وَجَاءَ رَجُلٌ إلى الإمامِ مَالكِ بنِ أنسٍ ـ رَحمه الله ـ فَقَالَ: مِنْ أينَ أُحْرِمُ؟ فَقَالَ: مِنَ المِيقَاتِ الذِي وَقَّتَ رَسولُ الله ﷺ وأَحْرَمَ مِنه، فَقَالَ الرَّجُلُ: وإنْ أَحْرَمْتُ مِنْ أَبْعَدَ مِنْهُ، فَقَالَ مَالكٌ: لاَ أَرَى ذٰلكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: مَا تكرَهُ مِنْ ذَلكَ؟ قَالَ مَالكٌ: أَكْرَهُ عَليكَ الفِتْنَةَ، قَالَ الرَّجُلُ: وأيُّ فِتنةٍ فِي ازديادِ الخَيرِ؟ قَالَ مَالكٌ: فإنَّ اللهَ تعَالى يقولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وأيُّ فِتنةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنَّكَ خُصِّصْتَ بِفَضْلٍ لَمْ يختصَّ بِه رَسولُ اللهِ ﷺ.

عِبَادَ اللهِ: ومِنْ أَعظَمِ مَا يُوقعُ الناسَ في البِدَعِ التَّشَبُّهُ بالكُفَّارِ، كَمَا فِي حَديثِ أبي واقِد اللَّيْثِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى حُنين ونَحْنَ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ ولِلْمُشْرِكِينَ سِدْرةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَها، ويَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهم، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْواطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، اجْعَلْ لنَا ذَاتَ أنواطٍ كَمَا لَهُم ذَاتُ أَنْواطٍ، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ «اللهُ أَكْبَرُ، إنها السَّنَنُ، قُلتُم والذِي نفْسِي بِيدِه كَمَا قَالَتْ بنُو إسرائيلَ لمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لتَركَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُم»[1].

دَلَّ هٰذَا الحَديثُ عَلى أنَّ التشبُّه بالكفَّارِ وتَقْلِيدَهم يُوقعُ فِي الشِّرْكِ والبِدَعِ،

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢١٨١).

وهٰذَا هُو الواقعُ اليومَ فإنَّ غَالِبَ المُسلمينَ اليومَ قلَّدوا الكُفَّارَ في عَمَلِ البِدَعِ والشركياتِ، فأقاموا أعيادَ الموالِدِ والأيام والأسابيع لإحياءِ الذِّكْرَيَاتِ وتَجْدِيدِ المُنَاسَبَاتِ، مِمَّا جَرَّ علَى المُسلمينَ كَثيراً مِنَ البِدَعِ، وشَغَلَهم عَن إحياءِ السُّنَنِ فلنَتَنبَّه لذٰلكَ، ولنَكُنْ علَى حَذَرٍ، ولاَ نَنْخَدِعُ بِهٰذِه الأمورِ، وإذَا عَمِلَها مَنْ عَمِلَهَا ولَمْ نَسْتَطِعْ مَنْعَهُ مِنْ ذَلِكَ فَنَعْتَزِلْه ولاَ نُشَارِك في إقَامَةِ هذِه البِدَعِ، فَإنَّهَا لَيستْ مِنْ دِينِ المُسلمينَ.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الجاثية: ١٨ـ١٩].

بَارَكَ اللهُ لِي ولكُم فِي القُرآنِ العَظِيمِ

* * *

فِي النَّهيِ عَنِ الابتِدَاعِ فِي شَهرِ رَجَب وغَيره

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أغْنَانَا بِكِتَابِه المُبِينِ، وسُنةِ نَبيهِ الأَمِينِ عَنِ ابْتِدَاعِ المُبتدِعِينَ، فَقَالَ وهُو أصْدَقُ القَائِلينَ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣].

وأشهَدُ أنْ لاَ إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحْدَه لاَ شَرِيكَ لَه، ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

وأشهَدُ أنَّ مُحمداً عَبدُه ورسولُه، بَلَّغَ الرسالةَ وَنَصَحَ الأُمَّةَ وتَرَكَها علَى البيضاءِ لاَ يَزيغُ عَنْهَا إلاَّ الهَالِكُون، صَلَّى اللهُ عليَه وعلَى آلِه وأصحابِه الذِين يَهْدُونَ بالحَقِّ وبِه كَانُوا يَعْدِلُون، وسَلَّم تسلِيماً كَثيراً إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تعَالى وتمسَّكُوا بِكِتَابِ رَبِّكُم وسُنَّةِ نَبِيِّكُم، واحْذَرُوا البَدَعَ فَإِنَّهَا تُضِلُّ عَنِ الدِّينِ وتُبْعِدُ عَنْ رَبِّ العَالَمِينَ، وإنَّ مِنَ البِدعِ مَا أَحْدَثَه النَّاسُ فِي هٰذا الشَّهْرِ: شَهر رَجب مِنَ العِبَادَاتِ والاحتفَالاتِ، ومَا زَعَمُوه لَه مِنَ الفَضَائِلِ والكَرَامَاتِ، التِي تَوارثُوهَا جِيلاً بعدَ جِيلٍ، ابتداءً مِن عَصْرِ الجَاهِلِيةِ إلى وقْتِنَا هٰذَا: مِن تَخْصِيصِهِ بقيامِ بَعْضِ لَيَالِيه أو صِيامِ بعضِ أيامِه، أو تخصيصِه بذبَائح تُذْبَحُ فِيه تَقَرُّباً إِلَى اللهِ تعَالى، أو تَخْصِيصِه بعُمرةٍ أو غَيرِ ذلكَ، ومَا يَخُصُّون لَيلةَ السَّابعِ والعِشرينَ مِنه باحتفالٍ يُسمُونَه الاحتفالَ بمُناسبةِ الإسراءِ والمِعراجِ.

وكُلُّ هٰذِه الأمورِ بِدَعٌ مُحدثةٌ، مَا أنزلَ اللهُ بِهَا مِن سُلطانٍ، ولَيْسَ لِشَهْرِ رَجبَ خَاصيةٌ علَى غَيرِه مِنَ الشُّهُورِ إلاَّ أنَّه مِنَ الأَشْهُرِ الحُرُمِ التِي يَحْرُمُ فِيهَا القِتَالُ.

قَالَ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ اللهُ: فاتخاذُه مَوسِماً بحيثُ يُفْرَدُ بالصوم مَكْرُوهٌ عِنْدَ الإمام أحمدَ وغَيره، كَمَا رُوِيَ عَنْ عُمرَ بنِ الخَطَّاب وأبي بَكْرَةَ وغَيرِهِمَا مِنَ الصَّحَابَةِ رَضيَ اللهُ عَنْهُم، ومِمَّا أُحْدِثَ فِي هٰذَا الشَّهْرِ مِنَ البِدَعِ: تَعظيمُ يومِ أولِ خَميسٍ مِنْه وصَلاةُ لَيلةِ أولِ جُمُعَةٍ مِنْهُ وهي الصَّلاةُ المُسَمَّاةُ بِصَلَاةِ الرَّغَائِبِ.

قالَ شَيخُ الإسلامِ: فإنَّ تَعظيمَ هٰذَا اليومِ والليلةِ إنَّمَا أُحْدِثَ فِي الإسلامِ بعدَ المِئَةِ الرَّابعة، ورُوِيَ فيه حَديثٌ مَوضوعٌ باتفاقِ العُلَمَاءِ، مَضْمُونُه:

فَضِيلةُ صِيامِ ذَلكَ اليومِ وفِعْلُ هذِه الصَّلَاةِ المُسماةِ عِندَ الجَاهلينَ بصلاةِ الرغائب.

إلى أنْ قَالَ: والصَّوابُ الذِي علَيه المُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ النَّهْيُ عَنْ إفْرَادِ هذَا اليومِ بالصومِ، وعَنْ هَذِه الصَّلاةِ المُحْدَثَةِ وعَنْ كُلِّ مَا فِيه تَعظيمٌ لهٰذا اليوم، وصنعةِ الأطعمةِ، وإظْهَارِ الزِّينةِ ونَحو ذٰلكَ. حتَى يَكُونَ هٰذَا اليومُ بمَنزلةِ غَيرِه مِنَ الأيام وحتَّى لاَ يكونَ لَه مَزِيَّةٌ أَصْلاً.

وقَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ ـ رحمه الله ـ: لَمْ يَرِدْ في فَضْلِ شَهْرِ رَجَب ولاَ في صِيامِ شَيءٍ مِنْهُ مُعَيَّنٍ، ولاَ فِي قِيامِ لَيلةٍ مَخْصُوصَةٍ فِيه حَديثٌ صَحيحٌ يَصْلُحُ لِلْحُجَّةِ.

وقَالَ الحَافِظُ ابنُ رَجَبٍ ـ رحمه الله ـ فأمَّا الصَّلاةُ فَلَمْ يَصِحَّ فِي شَهْرِ رَجَبَ صَلاةٌ مَخْصُوصَةٌ تَخْتَصُّ به.

والأحاديثُ المَرويةُ فِي فَضْلِ صَلاةِ الرَّغَائِبِ فِي أَوَّلِ لَيلة جُمُعَةٍ مِنْ شَهْرِ رَجَبَ كَذِبٌ وبَاطِلٌ لاَ تَصحُّ، وهَذِه الصَّلاَةُ بِدْعَةٌ عِنْدَ جُمهورِ العُلَمَاءِ... إلى أنْ قَالَ: وأمَّا الصِّيَامُ فَلَمْ يَصِح فِي فَضْلِ صَومِ رَجَبَ بِخُصُوصِه شَيءٌ عنِ النَّبيِّ ﷺ

ولاَ عَنْ أصْحَابِهِ . . انتَهى.

وقَد اعْتَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَدَاءَ العُمْرَةِ فِي شَهْرِ رَجَبَ ويَظُنُّونَ أنَّ لِلعُمرةِ فِيه مَزِيَّةً وفَضِيلَةً على العُمرةِ فِي غَيرِه مِنَ الشُّهُورِ، وهٰذَا خَطَأٌ، فَإِنَّ الوَقْتَ الفَاضِلَ لأَدَاءِ العُمرةِ أَشْهُرُ الحَجِّ وشَهرُ رَمَضَانَ ومَا عَدَاهَا مِنَ الشُّهُورِ فَهِي سَواءٌ فِي ذَلِكَ.

قَالَ ابنُ سِيرِينَ: مَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ يَشُكُّ أنَّ عُمْرَةً فِي أَشْهُرِ الحَجِّ أَفْضَلُ مِنْ عُمْرَةٍ فِي غَيرِ أَشْهُرِ الحَجِّ. قَالَ: ولَما ذَكَرَ ابنُ القَيِّمِ عَدَدَ العُمَرِ التِي اعْتَمَرَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وأَنَّهَاكُلَّهَا وقَعَتْ فِي أَشْهُرِ الحَجِّ. قَالَ: وهَذَا دَلِيلٌ على أنَّ الاعْتِمَارَ فِي أَشْهُرِ الحَجِّ أَفضَلُ مِنهُ فِي رَجَبَ بِلاَ شَكٍّ.

وأَمَّا المُفَاضَلَةُ بينَه، أي: الاعتمارُ فِي أَشْهُرِ الحَجِّ ـ وبَيْنَ الاعتمارِ فِي رَمَضَانَ فَمَوضِعُ نَظَرٍ. وقَدْ صَحَّ أنَّه أَمَرَ أُمَّ مَعْقِلٍ لَمَّا فَاتَهَا الحَجُّ مَعَه أنْ تَعْتَمِرَ فِي رَمَضَانَ، وأَخبرَهَا أنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً. وَأَيْضاً فَقَدِ اجْتَمَعَ فِي عُمْرَةِ رَمَضَانَ أَفضَلُ الزَّمَانِ وأَفضَلُ البِقَاعِ، ولَكِنَّ اللهَ لَمْ يَكُنْ يَخْتَارُ لِنَبيِّهِ ﷺ فِي عُمَرِه إلاَّ أَوْلَى الأَوْقَاتِ وَأَحَقَّهَا بِهَا، فَكَانَت العُمرةُ فِي أَشْهُرِ الحَجِّ نَظِيرَ وقُوعِ الحَجِّ فِي أَشْهُرِه، وهَذِه الأَشْهُرُ قَد خَصَّهَا اللهُ تَعَالَى بِهٰذِه العِبَادَةِ وجَعَلَهَا وَقْتاً لَهَا.

والعُمْرَةُ حَجٌّ أَصْغَرُ فَأَولَى الأَزمنةُ بِهَا أَشْهُرُ الحَجِّ . . . انتهَى كَلاَمُ ابنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ.

ومَعْنَاه: أنَّ الوقْتَ الفَاضِلَ لأداءِ العُمرةِ حَسبَ الأَدِلَّةِ هُو أَشْهُرُ الحَجِّ وشَهْرُ رَمَضَانَ، ومَا عَدَا هذه الأَشْهُرِ مِنْ بَقِيَّةِ السَّنةِ فَلاَ فَضْلَ لبعضِهِ علَى بعضٍ فِي أَدَاءِ العُمْرَةِ، لاَ فِي رَجبَ ولاَ فِي غَيرِهِ، فَلاَ دَاعِي لِتَحَرِّي العُمرةِ فِي رَجَبَ دُونَ غَيرِه وتَخْصِيصِه مِنْ بينِ الشُّهُورِ بالعُمرةِ فِيه فَهُو يَحْتَاجُ إلى دَلِيلٍ. ولاَ دَلِيلَ علَى ذلك.

ومِمَّا أُحْدِثَ فِي شَهْرِ رَجَبَ مِنَ البدَعِ الاحْتِفَالُ بِمُنَاسَبَةِ الإسراءِ والمِعْرَاجِ فِي لَيلةِ السَّابعِ والعِشرينَ مِنه، فَيَجْتَمِعُونَ فِي المَسَاجِدِ ويُلقونَ الخُطَبَ والمُحَاضَرَاتِ، ويُضِيئُونَ المَنَارَاتِ والشَوارِعِ بأنواعِ خَاصَّةٍ مِنَ الأَنْوَارِ الكَهْرُبَائِيةِ. ويُبَثُّ مَا يَجري فِي هٰذِه الاحْتِفَالاَتِ مِنْ خِلاَلِ الإذاعاتِ لتَبليغِهَا لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْهَا حتَّى يَقْتَدِيَ بِهِم غَيرُهم فِي ذَلِكَ. ولاَ شَكَّ أنَّ الإسْرَاءَ والمِعْرَاجَ آيتانِ عَظيمتانِ ونعمتانِ كَبيرتانِ قَد نَوَّهَ اللهُ بشَأْنِهِمَا فِي كِتَابِه الكَريم، فَيَجِبُ عَلَيْنَا الإيمانُ بِهِمَا وشُكْرُ اللهِ علَى مَا أَكْرَمَ بِهِ رَسُولَه ﷺ وأَراهُ مِنْ آياتِهِ فِي الإسْرَاءِ والمِعْرَاجِ، ومَا أَكْرَمَ اللهُ به أُمَّتَهُ مِنْ فَرْضِ الصَّلواتِ الخَمْسِ فِيهِمَا . . . وهِي خَمْسُ صَلواتٍ في العَمَلِ وخَمْسُونَ صَلاةً فِي المِيزَانِ والأَجْرِ، لأنَّ الحسنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا.

فَوَاجِبُنا أَنْ نحْمَدَ اللهَ ونَشْكُرَهُ على ذَلِكَ، وذَلِكَ بطَاعَتِه وَطَاعةِ رَسولِه وأَدَاءِ فَرَائِضِ اللهِ.

أمَّا إقَامَةُ هٰذِه الاحتفالاتِ فَهِي كَفْرٌ بهذِه النِّعْمَةِ، لأَنَّهَا بِدْعَةٌ، «وكُلّ بِدْعَةٍ ضَلاَلةٌ» والبِدْعَةُ مَعْصِيَةٌ للهِ ولرَسُولِه تُبعِدُ عَنِ اللهِ وتَصُدُّ عَنْ دِينِ اللهِ.

والدَّلِيلُ علَى أنَّ ذٰلكَ بِدْعَةٌ أنَّه عَملٌ لَمْ يَفْعَلْهُ الرسولُ ﷺ، ولاَ صَحَابتُه الكِرَامُ، ولاَ القُرُونُ المُفَضَّلَةُ فِي الإسلامِ، وإنَّمَا حَدَثَ هٰذَا بَعْدَهُم علَى أَيْدِي الجَهَلَةِ والطُّغَامِ. والرسولُ ﷺ يقُولُ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً ليسَ عَلَيه أَمْرُنَا فَهُو رَدٌّ**»[1]. ولأنَّ هَذِه اللَّيلةَ التِي حَصَلَ فِيهَا الإسراءُ والمِعْرَاجُ لَمْ يأتِ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ تَعيينُها لاَ في رَجبَ ولاَ فِي غَيرِه، ولَمْ يهتَمَّ الصَّحَابةُ ولاَ عُلَمَاءُ

---

(١) رواه مسلم (١٧١٨).

الإسلام مِنْ بعدِهم فِي البَحْثِ عَن تَعيينِ هٰذه الليلةِ، لأنَّها لاَ يَتَعَلَّقُ بِهَا حُكْمٌ شَرْعِيٌّ، فَلاَ فَائِدَةَ لَنَا فِي تَعْيِينِهَا، وَقَدِ اخْتَلَفَ المُؤَرِّخُونَ فِي تعيينِهَا وتُعيينِ الشَّهْرِ الذي حَصَلَتْ فِيه، فِقيلَ: هِي فِي شَهْرِ ذِي القَعْدَةِ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِستَّةَ عَشَرَ شَهْرَاً، وقِيلَ: فِي شَهْرِ رَبيعِ الأَوَّلِ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِسَنَةٍ، وأَمَّا كَوْنُ هٰذه الليلةِ فِي شَهْرِ رَجَب فَهُو لَمْ يَثْبُتْ كَمَا ذَكَر ذٰلكَ الحَافِظُ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ، وقَالَ الإمامُ ابنُ القَيمِ: «لَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ عَلَى شَهْرِها، ولاَ عَلَى عَشرِها، ولاَ عَلَى عَينِها، بَلْ النُّقولُ في ذَلِكَ مُنْقَطِعَةٌ مُختلفةٌ ليسَ فِيها مَا يقطعُ بِه، ولاَ شُرِعَ للمُسلمِينَ تَخصيصُ اللَّيلةِ التِي يُظَنُّ أنَّها لَيْلَةُ الإسْرَاءِ فَضيلةٌ عَلَى غَيرِهَا، ولاَ كَانَ الصَّحَابَةُ ولاَ التَّابِعُونَ لَهُم بإحْسَانٍ يَقْصِدُونَ تَخْصِيصَ لَيْلَةِ الإسْرَاءِ بِأَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ ولاَ يَذْكُرُونَهَا. ولهٰذا لا يُعرف أيُّ لَيلةٍ كَانَتْ، وإِنْ كَانَ الإسْرَاءُ مِنْ أَعْظَمِ فَضَائِلهِ ﷺ. ومَعَ هٰذَا فَلَمْ يُشْرَعْ تَخْصِيصُ ذٰلكَ الزمانِ ولاَ ذٰلكَ المَكَانِ بِعبادَةٍ شَرعيةٍ» انتَهى كَلامُه رَحِمَهُ اللهُ.

ولو ثَبَتَ تَعيينُ لَيلةِ الإسْرَاءِ لَمْ يَجُزْ للمُسْلِمينَ أَنْ يَخُصُّوهَا بِشَيءٍ مِنَ العِبَادَاتِ ولَمْ يجُزْ لَهُم أَنْ يَحْتَفِلُوا فِيهَا، لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ وأَصْحَابَهُ رَضي اللهُ عَنهم لَمْ يَحتَفِلُوا فِيهَا ولَمْ يَخُصُّوهَا بِشَيءٍ، ولَو كَانَ الاحتفالُ فِيهَا مَشروعاً لَبَيَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِلأُمَّةِ إمَّا بِالقَولِ وَإِمَّا بِالفِعْلِ، ولَو وَقَعَ شَيءٌ مِنْ ذَلِكَ لعُرِفَ واشْتُهِرَ ولَنَقَلَهُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهم إلَيْنَا.

فَالاحْتِفَالُ فِيها بِدْعَةٌ لَيْسَ مِنْ دِينِ الإسْلاَمِ، فَعَلَى مَنْ يَفْعَلُه مِنَ المُسلمِينَ أَنْ يترُكَه، وعَلَى المُسْلِمِ أَنْ لاَ يَغْتَرَّ بِمَا يَفْعَلُه المُبْتَدِعَةُ مِنَ الاحْتِفَالِ فِي هٰذه الليلةِ، ولاَ بِمَا يُنقَلُ فِي وَسَائِلِ الإعْلاَمِ مِنَ الصُّورِ المَرْئيةِ أَوِ الصَّوتيةِ لتِلْكَ الاحتفالاتِ البِدْعِيَّةِ، لأنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمٌ عَاشُوا فِي البِدَعِ وأَلِفُوهَا حتَّى صَارَتْ أَحَبَّ

إِليهم مِنَ السُّنَنِ وصَارَ الدِّينُ عِنْدهُم مَجَرَّدَ إِقَامةِ احتفالاتٍ، وإِحْيَاءَ مُنَاسَبَاتٍ وذِكْرَيَاتٍ، كَفِعْلِ النَّصَارَى فِي تَتَبُّعِ آثَارِ الأَنْبِيَاءِ أَوْ تَتَبُّعِ الأَزْمِنَةِ التِي جَرَتْ فِيهَا أَحْدَاثٌ لَهُم. وعَمَلِ أعيادٍ واحتفَالاتٍ لإحياءِ ذِكْرَيَاتِهَا أَو التَّبَرُّكِ بِمُنَاسَبَاتِهَا. وقَدْ نُهينَا عَنْ ذٰلكَ.

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: بَلْ غَارُ حِرَاءِ الذِي ابْتُدِئَ فِيه بِنُزُولِ الوحْي وَكَانَ يَتَحَرَّاهُ قَبْلَ النبوةِ لَمْ يَقْصِدْهُ هُو ولاَ أَحدٌ مِنْ أَصْحَابه بَعْدَ النُّبُوةِ مُدَّةَ مقَامِهِ بِمَكَّةَ، وَلاَ خَصَّ اليومَ الذِي أُنزِلَ عَلَيه فِيه الوَحْيُ بِعبَادَةٍ ولاَ غَيْرِهَا، ولاَ خَصَّ المَكَانَ الذِي ابْتُدِئَ فِيه بالوَحْي ولاَ الزَّمَانَ بِشَيءٍ.

ومَنْ خَصَّ الأَمْكِنَةَ والأَزْمِنَةَ مِنْ عِنْدِه بِعبَادَاتٍ لأَجْلِ هٰذَا وأَمْثَالِه كَانَ مِنْ جِنْسِ أَهْلِ الكِتَابِ الذِينَ جَعَلُوا زَمَانَ أَحْوَالِ المَسِيحِ مَواسِمَ وعِبَادَاتٍ، كَيومِ المِيلاَدِ ويومِ التَّعْمِيدِ وغَيرِ ذٰلكَ مِنْ أَحْوالِه، وقَد رَأَى عُمَرُ بنُ الخَطابِ رَضي اللهُ عَنْهُ جَمَاعَةً يَتَبَادَرُونَ مَكَاناً يُصَلُّونَ فِيه، فَقَالَ: مَا هٰذَا؟ قَالُوا: مَكَانٌ صَلَّى فِيه رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَتخِذُوا آثَارَ أَنبيائِكُم مَسَاجِدَ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم بهٰذَا، فَمَنْ أَدرَكَتْهُ فِيه الصَّلاةُ فليُصَلِّ وإلاَ فليَمْضِ.

فاتقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ واحْذَرُوا البِدَعَ وأَهْلَهَا وحَذِّرُوا مِنْهُمَا، فَإِنَّهُمَا وَبَاءٌ خَطِيرٌ عَلَى دِينِ المُسلمينَ، وتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ رَبِّكُمْ وسُنَّةِ نَبيكُم، فَفِيهمَا النَّجَاةُ والخَيرُ الفَلاَحُ العاجِلُ والآجِلُ.

أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجيمِ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

بَارَكَ اللهُ لِي ولكُم فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِية:

الحَمْدُ للهِ القَائِلِ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣].

وأشهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلا اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَه، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُولُه. صَلَّى اللهُ عليه وعلَى آلِه وأصْحَابِه وسَلّمَ تَسليماً كَثِيراً... أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتقُوا اللهَ تَعَالَى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

واعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عَن رَسولِ اللهِ ﷺ التَّحْذِيرُ مِنَ البِدَعِ والتَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا ضَلاَلَةٌ، فَقَدْ كَانَ يقُولُ: «**إنَّ خَيرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ. وخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ. وشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها. وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**».

وكَانَ الصَّحَابَةُ يُحَذِّرُونَ مِنَ البِدَعِ غَايَةَ التَّحْذِيرِ، وذَلِكَ لأَنَّ البدَعَ زِيادَةٌ فِي الدِّينِ، وشَرْعُ مَا لَمْ يَشْرَعْهُ رَبُّ العَالَمِينَ تَشَبُّهٌ بِاليَهُودِ والنَّصَارَى فِي زِيَادَتِهِم فِي دِينِهِم، وفِي البِدَعِ تَنَقُّصٌ لِلدِّينِ واتِّهَامُه بِعَدمِ الكَمَالِ. وتَكْذِيبٌ لِقَولِه تَعَالَى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾ [المائدة: ٣].

وفِي البِدَعِ إِبْعَادٌ للمُسْلِمِينَ عَنِ الدِّينِ الصَّحِيحِ، ونَقْلُهُم إِلَى الدِّينِ البَاطِلِ وهَذَا مَا يُرِيدُه الشَّيطَانُ، فَإِنَّه أَحَبُّ إِلى الشَّيطَانِ مِنَ العَاصِي المُرْتَكِبِ لكَبيرةٍ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، لأنَّ العَاصِي يَعْتَرِفُ أَنَّه عَاصٍ ويَرْجُو أنْ يتوبَ بِخِلاَفِ المُبتدِعِ فإنَّه يَعتبرُ مَا هُو علَيه مِنَ البدعةِ هُو الدِّينُ والطَّاعَةُ، فلا يتوبُ مِنه، فاتقُوا اللهَ واشْكُرُوه عَلَى نِعْمَةِ الإسْلاَمِ، واقْتَدُوا بِنبِيكُم عليه أَفضلُ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، واعلَمُوا أنَّ اللهَ أَمَرَكُم أَنْ تُصَلُّوا عَلَيه عَلَى الدَّوَامِ، فَقَالَ سُبحَانَه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فِي الاسْتِجَابَةِ للهِ ولِرَسُولِه

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، مَنَّ علَى المُؤمنينَ بِبعثِهِ الأَمينِ. فَقَالَ تعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وأَشْهَدُ أنْ لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لاَ شَرِيكَ لهُ مُخْلِصاً لَه الدِّينَ، وأشهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُه المَبْعُوثُ رَحْمَةً للعَالَمِينَ، صَلَّىٰ اللهُ علَيه وعلَى آلِه وأَصْحَابِه ومَنْ تَبِعَهُم بإحسَانٍ إلى يومِ الدِّينِ، وسَلَّمَ تسليمَاً كَثيراً. . .

أَمَّا بَعْدُ. . .

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تعَالَى واسْتَمِعُوا لِندَائِه، واسْتَجِيبُوا لأَوَامِرِهِ. واجْتَنِبُوا مَا ينهَاكُم عَنْهُ لعَلَّكُم تُرحَمُونَ، يقُولُ اللهُ تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٢١ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤﴾ [الأنفال: ٢٠-٢٤].

وفِي هٰذِه الآياتِ الكَريمةِ يَأْمُرُ اللهُ بطَاعَتِهِ وطَاعَةِ رَسُولِه، والاسْتِجَابَةِ لَه ولِرَسُولِه عِنْدَ سَمَاعِ الأَوامِرِ والنَّواهِي الصَّادِرَةِ عَنْهُ وعن رَسُولِه، ويَنْهَى عَنِ التَّشَبُّهِ بالكَافِرِينَ والمُنَافِقِينَ فِي عَدَمِ الطَّاعَةِ والاسْتِجَابَةِ للهِ ولِرَسُولِهِ، فإنَّ الكُفَّارَ

أَبَوْا أَنْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللهَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فصلت: ٢٦]. واليهود: ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [البقرة: ٩٣]. والمُنَافِقُونَ: ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأنفال: ٢١].

فَهُمْ يُظْهِرُونَ أَنَّهُم قَدْ سَمِعُوا وَاسْتَجَابُوا وَهُمْ لَيْسُوا كَذٰلِكَ، فَهُمْ يَسْمَعُون بِآذَانِهِم ولاَ يَسْمَعُونَ بِقُلُوبِهم، ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَه أَنَّ هَذِه الأَصْنَافَ مِنْ بَنِي آدَمَ هُمْ شَرُّ الخَلْقِ والخَلِيقَةِ. فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٢].

أَي: الصُّمُّ عَنْ سَمَاعِ الحَقِّ، البُكْمُ عَنْ فَهْمِهِ والنُّطْقِ بِهِ، وَوَصَفَهُم بِأَنَّهُم: (لاَ يَعْقِلُونَ) أَيْ: لَيْسَتْ لَهُمْ عُقُولٌ صَحِيحَةٌ يُفَكِّرُونَ بِهَا فِي العَوَاقِبِ، وإِنَّمَا عُقُولُهم لاَ تَعْدُو التَّفْكِيرَ بَحَاضِرِهِم الدُّنْيَوِيِّ ومَلاذِهِم العَاجِلَةِ، فَهُم كَالبَهَائِمِ التِي لاَ هَمَّ لَهَا إلاَّ فِيمَا تَأْكُل فِي بُطُونِهَا، ولا تُفَكِّرُ فِي مُسْتَقْبَلٍ ولاَ تَسْتَعِدُّ لِحَيَاةٍ أُخْرَىٰ، لَكِنَّهُم شَرٌّ مِنَ البَهَائِم، لأَنَّ البَهَائِمَ مُطِيعةٌ للهِ فِيمَا خَلَقَهَا لَه، وهٰؤلاءِ خُلِقُوا للعِبَادَةِ فكَفَرُوا، ولهٰذا قَالَ سُبْحَانَه: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٤].

عِبادَ اللهِ: إنَّه مَطلوبٌ مِنَ المُسلمِ أَنْ يَستَمعَ إِلى كَلاَمِ اللهِ إذ يُتْلَى، والاسْتِمَاعُ إِلَى أَحَادِيثِ رَسُولِه إِذ تُروى اسْتِمَاعَ تَفَهُّمٍ وإِدْرَاكٍ لمَطَالِبِهِمَا، ثُمَّ بَعْدَ الاسْتِمَاعِ والفَهْمِ لَكَلاَمِ اللهِ وكَلاَمِ رَسُولِه يَتَّجهُ المُسْلِمُ إِلَى العَمَلِ بِهِمَا والاسْتِجَابةِ لمَطَالِبِهِمَا، وإِلاَّ فَإِنَّ الاسْتِمَاعَ والفَهْمَ مِنْ غَيرِ عَمَلٍ يَكُونَانِ حُجَّةً عَلَى صَاحِبِهِمَا يومَ القِيَامَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٥]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى

فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر: ٥٩].

واليَومَ يَا عِبادَ اللهِ كَمْ نقرأُ ونسْمَعُ مِنَ الآياتِ والأحَادِيثِ، ونُعرِضُ عَنِ العَمَلِ بِمَا نَسْمَعُ مَعَ أنَّ مَا نَسْمَعُهُ ولا نَعْمَلُ بِهِ سَيَكونُ حُجَّةً علَيْنَا يومَ القِيَامةِ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «والقرآنُ حُجَّةٌ لَكَ أوْ عَلَيْكَ»(١).

لِنَنْظُرْ مَا مَدَى اسْتِجَابَتِنَا لِنِدَاءَاتِ اللهِ المُتَكَرِّرَةِ والمُتَنَوِّعَةِ فِي كِتَابِهِ، . . يَا أَيُّهَا النَّاسُ، يَا بَنِي آدَمَ، يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا، يَاعِبَادَ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا سَمِعْتَ اللهَ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا﴾ فأَصْغِ لَهَا سَمعَك فَإِنَّهُ خَيْرٌ تُؤمَرُ بِهِ أَوْ شَرٌّ تُحَذَّرُ مِنْهُ، وقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أنَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ ويَدْعُو إِلَيْهِ فِيهِ حَيَاةُ القُلُوبِ التِي تَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا الحَيَاةُ الكَامِلَةُ السَّعِيدَةُ لِلأَبْدَانِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: (لِمَا يُحْيِيكُم) هُو القُرْآنُ. وقَالَ بَعْضُهُم: هُو الإِسْلَامُ، لأَنَّ فِيه حَيَاتَهُم مِنَ الكُفْرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقِيلَ: هُو الجِهَادُ لأَنَّ فِيهِ عِزَّ المُسْلِمِينَ بَعْدَ الذُّلِّ، والقُوةُ بَعْدَ الضَّعْفِ، ثُمَّ تَوَعَّدَ سُبْحَانَه مَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لِمَا دَعَا إِلَيْهِ فَقَالَ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فَمَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لَه ولِرَسُولِه عَاقَبَهُ بِصَرْفِ قَلْبِهِ، فَلَا يَقْبَلُ الحَقَّ بَعْدَ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٢٣).

طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقَالَ تعَالَى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ [الصَّف: ٥].

فإيَّاكم أن تَرُدُّوا أمْرَ اللهِ أوَّلَ مَا يَأتِيكم فيُحَالُ بينَكم وبينَ قبُولِهِ، فإنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وقلْبِهِ، ويُقلِّبُ القلوبَ حيثُ يشَاءُ، ولِهذَا كانَ النَّبيُّ ﷺ يكْثِرُ أنْ يَقولَ: «يَا مُقلِّبَ القُلُوبِ ثبِّتْ قَلْبِي على دِينِكَ»[1] وقَالَ ﷺ: «إنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصبُعَينِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»[2].

عِبَادَ اللهِ: يقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر: ١٧ـ١٨].

إنَّه مَطْلُوبٌ مِنَّا الاسْتِمَاعُ والاتِّبَاعُ، مَطْلُوبٌ مِنَّا اسْتِمَاعُ كَلاَمِ اللهِ وكَلاَمِ رَسُولِهِ، فَإنَّ مَنْ لَمْ يَسْمَع اليومَ سَيَنْدَمُ غداً حِينَ يَقُولُ الكُفَّارُ: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الملك: ١٠].

مَطْلُوبٌ مِنَّا اسْتِمَاعُ الخُطَبِ والمُحَاضَرَاتِ الدِّينِيَّةِ، مَطْلُوبٌ مِنَّا حُضُورُ الدَّوراتِ والنَّدَوَاتِ لِنَسْتَمِعَ مَا يُفيدُنَا ونَتَفَقَّهِ فِي دِينِنَا، ومَطْلُوبٌ مِنَّا اسْتِمَاعُ البَرَامِجِ الدِّينيةِ المُفِيدَةِ التِي تُذاعُ وتَصِلُ إلَى كُلِّ بَيْتٍ وإلَى كُلِّ مَكَانٍ، ولَكِنَّ الكَثِيرَ مِنَّا لاَ يَسْمَعُونَ ولَو سَمِعُوا فإنَّهُم لاَ يَعْقِلُونَ، إنَّ الأرضَ إذَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهَا المَطَرُ ويَصِلْ إلَيْهَا المَاءُ مَاتَتْ، وكَذَلِكَ القُلُوبُ إذَا لَمْ يَصِلْ إلَيْهَا الوَحْيُ والذِّكرُ عَمِيَتْ ومَرِضَتْ ومَاتَتْ.

وإذَا كَانَ الإنْسَانُ لاَ يَحْضُرُ خُطْبَةً ولاَ يَسْمَعُ مَوعِظَةً ولاَ يَتْلُو قُرْآناً، ولاَ يَقْرَأُ

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢١٤١).

(٢) رواه الترمذيُّ (٢١٤١) وفيه: «قال أنسٌ ـ رضي الله عنه ـ فقلتُ: يارسولَ الله، آمنا بك وبما جئتَ به، فهل تخاف علينا؟ قل: نعم» فذكر الحديث. فالحديثُ واحدٌ.

حَدِيثاً عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَاذَا سَتَكُونُ حَالُه، وَمِنْ أَينَ يَفْقَهُ فِي دِينِهِ، وكَيفَ يَسْتَجِيبُ للهِ وَلِرَسُوله؟.

إنَّ الاسْتِجَابَةَ لاَ تَكُونُ إلاَّ بَعْدَ سَمَاعِ دَعْوَةٍ، واللهُ قَدْ دَعَانَا فِي كِتَابِه وعَلَى لِسَانِ رَسُولِه. فَهُو سُبْحَانَهُ يَدْعُو إِلى دَارِ السَّلاَمِ: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠].

ومَنْ سَمِعَ دَعوةَ اللهِ وَجَبَ عَلَيه أَنْ يُجِيبَ.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: ٣٢].

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَرْفُضُ إِجَابَةَ دَاعِيَ اللهِ بِالكُلِّيَّةِ، وهَؤلاءِ هُمُ الكُفَّارِ والمُنَافِقُون الذِين قَالُوا سَمِعْنَا وعَصَيْنَا، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقْبَلُ مَا يُوافِقُ هَوَاهُ ويَرْفُضُ مَا خَالَفَهُ، وهَذَا عَبْدٌ لِهَوَاهُ، ولَيْسَ عَبْدَ اللهِ المُتَّبِعِ لِنِدَاءِ مَوْلاَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

وهٰذَا شَبِيهٌ بِالذِينَ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ ويَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ، فَتَرَاهُ يُدْعَى إِلَى حُضُورِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ فِي المَسْجِدِ فَلاَ يُجِيبُ، تَرَاهُ يُدْعَى إِلَى تَرْكِ الرِّبَا، والرِّشْوَةِ والمُعَامَلاَتِ المُحَرَّمَةِ ولاَ يُفَكِّرُ فِي تَرْكِهَا والابْتِعَادِ عَنْهَا، تَرَاهُ يُؤْمَرُ بالمَعْرُوفِ ويُنْهَى عَنِ المُنْكَرِ فَلاَ يَمْتَثِلُ، مَعَ أَنَّه يَتَسَمَّى بالدِّينِ، ويقُولُ إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ، فَهَذَا إِنْ سَلِمَ مِنَ الكُفْرِ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الفِسْقِ والنِّفَاقِ وسُوءِ الأَخْلاَقِ.

إنَّ دَعْوَةَ اللهِ تَبْلُغُ كُلَّ مُكَلَّفٍ بِطُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ، مِنْ طُرُقِ تِلاَوةِ كِتَابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ ومِنْ طَرِيقِ الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ، مِنْ طَرِيقِ الآمِرِينَ بالمَعْرُوفِ والنَّاهِينَ عَنِ المُنْكَرِ.

ومِنْ طَرِيقِ المَنَادِينَ لِلصَّلَاةِ فِي اليومِ واللَّيلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وهَكَذَا لاَ تَمُرُّ لَحْظَةٌ إلاَّ ويَسْمَعُ الإنسَانُ دَاعِياً إلَى اللهِ ويُسَجِّلُ عَلَيهِ أَوْ لَه مَا يُقَابِلُ بِهِ تِلْكَ الدَّعْوة مِنْ إجَابَةٍ أَوْ رَفْضٍ، ومِنْ ثوابٍ أوْ عِقَابٍ. .

عِبَادَ اللهِ: ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُؤْثِرُ سَمَاعَ الأَغَانِي والأَلْحَانِ، ومَزَامِيرَ الشَّيْطَانِ عَلَى سَمَاعِ كَلَامِ الرَّحْمٰنِ، ويُؤْثِرُ الذَّهَابَ إِلَى المَلَاهِي والمَلاَعِبِ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى المَسَاجِدِ، ويُؤْثِرُ الاسْتِمَاعَ إِلَى المُطْرِبِ فَلانٍ وإِلَى الأُغْنِيَةِ المَاجِنَةِ عَلَى الاسْتِمَاعِ إلى الوَاعِظِ فيكُونُ مِنَ الذينَ قَالَ اللهُ فِيهم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [لقمان: ٦ـ٧].

نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الخُذْلاَنِ، ومُتَابَعَةِ الهَوى والشَّيْطَانِ.

وبَارَكَ اللهُ لَنَا ولَكُم فِي القُرْآنِ. أَقُولُ قَولِي هذَا وأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي ولَكُم

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ الذِي وَعَدَ المُطِيعِينَ لَه ولِرَسُولِه أَجْراً عَظِيماً، وأَعَدَّ للمُعْرِضِينَ عَنْه وعَنْ رَسُولِه عَذَاباً أَلِيماً، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وحدَه لاَ شَرِيكَ لَه، وكَفَى بِاللهِ عَلِيماً، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورسولُه، غَفَرَ لَه مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ومَا تَأَخَّرَ وأَتَمَّ نِعْمَتَه عَلَيهِ وهَدَاهُ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً، صَلَّى اللهُ عَلَيه وعَلَى آلِه وأصحَابِه وسَلَّمَ تَسْلِيماً. . .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، واعْلَمُوا أنَّ هُنَاكَ مَوانِعَ تَحُولُ بينَ العَبْدِ وبَيْنَ الاسْتِجَابَةِ للهِ وَرَسُولِه، فَاحْذَرُوهَا.

مِنْهَا: التكبُّرُ عَنْ قَبولِ الحَقِّ كَمَا حَصَلَ مِنْ إِبْلِيسَ لَمَّا أَمَرَه اللهُ بالسُّجُودِ لآدَمَ، فَأَبَىٰ واستَكْبرَ، وقَالَ أنَا خَيْرٌ مِنْهُ.

وقَدْ قَال النَّبيُّ ﷺ: «الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ النَّاسِ»[(١)]. ومَعْنَى «بَطَرُ الحَقِّ» دَفْعُهُ وعَدَمُ قَبُولِهِ.

ومِنْ مَوانِعِ الاسْتِجَابَةِ للهِ ولِرسُولِه: الحَسَدُ، كَمَا حَصَلَ مِنَ اليَهُودِ لَمَّا دَعَاهُم رَسولُ اللهِ ﷺ إلى الإيمَانِ بِه لَمْ يسْتَجِيبُوا لَه وكَفَرُوا بِه حَسَداً مِنْ عَنْدِ أَنْفُسِهم مِنْ بَعْدِ مَا تبيَّنَ لَهُم الحَقُّ.

ومِنْ مَوانِعِ الاسْتِجَابَةِ للهِ ولِرَسُولِه التَّعَصُّبُ للآراء والمَذَاهِبِ والتَّقْلِيدُ الأَعْمَىٰ لِمَا عَلَيه الآبَاءُ، كَمَا حَصَلَ مِنَ اليهودِ والمُشْرِكِينَ، قَالَ تعالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

ومِنْ مَوانِعِ الاسْتِجَابَةِ للهِ ولِرَسُولِهِ اتِّبَاعُ الهَوىٰ، قَالَ تَعالَى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

ولِهٰذا قَالَ ﷺ: «لاَ يُؤمِنُ أَحدُكُم حَتَّى يَكُونَ هَواه تَبعَاً لِمَا جِئْتَ بِهِ».

ومِنَ مَوانِعِ الاسْتِجَابَةِ للهِ ولِرَسُولِه: الخَوْفُ مِنَ النَّاسِ وعَدَمُ الصَّبْرِ عَلَى أَذاهُم، قَالَ تَعالَى عَنْ كُفَّارِ قريشٍ: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾

(١) رواه مسلمٌ (٩١).

[القصص: ٥٧].

فَهُم مُعْتَرِفُونَ أنَّ مَا جَاء بِه مُحَمَّدٌ ﷺ هُو الهُدَىٰ، وأنَّ مَا هُم عَلَيه ضَلاَلٌ، لَكِنَّهُم اعْتَذَرُوا عَنِ اتِّبَاعِهِ بِمَا يَخْشَوْنَه مِنْ أَذَىٰ النَّاسِ وبِخَوْفِهم عَلَى أَمْنِهِم أَنْ يَتَزَعْزَعَ، وهٰذَا مِنْ فَسَادِ التَّصَوّرِ وانْتِكَاسِ الفِطَرِ، فإنَّ الأمنَ لاَ يَحْصُلُ إلاَّ باتِّبَاعِ الهُدَى، والخَوْفُ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِاتِّبَاعِ الضَّلاَلِ، وهٰذَا الذِي قَالَهُ الكُفَّارُ بالأَمْسِ هُو مَا يَقُولُه كَثِيرٌ مِنَ المُعَاصِرِينَ اليَومَ حَيْثُ يقُولُونَ: نَحْنُ نَعْلَمُ أنَّ الإِسْلاَمَ هُو الدِّينُ الصَّحِيحُ، وأنَّ مَا عَدَاه بَاطِلٌ، لَكِنْ يَمْنَعُنَا مِنَ اتِّبَاعِهِ وتَحْكِيمِه خَوْفُ الدُّوَلِ الكَافِرَةِ أنْ تَنَالَنَا بِسُوءٍ، أَوْ تَصِفَنَا بِالرَّجْعِيَّةِ والتَّخَلُّفِ، ومَا عَلِمُوا أنَّ فِعْلَهُم هٰذَا يَزِيدُهُم خَوْفاً وَضَعْفاً وسُقُوطاً حتَّى مِنْ أعيُنِ أَعْدَائِهِم، كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٥﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنِ التَمَسَ رِضَا النَّاسِ بسَخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيه وأَسْخَطَ عَلَيه النَّاسَ»(١).

اتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ واحْذَرُوا مِنْ أَسْبَابِ سَخَطِه، وتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ رَبِّكُم وسُنَّةِ نَبِيكُم، فإنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ... إلخ.

* * *

(١) رواه الترمذيُّ (٢٤١٦) عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

فِي الحَثِّ عَلَى تَعَلُّمِ العِلْمِ النَّافِعِ

الحَمْدُ للهِ الذِي رَفَعَ مِنْ شَأْنِ العُلَمَاءِ العَامِلِينَ. فَقَالَ فِي كِتَابِهِ المُبِينِ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩].

وأَشْهَدُ أنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ وحْدَه، لاَ شَرِيكَ لَه شَهَادَةَ الحَقِّ واليَقِينِ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُولُه الصَّادِقُ الأَمِينُ، صَلَّى اللهُ عَلَيه وعَلَى آلِه وأَصْحَابِه والتَّابِعينَ لَهُم بِإحْسَانٍ إِلَى يَومِ الدِّينِ، وسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا الله تَعَالَى وتَعَلَّمُوا مِنَ العِلْمِ مَا تَعْرِفُونَ بِهِ رَبَّكُم، ويَسْتَقِيمُ بِهِ دِينُكُم، وتَسْتَنِيرُ بِهِ قُلُوبُكُم، وتَصْلُحُ بِهِ دُنْيَاكُم وآخِرَتُكُم، لأنَّ العِلْمَ نُورٌ يُخْرِجُ مِنَ الظُّلُمَاتِ، وتَزُولُ بِهِ الشُّبُهَاتُ، وتَسْتَقِيمُ بِهِ الأَعْمَالُ، فَإِنَّ العَمَلَ بِلاَ عِلْمٍ ضَلاَلٌ ووَبَالٌ، وفَضَائِلُ العِلْمِ كَثِيرَةٌ:

أَعظمُهَا مَعْرِفَةُ الرَّبِّ سُبْحَانَه بِأَسْمَائِهِ وصِفَاتِه، ومِنْهَا أَنَّ العِلْمَ طَرِيقٌ إِلَى اللهِ وإِلَى جَنَّتِه. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

« مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيه عِلْماً سَلَكَ اللهُ لَه بِه طَرِيقاً إِلى الجَنَّةِ، وإِنَّ المَلاَئِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضاً بِمَا يَطْلُبُ، وإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَه مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرضِ حتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ وفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وإِنَّ العُلَماءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً ولاَ دِرْهَماً، وإِنَّما وَرَّثُوا العِلْمَ. فَمَنْ أَخذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ » رواه الإمامُ أحمدُ، وأبو دَاودَ، والتِّرمِذِيُّ، وابنُ مَاجَه مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ -

رضي الله عنه(١)-.

وفيه الحَثُّ عَلَى السَّعْي فِي طَلَبِ العِلْمِ وذلكَ بالسَّفرِ إلى أَهْله حَيْثُ كَانُوا وبحِفْظِهِ وكِتَابتهِ وتَدْوينهِ، فَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يَرْحَلُونَ المَسَافَاتِ الطَّوِيلَةَ لِطَلبِ حَدِيثٍ وَاحِدٍ. فَقَدْ رَحَلَ أَبُو أَيُّوب الأَنْصَارِيُّ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى مِصْرَ لِلِقَاءِ رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ يَرْوِي عَنْه حَدِيثاً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَكُنْ عِندَه. ورَحَلَ جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيّ كَذٰلِكَ. وكَانَ أَحَدُهُم يَرْحَلُ إِلَى مَنْ دُونَه فِي العِلْمِ والفَضْلِ لِطَلَبِ شَيءٍ مِنَ العِلْمِ عِنْدَه لَمْ يَبْلُغْهُ، ويَكْفِي فِي هٰذَا مَا قَصَّه اللهُ تَعَالَى من خبرِ موسى عليه الصلاةُ والسلامُ ورحيله مع فتاهُ لطلبِ العلمِ مع ما أعطاهُ اللهُ من العلمِ واخْتَصَّهُ مِنَ التَّكْلِيمِ وَكَتَبَ لَه فِي التَّوْرَاةِ مِنْ كُلِّ شَيءٍ، ولَمَّا أخبرَه اللهُ عَنِ الخَضِرِ وأنَّ عِنْدَهُ عِلْماً يَخْتَصُّ بِهِ سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لِقَائِه وَرَحَلَ في طَلَبِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الكهف: ٦٠].

يَعْنِي: سِنِينَ عَدِيدَةً. ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا لَقِيَه قَالَ: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦٦].

فَلو اسْتَغْنَى أَحدٌ عَنِ الرِّحْلَةِ فِي طَلَبِ العِلْمِ لاَسْتَغْنَى مُوسَى عَلَيه السَّلاَمُ. وقَدْ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ أَنْ يَسْأَلَه المَزِيدَ مِنَ العِلْمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه: ١١٤]. فَلَمْ يَسْأَلْ رَبَّهُ الزِّيَادَةَ مِنْ شَيءٍ إلاَّ مِنَ العِلْمِ.

ومَهْمَا بَلَغَ الإنسانُ مِنَ العِلْمِ فهُنَاكَ مَنْ هُو أَعْلَمُ مِنْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يوسف: ٧٦].

---

(١) عند أبي داود (٣٦٤١)، والترمذيّ (٢٦٤٣).

قَالَ الحَسَنُ البصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: لَيسَ عَالِمٌ إلاَّ فَوقَه عَالِمٌ حتَّى ينتَهيَ إلى الله عَزَّ وَجلَّ. وفِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ دَلِيلٌ عَلَى أنَّ الجَنَّةَ لاَ يُوصَلُ إليْهَا إلاَّ بِالْعِلْمِ النَّافعِ والعَمَلِ الصَّالِحِ، فَمن طَلَبَ الجَنَّةَ بذَلِكَ فقَد طَلَبَهَا مِنْ أَيْسَرِ الطُّرُقِ وأسْهَلِهَا.

ومَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَظُنُّهُ طَرِيقَ الجَنَّةِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَقَدْ سَلَكَ أَعْسَرَ الطُّرُقِ وأَشَقَّهَا، ولاَ يَصِلُ إلَى مَقْصُودِهِ مَعَ تَحَمُّلِهِ المَشَاقَّ، فَلاَ طَرِيقَ إلَى مَعْرِفَةِ اللهِ وإلَى الوصُولِ إلَى رِضْوَانِه والفَوزِ بِقُرْبِهِ ومُجَاوَرَتِهِ فِي الآخِرَةِ إلاَّ بالعِلْمِ النَّافعِ الذي بَعَثَ اللهُ بِهِ رُسُلَه، وأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ، فهُو الدَّلِيلُ عَلَيه، وبه يُهتدَى فِي ظُلُمَاتِ الجَهْلِ والشُّبُهَاتِ والشُّكُوكِ. وقَد سَمَّى اللهُ كِتَابَه نُوراً يُهْتدَى بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وفِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَيضاً: أنَّ العِلْمَ الذِي يُمْدَحُ أهْلُه ويُسَمَّونَ العُلَمَاءَ حَقِيقَة هُو العِلْمُ الشَّرْعِيُّ الذِي جَاءَتْ بِه الرُّسُلُ. حَيْثُ قَالَ ﷺ: «وإنَّ العُلَمَاء وَرَثَةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لمْ يُورِّثُوا دِيناراً ولاَ دِرْهَماً، وإنمَّا وَرَّثُوا العِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أخذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[1].

فَكُلُّ مَدْحٍ وثَنَاءٍ جَاءَ فِي الكِتَابِ والسُّنَةِ لِلْعِلْمِ والعُلَمَاءِ فَالمُرَادُ بِه عِلْمُ

---

(١) عند أبي داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٤٣).

الأَنْبِيَاءِ وحَمَلَته مِنَ المُؤمنينَ العَامِلينَ بِهِ، قَالَ تعَالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقَالَ تعَالَى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقَدْ شَبَّهَ النَّبيُّ ﷺ مَنْ حَمَلَ العِلْمَ الذِي جَاءَ به بالنُّجُومِ التِي تُهْتَدَىٰ بِهَا فِي الظُّلُمَاتِ، فَقَالَ ﷺ: «**إنَّ مَثَلَ العُلَمَاءِ فِي الأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ يُهْتَدَىٰ بِهَا فِي ظُلمَاتِ البَرِّ والبَحْرِ، فَإِذَا طُمِسَتْ النُّجُومُ أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الهداةُ**» رَواه الإمامُ أَحْمَدُ في «المُسْنَدِ».

قَالَ الحَافِظُ ابنُ رَجَبٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ وهٰذَا مَثَلٌ فِي غَايَةِ المُطَابقَةِ لأنَّ طَرِيقَ التَّوحِيدِ والعِلْمِ بِاللهِ وأَحْكَامِهِ وثَوابه وعِقَابه لاَ يُدْرَكُ بِالْحِسِّ، إِنَّمَا يُعْرَفُ بِالدَّلِيلِ، وقَدْ بَيَّنَ اللهُ ذٰلكَ كُلَّه فِي كِتَابه وعَلَى لِسَانِ رَسُوله، فَالعُلَمَاءُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسولِه هُم الأَدِلاَّءُ الذِينَ يُهتدَى بِهم فِي ظُلُماتِ الجَهْلِ والشُّبَهِ والضَّلاَلِ، فإذَا فُقِدُوا ضَلَّ السَّالِكُ، وقَدْ شُبِّه العُلَمَاءُ بِالنُّجُومِ. والنُّجُومُ فِيهَا ثَلاَثُ فَوائِد:

يُهتَدَى بِهَا فِي الظُّلُمَاتِ، وَهِي زِينَةٌ لِلسَّمَاءِ، ورَجُومٌ للشَّيَاطِينِ الذِينَ يَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ.

والعُلَمَاءُ فِي الأَرْضِ تَجْتَمعُ فِيهم هٰذِه الأَوصَافُ الثَّلاثَةُ: بِهِمْ يُهتَدَى فِي الظُّلمَاتِ، وهم زِينةٌ للأَرْضِ، وهُم رُجُومٌ للشَّيَاطِينِ الذِينَ يَخْلِطُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ ويُدْخِلُون فِي الدِّينِ مَا لَيْسَ مِنْهُ.

ومَا دَامَ العِلْمُ بَاقِياً فِي الأَرْضِ فَالنَّاسُ فِي هُدىً، وبقَاءُ العِلْمِ ببقَاءِ حَمَلَتِهِ، فَإِذَا ذَهَبَ حَمَلَتُهُ وَقَعَ النَّاسُ فِي الضَّلاَلِ. كَمَا فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبيِّ

ﷺ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ، ولَكِنْ يَذْهَبُ العُلَمَاءُ فَإِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وأَضَلُّوا»[1].

فَتبَيَّنَ بِهٰذَا أَنَّ الذِينَ يَسْتَحِقُّونَ أَنْ تُسَمَّوا بالعُلَمَاءِ هُمْ عُلَمَاءُ الشَّرِيعَةِ، لأَنَّ العِلْمَ الحَقِيقِيَّ هُو العِلْمُ الذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، لِقَولِه ﷺ: «والعُلَمَاءُ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ»[2].

فَهُم الذِينَ فِي بقَائِهم فِي الأَرْضِ مَصْلَحَةُ العِبَادِ والبِلاَدِ، وبِفَقْدِهِم تَفْقِدُ الأَرْضُ زِينَتَهَا، وبِفَقْدِ أَهْلِ الأَرْضِ مَنْ يَهْتَدُونَ بِهِ فِي ظَلْمَاءِ الجَهْلِ والشُّبَهِ والشُّكُوكِ، ويَتَسَلَّطُ شَيَاطِينُ الإِنْسِ والجِنِّ عَلَى إِغْوَاءِ النَّاسِ، ولاَ يجِدُونَ مَنْ يَرْجُمُهُم بِثَواقِبِ الحُجَجِ العِلْمِيَّةِ التِي تُبْطِلُ كَيْدَهُم وتَدْحَضُ حُجَّتَهُم، وقَدْ صَارَ اليَومَ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ يُطْلِقُونَ العِلْمَ عَلَى النَّظَرِيَّاتِ الحَدِيثَةِ فِي الطِّبِّ والاخْتِرَاعَاتِ والصِّنَاعَاتِ، ويُسَمُّونَ المُخْتَرِعِينَ والمُفكِّرِينَ فِي النَّظَرِيَّةِ الحَدِيثَةِ بِالْعُلَمَاءِ، حَتَّى صَارَ لَفْظُ العِلْمِ والعُلَمَاءِ لاَ يَنْصَرِفُ عِنْدَ هٰؤُلاَءِ إِلَى هٰذِه الأَشْيَاءِ وأَصْحَابِهَا. وأَمَّا العِلْمُ الشَّرْعِيُّ فَلاَ يُسَمّونَه عِلْماً، ولاَ يُسَمُّونَ أَصْحَابَه بِالعُلَمَاءِ، حَتَّى لَقَدْ سَمِعْنَا أَنَّ مِنهُم مَنْ يَسْتَنْكِرُ تَسْمِيَةَ المَعَاهِدِ التِي تُدْرَسُ فِيهَا عُلُومُ الشَّرِيعَةِ واللُّغَةِ بالمَعَاهِد العِلْمِيَّةِ، لأَنَّ لَفْظَ العِلْم يُرادُ بِه عَنْدَهُم نَظَرِيَّاتُ العَصْرِ وتَقْنِياتِهِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُم إِذَا أَرَادَ أَنْ يَمْدَحَ الإِسْلاَمَ أَوِ القُرْآنَ قَالَ: إِنَّهُ لاَ يَتَعارَضُ مَعَ العِلْمِ، وَكَأَنَّ الإِسْلاَمَ شَيءٌ والعِلْمَ شيءٌ آخر، بَلْ بَلَغَ الأَمْرُ بِبَعْضِهِم أَنْ يُفَسِّرَ القُرْآنَ بالنَّظَرِيَّاتِ الحديثة ومنجزات التقنية المعاصرة ويعتبر هذا فخراً

---

(١) رواه البخاريُّ (١٠٠)، ومسلمٌ (٢٦٧٣) وغيرهما.

(٢) عند أبي داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٤٣).

للقرآن حيثُ وافقَ في رأيهِ هذه النظريات، ويُسَمَّىٰ هَذَا بالإعْجَازِ العِلْمِيِّ. وهَذَا خَطَأٌ كَبيرٌ، لأنَّهُ لا يَجُوزُ تَفْسِيرُ القُرْآنِ بِمِثْلِ هَذِه النَّظَرِيَّاتِ والأَفْكَارِ، لأنَّهَا تَتَغيَّرُ وتَتَنَاقَضُ ويُكَذِّبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، والقُرْآنُ حَقٌّ ومَعَانِيه حَقٌّ لاَ تَنَاقُضَ فِيهِ، ولاَ تَغَيُّرَ فِي مَعَانِيهِ مَعَ مَرُورِ الزَّمَنِ، أمَّا أَفْكَارُ البَشَرِ ومَعْلُومَاتُهم فَهِي قَابِلَةٌ للخَطَأِ والصَّوَابِ وخَطَؤُهَا أَكْثَرُ مِنْ صَوَابِهَا، وكَمْ مِنْ نَظَرِيَّةٍ مُسلَّمَةٍ اليومَ، تَحْدُثُ نَظَرِيَّةٌ تُكَذِّبُها غداً. فَلاَ يَجُوزُ أَنْ تَرْبِطَ القُرْآنَ بِنَظَرِيَّاتِ البَشَرِ وعُلُومِهِم الظَّنِّيَّةِ والوَهْمِيَّةِ المُتَضَارِبَةِ المُتَنَاقِضَةِ.

وتَفْسِيرُ القُرْآنِ الكَرِيم لَهُ قَواعِدُ مَعْروفَةٌ لَدَى عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ، لاَ يَجُوزُ تَجَاوزُهَا، وتَفْسِيرُ القُرْآنِ بَغَيرِ مُقْتَضَاهَا، وهَذِه القَواعِدُ هِي:

أَنْ يُفَسَّرَ القُرْآنُ بالقرآنِ، فَمَا أُجْمِلَ فِي مَوضِع مِنْهُ فُصِّلَ فِي مَوْضِعِ آخَرَ، ومَا أُطْلِقَ فِي مَوْضِع قُيِّدَ فِي مَوْضِعٍ، ومَا لَمْ يُوجَدْ فِي القُرْآنَ تَفْسِيرُه فَإِنَّهُ يُفَسَّرُ بسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، لأنَّ السُّنةَ شَارِحَةٌ للقُرْآنِ ومُبَيِّنَةٌ لَه، قَالَ تَعَالَى لِرَسُوله ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وَمَا لَمْ يُوجَدْ تَفْسِيرُه فِي السُّنةِ فَإنَّهُ يُرْجَعُ فِيه إِلَى تَفْسِيرِ الصَّحَابَةِ، لأنَّهُم أَدْرَى بِذَلِكَ لمُصَاحَبَتِهِم رَسُولَ اللهِ ﷺ وتَعَلُّمِهِم عَلَى يَدَيْهِ، وتَلَقِّيهِم القُرآنَ وتَفْسِيرَه مِنْهُ. حَتَّى قَالَ أَحَدُهم: مَا كُنَّا نَتَجَاوَزُ عَشْرَ آيَاتٍ حَتَّى نَعْرِفَ مَعَانيَهنَّ والعَمَلَ بِهِنَّ.

ومَا لَمْ يُوجَدْ لَه تَفْسِيرٌ عَنِ الصَّحَابَةِ فَكَثِيرٌ مِنَ الأَئِمَّةِ يَرْجِعُ فِيه إِلَى أَقْوالِ التَّابِعِينَ لِتَلَقِّيهِم العِلْمِ، عَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وتَعَلّمِهِم القُرآنَ ومَعَانِيه عَلَى أَيْدِيهِم، فَمَا أَجْمَعُوا عَلَيه فَهُو حُجَّةٌ، ومَا اخْتَلَفُوا فِيه فَإِنَّهُ يُرْجَعُ فِيهِ إِلَى لُغَةِ العَرَبِ التِي نَزَلَ بِهَا القُرْآنُ.

وتَفْسِيرُ القُرْآنِ بِغَيرِ هٰذه الأَنْوَاعِ الأَرْبَعَةِ لاَ يَجُوزُ، فَتَفْسِيرُهُ بِالنَّظَرِيَّاتِ الحَدِيثَةِ مِنْ أَقْوَال الأَطِبَّاءِ والجُغْرَافِيينَ والفَلَكِيينَ وأَصْحَاب المَرْكَبَاتِ الفَضَائِيةِ بَاطِلٌ لاَ يَجُوزُ، لأنَّ هٰذَا تَفْسِيرٌ للقُرْآنِ بالرَّأْي، وهُو حَرَامٌ شَدِيدُ التَّحْرِيمِ لِقَولِه ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ وبِمَا لاَ يَعْلَمُ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ». رَواه ابنُ جَريرٍ والتِّرمِذِيُّ[1] والنَّسَائِيُّ، وفِي لَفْظٍ: «مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ»[2].

قَالَ ابنُ كَثيرٍ: لأَنَّهُ قَدْ تَكَلَّفَ مَا لاَ عِلْمَ لَه بِهِ وسَلَكَ غَيْرَ مَا أُمِرَ بِهِ، فَلَو أَنَّهُ أَصَابَ المَعْنَى فِي نَفْسِ الأَمْرِ لَكَانَ قَدْ أَخْطَأَ، لأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ الأَمْرَ مِنْ بَابِهِ واللهُ أَعْلَمُ. هَذَا مَعَ أَنَّ النَّظَرِيَّاتِ تَتَغَيَّرُ مِنْ حِينٍ لآخَرَ، لأَنَّهَا اجْتِهَادٌ بَشَرِيٌّ يُخْطِىءُ كَثِيراً، والقُرْآنُ حَقٌّ لاَ يَتَغَيَّرُ.

فَلْنَحْذَرْ يَا عِبَادَ اللهِ: مِنْ هَذَا العَمَلِ ولاَ نَتَجَرَّأْ عَلَى تَفْسِيرِ كَلاَمِ اللهِ بِغَيرِ عِلْمٍ. قَالَ أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضيَ اللهُ عَنهُ: أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي، وأَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لاَ أَعْلَمُ، وقَالَ تَعَالى: ﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

فَلْنَتَّقِ اللهَ عَزَّ وَجَلَ ولاَ نُفَسِّرُ كَلاَمَهُ العَظِيمَ بِمَا لاَ عِلْمَ لَنَا بِهِ، أُعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

بَارَكَ اللهُ لِي ولَكُم فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

---

(١) الترمذيُّ (٢٩٥١).
(٢) الترمذيُّ (٢٩٥٣).

الخُطْبَة الثَّانِية:

الحَمْدُ للهِ الذِي أرْسَلَ رَسُولَه بِالهُدىٰ وأَنْزَلَ عَلَيهِ آيَاتٍ بيِّنَاتٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَه لاَ شَرِيكَ لَه فِي رُبوبيتِهِ وَإِلٰهيتهِ ومَا لَه مِنَ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُه المَؤيَّدُ بالمُعْجزَاتِ البَاهِرَاتِ، صَلَّى اللهُ عَلَيه وعَلَى آلِه وأصْحَابِه ذَوي المَنَاقِبِ الظَّاهِرَةِ والكَرَامَاتِ، وسَلَّم تَسْلِيمَاً كَثِيراً. . .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وتَعَلَّمُوا مِنَ العِلْمِ مَا يَسْتَقِيمُ بِهِ دِينُكُم، قَالَ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِه خَيراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(١).

فَقَدْ دَلَّ هٰذَا الحَدِيثُ عَلَى أنَّ الذِي لاَ يَفْقَهُ أُمُورَ دِينِهِ فَإِنَّ ذَلكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللهَ لَمْ يُرِدْ بِهِ خَيْرَاً، ولَو تَعَلَّمَ العُلُومَ الدُّنْيَوِيَّةِ وتَبَحَّرَ فِيهَا، لأنَّها عُلُومٌ مَعَاشِيَّةٌ فَقَط لاَ تَسْتَحِقُّ مَدْحَاً وَلاَ ذَمَّاً. وقَدْ وَصَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَصْحَابَهُ بِأَنَّهم لاَ يَعْلَمُونَ فَقَالَ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٦ـ٧].

فَأَكْثَرُهُم لَيسَ لَهُم عِلْمٌ إلاَّ بِالدُّنْيَا وشُؤُونِهَا، فَهُم فِيهَا حُذَّاقٌ أَذْكِيَاءُ، وهُم غَافِلُونَ عَنْ أُمُورِ الدِّينِ ومَا ينفَعُهم فِي الآخِرَةِ.

قَالَ الحَسَنُ البصْرِيُّ: واللهِ لَيَبْلُغُ أَحَدُهُم بِدُنْيَاهُ أنَّه يُقَلِّبُ الدِّرْهَمَ عَلَى ظُفْرِهِ، فَيُخْبِرُكَ بَوَزْنِه ومَا يُحسِنُ أَنْ يُصَلِّيَ. وقَدْ نَفَىٰ اللهُ عَنْهُم العِلْمَ، مَعَ أَنَّهم يَعْلَمُونَ ظَاهِرَاً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَدلَّ عَلَى أنَّ ذٰلكَ لاَ يستَحِقُّ اسْمَ العِلْمِ ولاَ يسْتَحِقُّ صَاحِبُه أَنْ يُسَمَّى عَالِمَاً، لأنَّ العِلْمَ إِذَا أُطْلِقَ فَالمُرادُ بِهِ عِلْمُ الشَّرْعِ، وإِذَا

---

(١) رواه البخاريُّ (٧١)، ومسلمٌ (١٠٣٧).

مُدحَ العِلْمُ فَالمُرادُ بِهِ عِلْمُ الشَّرْعِ. فَأينَ هٰذَا مِنَ الذِينَ عَكَسُوا الأَمْرَ وجَعَلُوا العِلْمَ الدُّنْيَوِيَّ هُو العِلْمَ عِنْدَ الإطْلاَقِ، وخَلَعُوا عَلَى أَصْحَابِه أَلْقَابَ المَدِيحِ والإكْبَارِ؟ مَعَ أَنَّهُم فِي الغَالِبِ أَجْهَلُ الخَلْقِ بِأُمُورِ دِينِهِم وَآخِرَتِهم، وقَدْ حَمَلَهم عِلْمُهُم هٰذَا عَلَى الغُرُورِ والاسْتِكْبَارِ فِي الأَرْضِ وإنْكَارِ وجُودِ الخَالِقِ، فَهَا هِيَ الشُّيوعِيَّةُ والعَلْمَانِيةُ اليَومَ تُنكِرُ وجُودَ اللهِ وتَسْتَكْبِرُ بِعُلُومِهَا عَلَى عِبَادِ اللهِ، وتَخْتَرِعُ آلاَتِ الدَّمَارِ. ومِنَ الأُمَمِ الكَافِرَةِ مَنْ أَنْكَرَ عِلْمَ الرُّسُلِ وَاغْتَرَّ بِمَا عِنْدَهُم مِنْ عِلْمِ الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر: ٨٣].

قَالَ ابنُ كَثِيرٍ: وذَلِكَ لأَنَّهم لَمَّا جَاءَتْهُم الرُّسُلُ بِالبَيِّنَاتِ، والحُجَجِ القَاطِعَاتِ، وَالبَرَاهِينِ الدَّامِغَاتِ، لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِم ولاَ أَقْبَلُوا عَلَيهِم، واسْتَغْنَوا بِمَا عِنْدَهُم مِنَ العِلْمِ فِي زَعْمِهِم عَمَّا جَاءَتْهُم بِهِ الرُّسُلُ.

إنَّ العِلْمَ الشَّرْعِيَّ الذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ فِيهِ صَلاَحُ العِبَادِ والبِلاَدِ، أَمَّا عُلُومُ البَشَرِ ومُخْتَرَعَاتِهِم فَالغَالِبُ أَنَّ فِيهَا الدَّمَارَ وإهْلاَكَ الحَرْثِ والنَّسْلِ، كَمَا هُو الوَاقِعُ اليومَ مِنَ الأَسْلِحَةِ الفَتَّاكَةِ والقَنَابِلِ المُدَمِّرَةِ، وعُلُومُ الشَّرْعِ تُعَرِّفُ بِاللهِ والدَّارِ الآخِرَةِ، وعُلُومُ البَشَرِ وتَقْنِيَاتِهِم يَغْلُبُ أَنَّها تَبْعَثُ عَلَى الغُرُورِ والجَهْلِ باللهِ وسُنَنِهِ والكَونِيَّةِ وتَنْسَى الآخِرَةَ.

ونَحْنُ لاَ نُنْكِرَ مَا فِيهَا مِنْ نَفْعٍ إِذَا اسْتُغِلَّتْ فِي الخَيرِ، وكَانَتْ بِأَيدٍ مُؤمِنَةٍ، ولَكِنْ نُنْكِرُ أَنْ تُحَاطَ بِهَالَةِ التَّقْدِيسِ وَالإكْبَارِ، ويُطْلَقَ عَلَيْهَا وعَلَى أَصْحَابِهَا العِلْمُ والعُلَمَاءُ، ويُفَسَّرَ بهَا كِتَابُ اللهِ وسُنَّةُ رَسُولِهِ.

حَتَّى لَقَدْ بَلَغَ الأَمْرُ بِبَعْضِهِم أَنْ يُخْضِعَ لَهَا نُصُوصَ الشَّرْعِ فَلاَ يَقْبَلَ مِنْ نُصُوصِ الشَّرْعِ إلاَّ مَا يُؤَيِّدُه العِلْمُ الحَدِيثُ بِزَعْمِهِ، كَمَا فَعَلَ عُلَمَاءُ الكَلاَمِ مِنْ

قَبْلُ، حَيْثُ أَخْضَعُوا نُصُوصَ الشَّرْعِ لقَضَايَا العَقْلِ. وقَالُوا قَضَايَا العَقْلِ يقينيةٌ، ونُصُوصُ الشَّرْعِ ظَنِيَّةٌ: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨].

فَالوَاجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أَلاَّ يَنْخَدِعَ بِهٰذِه الدِّعَايَاتِ وأَنْ يُعَظِّمَ كِتَابَ اللهِ وسُنَّةَ رَسولِه، كَمَا قَالَ ﷺ: «**إنَّ خيرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمدٍ ﷺ.. إلخ**»[١].

* * *

---

(١) رواه مسلم (٨٦٧) وغيره.

فِي جِهَادِ النَّفسِ وَالشَّيطَانِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَمَرَ بِالجِهَادِ وجَعَلَهُ فَرِيضَةً عَلَى جَمِيعِ العِبَادِ، بَحَسبِ الاسْتِطَاعَةِ والاسْتِعْدَادِ، وأشهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وحَدَه لاَ شَرِيكَ لَه شَهَادَةً تُنجِي مَنْ قَالَهَا وعَمِلَ بِهَا يوَمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُولُه وخِيرتهُ مِنْ جَمِيعِ العِبَادِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ البَرَرَةِ الأَمْجَادِ. وسَلَّمَ تسْلِيمَاً كَثِيرَاً إِلى يَومِ المَعَادِ. . . أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وأَطِيعُوهُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨].

وهٰذَا أَمْرٌ لِعُمُومِ المُسْلِمِينَ بِالجِهَادِ، كُلٌّ عَلَيه وَاجِبٌ مِنْه حَسبَ اسْتِطَاعَتِه، فَقَدْ أَمَرَهُم أنْ يُجَاهِدُوا فِيه حَقَّ جِهَادِه كَمَا أَمَرَهُم أَنْ يَتَّقُوه حَقَّ تُقَاتِه، والجِهَادُ أَرْبعُ مَرَاتِبٍ:

أولُها: جِهَادُ النَّفْسِ، **وثَانِيهَا**: جِهَادُ الشَّيْطَانِ. **وثَالِثُهَا**: جِهَادُ الكُفَّارِ، **ورَابِعُهَا**: جِهَادُ المُنَافِقِينَ. والأَصْلُ والأَسَاسُ هُو جِهَادُ النَّفْسِ.

فَإِنَّ العَبْدَ مَا لَمْ يُجَاهِدْ نَفْسَه أَوَّلاً، فَيَبْدَأُ بِهَا ويُلْزِمْها بِفِعْلِ مَا أُمِرَتْ بِهِ وتَرْكِ مَا نُهِيَتْ عَنه، لَمْ يُمْكِنْه جِهَادُ عَدُوِّهِ الخَارِجِيِّ، لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ جِهَادُ العَدُوِّ الخَارِجِيِّ مَعَ تَرْكِ العَدُوِّ الدَّاخِلي، ولِهٰذَا قَالَ ﷺ: **«المَجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَه فِي طَاعَةِ اللهِ، والمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ»**(١).

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ فِي خطْبَةِ الحَاجَةِ: **«ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ**

---

(١) رواه الترمذي منه «المجاهد من جاهد نفسه» وقال: حسن صحيح.

أَعْمَالِنَا»[١].

وقَالَ لِحُصَيْنِ بنِ عُبَيْدٍ: «أَسْلِمْ حَتَّى أُعَلِّمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا» فَأَسْلَمَ، فَقَالَ: قُلْ: اللَّهُم أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي»، فمَنْ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ لَمْ يَصِلْ إلى اللهِ تَعَالَى، لأنَّهَا تَحُولُ بَيْنَهُ وبَيْنَ الوُصولِ إِلَيْهِ، والنَّاسُ قِسْمَانِ: قِسْمٌ ظَفِرَتْ بِهِ نَفْسُهُ، فَمَلَكَتْهُ وَأَهْلَكَتْهُ وَصَارَ مُطِيعاً لَهَا، وَقِسْمٌ ظَفِرَ بِنَفْسِهِ فقَهَرَهَا حَتَّى صَارَتْ مُطِيعَةً لَهُ، وقَدْ ذَكَرَ اللهُ القِسْمَيْنِ فِي قَولِه تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧ـ٤١].

فَالنَّفْسُ تَدْعُو إِلَى الطُّغْيَانِ وإِيثَارِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالرَّبُّ يَأْمُرُ عَبْدَهُ بِخَوْفِهِ ونَهْيِ النَّفْسِ عَنِ الهَوىٰ، والعَبْدُ إِمَّا أَنْ يُجِيبَ دَاعِيَ النَّفْسِ فيَهْلِكَ، أَوْ يُجِيبَ دَاعِيَ الرَّبِّ فَيَنْجُوَ، والنَّفْسُ تَأْمُرُ بِالشُّحِّ وعَدَمِ الإنْفَاقِ فِي سَبيلِ اللهِ، والرَّبُّ يَدْعُو إِلَى الإنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ، فَيقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦].

فالنَّفْسُ تَسْمَحُ بِالمَلاَيينِ فِي سَبِيلِ البَذْخ والإسْرَافِ، ولاَ تَسْمَحُ بِالقِرْشِ لِلفَقِيرِ والمُحْتَاجِ، وتَارَةً أَمَّارَةً بالسُّوءِ، وتَكُونُ تارةً لَوَّامَةً تَلومُ صَاحِبَهَا بَعْدَ الوقُوعِ فِي السُّوءِ، وتَارَةً مُطْمَئِنَّةً، وَهِيَ التِي تَسْكُنُ إِلَى طَاعَةِ اللهِ ومَحَبَّتِهِ وذِكْرِهِ، فَكَونُهَا مُطْمَئِنَّةً وَصْفُ مَدْحٍ لَهَا، وَكَوْنُهَا أَمَّارَةً بِالسُّوءِ وَصْفُ ذَمٍّ لَهَا، وكَونُهَا لَوَّامةً يَنْقَسِمُ إِلَى المَدْحِ والذَّمِّ.

وَجِهَادُ النَّفْسِ يَكُونُ بِمُحَاسَبَتِهَا ومُخَالَفَتِهَا، وَفِي الحَدِيثِ: «الكَيِّسُ مَنْ

---

(١) رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) وأصحاب السنن.

دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، والعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَواهَا وتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِيَّ». ومَعْنَى (دَانَ نَفْسَهُ): حَاسَبَهَا...

وعَنْ عُمرَ بنِ الخَطَّابِ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: حَاسِبُوا أنفُسَكُم قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزنوا، فإِنَّه أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الحِسَابِ غَداً أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمُ اليَوْمَ، وتَزَيَّنُوا للعَرْضِ الأَكْبَرِ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

وقَالَ ميمُونُ بنُ مِهْرانٍ: لاَ يَكُونُ العَبْدُ تَقِيّاً حَتَّى يَكُونَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ مُحَاسَبَةً مِنَ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِهِ.

وَلِهَذَا قِيلَ: النَّفس كَالشَّرِيكِ الخَوَّانِ، إنْ لَم تُحَاسِبْه ذَهَبَ بِمَالِكَ.

وكَتَبَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ: حَاسِبْ نَفْسَكَ فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشِّدَّةِ، فَإِنَّ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشِّدَّةِ عَادَ أَمْرُهُ إِلَى الرِّضَا والغِبْطَةِ، ومَنْ أَلْهَتْه حَيَاتُه وشَغَلَتْه أَهْوَاؤُه عَادَ أَمْرُهُ إِلَى النَّدَامَةِ والحَسْرَةِ.

وقَال الحَسَنُ: وإنَّمَا خَفَّ الحِسَابُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلَى قَومٍ حَاسَبُوا أَنْفُسَهُم فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا شَقَّ الحِسَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ أَخَذُوا هٰذَا الأَمْرَ مِنْ غَيرِ مُحَاسَبَةٍ. ومما يُعِينُ الإِنْسَانَ عَلَى مُحَاسَبَةِ نَفْسِه مَعْرِفَتُهُ أَنَّهُ كُلَّمَا اجْتَهَدَ فِيهَا اليومَ اسْتَرَاحَ مِنْهَا غَداً إِذَا صَارَ الحِسَابُ إِلَى غَيْرِهِ، وكُلَّمَا أَهْمَلَهَا اليَومَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحِسَابُ غَداً، وَأَنَّهُ إِذَا حَاسَبَهَا اليَوْمَ رَبِحَ سَكَنَ الفِرْدَوْسِ غَداً، وإِذَا أَهْمَلَهَا اليَومَ فَخَسَارَتُه بِدُخُولِ النَّارِ غَداً.

فحَقٌّ عَلَى العَاقِلِ الحَازِمِ المُؤمِنِ بِاللهِ واليوم الآخِرِ أَنْ لاَ يَغْفلَ عَنْ مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ فِي حَرَكَاتِهَا وسَكَنَاتِهَا وَخُطُواتِهَا وخَطَرَاتِهَا.

ويَظهرُ التَّغَابُنُ بَيْنَ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ اليومَ ومَنْ أَهْمَلَهَا فِي يَوْمِ القِيَامَةِ. ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ يَومِ المعَادِ، وجَاهِدُوهَا فِي اللهِ حَقَّ الجِهَادِ، يَقُولُ الإمامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: جِهَادُ النَّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبٍ:

إحداها: أَنْ تُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الهُدَىٰ ودِينِ الحَقِّ الذِي لاَ فَلاَحَ لَهَا ولاَ سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا ومَعَادِهَا إلاَّ بِهِ، ومَتَى فَاتَهَا عِلْمُهُ شَقِيتَ فِي الدَّارَيْنِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ تُجَاهِدَهَا عَلَى العَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلاَّ فَمُجَرَّدُ العِلْمِ بِلاَ عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعْهَا.

الثَّالِثَةُ: أَنْ تُجَاهِدَهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وتَعْلِيمِهِ مَنْ لاَ يَعْلَمُهُ، وَإِلاَّ كَانَ مِنَ الذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الهَدَى والبَيِّنَاتِ، وَلاَ يَنْفَعُهُ عِلْمُه وَلا يُنجيه عَذَابَ اللهِ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ تَجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ وعَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوةِ إِلَى اللهِ وأَذىٰ الخَلْقِ وتَتَحَمَّلَ ذٰلِكَ كُلَّه للهِ.

فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِه المَراتِبَ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيينَ، فإنَّ السَّلَفَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ العَالِمَ لاَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى رَبَّانِياً حَتى يَعْرِفَ الحَقَّ ويَعْمَلَ بِهِ ويُعَلِّمَهُ، فَمَنْ عَلِمَ وعمِلَ وعَلَّمَ فَذَالكَ يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.

وفِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لابْنِهِ قَالَ: يَا بُنَيَّ إنَّ الإيمَانَ قَائِدٌ، والعَمَلَ سَائِقٌ، والنَّفْسَ حَرُونٌ، فَإِنْ فَتَرَ سَائِقُهَا ضَلَّتْ عَنِ الطَّرِيقِ، وإنْ فَتَرَ قَائِدُهَا حَرَنَتْ، فَإِذَا اجتمعَا اسْتَقَامَتْ.

إِنَّ النَّفْسَ إِذَا أُطْمعَتْ طَمِعَتْ، وإِذَا فُوِّضَتْ إِلَيْها أَسَاءَتْ وإِذَا حَمَلْتَهَا عَلَى

مْرِ اللهِ صَلَحتْ، وَإذَا تَرَكْتَ الأَمْرَ إِلَيْهَا فَسَدَتْ، فَاحْذَرْ نَفْسَكَ وَاتَّهِمْهَا عَلَى دِينِكِ، وأَنْزِلْهَا مَنْزِلَةَ مَنْ لاَ حَاجَةَ لَه فِيهَا ولاَ بُدَّ لَهُ مِنْهَا، وإنَّ الحَكِيمَ يُذِلُّ نَفْسَهُ بِـمَكَارِهِ حَتَّى تَعْتَرِفَ بِالَحقِّ، وإنَّ الأَحْمَقَ يُخَيِّرُ نَفْسَهُ فِي الأَخْلاَقِ، فَمَا أَحَبَّتْ مِنْهَا أَحَبَّ ومَا كَرِهَتْ مِنْهَا كَرِهَ. . .

عِبَادَ اللهِ: لاَ شَكَّ أَنَّ النَّفْسَ تَكْرَهُ مَشَقَّةَ الطَّاعَةِ، وإِنْ كَانَتْ تَعْقُبُ لَذَّةً دَائِمَةً، وتُحِبُّ لَذَّةَ الرَّاحَةِ وإِنْ كَانَتْ تَعْقُبُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً، فَهِي تَكْرَهُ قِيَامَ اللَّيْلِ وصِيَامَ النَّهَارِ، وتَكْرَهُ التَّبْكِيرَ فِي الذِّهَابِ إِلَى المَسْجِدِ، فَكَمْ مِنْ شَخْصٍ يَجْلِسُ السَّاعَاتِ فِي المَقَاهِي والأَسْوَاقِ ويَبْخَلُ بِالدَّقَائِقِ القَلِيلَةِ يَجْلِسُهَا فِي المَسْجِدِ، تَكْرَهُ إِنْفَاقَ المَالِ فِي طَاعَةِ اللهِ، وتَكْرَهُ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

تَكْرَهُ الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ والدَّعوَةَ إِلَى اللهِ، تَكْرَهُ القِيَامَ بِالإِصْلاَحِ بَيْنَ النَّاسِ، وهَكَذَا مَا مِنْ طَاعَةٍ إِلاَّ ولِلنَّفْسِ مِنْهَا مَوقِفُ المُمَانِعِ المُعَادِي، فَإِنَ أَنْتَ أَطعْتَهَا أَهْلَكَتْكَ وخَسِرْتَهَا. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر: ١٥].

إنْ أَنْتَ أَطَعْتَهَا فَقَدْ ظَلَمْتَهَا حَيْثُ عَرَّضْتَها لسَخَطِ اللهِ وعِقَابِهِ وأَهَنْتَهَا، وأَنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ أَكْرَمْتَهَا حَيْثُ أَعْطَيْتَهَا مَا تَشْتَهِي، وَأَرَحْتَهَا مِنْ عَنَاءِ العَمَلِ ومَشَقَّتِهِ فَحَرَمْتَهَا مِنَ الثَّوَابِ.

عِبَادَ اللهِ: والعَدُوُّ الثَّانِي بَعْدَ النَّفْسِ هُو الشَّيْطَانُ، عَدُوُّ أَبِينَا آدَمَ، وعَدُوُّ البَشَرِيَّةِ كُلِّهَا وَقَدْ حَذَّرَنَا اللهُ مِنْهُ، فَقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

وقَدْ أَمَرَنَا اللهُ بالاسْتِعَاذَةِ مِنْهُ، ومَعْنَاهَا أَنْ نَسْتَجِيرَ بِاللهِ مِنْ شَرِّه، فإنَّ الشَّيْطَانَ الجِنِّيَّ لاَ يَكُفُّه عَنِ الإنْسَانِ إلاَّ اللهُ، فَانَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَكُونُ مِنَ الجِنِّ، وقَدْ يَكُونُ مِنَ الإنْسِ، وقَدْ يَكُونُ مِنَ الدَّوَابِّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وَهُم يَتَعَاوَنُونَ عَلَى إِهْلاَكِ بَنِي آدَمَ:

شَيْطَانُ الجِنِّ بِالوَسْوَسَةِ والإغْرَاءِ بِالشَّرِّ وَالتَّخْذِيلِ عَنِ الخَيْرِ، وَهُو عَدُوٌّ خَفِيٌّ لاَ يَرَاهُ الإنْسَانُ لأَنَّهُ يَجْرِي مِنْهُ مَجرَى الدَّمِ كَمَا قَالَ تعالَى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وَلاَ يَمْنَعُ مِنْهُ جُدْرَانٌ وَلاَ أَبْوَابٌ، وَإِنَّمَا يَمْنَعُ مِنْه ذِكْرُ اللهِ.

وَأَمَّا الشَّيْطَانُ الإنْسِيُّ فَيَرَاهُ الإنْسَانُ ويُجَالِسُهُ ويُكَلِّمُه وَيَتَلبَّسُ بِلبَاسِ الدِّينِ وَالإنسَانِيةِ، وَمَا أَكْثَرَ شَيَاطِينِ الإنْسِ اليَومَ، ومَا أَكْثرَ دعَايَتِهِم لِلشَّرِّ فَهُمْ يَدْعُونَ إِلَيْهِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ، يَدْعُونَ إِلَى الإبَاحِيَّةِ والرَّذِيلَةِ بِاسْمِ الحُرِّيةِ، يَدْعُونَ النِّسَاءَ إِلى الخُرُوجِ مِنَ البُيوتِ، وإِلَى العرْيِ والسُّفُورِ بِاسمِ إِخْرَاجِهَا مِنَ الكَبْتِ، ويَدْعُونَ إِلَى سَمَاعِ الأَغَانِي والمَزَامِيرِ وتَعَاطِي المُخَدِّرَاتِ وَشُرْبِ الخُمُورِ بِاسْمِ التَّرْفِيهِ، ويَدْعُونَ إِلَى إِضَاعَةِ الصَّلاَةِ وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ وَتَرْكِ الجُمَعِ والجَمَاعَاتِ بِاسْمِ التَّسَامُحِ، ويَدْعُونَ إِلَى تَعْطِيلِ الشَّرِيعَةِ وتَحْكِيمِ القَوانِينِ بِاسْمِ العَدَالَةِ والمُرُونَةِ، ويَدْعُونَ إِلَى الشِّرْكِ والبِدَعِ ويُحَذِّرُونَ مِنَ التَّوحِيدِ والتَّمَسُّكِ بِالسُّنَنِ بِاسْمِ حُرِّيةِ الرَّأْيِ وتَرْكِ الجُمُودِ، ويَأْمُرُونَ بِالمُنْكَرِ ويَنهَونَ عنِ المَعْرُوفِ، ويَقِفُونَ فِي طَرِيقِ الدَّعوةِ إِلَى اللهِ، ويَصُدُّونَ عِنْ سَبيلِ اللهِ ويُشَجِّعُونَ العُصَاةَ، ويُهِينُونَ أَهْلَ

الطَّاعَاتِ مِنَ المُؤْمِنينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، ويُحَاوِلُونَ تَعْطِيلَ الحُدُودِ بِاسْمِ مُسَايَرة لأُمَمِ المُتَحَضِّرَةِ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً. أولئِكُمْ هُمْ شَياطينُ الإنسِ وهَذه أَعْمَالُهُم وعَلامَاتُهم وهُم مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ وأَعْوانِه وإِخْوانِه، فَاحْذَرُوهُم وَجَاهِدُوهُم حَتَّى تُوقِفُوا زَحْفَهُم إِلَى بُيوتِكُمْ وَمُجْتَمَعَاتِكُم.

لَكِنِ اعْلَمُوا يَا عِبَادَ اللهِ أَنَّ الشَّيْطَانَ الجنيَّ لاَ تَمْنَعُ مِنْه الحُجُبُ والأَبْوابُ، ولاَ يُدْفَعُ إِلاَّ بِالاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ مِنْهُ ومِنْ شَرِّهِ، والشَّيْطَانُ الإِنْسِيُّ تَمْنَعُ مِنْهُ الحُجُبُ والأَبْوابُ ويَدْفَعُ بالحَذَرِ مِنْهُ والابْتِعَادِ عَنْهُ وهَجْرِهِ، والرَّدُّ عَلَى مَا يُدْلِي بِه مِنَ الشُّبَهِ والمَقَالاَتِ، والأَخْذ عَلَى يَدِهِ ومَنْعِه بِالقُوَّةِ مِنْ تَنفيذِ مُخَططَاته، والتَّنَبُّهِ لِكَيْدِهِ ومَكْرِه.

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ هٰذَا الآدَمِيَّ وَاخْتَارَهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ البَرِيَّةِ وجَعَلَ قَلْبَهُ مَحلَّ كُنُوزِهِ مِنَ الإِيمَانِ والتَّوحِيدِ والإِخْلاَصِ والمَحَبَّةِ والحَيَاءِ والتَّعْظِيمِ والمُرَاقَبَةِ، وجَعلَ ثَوابَهُ إِذَا قَدمَ عَلَيه أَكْمَلَ الثَّوابِ وأَفْضَلَهُ، وهُو النَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ وَالفَوْزُ بِرِضْوَانِهِ ومُجَاوَرَتِهِ فِي جَنَّتِهِ، وَكَانَ مَعَ ذٰلكَ قَدِ ابْتَلاَهُ بِالشَّهوةِ والغَضَبِ والغَفْلَة، وَابْتَلاَهُ بِعَدُوِّهِ إِبْلِيسَ لاَ يَفْتُرُ عَنْهُ، فَهُو يَدْخُلُ عَلَيه مِنَ الأَبوابِ التِي هِي مِنْ نَفْسِهِ وَطَبْعِهِ، فَتَمِيلُ نَفْسُه مَعَهُ، لأَنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْهَا بِمَا تُحِبُّ، فَيَتَّفِقُ هُو نَفْسُهُ وهَوَاهُ عَلَى العَبْدِ: ثَلاثَةٌ مُسلَّطُونَ آمِرُونَ. فَاقْتَضَتْ رَحْمَةُ رَبِّه العَزِيزِ الرَّحِيمِ أَنْ أَعَانَهُ بِجُنْدٍ آخَرِينَ يُقَاوِمُ بِهم هَؤلاَءِ الجُنْدَ الذِينَ يُرِيدُونَ هَلاَكَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولَه، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ، وَأَيَّدَهُ بِمَلَكٍ كَرِيمٍ يُقَابِلُ عَدْوَّه مِنَ الهَلاَكِ، فَهٰذَا يُلِمُّ بِهِ مَرَّةً، وهٰذَا مَرَّةً، والمَنْصُورُ مَنْ نَصَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ. والمَحْفُوظُ مَنْ حَفِظَه اللهُ تَعَالَى، وجَعلَ لَهُ مُقَابلَ نَفْسِهِ الأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ نَفْساً مُطْمَئِنَّةً إِذَا أَمَرَتْهُ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ نَهَتهُ عَنْهُ النَّفْسُ المطْمَئِنَّةُ. وإِذَا نَهَتْهُ عَنِ الخَيْرِ أَمَرَتْهُ بِهِ النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ... وَجَعلَ لَهُ

مُقَابِلَ الهَوَى الحَامِلَ عَلَى طَاعَةِ الشَّيْطَانِ والنَّفْسِ الأَمَّارَةِ نُوراً وَبَصِيرَةً وَعقْلاً يَرُدُّه عَنِ الذّهَابِ مَعَ الهَوىٰ.

فَالْحَمْدُ للهِ الذي رَدَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ بِاتِّبَاعِ السُّنةِ والقُرْآنِ.

أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَنٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [الشمس: ١ـ١١].

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ مُعِيذِ مَن اسْتَعَاذَ بِهِ ومُجِيرِ مَنِ الْتَجَأَ إِلَى جَنَابِه، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَه لاَ شَرِيكَ لَهُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه أَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً بَشِيراً وَنَذِيراً وَأَنْزَلَ عَلَيه كِتَابَهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِه، وسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.. أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ، وكُونُوا مِنْ حِزْبِهِ: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

عِبَادَ اللهِ: هُنَاكَ حِزْبَانِ: حِزْبُ اللهِ تعَالَى.. وحِزْبُ الشَّيْطَانِ.

فَحِزْبُ اللهِ: هُمُ الذِينَ آمَنُوا بِهِ واتَّبَعُوا رُسُلَه وجَاهَدُوا فِي سَبِيلِهِ...

وَحِزْبُ الشَّيْطَانِ: هُمُ الذِينَ آمَنُوا بِالبَاطِلِ وكَفَرُوا بِاللهِ، أُولئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ.. واللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ. ورَسُولُه يَدْعُو إِلَى الإِسْلاَمِ، والشَّيْطَانُ يَدْعُو حِزْبَه لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٢].

فَمَنِ اسْتَجَابَ لِدَعْوَةِ اللهِ فَهُو مِنْ حِزْبِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ

فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

ومَنِ اسْتَجَابَ لِدَعوَةِ الشَّيْطَانِ فَأَضَاعَ الصَّلاَةَ وَاتَّبَعَ الشَّهَواتِ واسْتَمَعَ إِلَى أَصْوَاتِ المَعَازِفِ وَالقيناتِ بَدَلاً مِنَ الاسْتِمَاعِ إِلَى السُّورِ وَالآيَاتِ وأَضَاعَ الأَوْقَاتِ بِاللَّهْوِ والغَفَلاَتِ. فَلاَ شَكَّ أَنَّهُ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ، لاَ سِيَّمَا إِذَا صَارَ مَعَ ذٰلكَ يَدْعُو إِلَى البَاطِلِ وَيُحَاوِلُ صَرْفَ المُسْلِمِينَ عَنْ كِتَابِ رَبِّهِم وسُنَّةِ نَبِيِّهِم وَيَجْلِبُ المَبَادِىءَ الهَدَّامَةَ، وَالأَفْكَارَ المُنْحَرِفَةَ إلى مُجْتَمَعِ المُسْلِمِينَ، فَاحْذَرُوا حِزْبَ الشَّيْطَانِ، واسْتَعِيذُوا باللهِ مِنْ شَرِّهِم، ولاَ تَنْخَدِعُوا بِدعَايَاتِهِم وَمَظَاهِرِهِم مَهْمَا تَظَاهَرُوا لَكُمْ بِالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ. فَقَدْ قَالَ قَائِدُهُم وَإِمَامُهُم إِبْلِيسُ لِأَبِينَا آدَمَ عَلَيه السَّلامُ: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

بَلْ غَرَّرَ بِالأَبَوَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ بِأَنْ حَلَفَ لَهُمَا أَنَّهُ لاَ يُرِيدُ لَهُمَا إِلاَّ النُّصْحَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

فَانْخَدَعَا بِذٰلِكَ وَوَقَعَا فِي المَعْصِيَةِ التِي حَذَّرَهُمَا اللهُ مِنْهَا وَعُوقِبَا بِالإِخْرَاجِ مِنَ الجَنَّةِ ثُمَّ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمَا بِالتَّوْبَةِ.

وقَدْ حَذَّرَكُم اللهُ مِنْ هٰذَا العَدو فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وَجُنُودُ الشَّيْطَانِ وأَعْوانُه اليَوْمَ كَثِيرُون يَدْعُونَ إِلَى الإِبَاحِيَّةِ والكُفْرِ والضَّلاَلِ بِاسْمِ التقدُّمِ والرُّقِيِّ والحَضَارَةِ، وقَدِ انْخَدَعَ بِهِم كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إلاَّ مَنْ رَحِمَهُ اللهُ...

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ واحْذَرُوا مِنْ دَسَائِسِ الشَّيْطَانِ وأَعْوانِهِ، واعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ... إلخ.

فِي الحَسَنَةِ والسَّيئَةِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، يَقْبَلُ التَّوبةَ مِنْ عِبَادِهِ، ويَعْفُو عَنِ السَّيئَاتِ، ويَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ الصَّادِقُ المَأْمُون، صَلَّى اللهُ عَلَيه وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ خَيرِ القُرُونِ. وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهُ تَعَالَى وَأَكْثِرُوا مِنَ الحَسَنَاتِ، فَإِنَّهَا طَرِيقُ النَّجَاةِ، وتُوبُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ قَبْلَ المَمَاتِ، فإنَّها طَرِيقُ الهَلَكَاتِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٨٩ـ٩٠].

فَفِي هٰذِه الآيةِ الكَرِيمَةِ حَثٌّ عَلَى فِعْلِ الحَسَنَاتِ، وأَنَّ اللهَ قَدْ وَعدَ فَاعِلَهَا بِوَعْدَيْنِ كَرِيمَيْنِ:

الأَوّلُ: أَنْ يَجْزِيَهُ خَيْراً، وذَلكَ بِمُضَاعفَتِهَا إِلَى عَشْرِ حَسَنَاتٍ وَإِلى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وَالوَعْدُ الثَّانِي: أَنَّ اللهَ يُؤَمِّنُه مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ يَوْمَ القِيَامةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وَفِي هٰذَا أَكْبَرُ حَافِزٍ عَلَى فِعْلِ الحَسَنَاتِ وَالإِكْثَارِ مِنْهَا:

وَفِي الآيةِ الكَرِيمَةِ التَّحْذِيرُ مِنَ السَّيئَاتِ، وأَنَّ مَنْ جَاءَ بالسَّيئةِ كُبَّ وَجْهُهُ فِي النَّارِ، وهَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ وبَيَانٌ أَنَّ السيئاتِ طَرِيقٌ إِلَى النَّارِ، وذٰلكَ مِمَّا يُوجِبُ

الحَذَرَ مِنَ السَّيئاتِ وَالابتعادَ عَنْهَا، وَمَنْ وَقَعَ فِي شَيءٍ مِنْهَا فَإِنَّهُ يَجبُ عَلَيه المُبَادَرَةُ بِالتَّوبَةِ مِنْهَا.

وَالنَّاسُ عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْسَامٍ: أَصْحَابُ حَسَنَاتٍ فَقَط وَلَيْسَ لَهُم سَيئَاتٌ، وَهْؤُلاَءِ فِي الجَنَّةِ، وَأَصْحَابُ سَيئاتٍ فَقَط وَلَيْسَ لَهُم حَسَنَاتٌ، وَهؤُلاَءِ فِي النَّارِ وَأَصْحَابُ سَيئَاتٍ وَحَسَنَاتٍ، وهَؤلاءِ قِسْمَانِ:

مَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ فَهَذَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ.

وَمَنْ رَجَحَتْ سَيئَاتُهُ، هٰذَا مِنْ أَهْلِ النَّار، قَالَ تعَالَى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٤].

والحَسَنَاتُ أَقْسَامٌ وَالسَّيئَاتُ أَقْسَامٌ:

فَأَعْظَمُ أَقْسَامِ الحَسَنَاتِ:

حَسَنةُ التَّوحِيدِ: وقَدْ قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: إِنَّهَا هِي المَعْنِيَّةُ بِهَذِه الآية: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل: ٨٩].

قال قتادة: من جاء بالإخلاص. وقال زين العابدين: من جاء بلاء إله إلا الله.

وَفِي «الصَّحِيحَين» مِنْ حَدِيثِ عِتْبَان -رضي الله عنه- «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ يَبْتَغِي بِذٰلِكَ وَجْهَ اللهِ»[1].

وعَن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ -رضي اللهُ عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخلَ الجَنَّةَ»[2] وَهَذِهِ الحَسَنَةُ قَدْ يُكَفِّرُ اللهُ بِهَا جَمِيعَ السَّيئَاتِ، كَمَا

---

(١) رواه البخاريُّ (٤٢٥)، ومسلمٌ (٢٦٣).

(٢) رواه البخاريُّ (١٢٩).

رَوَىٰ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ ـ رضي الله عنه ـ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شِيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[1].

قَالَ العَلاَّمَةُ ابْنُ القَيِّمِ فِي مَعْنَى هَذَا الحَدِيثِ: ويُعْفَى لِأَهْلِ التَوحِيدِ المَحْضِ الذِي لَمْ يَشُوبُوهُ بِالشِّرْكِ مَا لاَ يُعْفَى لِمَنْ لَيْسَ كَذٰلِكَ، فَلَوْ لَقِيَ ـ المُوحِّدُ الذِي لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئاً البَتَّةَ ـ رَبَّه بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا أَتَاهُ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً، وَلاَ يَحْصُلُ هَذَا لِمَنْ نَقُصَ تَوْحِيدُه، فَإِنَّ التَّوحِيدَ الخَالِصَ الذِي لاَ يَشُوبُه شِرْكٌ لاَ يَبْقَى مَعَه ذَنْبٌ، لأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ وَإِجْلاَلِهِ وتَعْظِيمِهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِه، مَا يُوجِبُ غَسْلَ الذُّنُوبِ وَلَوْ كَانَتِ قُرَابَ الأَرْضِ، فَالنَّجَاسَةُ عَارِضَةٌ والدَّافِعُ لَهَا قَوِيٌّ.

والقِسْمُ الثَّانِي: بَعْدَ حَسَنَةِ التَّوحِيدِ: الحَسَنَاتُ المَفْرُوضَةُ كَالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ والزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ بَيْتِ الله الحَرَامِ وَسَائِرِ الحَسَنَاتِ الوَاجِبَةِ كَبِرِّ الوَالِدَيْنِ وَصِلَةِ الأَرْحَامِ وَإِكْرَامِ الضَّيْفِ وَالجَارِ إِلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ.

وَالقِسْمُ الثَّالِثُ: الحَسَنَاتُ المُسْتَحَبَّةُ مِنْ فِعْلِ نَوَافِلِ العِبَادَاتِ، فَإِنَّهَا تَكْمُلُ بِهَا الوَاجِبَاتُ، وَتُرْفَعُ بِهَا الدَّرَجَاتُ.

وَكَمَا أَنَّ الحَسَنَاتِ أَقْسَامٌ، فَالسَّيِّئَاتُ أَقْسَامٌ كَذٰلِكَ: وَأَعْظَمُ أَقْسَامِ السَّيِّئَاتِ:

سَيِّئَةُ الشِّرْكِ: وَقَدْ قال بَعْضُ المُفَسِّرِينَ فِي هٰذِه الآيةِ: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ

---

(١) رواه الترمذيُّ (٣٥٣٤) وَحَسَّنَهُ.

﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٩٠].

إنَّ المُرَادَ بِهَا سَيئةُ الشِّرْكِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وَقَالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضيَ اللهُ عَنهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وهُو يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخلَ النَّارَ» رَواهُ البُخَارِيُّ[1]..

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أنَّ الشِّرْكَ أَعْظَمُ الذنُوبِ، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَخبَرَ أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُهُ لِمَنْ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ، وأنَّ اللهِ حَرَّمَ الجَنَّةَ عَلَى المُشْرِكِ وَجَعَلَ النَّارَ مَأْوَاهُ وَمَصِيرَهُ خَالِداً فِيهَا، وَذٰلِكَ ممَّا يُوجِبُ عَلَى المُسْلِمِ شِدَّة الخَوْفِ مِنَ الوقُوعِ فِي الشِّرْكِ، وبَعْضُ النَّاسِ قَدْ يَقَعُ فِي الشِّرْكِ لِتَحْصِيلِ بَعْضِ الأَغْرَاضِ، كَأَنْ يَذبَحَ لِلْجِنِّ، أَوْ يَفعَلَ شَيْئاً مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ لِأجْلِ العِلاَجِ وَشِفَاءِ المَرَضِ، أَوْ يَسْأَلَ الكُهَّانَ عَنْ بَعْضِ الأَشياءِ الغَائِبَةِ وَيُصَدِّقَهُم فِيمَا يَقُولُونَ..

وَمِنَ المُنْتسِبِينَ إِلَى الإِسْلاَمِ مَنْ يَسْتَغِيثُ بِالأَمواتِ وَيَطْلُبُ مِنْهُم قَضَاءَ الحَاجَاتِ وتَفْرِيجِ الكُرُبَاتِ، وَهٰؤُلاَءِ قَدْ أَتوا بِمَا يُخرِجُهُم مِنَ الإِسْلاَمِ، ويُلْحِقُهم بِعبَدةِ الأَصْنَامِ، وَأتَوْا بِالسَّيئةِ التِي لاِ تَنْفَعُ مَعَهَا طَاعةٌ وَلاَ تَصِحُّ مَعَهَا عِبَادَةٌ إِلاَّ أَنَّ يَتُوبُوا إِلَى اللهِ تَعَالَى.

القِسْمُ الثَّانِي مِنْ أَقْسام السَّيئةِ: سَيئةُ الكُفرِ، وَهُو الجُحُودُ والخُرُوجُ مِنَ الدِّينِ وَهُو نَوْعَانِ:

كُفْرٌ أَصْلِيٌّ: وَهُو الذِي لاَ يَدِينُ صَاحِبُهُ بِدِينٍ صَحِيحٍ، **وَكُفْرُ رِدَّةٍ:** وهُو الذِي

---

(١) رواه البخاريُّ (٤٤٩٧).

كَانَ صَاحِبُهُ عَلَى دِينِ الإِسْلَامِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ بِارْتِكَابِ نَاقِضٍ مِنْ نَوَاقِضِ الإِسْلَامِ كَأَنْ يَسْتَهْزِىءَ بَالدِّين أَوْ بِالرَّسُولِ، أَوْ يَسُبَّ الدِّينَ أَوْ الرَّسُولَ، أَوْ يَتَعَلَّمَ السِّحْرَ أَوْ يُعَلِّمَه، أو يدعي علم الغيب أو يصدق من يدعي ذلك، أو يدعي النبوة أو يصدق من يدعيها أَوْ يَرَىٰ أَنَّ حَكُمَ غَيْرِ اللهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِ اللهِ، أَوْ غير ذَلكَ مِنْ أَسْبَابِ الرِّدَةِ.

القِسْمُ الثَّالِثُ مِنْ أَقْسَامِ السَّيئةِ: سَيئة الفُسُوقِ وَهُو المَعَاصِي التِي دُونَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ، وذٰلكَ بِفِعْلِ شَيءٍ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، كَالزِّنَىٰ، والسَّرِقَةِ، وَشُرْبِ المُسْكِرَاتِ، وتَعَاطِي المُخَدِّرَاتِ، وقَذْفِ المُحْصنَاتِ، وغَيرِ ذَلكِ مِمَّا رُتِّبَ عَلَيْهِ حَدٌّ فِي الدُّنْيَا، أَوْ وَعِيدٌ فِي الآخِرَةِ، أَوْ لُعِنَ فَاعِلُه، أَوْ تُوُعِّدَ بالغَضَبِ أو النَّارِ، والكَبَائِرُ كَثِيرَةٌ، ومِنْهَا: الغِيبَةُ والنَّمِيمَةُ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ.

والقِسْمُ الرَّابعُ مِنْ أَقْسَامِ السَّيئَةِ: سَيئةُ المَعَاصِي التِي هِي دُونَ الكَبَائِرِ، وهِي مَا يُسَمَّى بَالصَّغَائِرِ، وَيُسَمَّى بَاللَّمَمِ، وَهِي خَطِيرَةٌ، لأَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَتَسَاهَلُ فِيهَا، وَهِي إِذَا تَجَمَّعَتْ عَلَى الإِنْسَانِ تُهْلِكُهُ. وَفِي الحَدِيثِ: «**إِيَّاكُم ومُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِباً**»[1] وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلِف: إِنَّ الإِصْرَارَ عَلَى الصَّغِيرَةِ يُصيِّرُها كَبِيرَةً، وقَالَوا: لاَ كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ وَلاَ صَغِيرَة مَعَ إِصْرَارَ، وَيَتَضَمَّنُ هٰذِه الأَقْسَامَ الثَّلاَثَةَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ [الحجرات: ٧].

فَالمُؤْمِنُ يَكْرَهُ السَّيئةَ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا، وَفِي الحَدِيثِ: «**مَنْ سَرَّتْه حَسَنَتُه**

(١) رواه النسائي في الرقائق وابن ماجة (٤٢٤٣) وغيرهما.

وَسَاءَتْه سَيِّئَتُهُ فهو مُؤْمِنٌ»(١).

فَالمُؤْمِنُ تَسُرُّهُ الحَسَنَةُ، لأَنَّهَا مَحْبُوبَةٌ للهِ تَعَالَى: وَالمُؤْمِنُ يُحِبُّ مَا يُحبُّه رَبُّه، وَلأَنَّهَا تُقرِّبُه مِنَ اللهِ فيُكْثِرُ مِنَ الحَسَنَاتِ وَيكْرَهُ السَّيِّئَةَ لأَنَّ الله يَكْرَهُهَا، والمُؤْمِنُ يَكْرَهُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ. ولِأَنَّ السَّيئَةَ تُبْعِدُه عَن اللهِ، وَإذَا كَرِهَ السَّيِّئَةَ حَمَلَه ذٰلِكَ عَلَى تَرْكِها والتَّوْبَةِ مِنْهَا، وَهٰذَا بِخِلاَفِ الكَافِرِ والمُنَافِقِ، فَإِنَّ كُلاًّ مِنْهُمَا يَكْرَهُ الطَّاعَةَ وَيَفْرَحُ بِالْمَعْصِيَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۖ ﴾ [فاطر: ٨]، وَكَمَا قَالَ تعالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧ ﴾ [التوبة: ٣٧].

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وأَكْثِرُوا مِنَ الحَسَنَاتِ، وَتُوبُوا مِنْ جَمِيعِ السَّيئَاتِ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلكُم فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ عَلَى فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، يَحِبُّ المُحْسِنِينَ، وَيَقْبَلُ تَوْبَةَ المُسِيئِينَ، وَيَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ وَحْدَه لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً

---

(١) رواه الطبرانيُّ عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ والحديث صحيحٌ انظر «صحيح الجامع» (٦٢٩٤).

عَبْدُهُ وَرَسُولُه. صَلَّى اللهُ عَلَيه وَعَلَى آلِه وَأَصْحَابِه أَجْمَعِينَ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً إِلَى يَومِ الدِّينِ. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وَانْظُرُوا فِي أَعْمَالِكُم وَسَدِّدُوا أَقْوَالَكُم، فَإِنَّها تُحْصَى وَتُكْتَبُ عَلَيْكُم وَتُحَاسَبُونَ بِهَا وَتُجَازَونَ عَلَيْهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ والسَّيئاتِ، ثُمَّ بيّن ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلها كَتَبَهَا اللهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيئةً وَاحِدَةً» رواه البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[1].

وَقَدْ دَلَّ هٰذَا الحَدِيثُ عَلَى أَنَّ عَمَلَ العَبْدِ يُكْتَبُ كُلُّه خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، وَيَسْتَوِي فِي ذَلِكَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ فِي قَلْبِهِ وَلَمْ يَعْمَلْه، وَمَا عَزَمَ عَلَيْهِ وَعَمِلَه، لَكِنْ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ مِنَ الخَيرِ وَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ عَمَلِهِ يُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةً، وَمَا عَزَمَ عَلَيْهِ وَعَمِلَهُ يُكْتَبُ: الحَسنَةُ بِعَشْرِ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ لاَ يَعْلَمُهَا إِلا اللهُ . . . وَمَا هَمَّ بِهِ مِنَ السَّيئَاتِ وَتَرَكَه خَوْفاً مِنَ اللهِ كَتَبَهُ اللهُ لَهُ حَسَنَة كَامِلَةً، وَمَا هَمَّ بِهِ وَعَمِلَهُ كَتبهُ اللهُ سَيئةً وَاحِدَةً.

قَالَ الإِمَامُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: اعْلَمْ أَنَّ السَّيئةِ عَلَى ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ:

تَارَة يتْرُكُهَا للهِ، فَهَذَا تُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةٌ عَلَى كَفِّه عَنْهَا للهِ تَعَالَى، وهَذا عَمَلٌ وَنِيَّةٌ كَمَا

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٤٩١)، ومسلمٌ (١٣٠).

بِهِ وَعَمِلَهُ كَتبهُ اللهُ سَيئةً وَاحِدَةً.

قَالَ الإِمَامُ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: اعْلَمْ أَنَّ السَّيئةِ عَلَى ثَلاثَةِ أَقْسَام: تَارَة يَتْرُكُهَا للهِ، فَهَذَا تُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةٌ عَلَى كَفِّه عَنْهَا للهِ تَعَالَى، وهَذا عَمَلٌ وَنِيَّةٌ كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الصَّحِيحِ: «فإنَّمَا يَتْرُكُهَا مِنْ جَرَّائي» أَي: مِنْ أَجْلِي.

وَتَارةٌ يَتْرُكُهَا عَجْزاً وَكَسَلاً عَنْهَا بَعْدَ السَّعْيِ فِي أَسْبَابِهَا وَالتَّلبُّسِ بِمَا تُقَرِّبُ مِنْهَا، فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ فَاعِلِهَا، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَن النبي ﷺ أَنَّه قَالَ: «إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ والمَقْتُولُ فِي النَّارِ» قِيلَ: يَارَسُولَ اللهِ، هٰذَا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: «إنَّهُ كَانَ حَرِيصاً عَلَى قَتْلِ صَاحِبِه»[1].

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وأَحْسِنُوا نِيَّاتِكم وأَعْمَالِكُم يُضَاعِفِ اللهُ لَكُمْ أُجُورَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيئَاتِكُم، وَاعلَمُوا أَنَّ خَيرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ.. إلخ.

* * *

(١) رواه البخاريُّ (٣١)، ومسلمٌ (٢٨٨٨).

فِي الحَث عَلَى العَمَلِ الصَّالِح

الحَمْدُ للهِ الذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، وَلَه الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُو الحَكِيمُ الخَبِيرُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَه، خَلَقَ المَوتَ والحَيَاةَ لِيَبْلُوكُم أَيكُمْ أَحْسَنُ عملاً، وَهُو العَزِيزُ الغَفُورُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُوله، البَشِيرُ النَّذِيرُ، والسِّرَاجُ المُنِيرُ، صَلَّى اللهُ عَلَيه وَعَلَى آلِه وَأَصْحَابه وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَومِ البَعْثِ والنُّشُورِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمَاً كَثيراً. . .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى: ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [البقرة: ٢٢٣].

عِبَادَ اللهِ: إنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ فِي هَذِه الحَيَاةِ لِيَعْمَلَ، ثُمَّ يُبْعَث يَومَ القِيَامَةِ لِيجْزَىٰ عَلَى عَمَلِهِ، فَهُو لَمْ يُخْلَق عَبَثاً، وَلَنْ يُتْرَك سُدَىً، وَالسَّعِيدُ مَنْ قَدَّمَ لِنَفْسِهِ خَيْرَاً، يَجِدُهُ عِنْدَ اللهِ ذُخْرَاً، وَالشَّقِيُّ مَنْ قَدَّمَ لِنَفْسِهِ شَرَّاً تَكُونُ عَاقِبَتُهُ خُسْرَاً.

فَانْظُرُوا فِي أَعْمَالِكُمْ وَحَاسِبُوا أَنْفُسكُمْ قَبْلَ انْقِضَاءِ أَعْمَارِكُمْ، فَإِنَّ المَوْتَ نِهَايَةُ العَمَلِ وَبِدَايَةُ الجَزَاءِ، والمَوتَ قَرِيبٌ لاَ تَدْرُونَ مَتَى نُزُولُه، وَالحِسَابَ دَقِيقٌ لاَ تَدْرُونَ مَتَى حُلُولُه، وَالشَّيْبَ نَذِيرُ المَوتِ فَاسْتَعِدوا لَه، وَمَوتَ الأَقْرَانِ عَلاَمَةٌ عَلَى قُرْبِ مَوْتِ أَقْرَانِهم، فَتَذَكَّرُوا المَوتَ، واعْمَلُوا لِمَا بَعْدَه مِمَّا أَنْتُم قَادِمُونَ عَلَيه وَمُقِيمُونَ فِيهِ، وَلاَ تَنْشَغِلُوا عَنْهُ بِمَا أَنْتُم رَاحِلُونَ عَنْهُ وَتَارِكُوه، وَلاَ تَغُرَّنَّكُم الآمَالُ الطِّوَالُ، وَتَنْسَوْا حُلُولَ الآجَالِ، فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ أَمَلاً لاَ يدْرِكُهُ، وَكَمْ مِنْ مُصْبِحٍ فِي يَوْمٍ لاَ يُدْرِكُ غُرُوبَه، وَمُمْسٍ فِي لَيْلٍ لاَ يُدْرِكُ صَبَاحَهُ، وَكَمْ مَنْ

يَتَمَنَّىٰ عِنْدَ المَوتِ أَنْ يُتْرَكَ قَلِيلاً لِيُصْلِحَ مَا أَفْسَدَ، وَيَسْتَدْرِكَ مَا ضَيَّعَ فَيُقَالُ لَهُ: هَيْهَاتَ، إِنَّ مَا تَتَمَنَّى قَدْ فَاتَ، وَقَدْ حَذَّرْنَاكَ قَبْلَ ذَلِكَ وَأَنْذَرْنَاكَ. بِأَنْ لاَ رُجُوعَ هُنَاكَ. قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١ ﴾ [المنافقون: ٩ـ١١].

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَنْتَهِي عَمَلُهُ عِنْدَ حُلُولِ أَجَلِهِ، وَهُنَاكَ أَعْمَالٌ خَيرِيَّةٌ يَسْتَمِرُّ نَفْعُهَا وَأَجْرُهَا لِصَاحِبهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ، وهِيَ أَعْمَالٌ عَمِلَهَا فِي حَيَاتِهِ وَاسْتَمَرَّ نَفْعُهَا بَعْدَ مَمَاتِهِ، فَمَا دَامَ نَفْعُها مُسْتَمِراً فَإِنَّ أَجْرَهَا يَجْرِي لِصَاحِبِهَا مَهْمَا طَالَتْ مُدَّتُهَا، وَهِيَ كُلُّ مَشْرُوعٍ خَيْرِيٍّ يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ وَالبَهَائِمُ: كَالأَوْقَافِ الخَيْرِيةِ، وَالأَشْجَار النَّافِعَةِ وَالمُثْمِرَةِ، وَسقَايَاتِ المِيَاهِ، وَبِنَاءِ المَسَاجِدِ، وَالمَدَارِسِ، وَالذُّرِّيَّةِ الصَّالِحَةِ، وَتَعْلِيمِ العِلْمِ النَّافِعِ، وَإِخْرَاجِ الكُتُبِ المُفِيدَةِ. فَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرِيرةَ رَضي اللهُ عَنهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنتفعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَه**»[1]. فَهَذَا الحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى انقِطَاعِ عَمَلِ الإِنْسَانِ بمَوتِهِ، وأَنَّ مَحلَّ العَمَلِ هُو مُدَّةُ حَيَاتِهِ فِي العَمَلِ الصَّالِحِ وَأَنْ يَحْذَرَ مِنَ الغَفْلَةِ وَالإِضاعَةِ، وَأَنْ يُبَادِر بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ قَبْلَ المَوْتِ. وَلا يُؤَخِّرَ ذَلكَ إِلَى وقت قد لا يدركه، والنصوص التي وردت بالحث على استباق الخيرات والمسارعة إلى الطَّاعَاتِ، وَالمُبَادَرَة

(١) رواه مسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذيُّ (١٣٧٦) كلهم بلفظ: «إذا مات الإنسان..».

بالأَعْمَالِ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا إِذَا لَمْ يُبَادَرْ إِلَيْهَا فَاتَتْ. كَمَا يَدُلُّ الحَدِيثُ عَلَى اسْتِثْنَاءِ الأَعْمَالِ الخَيْرِيَةِ التِي يَسْتَمِرُّ نَفْعُها بَعْدَ مَوتِ صَاحِبِهَا وَأَنَّهَا لاَ تَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ، بل يستمر أجرها ما دام ينتفع بشيء منها ولو طال بقاؤها وأنها يتجدد ثوابها بتجدد نفعها وَهٰذِه الأَشْيَاءُ هِي:

أولاً: الصَّدَقَةُ الجَارِيةُ: وَقَدْ فَسَّرَهَا العُلَمَاءُ بِالوقْفِ الخَيْرِيِّ: كَوَقْفِ العَقَارَاتِ، وَالمَسَاجِدِ، والمَدَارِسِ، وبُيوتِ السُّكْنَى،، والنَّخِيلِ، والمَصَاحِفِ، والكُتُبِ المُفِيدَةِ، وَوَقْفِ سقاياتِ المِيَاهِ مِنْ آبارٍ وبِرَكٍ وَبرَّاداتٍ وغَيْرِهَا. وَفِي هٰذَا دَلِيلٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الوَقْفِ النَّافِعِ وَالحَثِّ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ التِي يُقَدِّمُهَا الإنْسَانُ لِنَفْسِهِ فِي الآخِرَةِ، وَهَذَا بِإِمْكَانِ العُلَمَاءِ وَالعَوَامِّ.

ثَانِياً: العِلْمُ النَّافِعُ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَقُومَ الإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ بِتَعْلِيمِ النَّاسِ أُمُورَ دِينِهِم، وهَذَا خَاصٌّ بِالْعُلَمَاءِ الذِينَ قَامُوا بِنَشْرِ العِلْمِ بِالتَّعْلِيمِ وتَأْلِيفِ الكُتُبِ وَنَسْخِهَا، وَبِإمْكَانِ العَامِيِّ أَيْضاً أَنْ يُشَارِكَ فِي ذَلِكَ بِطَبْعِ الكُتُبِ النَّافِعَةِ أَوْ شَرَائِهَا وَتَوْزِيعِهَا أو وقفها وشراء المصاحف وتوزيعها عَلَى المُحْتَاجِينَ أَوْ جَعْلِهَا فِي المَسَاجِدِ، وهٰذَا فِيه حَثٌّ عَلَى تَعَلُّمِ العِلْمِ وتَعْلِيمِهِ وَنَشْرِهِ وَنَشْرِ كُتُبِهِ لِيَنْتفِعَ بِذَلِكَ النَّاسُ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوتِهِ. وَالعِلْمُ يَبْقَى نَفْعُهُ مَادَامَ فِي الأَرْضِ مُسْلِمٌ وَصَلَ إِلَيْهِ هٰذَا العِلْمُ، فَكَمْ مِنْ عَالِمٍ مَاتَ مِنْ مِئَاتِ السِّنِينَ وَعِلْمُهُ بَاقٍ يُنْتَفَعُ بِهِ بِوَاسِطَةِ كُتُبِهِ التِي أَلَّفَهَا وَتَدَاوَلَتْهَا الأَجْيَالُ تِلْوَ الأَجْيَالِ مِنْ بَعْدِهِ، وَبِوَاسِطَةِ طُلاَّبِهِ وَطُلاَّبِ طُلاَّبِهِ، وكُلَّمَا ذَكَرَهُ المُسْلِمُونَ دَعَوْا لَه وَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ تُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ. وَكَمْ أَنْقَذَ اللهُ بَعَالِمٍ مُصْلِحٍ أَجْيَالاً مِنَ النَّاسِ مِنَ الضَّلاَلَةِ، وَنَالَهُ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَه إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

ثَالِثاً: الوَلَدُ الصَّالِحُ: مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَوَلَدُ الصُّلْبِ، وَالوَلدُ يَجْرِي نَفْعُهُم لآبَائِهِم بَدَعَواتِهِم الصَّالِحَةِ المُسْتَجَابَةِ لآبَائِهِم، وَبِصَدَقَاتِهِم عَنْهُم، وَحَجِّهِم لَهُم، وَحَتَّى دُعَاءُ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِم، هؤلاءِ الأولاد مِنَ النَّاسِ فَكَثِيراً مَا يَقُولُ النَّاسُ لِلْمُحْسِنِينَ رَحِمَ اللهُ آبَاءَكُمْ وَغَفَرَ لَهُمْ، وَفِي هٰذَا حَثٌّ عَلَى التَّزَوُّجِ لِطَلَبِ الأَوْلاَدِ الصَّالِحِينَ. وَنَهْيٌ عَنْ كَرَاهِيَةِ كَثْرَةِ الأَوْلاَدِ. فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ تَأَثَّرَ بِالدِّعَايَاتِ المُضَلِّلَةِ، فَصَارَ يَكْرَهُ كَثْرَةَ الأَوْلاَدِ وَيُحَاوِلُ تَحْدِيدَ النَّسْلِ، أَوْ يَدْعُو إِلَيْهِ، وَهٰذَا مِنْ جَهْلِهِم بِأُمُورِ دِينِهِم، وَمِنْ جَهْلِهِم بِالعَوَاقِبِ، وَمِنْ ضَعْفِ إِيمَانِهِم.

وَفِي هٰذَا الحَدِيثِ أَيْضاً الحَثُّ عَلَى تَرْبِيَةِ الأَوْلاَدِ عَلَى الصَّلاَحِ وَتَنْشِئَتِهِم عَلَى الدِّينِ والصَّلاَحِ لِيَكُونُوا خَلَفاً صَالِحَاً لآبَائِهِم يَدْعُونَ لَهُم بَعْدَ مَوتِهِم وَيَسْتَمِرُّ نَفْعُهُم بَعْدَ انْقِطَاعِ أَعْمَالِهِم، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ اليومَ قَدْ أَهْمَلَ هٰذَا الجَانِبَ فَلَمْ يَهْتَمْ بِتَرْبِيَةِ أَوْلاَدِهِ، وَإِنَّمَا يَهْتَمُّ بِشَأْنِ دُنْيَاهُ وَيَهتَمُّ بِجَمْعِ الدَّرَاهِمِ التِي لاَ تَبْقَى لَه ولاَ يَبْقَى لَهَا، يَرَى أَوْلاَدَه عَلَى الفَسَادِ وَلاَ يُحَاوِلُ إِصْلاَحَهم، يَرَاهُم يفعلونَ المُحَرَّمَاتِ وَيَتْرُكُونَ الوَاجِبَاتِ، يُضَيِّعونَ الصَّلاَةَ فَلاَ يَأْمُرُهُم وَلاَ يَنْهَاهُم، يَرَاهُم يَهِيمُونَ فِي الشَّوارِعِ وَيَجْلِسُونَ مَعَ الأَشْرَارِ، وَرُبَّمَا يَذْهَبُونَ إلى أمكنة الفساد ولا يهمه ذلك، ولايلقي له بالاً بينما لو أتلفوا شيئا من ما له أو نقصوا شَيْئاً مِنْ دُنْيَاهُ لَكَانَ مِنْهُ الرَّجُل الحَازِم والمُؤَدِّبُ الشُّجَاع، والبَطَل المِغْوَار يَغارُ لِدنْيَاهُ، ولاَ يَغَارُ عَلَى دِينِه، يَهتَمُّ بإصْلاَحِ مَالِه، ولاَ يهتَمُّ بِصَلاَحِ أَوْلاَدِه. إِنَّهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ شَاعَ العقُوقُ وَكَثُرَتِ القَطِيعَةُ بينَ كَثيرٍ مِنَ الآبَاءِ وَأَوْلاَدِهم فِي حَيَاتِهم، فَكَيفَ بَعْدَ مَمَاتِهم. فَاتَّقُوا اللهُ أَيُّهَا الآبَاءُ فِي أَولادِكُم لِيَكُونُوا ذُخراً لَكُمْ ولاَ يَكُونُوا خَسَارَة عَلَيْكُم، واعْلَمُوا أَنَّ صَلاَحَ الأَوْلاَدِ لاَ يَأتِي عَفْواً بِدُونِ بَذْلِ أَسْبَابٍ وَصَبْرٍ

واحْتِسَاب.

وَيَدُلُّ هٰذَا الحَدِيثُ أيْضاً على مَشْرُوعِيَّةِ دُعَاءِ الأَوْلاَدِ لآبَائِهم مَعَ دُعَائِهم لِأنفُسِهم فِي الصَّلَواتِ وخَارِجِها، وهٰذَا مِنَ البِرِّ الذي يَبْقَى بَعْدَ وَفَاةِ الآبَاءِ.

وهٰذِه الأُمُورُ المَذْكُورَةُ فِي هٰذَا الحَدِيثِ هِي مَضْمَونُ قَولِه تَعَالَى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾ [يس: ١٢].

فَمَا قَدَّمُوا: هُو مَا بَاشَرُوا فِعْلَه فِي حَيَاتِهم مِنَ الأَعْمَالِ الحَسَنَةِ والسيئةِ، وَآثَارُهُم: مَا تَرَتَّبَ عَلَى أَعْمَالِهم بَعْدَ مَوتِهم مِنْ خَيرٍ أَو شَرٍ.

وَمَا يَصِلُ إِلَى العَبْدِ مِنْ آثَارِ عَمَلِه بَعْدَ مَوتِه ثَلاَثَةُ أَشْيَاءٍ:

الأَوَّلُ: أُمُورٌ عَمِلَها غَيْرُهُ بَعْدَ مَوتِه: بِسَببه وَبِدِعَايتِه وتَوجِيهه إِلَيْهَا قَبْلَ مَوْتِهِ.

الثَّانِي: أُمُورٌ انتَفَعَ بِهَا الغَيْرُ مِنْ مَشَارِيعَ نَافِعَةٍ أَقَامَهَا المَيِّتُ قَبْلَ مَوْتِهِ، أَوْ أَوْقَافٌ أَوْقَفَهَا فِي حَيَاتِهِ.

الثَّالِثُ: أُمُورٌ عَمِلَهَا الحَيُّ وَأَهْدَاهَا إِلَى المَيِّتِ مِنْ دُعَاءٍ وصَدَقَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ البِرِّ. وَرَوَى ابنُ مَاجَه: «إِنَّمَا يَلْحَقُ المُؤمِنَ مِنْ عَمَلِه وَحسَنَاتِه بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمٌ نَشَرَه، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ تَرَكَه أَوْ مُصْحَفٌ وَرَّثَه، أَوْ مَسْجِدٌ بَنَاهُ، أَوْ بيتٌ لِابْنِ السَّبيلِ بَنَاهُ. أَوْ نَهرٌ أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةٌ أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِه فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلْحَقُه بَعْدَ مَوْتِهِ» فَاحْرِصُوا رَحِمَكُم اللهُ عَلَى بَذْلِ الأَسْبَابِ النَّافِعَةِ وتَقْدِيمِ الأَعْمَالِ النَّافِعَةِ التِي يَسْتَمِرُّ نفعُهَا وَيجْرِي عَلَيْكُمْ أَجْرُهَا بَعْدَ وَفَاتِكُم.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف: ٤٦].

بَارَكَ اللهُ لِي ولَكُم فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ الذِي جَعلَ الدُّنْيَا مَزْرَعَةً لِلآخِرَةِ، وَحَثَّ عَلَى اغْتِنَامِ أَوْقَاتِهَا قَبْلَ فَوَاتِهَا وَقَبْلَ الوقُوعِ فِي الصَّفْقَةِ الخَاسِرَةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَه، أَنعَمَ عَلَيْنَا بِنعَمِهِ البَاطِنَةِ والظَّاهِرَةِ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه المُؤَيَّدُ بِالْمُعْجِزَاتِ البَاهِرَةِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وَأَصْحَابِه الذِينَ جَاهَدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَصْبَحَتْ مِلَّةُ نَبِيِّهم هِي المِلَّةَ الظَاهِرَةَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. . .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُو اللهُ تَعَالَى، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ كَمَا تَبْقَى أَثَارُ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَيَجْرِي نَفْعُهَا لِلْعَامِلِ بَعْدَ موتِهِ. فَكَذَلِكَ الأَعْمَالُ السَّيئَةُ يَبْقَىٰ شَرُّهَا وَيَجْرِي ضَرَرُهَا عَلَى عَمالِهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ ذَلكَ مِنْ أَوْزَارِهِم شَيْئاً» وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل: ٢٥].

فَالذِي يُورِثُ للنَّاسِ العُلُومَ الفَاسِدَةَ وَالعَقَائِدَ البَاطِلَةَ يَنَالُهُ مِنْ شَرِّهَا وَعُقُوبَتِهَا بِقَدْرِ مَا يَحْصُلُ بِسَبَبِهَا مِنْ ضَلاَلٍ.

وَالذِي يُؤَلِّفُ الكُتُبَ المُنْحَرِفَةَ، أَوْ يَنْشُرُهَا بَيْنَ النَّاسِ يَنَالُهُ مِنْ إِثْمِهَا وَيَجْرِي عَلَيْهِ شَرهَا مَا بَقِيتْ هٰذِهِ الكُتُبُ تُتَدَاوَلُ بِأَيْدِي النَّاسِ، وَمِثْلُه الذِي يُسَجِّلُ الأَغَانِي المَاجِنَةِ وَالأَفْلاَمَ الخَلِيعَةَ، وَالذِي يُوجِدُ المَشَارِيعَ الضَّارَّةَ كَدُوْرِ اللَّهْوِ، والسِّينَمَا، وَمَحلاَّتِ التَّصويرِ، أَوْ المُؤسَّسَاتِ الصَّحَفِيَّةِ التِي تُصْدِرُ الصُّحُفَ

والمَجلاَّتِ الخَلِيعَةَ التِي تَنْشُرُ الصُّورَ العَارِيَةَ، وَالأَفْكَارَ المَسْمُومَةَ، وَالمَقَالاَتِ المُضَلِّلَةَ، يَنَالُهُ مِنْ شَرِّهَا وَإِثْمِهَا مَا بَقِيَتْ هٰذِه المُؤَسَّسَاتُ تَنْشُرُ شَرَّهَا وَتَبُثُّ سُمُومَهَا، طَالَ زَمَنُهَا أَوْ قَصُرَ.

وَالذِي يُرَبِّي أَوْلاَدَهُ تَرْبِيَةً سَيِئَةً يَنَالُهُ مِنْ إِثْمِهِمْ مَا عَاشُوا عَلَى الضَّلاَلِ وَالانْحِرَافِ وَمَا مَارَسُوا الإِثْمَ والفُسُوقَ والعِصْيَانَ، لأَنَّهُ هُو الذِي عَوَّدَهُم عَلَى ذٰلِكَ وَنَشَّأَهُم عَلَيْهِ، أَوْ أَهْمَلَهُمْ صِغَاراً حَتَّىٰ ضَاعُوا كِبَاراً. وَلِذٰلِكَ تَرَوْنَ كَثِيراً مِنَ الأَوْلاَدِ المُنْحَرِفِينَ إِذَا آذَوْا أَحَداً دَعَا عَلَيْهِم وَعَلَى آبَائِهِم الذِينَ رَبَّوهُم عَلَى ذٰلِكَ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَكُونُوا قُدْوَة فِي الخَيْرِ، وَلاَ تَكُونُوا قَدْوَة فِي الشَّرِّ. وَالذِي يُؤَسِّسُ البُنُوكَ وَالمُؤَسَّسَاتِ الرِّبَوِيةِ لِتَكُونَ مَصَادِرَ أَوْبِئَةٍ اقْتِصَادِيَّةٍ تَمْتَصُّ دِمَاءَ الشُّعُوبِ، وتَدَمِّرُ المُجْتَمَعَاتِ، وَتُحَارِبُ اللهَ وَرَسُولَه، لاَ شَكَّ أَنَّه يَنَالُ مُؤَسِّسَهَا الأَوَّلَ أَوْفَرُ نَصِيبٍ مِنْ إِثْمِهَا، كَمَا أَنَّ ابنَ آدَمَ الأَوَّلَ الذِي قَتَلَ أَخَاهُ ظُلْماً وَعُدْواناً يناله نَصِيبٌ مِنْ إِثْمِ كُلِّ نَفْسٍ قُتِلَتْ بَعْدَهُ ظُلْماً وَعُدْواناً، لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا قَادَةً وَقُدْوَةً فِي الخَيْرِ، وَلاَ يَجْعَلَنَا قَادَةً وَقُدْوةً فِي الشَّرِّ.

ثُمَّ اعْلَمُوا ـ عِبَادَ اللهِ ـ أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ... إلخ.

خِصَالٌ فِي الإِيمَانِ

الحَمْدُ للهِ ذِي الفَضْلِ وَالامْتِنَانِ، يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِهِدَايَتِهِ لِلإِيمَانِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ شَهَادَة تُوجِبُ لِمَنْ قَالَهَا عَارِفاً لِمَعْنَاهَا عَامِلاً بِمُقْتَضَاهَا دُخُولَ الجِنَانِ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه أَنْزَلَ عَلَيْهِ القُرْآن هُدَىً لِلنَّاسِ وَبينَاتٍ مِنَ الهُدَىٰ وَالفُرْقَانِ. صَلَّى اللهُ عَلَيه وَعَلَى آله وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُ بِإِحْسَانٍ، وَسَلَّم تَسْلِيماً كَثِيراً . . . أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَامْتَثِلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ عَلىَ لِسَانِ نَبِيِّهِ مِنْ حِفْظِ اللِّسَانِ وَكَفِّ الأَذَى عَنِ الجِيرَانِ وَإِكْرَام الضِّيفَانِ. فَقَدْ رَوىٰ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضي اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليوم الآخِرِ فلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يؤمِنُ بِاللهِ وَاليوم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيفَهُ**»[1] رَواهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ. فَهٰذِهِ ثَلاَثَةُ أَشْيَاء هِي مِنْ خِصَالِ الإِيمَانِ وَيُؤمَرُ بِهَا المُؤمِن:

الأُولَى: اسْتِعْمَالُ اللِّسَانِ فِي النُّطْقِ بِالْخَيْرِ وَكَفِّهِ عَنِ النُّطْقِ بِالشَّرِّ.

فَالنُّطْقُ بِالخَيْرِ يَشْمَلُ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى بِتِلاَوةِ القُرْآنِ، والتَّهْلِيلِ، والتَّكْبِيرِ والتَّسْبِيحِ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَالنَّصِيحَةِ لِلمُسْلِمِينَ، وتَعْلِيمِ الجَاهِلِينَ، والإِصْلاَحِ بَيْنَ المُتَخَاصِمينَ، وَإِفْشَاءِ السَّلاَم، ومُخَاطَبَةِ النَّاسِ بِطِيبِ الكَلاَمِ، لاَ سيَّمَا أَهْلُ الإِسْلاَمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٣٨].

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

أَيْ: خَاطِبُوهُم بِالْقَولِ الحَسَنِ.

وَكَفُّ اللِّسانِ يَشْمَلُ السُّكُوتَ عَنِ الخَبيثِ، وَأَشَدهُ كَلِمَاتُ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ، وَكَلِمَاتُ السَّبِّ وَالشَّتْمِ، والكَذِبُ، وشَهَادَةُ الزُّورِ، والغِيبةُ، والنَّمِيمَةُ، وَكَذَا السُّكُوتُ عَنْ فُضُولِ الكَلاَمِ، أَي: الكَلاَم الذِي لاَ حَاجَةَ إِلَيْهِ، وَالكَلاَمُ بِمَا لاَ يَعْنِيهِ. . . .

رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعاً: «**لا تُكْثِرُوا الكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلاَمِ بَغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنِ اللهِ القَلْب القَاسِي**»(١)

عِبَادَ اللهِ: تَحَفَّظُوا مِنْ أَلْسِنَتِكُم فَفِي «الصَّحِيحَيْن» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبي ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا في النَّار أَبْعَدَ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ**»(٢).

وخرَّجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لاَ يَرَىٰ بِهَا بَأْساً يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفاً فِي النَّارِ**»(٣).

ثُمَّ إِنَّ كَلاَمَنَا يُكْتَبُ عَلَيْنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

أَيْ: مَلَكَانِ مُوَكَّلاَنِ بِالْإِنْسَانِ يَكْتُبَانِ عَمَلَهُ: الذي عَنْ يَمِينِهِ يَكْتُبُ الحَسَنَاتِ، وَالذِي عَنْ شِمَالِهِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ. وَلِهٰذَا أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِالتَّحَفُّظِ،

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٣).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٤٧٧)، ومسلمٌ (٢٩٨٨).
كلاهما بلفظ «إنَّ العبدَ . . .» الحديث. والحديث عند الترمذيّ بلفظ «إن الرجل . .» بنحوه (٢٣١٥).

(٣) رواه الترمذيُّ (٢٣١٥).

فَقَالَ: «فليقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ»[١]، فَأَمَرَ بِقَوْلِ الخَيْرِ وَالصَّمْتِ عَمَّا عَدَاهُ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ أَدْخَلتْ صَاحِبَهَا فِي النَّارِ، وَرُبَّ كَلِمَةٍ تَسَبَّبَتْ فِي قَتْلِ صَاحِبِهَا، وَرُبَّ كَلِمَةٍ فَرَّقَتْ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، وَرُبَّ كَلِمَةٍ هَيَّجَتْ فِتْنَة وَأَثَارَتْ حَمِيَّةً جَاهِلِيَّةً.

الخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ: من الخِصَالِ التِي أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَا: إِكْرَامُ الجَارِ وَالإِحْسَانُ إِلَيْهِ وَكَفُّ الأَذَىٰ عَنْهُ، وَقَدْ أَوْصَىٰ اللهُ بِالإِحْسَانِ إِلَى الجَارِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ.

وَالجَارُ: هُو الذِي يَسْكُنُ إِلَى جِوَارِكَ سَواءٌ كَانَ مُلاَصِقاً لِبَيْتِكَ، أَوْ كَانَ قَرِيباً مِنْهُ، وَقَدْ قَالَت طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ: حَدُّ الجِوَارِ أَرْبَعُونَ بَيْتاً مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَإِكْرَامُ الجَارِ يَكُونُ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ، مِنْ إِعَانَتِهِ إِذَا احْتَاجَ، وَالإِهْداءِ إِليه، وَمُلاَطَفَتِهِ بِالْكَلاَمِ، وَمُنَاصَحَتِهِ إِذَا صَدَرَ مِنْهُ مَا لاَ يَنْبَغِي فِي حَقِّ اللهِ أَوْ حَقِّ عِبَادِهِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الأَثَرِ: «أَتَدْرِي مَا حَقُّ الجَارِ؟ إِذَا اسْتَعَانَكَ أَعَنْتَهُ، وَإِذَا اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وَإِذَا افْتَقَر عُدْتَ عَلَيْهِ، وإِذَا مَرِضَ عدْتَه، وَإِذَا أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّيْتَهُ، وَإِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ، وَإِذَا مَاتَ اتَّبَعْتَ جنَازَتَهُ، وَلاَ تَسْتَطِلْ عَلَيْهِ بِالبِنَاءِ فَتَحْجُبَ عَنْهُ الرِّيحَ إِلاَّ بِإِذْنِهِ».

وأَمَّا أَذَىٰ الجَارِ فَهُو مُحَرَّمٌ، شَدِيدُ التَّحْرِيمِ، لأَنَّ الأَذَىٰ بِغَيْرِ حَقٍّ مُحَرَّمٌ لِكُلِّ أَحَدٍ. وَلَكِنْ فِي حَقِّ الجَارِ أَشَدُّ تَحْرِيماً. فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدّاً وَهُو خَلَقَكَ»، قِيلَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قِيلَ: ثُمَّ أَيٌّ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»[٢].

وَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ،

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٨٦١)، ومسلمٌ (٨٦).

وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: مَنْ يَارَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ لاَ يَأْمَنْ جَارُه بَوائِقَهُ»[١] وَفِي «صَحيح مُسْلِمٍ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ«لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لاَ يُؤْمِنُ جَارُهُ بَوائِقَهُ»[٢].

وَالبَوائِقُ: الغَوائِلُ وَالشُّرُورُ كَالتَّطَلُّعِ إِلَى عَوْرَاتِ الجِيرَانِ بِالنَّظَرِ فِي بُيُوتِهِم مِنْ فَوْقِ السطوحِ، أو من خلالِ الفُرَجِ المفتوحة في الجدران، أو باستعمال المناظر التي تَكْشِفُ له مَا فِي بُيوتِ الجِيرَانِ مِنَ المنَاظِرِ المُحَرَّمةِ، أَوْ بالاسْتِمَاعِ إِلَى أَحَادِيثِ الجِيرَانِ وَأَسْرَارِهِم.

وَمِنْ أَذِيَّةِ الجِيرَانِ إِزْعَاجُهُم بِالأَصْوَاتِ التِي تُقْلِقُهُم وَتَحْرِمُهُم مِنَ النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ، لاَ سِيَّمَا إِذَا كَانَت هذِهِ الأَصَواتُ مُحَرَّمَة كَأَصْوَاتِ الأَغَانِي والمَلاَهِي التي تَبُثُّهَا وَسَائِلُ الإِعْلاَمِ، أَوْ آلاَتُ التَّسْجِيلِ.

وَمِنْ أَذِيَّةِ الجِيرَانِ طَرْحُ القمَامَةِ فِي طُرُقَاتِهم وَأَمامَ بُيُوتِهِم وَإِرسَالُ مِيَاهِ الغَسِيلِ فِي مَمَرَّاتِهم، وَقَدْ تُعَرِضُهُم للانزلاَقِ بِهَا أَو تُؤذِيهم بِالرَّوائِحِ المُنْتِنَةِ.

الخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ: مِمَّا أَمرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ إِكْرَامُ الضَّيْفِ.

وَالضِّيَافَةُ مِنْ آدَابِ الإِسْلاَمِ وأَخْلاَقِ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَقِرَى الضَّيْفِ وَاجِبٌ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا كَانَ فِي مَكَانٍ لاَ يُوجَدُ فِيه فَنَادِق وَلاَ مَطَاعِمُ. والضِّيَافَةُ الوَاجِبَةُ يَومٌ وَلَيْلَةٍ إِلَى ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، لِمَا فِي «الصَّحِيحيْنِ» مِنْ حَديثِ أَبِي شُرَيْحٍ رَضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» قَالُوا: وَمَا جَائِزَتُه؟ قَال: «يَومٌ ولَيْلَةٌ» قَالَ: «والضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، وَمَا كَانَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَهُو . . . .

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٠١٦).

(٢) رواه مسلمٌ (٤٦).

صَدَقَةٌ»[١].

فَالوَاجِبُ المُتَأَكِّدُ مِنَ الضِّيَافَةِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَاليَوْمَانِ البَاقِيَانِ مِنْ تَمَامِ الضِّيَافَةِ، وفِي وجُوبِهِمَا خِلاَفٌ.

وَقَدْ جَاءَ نَهْيُ الضَّيْفِ عَنْ إِطَالَةِ الإِقَامَةِ عِنْدَ المُضيِّفِ، قَالَ ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ أَنْ يَأْوِيَ عِنده حتَّى يُخْرِجَه**»[٢] وفِي رِوايةٍ: «**حَتَّى يُؤْثِمَه**»[٣]. فَعلَى الضَّيْفِ أَنْ يَتَحَرَّى النُّزُولَ عِنْدَ مَنْ يَسْتطِيعُ القِيَامِ بِضِيَافَتِهِ، وَيَتَجنَّبُ مَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ القِيامَ بِهَا لِفَقْرِهِ، لأَنَّ ذلِكَ يُحرجُه ويَشُقُّ عَلَيه..

وَمَنِ امْتَنَعَ عَنِ القِيَامِ بِالضِّيَافَةِ الواجبة أَثِمَ، لأَنَّهُ تَرَكَ واجباً عليهِ.. ولِلضَّيفِ المُطَالَبَةُ بِحَقِّهِ مِنَ الضِّيَافَةِ وَعَلَىٰ مَنْ عَلِمَ بِذٰلِكَ مِنَ المُسْلِمينَ مُنَاصَرَتهُ حَتَّى يَأْخُذَ حَقَّهُ. وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ عُقبةَ بنِ عَامِرٍ -رَضي الله عنه- قال: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تَبْعَثُنَا فَنَنْزِلُ بِقَومن لاَ يَقْرُونَنَا، فَمَا تَرَى؟ فَقَالَ لَنَا رَسُولَ الله ﷺ: «**إِنْ نَزَلتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلْضَّيْفِ فَاقبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُم حَقَّ الضَّيْفِ الذِي يَنْبَغِي لَهُمْ**»[٤].

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ رَضيَ اللهُ عَنهُمَا: «مَنْ لَمْ يُضَيِّفْ فَلَيْسَ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلاَ مِنْ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلاَم».

وقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ لِقَوْمٍ نَزَلَ عَلَيْهِمْ، فَاسْتَضَافَهُم فَلَمْ يُضَيِّفُوه، فَتَنَحَّى وَنَزَلَ، فَدَعَاهُم إِلَى طَعَامٍ فَلَمْ يُجِيبُوه، فَقَالَ لَهُم: لاَ تُنْزِلُونَ الضَّيْفَ، وَلاَ تُجِيبُونَ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٠١٩)، ومسلمٌ كتاب اللقطة باب الضيافة (٤٨).
(٢) رواه مسلمٌ، كتاب اللقطة باب الضيافة.
(٣) رواه مسلمٌ، كتاب اللقطة باب الضيافة.
(٤) رواه البخاريُّ (٢٤٦١)، ومسلمٌ (١٧٢٧).

الدَّعْوةَ، مَا أَنْتُمْ مِنَ الإِسْلاَمِ عَلَى شَيءٍ.

عِبَادَ اللهِ: إنَّ دِينَ الإِسْلاَمِ يَأْمُرُ بِكَفِّ الأَذَى وَبَذْلِ المَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ، لاَ سِيَّمَا إِلَى الضُّيُوفِ والجِيرَانِ، وَمَا ذَاكَ إِلاَّ لأَنَّهُ دِينُ الرَّحْمَةِ وَدِينُ المُواسَاةِ ودِينُ التَّعَاونِ عَلَى البرِّ وَالتَّقْوىٰ، وَقَدْ كَانَ حُسْنُ الجِوارِ وَكَرَمُ الضِّيَافَةِ خُلُقَيْنِ مَعْرُوفَيْنِ عِنْدَ العَرَبِ فِي الجَاهِلِيَّةِ فَأَقَرَّهُمَا الإِسْلاَمُ وَأَكَّدَ عَلَيْهِمَا، لأَنَّه دِينٌ يُنَمِّي مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ وَمحَاسِنَ الشِّيمِ، فَالْحَمْدُ للهِ عَلَى هَذَا الدِّينِ الذِي هُو أَعْظَمُ نِعْمَةٍ عَلَى البَشَرِيةِ.

أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسراء: ٩ـ١٠].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ الذِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِدِينِ الإِسْلاَمِ، الذِي بِهِ هِدَايَتُنا لِدَارِ السَّلاَمِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةَ مَنْ قَالَ: رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامَ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ وَعَلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ البَرَرَةِ الكِرَامِ..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَحْسِنُوا إِلَى مَنْ أَمَرَكُمُ اللهُ بَالإِحْسَانِ إِلَيْهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

جَمَعَ اللهُ تَعَالَى فِي الآيَةِ عَشْرَةَ حُقُوقٍ، بَدَأَهَا بِحَقِّهِ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ حَقِّ الوالِدَيْنِ، ثُمَّ حَقِّ الأقارِبِ، ثُمَّ حَقِّ الضعفةِ والمُحْتَاجِينَ مِنَ اليَتَامَىٰ وَالمَسَاكِينِ، ثم حَقِّ الجِيرَانِ والمُخَالِطِينَ ، ثُمَّ حَقِّ الوَافِدِ عَلَى الإِنسَانِ غَيْرِ المُقِيمِ، وهو ابن السَّبِيلِ، وَيدْخُلُ فِيهِ الضَّيْفُ، ثُمَّ حَقِّ المَمَالِيكِ مِنَ الآدَمِيينَ، وَأَدْخَلَ بَعْضُ السَّلَفِ مَا يَمْلِكُهُ الإِنْسَانُ مِنَ البَهَائِمِ. وَقَدْ جَاءَ فِي «مُسْنَد البزّارِ» مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ مَرْفوعًا تَقْسِيمُ الجَارِ إِلَى ثَلاثَةِ أَنْوَاعٍ: جَارٌ لَه حَقٌّ وَاحِدٌ، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ، وَجَارٌ لَه ثَلاثَةُ حُقُوقٍ. فَأَمَّا الجَارُ الذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ فَهُو الجَارُ غَيْرُ المُسْلِمُ وَغَيْرُ القَرِيبِ، لَهُ حَقُّ الجِوَارِ فَقَط. والجَارُ الذِي له حَقَّانِ: هُو الجَارُ المُسْلِمُ الذِي لَيْسَ لَهُ قَرَابَةٌ. لَهُ حَقُّ الإِسْلَامِ وحَقُّ الجِوَارِ، وَالجَارُ الذِي لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ. هُو الجَارُ المُسْلِمُ ذُو الرَّحِمِ، لَهُ حَقُّ الإِسْلَامِ وحَقُّ الجِوَارِ وَحَقُّ الرَّحِمِ.

وَقِيلَ: الجَارُ ذُو القُرْبَىٰ: هُو القَرِيبُ المُلاصِقُ، والجَارُ الجُنُبِ: الجَارُ البَعِيدُ. وَأَمَّا الصَّاحِبُ بِالجَنْبِ: فَفُسِّرَ بِالزَّوْجَةِ وَفُسِّرَ بِالرَّفِيقِ فِي السَّفَرِ، وِمَنْ بَابِ أَولِي الرَّفِيقُ المُلازِمُ فِي الحَضَرِ.

فاتقوا اللهَ وَأَعْطُوا كلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ عَنْ تِلْكَ الحُقُوقِ، واعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مَحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا... إلخ.

فِي خُلُقِ الحَيَاءِ وَفَوَائِدِهِ

الحَمْدُ للهِ ذِي الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ، جَعلَ الحَيَاءَ شُعْبَةً مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٩].

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُه المَبْعَوثُ إِلى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الإِنْسِ وَالجَانِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ نَشَرُوا دِينَهُ فِي جَمِيعِ الأَوْطَانِ. . . وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، واسْتَحْيُوا مِنْهُ حَقَّ الحَيَاءِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ رَقِيبٌ عَلَيْكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُم يَسْمَع وَيَرَىٰ، فَلاَ تُبَارِزُوه بِالمَعَاصِي وتَظُنُّوا أَنَّكُمْ تَخْفَوْنَ عَلَيْهِ، فإِنَّه يَسْمَعُ السِّرَّ وَالنَّجْوَىٰ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الحَيَاءَ خَصْلَةٌ حَمِيدَةٌ تَكُفُّ صَاحِبَها عَمَّا لاَ يَلِيقُ. وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الحَيَاءَ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ**»[١]، وأَخْبَرَ أَنَّهُ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعونَ شعْبَةً، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً. فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»[٢]، وَقَدْ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ، وَهُو يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، أَيْ:

---

(١) رواه البخاريُّ (٦١١٧)، ومسلمٌ (٣٧).

(٢) رواه مسلمٌ (٣٥).

يـومُهُ عَلَيْهِ فَقَالَ: «دَعْهُ فإنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ»[١]. دَلت هٰذِه الأَحَادِيث عَلَى أَنَّ الحَيَاء خُلُقٌ فَاضِلٌ.

قَالَ: الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: وَالحَيَاءُ مِنَ الحَيَاةِ، ومِنْهُ الحَيَا لِلْمَطَرِ، وَعلَىٰ حَسْبِ حَيَاةِ القَلْبِ يَكُونُ فِيهِ قُوة خُلُقِ الحياء وقِلَّةُ الحَيَاءِ مِنْ مَوتِ القلْبِ وَالرُّوح، فَكُلَّمَا كَانَ القَلْبُ أَحْيَى كَانَ الحَيَاءُ أتمَّ. فَحَقِيقَةُ الحَيَاءِ أَنَّهُ خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى تَرْكِ القَبَائِحِ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّفْرِيطِ فِي حَقِّ صَاحِبِ الحَقِّ.

والحَيَاءُ يَكُونُ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ رَبِّه عَزَّ وَجَلَّ، فَيَسْتَحِي العَبْدُ مِنْ رَبِّه أَنْ يَرَاهُ عَلى مَعْصِيتِهِ وَمُخَالَفتِهِ، وَيكونُ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ النَّاسِ. فَالحَيَاءُ الذِي بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ قَدْ بَيَّنَهُ ﷺ فِي الحَدِيثِ الذي جَاءَ فِي «سُنَن التِّرْمِذِيِّ» مَرْفُوعاً أَنَّ النَّبي ﷺ قَالَ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ». قَالُوا: إِنَّا نَسْتَحْيِي يَارَسُولَ اللهِ. قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ ولَكِنْ مَنِ اسْتَحْيَى مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَىٰ، وَلْيَحْفَظِ البَطْنَ وَمَا حَوَىٰ، وَلْيَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَىٰ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فعل ذٰلكَ فَقَدِ اسْتَحْيَى مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ»[٢]، فَقَدْ بَينَ ﷺ فِي هٰذَا الحَدِيثِ عَلَامَاتِ الحَيَاءِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَّهَا تَكُونُ بِحِفْظِ الجَوَارِحِ عَنْ مَعَاصِي اللهِ، وَبِتَذَكُّرِ المَوْتِ وَتَقْصِيرِ الأَمَلِ فِي الدُّنْيَا، وَعَدَم الانْشِغَالَ عَنِ الآخِرَةِ بِمَلَاذِ الشَّهَواتِ والانْسِيَاقِ وَرَاءِ الدنْيَا. وَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ الآخَرِ: «أَنَّ مَنِ اسْتَحَيَى مِنَ اللهِ اسْتَحْيَىٰ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ».

وَحَيَاءُ الرَّبِّ مِنْ عَبْدِهِ حَيَاءُ كَرَم وَبِرٍّ وَجُودٍ وَجَلَالٍ، فَإِنَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً، وَيسْتَحْيِي أَنْ يُعَذِّبَ ذَا

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٤) ومسلمٌ (٣٦).

(٢) رواه الترمذيُّ (٢٤٦٠).

شَيْبَةٍ شَابَتْ فِي الإِسْلاَمِ.

وَأَمَّا الحَيَاءُ الذِي بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ النَّاسِ: فَهُو الذِي يَكُفُّ العَبْدُ عَنْ فِعْلِ مَا لاَ يَلِيقُ بِهِ، فَيَكْرَهُ أَنْ يَطَّلِعَ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى عَيْبٍ وَمَذَمَّةٍ، فَيَكُفُّهُ الحَيَاءُ عَنِ ارْتِكَابِ القَبَائِحِ وَدَنَاءَةِ الأَخْلاَقِ، فَالذِي يَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ يَجْتَنِبُ مَا نَهَاهُ عَنْهُ فِي كُلِّ حَالاَتِهِ: فِي حَالِ حُضُورِه مَعَ النَّاسِ، وَفِي حَالِ غَيْبَتِهِ عَنْهُمْ، وَهٰذَا حَيَاءُ العُبُودِيَّةِ وَالخَوْفِ وَالخَشْيَةِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُو الحَيَاءُ المُكْتَسَبُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَعْرِفَةِ عَظَمَتِهِ، وَقُرْبِهِ مِنْ عِبَادِهِ، وَاطِّلاَعِهِ عَلَيْهِم، وَعِلْمُهُ بِخَائِنَةِ الأَعْيُنِ وَمَا تُخفِي الصُّدُورُ. وَهَذَا الحَيَاءُ مِنْ أَعْلَىٰ خِصَالِ الإِيمَانِ، بَلْ هُو مِنْ أَعْلَى دَرَجَاتِ الإِحْسَانِ، كَمَا فِي الحَدِيثِ: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[1].

وَالذِي يَسْتَحِي مِنَ النَّاسِ لاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ مُبْتَعِداً عَمَّا يُذَمُّ مِنْ قَبِيحِ الخِصَالِ. وَسَيِّءِ الأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ، فَلاَ يَكُونُ سَبَّاباً، وَلاَ نَمَّاماً وَلاَ مُغْتَاباً، وَلاَ يَكُونُ فَاحِشاً وَلاَ مُتَفَحِّشاً، وَلاَ يُجاهِرُ بِمَعْصِيةٍ، وَلاَ يَتَظَاهَرُ بِقَبِيحٍ، حَيَاؤُهُ مِنَ اللهِ يَمْنَعُهُ مِنْ فَسَادِ البَاطِنِ، وحَيَاؤُهُ مِنَ النَّاسِ يمْنَعُهُ مِنْ فَسَادِ الظَّاهِرِ، فَيَكُونُ صَالِحَاً فِي بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ، وَفِي سِرِّهِ وَعَلاَنِيتهِ، فَلِهٰذَا صَارَ الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ. وَمَنْ سُلِبَ الحَيَاءُ لَمْ يَبْقَ لَهُ مَا يَمْنَعُهُ مِن ارْتِكَابِ القَبِيحِ وَالأَخْلاَقِ الدَّنِيئَةِ، وَصَارَ كَأَنَّهُ لاَ إِيمَانَ لَهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوةِ الأُولَىٰ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**» رواه البُخَارِيُّ[2]. ومَعَنَاهُ: إِنَّ لَمْ يَسْتَحِ صَنَعَ مَا شَاءَ مِنَ القَبَائِحِ وَالنَّقَائِصِ، فإِنَّ المَانِعَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ هُو الحَيَاءُ وَهُو غَيْرُ مَوجُودٍ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَيَاءٌ انهمَكَ فِي كُلِّ فَحْشَاءٍ وَمُنْكَرٍ.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٧).

(٢) رواه البخاريُّ (٦١٢٠).

فَعَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ إِذا أَرَادَ بِعَبْدِهِ هَلاَكاً نَزعَ مِنْهُ الحَيَاءَ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الحَيَاء لَمْ تَلْقَهُ إِلاَّ مَقِيتاً مُمَقَّتاً، فَإِذَا كَانَ مَقِيتاً نَزَعَ مِنْهُ الأَمَانَةَ فَلَمْ تَلْقَهُ إِلاَّ خَائِناً مُخَوَّناً، فَإِذَا كَانَ خَائِناً مُخَوَّناً نَزَعَ مِنْهُ الرَّحْمَةَ فَلَمْ تَلْقَهُ إِلاَّ فَظّاً غَلِيظاً، فَإِذَا كَانَ فَظّاً غَلِيظاً نَزَعَ رِبْقَةَ الإِيمَانِ مِنْ عُنُقِهِ، فَإِذَا نَزَعَ رِبْقَةَ الإِيمَانِ مِنْ عُنُقِهِ تَلْقَهُ شَيْطَاناً مُلَقَّناً».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الحَيَاءُ والإِيمانُ فِي قَرْنٍ، فَإِذَا نُزِعَ الحَيَاءُ تَبِعَه الآخَرُ.

وَقَدْ دَلَّ الحَدِيثُ وَهَذَانِ الأَثَرَانِ عَلَى أَنَّ مَنْ فَقَدَ الحَيَاءَ لَمْ يَبْقَ مَا يَمْنَعُهُ مِنْ فِعْلِ القَبَائِحِ، فَلاَ يَتَورَّعُ عنِ الحَرَام، وَلاَ يَخَافُ مِنَ الآثَام، ولا يَكُفُّ لِسَانَهُ عَنْ قَبِيحِ الكَلاَمِ، وَلِهٰذَا لَمَّا قَلَّ الحَيَاءُ فِي هٰذَا الزَّمَانِ أَوِ انْعَدَمَ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ، كَثُرَت المُنْكَرَاتُ، وظَهَرَتِ العَوْرَاتُ، وَجَاهَرُوا بِالفَضَائِحِ، وَاسْتَحْسَنُوا القَبَائِحَ، وَقَلَّتِ الغَيْرَةُ عَلَى المَحَارِمِ، أَو انْعَدَمَتْ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، بَلْ صَارَت القَبَائِحُ وَالرَّذَائِلُ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ فَضَائِلَ وَافْتَخَرُوا بِهَا، فَمِنْهُم المُطْرِبُ وَالمُلَحِّنُ وَالمُغَنِي المَاجِنُ، وَمِنْهُم اللاَّعِبُ التَّاعِبُ الذِي أَنْهَكَ جِسْمَهُ وَضَيَّعَ وَقْتَهُ فِي أَنْوَاعِ اللَّعِبِ وَفُنُونِ الرِّيَاضَةِ التَّافِهَةِ كَاشِفاً لِعَوْرَتِهِ أَمَامَ النَّاسِ إِلاَّ سِتْرَة يَسِيرَة يَضَعُهَا عَلَى عَوْرَتِهِ المُغَلَّظَةِ. وَأَقَلُّ حَيَاء وَأَشَدُّ تَفَاهَة مِنْ هَؤُلاَءِ المُغَنِّينَ وَاللاَّعِبِينَ مَنْ يَسْتَمِعُ لَغْوهَم أَو يَنْظُرُ أَلْعَابَهُم وَيُضَيِّعُ كَثِيراً مِنْ أَوْقَاتِهِ فِي ذٰلِكَ.

وَمِنْ قِلَّةِ الحَيَاءِ وَضَعْفِ الغَيْرَةِ فِي قُلُوبِ بَعْضِ الرِّجَالِ اسْتِقْدَامُهُم النِّسَاءَ الأَجْنَبِيَّاتِ السَّافِرَاتِ أَوْ الكَافِرَاتِ، وَخَلْطُهُم لَهُنَّ مَعَ عَوَائِلِهِم دَاخِلَ بُيوتِهِم، وَجَعْلُهُنَّ يُزَاوِلْنَ الأَعْمَالَ بَيْنَ الرِّجَالِ، وَربمَا يَسْتَقْبِلْنَ الزَّائِرِينَ وَيَقُمْنَ بِصَبِّ القَهوَةِ لِلرِّجَالِ. أَو اسْتِقْدَامُهُم لِلرِّجَالِ الأَجانِبِ سَائِقِينَ وَخَدَّامِينَ يَطَّلِعُونَ عَلَى مَحَارِمِهِم وَيَخْلُونَ مَعَ نِسَائِهِم فِي البُيوتِ وَفِي السَّيَّارَاتِ فِي الذَّهَابِ بِهِنَّ إِلَى

المَدَارِسِ وَالأَسْوَاقِ، فَأَيْنَ الغَيرَةُ، وأينَ الحَيَاءُ، وأَينَ الشَّهَامَةُ وَالرُّجولَةُ؟.

ومنَ ذِهَابِ الحَيَاءِ فِي النِّسَاءِ اليَوْمَ مَا ظَهَرَ في الكَثِيرِ مِنْهُنَّ مِنْ عَدمِ التَّسَتُّرِ وَالحِجَابِ، وَالخُرُوجِ إلى الأَسْوَاقِ مُتَطَيِّبَاتٍ مُتَجَمِّلَاتٍ لاَ بِسَاتٍ لأَنْوَاعِ الحُلِيِّ وَالزِّينَةِ لاَ يُبَالِينَ بَنَظَرِ الرِّجَالِ إِلَيْهِنَّ، بَلْ رُبَّما يَفْتَخِرْنَ بِذٰلِكَ، وَمِنْهُنَّ مَنْ تُغطِّي وَجْهَهَا فِي الشَّارِعِ، وإذا دَخَلَتِ المَعْرَضَ كَشَفَتْ عَنْ وَجْهِهَا وَذِرَاعَيْهَا عِنْدَ صَاحِبِ المَعْرَضِ وَمَازَحَتْهُ بِالْكَلَامِ وَخَضَعَتْ لَهُ بِالقَوْلِ لِتُطْمِعَ الذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ.

وَمِنْ ذهَابِ الحَيَاءِ مِنْ بَعْضِ الرِّجَالِ أَوِ النِّسَاءِ شَغَفُهُم بِاسْتِمَاعِ الأَغَانِي وَالمَزَامِيرِ مِنَ الإذَاعَاتِ وَمِنْ أشرِطَةِ التَّسْجِيلِ، حَتَّىٰ إِنَّهُم يَطْلُبُونَ مِنَ الإذاعَاتِ إِعَادَةَ بَثِّ هٰذِه الأَغَانِي وَيَهْدُونَها إِلَى أَقَارِبِهِم وَأَصْحَابِهِم.

وَأَيْنَ الحَيَاءُ مِمَّنْ يَشْتَرِي الأَفْلَامَ الخَلِيعَةَ وَيُعْرِضُهَا فِي بَيْتِهِ أَمَامَ نِسَائِهِ وَأَوْلَادِهِ بِمَا فِيهَا مِنْ مَنَاظِرِ الفُجُورِ وَقَتْلِ الأَخلاَقِ وَإِثَارَةِ الشَّهْوَةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ؟

أَيْنَ الحَيَاءُ مِمَّنْ ضَيَّعُوا أَوْلَادَهُم فِي الشَّوَارِعِ يُخَالِطُونَ مَنْ شَاؤُوا، وَيُصَاحِبُونَ مَا هَبَّ وَدَبَّ مِنْ ذَوِي الأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ، أَوْ يُضَايِقُونَ النَّاسَ فِي طُرُقَاتِهِم، وَيَقِفُونَ بِسَيارِاتِهِم فِي وَسَطِ الشَّارِعِ حَتَّى يَمْنَعُوا المَارَّةَ، أَوْ يُهدِّدُونَ حَيَاتَهُم بِالعَبَثِ بالسَّيَّارَاتِ وَبِمَا يُسَمُّونَه بِالتَّفْحِيطِ؟

أَيْنَ الحَيَاءُ مِنَ المُدَخِّنِ الذِي يَنْفُثُ الدخَانَ مِنْ فَمِهِ فِي وجُوهِ جُلَسَائِهِ ومَنْ حَولَه، فَيخْنُقُ أَنْفَاسَهُم وَيُقَزِّزُ نُفُوسَهَم وَيَمْلأُ مَشَامهُم مِنْ نَتْنِهِ وَرَائِحَتِهِ الكَرِيهَةِ؟

أَينَ الحَيَاءُ مِنَ المُوَظَّفِ الذِي يَسْتَهْتِرُ بِالمَسْؤُولِيَّةِ، وَيُتْعِبُ المَرَاجِعِينَ بِحَبْسِ مُعَامَلَاتِهِم؟ أَينَ الحَيَاءُ مِنَ التَّاجِرِ الذِي يَخْدَعُ الزَّبَائِنَ وَيَغُشُّ السِّلَعَ وَيَكْذِبُ عَلَى النَّاسِ؟

إنَّ الذي حَمَلَ هٰؤلاَءِ عَلَى النُّزُولِ إِلَى هَذِه المُسْتَوَيَاتِ الهَابِطَةِ هُو ذهَابُ الحَيَاءِ كَمَا قَال ﷺ: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»(١) فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ وَرَاقِبُوا اللهَ فِي تَصَرُّفَاتِكُم.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٢ـ١٤].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرآنِ العَظِيم

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ الذِي يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِالفَضْلِ العَظِيمِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه بَعَثَهُ بِالدِّينِ القَوِيمِ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً...

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ الحَيَاءُ المَمْدُوحَ هُو الحَيَاءُ الذِي يَكُفُّ صَاحِبَهُ عَنْ مَسَاوِيءِ الأَخْلاَقِ، وَيَحْمِلُه عَلَى فِعْلِ مَا يُجَمِّلُهُ وَيُزَيِّنُه، أَمَّا الحَيَاءُ الذِي يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِن السَّعْيِ فِيمَا يَنْفَعُه فِي دِينِه وَدُنْيَاهُ، فَإِنَّهُ حَيَاءٌ مَذْمُومٌ، وَهُو ضَعْفٌ وَخَوَرٌ وَعَجْزٌ وَمَهَانَةٌ، فَلاَ يَسْتَحِي المُؤْمِنُ أَنْ يَقُولَ كَلِمَةَ الحَقِّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ، وَلاَ يَسْتَحِي المُؤْمِنُ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ أُمُورِ دِينِهِ، فَإِنَّ الحَيَاءَ الذِي يَمْنَعُ مِنْ فِعْلِ الخَيْرِ أَوْ قَوْلِ الحَقِّ إِنَّمَا هُو تَخْذِيلٌ مِنَ الشَّيْطَانِ فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ... إلخ.

---

(١) رواه البخاري (٦١٢٠).

فِي الإنفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَإِخْلَاصِ النّيَّةِ فِي ذَلِكَ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ عَلَى فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا، وَأَمَرَنَا بِالإنْفَاقِ مِمَّا أَعْطَانَا لِيَدَّخرَ ثَوَابه لَنَا، وَأَشْهَدُ أنْ لاَ إِلَه إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةَ نَقُولُهَا وَنَعْتَقِدُهَا سِرّاً وَعَلَناً، وَأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه مَا تَرَكَ خَيْرَاً إلاَّ بَينَهُ لَنَا، وَحَثَّنَا عَلَيْهِ وَأَمَرَنَا، وَلاَ شَرّاً إلاَّ نَهَانَا عَنْهُ وَحَذَّرَنَا. صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلم وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم فِي سَبِيلِ اللهِ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِم وَلَو كَانَ بِهِم خَصَاصَةٌ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيرَاً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَاشْكُرُوه عَلَى مَا رَزَقَكُم وَأَنْفِقُوا مِمَّا آتَاكُم، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيسَ لَكُم مِنْ أَمْوَالِكُم إلاَّ مَا قَدَّمْتُم لآخِرَتِكُم، قَالَ ﷺ: «**أيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟**» قَالُوا: يَارَسُولَ اللهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إلاَّ مَالُه أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «**فإنَّ مَالَه مَا قَدَّم وَمَالَ وَارِثِه مَا أَخَّرَ**» رَواه البُخَارِيُّ[1].

وَمَعْنَاهُ أَنَّ مَا يُنْفِقُهُ الإنْسَانُ مِنْ مَالِهِ فِي حَالِ حَيَاتِهِ فِي وجُوه البِرِّ وَالإحْسَانِ مِن الصَّدَقَاتِ وَإِقَامَةِ المَشَارِيعِ الخَيْرِيَّةِ وَالأَوْقَافِ النَّافِعَةِ وَكَفَالَةِ اليَتَامَى وَإِطْعَامِ الجَائِعِينَ وَسَدِّ حَاجَةِ المُحْتَاجِينَ وَإِعَانَةِ المُعْسِرِينَ، كُل هٰذَا يُقَدِّمُهُ أَمَامَهُ وَيَجِدُ ثَوَابَهُ مُدَّخَراً عِنْدَ اللهِ وَمُضَاعفاً أَضْعَافاً كَثِيرَةً، فَهُو مَالُه الحَقِيقِيُّ الذِي يبقي لَدَيْهِ وَيَجْرِي نَفْعُه عَلَيْهِ، وَمَا عَدَاهُ فَإِنَّ مِلْكِيتَهُ لَهُ مَحْدُودَةٌ بِحَالِ صِحَّتِهِ وَسَلاَمَةِ فِكْرِهِ، لأَنَّهُ إِذَا مَرِضَ مَرَضَ المَوْتِ فَإِنَّهُ يُحْجَرُ عَلَيْهِ فَلا يَتَصَرفُ فِيهِ بِصَدَقَةٍ وَلاَ هِبَةٍ، بَلْ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٤٤٢) من حديث ابن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ.

وَلاَ يَصِحُّ فِي هٰذِه الحَالَةِ إِقْرَارُهُ بِحَقٍّ عَلَيْهِ لأَحَدٍ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ أَوْ أَعْظَمُ أَجْرَاً؟ قَالَ: **«أَنْ تَصَّدَّقَ وَأَنْتَ شَحِيحٌ صَحِيحٌ تَخْشَىٰ الفَقْرَ وَتَأْمُلُ البَقَاء، وَلاَ تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ»** رَواهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُما[1].

فَفِي هٰذِه الحَالِ يُمْنَعُ الإِنْسَانُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ الذِي أَتْعَبَ جِسْمَهُ وَفِكْرَهُ وَقَضَىٰ عمرَهُ فِي جَمْعِهِ، لأَنَّه عَلَى وَشَكِ زَوَال مُلْكِهِ عَنْهُ وَانْتِقَالِهِ إِلَى غَيْرِهِ. وَقَدْ فَرَّطَ فِي حَالِ الصِّحَةِ يَوْمَ أَنْ كَانَ مُلْكُهُ عَلَيْهِ تَامّاً وَتَصرّفُهُ فِيهِ نَافِذَاً، فَيَنْبَغِي أَنْ يُقَدِّمَ مِنْهُ شَيْئَاً لِنَفْسِهِ يَبْقَىٰ لَهُ، وَيَنْعَمُ بِهِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ نَعِيماً مُؤَبَّدَاً. نَعَمْ. قَدْ رَخَّصَ اللهُ لَهُ قَبْلَ المَوْتِ أَنْ يُوصِيَ بِشَيءٍ مِنْهُ فِي وُجُوهِ البِرِّ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِي حُدُودِ الثُّلُثِ فَأَقَلَّ لِغَيْرِ وَارِثٍ.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ اللهَ تَصَدَّقَ عَلَيْكُمْ بِثُلُثِ أَمْوالِكُم عِنْدَ وَفَاتِكُم زِيَادَةً فِي حَسَنَاتِكُم لِيَجْعَلَهَا لَكُم زِيَادَةً فِي أَعْمَالِكُم»**[2].

فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْ هَذِهِ الصَّدَقَةِ التِي تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْه فِيمَا يَنْفَعُ فَيُوصِي بِثُلُثِ مَالِهِ فَأَقَلَّ فِي وجُوهِ البِرِّ وَالإِحْسَانِ، وَلاَ يُضَيِّعَ ذَلِكَ فِيمَا لاَ يَحِلُّ لَه، كَأَنْ يُوصِيَ بِهِ فِي الإِعانَةِ عَلَى إِثْمٍ أَوْ إِحْيَاءِ بِدْعَةٍ، أَوْ يُوصِي بِهِ لأَحِدٍ مِنْ وَرَثَتِهِ مُحَابَاةً لَهُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ أَوِ المَرْأَة بِطَاعَةِ اللهِ سِتِّينَ سَنَة، ثُمَّ يَحْضُرُهُمَا المَوْتُ، فَيُضَارَّانِ فِي الوَصِيَةِ، فَتَجِبُ**

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٧٤٨)، ومسلمٌ (١٠٣٢).

(٢) رواه الطبرانيُّ والحديث حسنٌ «صحيح الجامع» (١٧٣٣).

لَهُمَا النَّارُ» وَقَرَأَ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن ﴾ [النساء: ١٢]. إلى قوله: ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ [النساء: ١٣]. رَواه أَبُو دَاودَ وَالتِّرمِذِيُّ[١].

فَيَا مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم بِالأَموَالِ، قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُم مِنْ أَموالِكُم مَا تَشْتَرُونَ بِهِ مَنَازِلَ لَكُم فِي الجَنَّةِ، قَالَ تعالَى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ ﴾ [التوبة: ١١١].

بَعْضُ النَّاسِ يَجْمَعُ المَالَ وَيَقُولُ: أُؤَمِّنُ بِهِ مُسْتَقْبَلِي، يَعْنِي مُسْتَقْبَلَه الدُّنْيَوِيَّ، وَهُو لاَ يَدْرِي هَلْ يَعِيشُ مُسْتَقْبَلاً يَتَمَتَّعُ فِيه بِهٰذَا المَالِ أَوْ يَمُوتُ وَيَتْرُكُه لِغَيْرِهِ، لَكِنَّهُ لاَ يُفَكِّرُ فِي تَأْمِينِ مُسْتَقْبَلِهِ الذِي لاَ بُدَّ لَه مِنْهُ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ بِأَن يُقَدِّمَ مِنْ مَالِهِ مَا يَجِدُهُ مُدَّخَراً مضاعَفاً أَضْعَافاً كَثِيرَةً، وَهُو أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ. . .

ثُمَّ انْظُرُوا يَا عِبَادَ اللهِ إِلَى كَرَمِ اللهِ وَفَضْلِهِ عَلَيْكُم. فَإِنَّهُ يَشْتَرِي مِنْكُم مَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْكُم، وَيَأْمُرُكُم بِالإِنْفَاقِ مِمَّا أَعْطَاكُم، وَيَقْتَرِضُ مِنْكُم مِمَّا آتَاكُم، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ [المنافقون: ١٠]، ويَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [الحديد: ١٨]، ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةًۚ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

عِبَادَ اللهِ: لَيْسَ طَلَبُ التَّصَدُّقِ خَاصّاً بِالأَغْنِياءِ، بَلْ إِنَّ الفَقِيرَ مَطْلُوبٌ مِنْهُ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ قَلِيلاً، قَالَ ﷺ: «فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[٢]، وقَالَ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيمِينِه، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُربِّي أَحَدُكُم فَلُوَّه، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٦٧)، والترمذيُّ (٢١١٨) وقال: حسن صحيحٌ.

(٢) رواه البخاريُّ (٦٥٤٠)، ومسلمٌ (١٠١٦).

الجَبَلِ»[١] وَقَدْ مَدَحَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى الذِينَ يُؤثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِم وَلَو كَانَ بِهِم خَصَاصَةٌ..

ثُمَّ إِنَّ التصَدُّقَ سبَبٌ لِحُصُولِ الرِّزْقِ وَالخُلْفِ مِنَ اللهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٣٩﴾ [سبأ: ٣٩].

أَيْ: يُعْطِي بَدَلَهُ وخَيراً مِنهُ فِي الدُّنْيَا والآخِرةِ ويُعوِّضُ عنهُ أكثرَ مِنْهُ..

فَالصَّدَقَةُ لاَ تُنْقِص المَالَ، وَإِنَّمَا تَزِيدُه، قَالَ ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»[٢]، وَقَالَ ﷺ: «ثَلاَثةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُم حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمة فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَه اللهُ عِزاً، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ» الحديث رَواه التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[٣].

فَلاَ يَتَصَوَّرُ الإِنْسَانُ مِنَّا أَنَّ مَا يَتَصَدَّقَ بِهِ مِنَ المَالِ قَدْ تَلِفَ وَذَهَبَ، بَلْ يَثِقُ وَيُوقِنُ أَنَّهُ هُو الذِي يَبْقَىٰ لَهُ وَيُضَاعَفُ، وَمَا أَمْسَكَ بِيدِهِ هُو الذِي يَذْهَبُ.

عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا، قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا» رَواهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ[٤].

وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُم لَمَّا تَصَدَّقُوا بِهَا كُلهَا إِلاَّ كَتِفَهَا أَخْبَرَ ﷺ أَنَّهَا بَقِيَتْ لَهُم فِي الآخِرَةِ إِلاَّ كَتِفَهَا الذِي لَمْ يَتَصَدَّقُوا بِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ لِيُبَيِّنَ ﷺ لِأُمَّتِهِ أَنَّ الذِي

---

(١) رواه البخاريُّ (١٤١٠)، ومسلمٌ (١٠١٤).
(٢) رواه مسلمٌ أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.
(٣) رواه الترمذيُّ (٢٣٢٦).
(٤) رواه الترمذيُّ (٢٤٧٢).

يُتَصدَّقُ بِهِ مِنَ المَالِ هُو الذِي يَبْقَىٰ لِصَاحِبِهِ، وَأَنَّ الذِي لاَ يُتَصدَّقُ بِهِ هُو الذِي يَذْهَبُ وَيَزُولُ عَنْ صَاحِبِهِ.

وَمَنْعُ الصَّدَقَةِ سَبَبٌ لِتَلَفِ المَالِ، قَالَ ﷺ: «مَا مَنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ ممْسِكاً تَلَفاً» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1].

عِبَادَاللهِ: عَلَيْكُمْ بِالإنْفَاقِ مِنْ جَيِّدِ المَالِ وَلاَ تُنْفِقُوا مِنْ رَدِيئِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

يَأْمُرُ تَعَالَى بِالإنْفَاقِ مِنْ جَيِّدِ المَالِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الإنْفَاقِ مِنْ رَدِيئِهِ، وَيَقُولُ: كَمَا أَنَّكُمْ لاَ تَرْضَوْنَ بِالرَّدِيءِ لَوْ دَفَعَهُ إِلَيْكُمْ غَيْرُكُم، فَلاَ تَدْفَعُوهُ إِلَى غَيرِكُمْ، فَإِنَّهُ لاَ يَرْضَاهُ، فَكَيْفَ تَرْضَوْنَ لِلنَّاسِ مَا لاَتَرْضَوْنَهُ لِأَنْفُسِكُمْ.

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ غَنِيٌّ عنْ صَدَقَاتِكُم، وَإِنَّمَا أَمَرَكُمْ بِالتَّصدُّقِ لأَنْفُسِكُمْ، فَلاَ تُقَدِّمُوا لَهَا الرَّدِيءَ، فَإِنَّهُ لاَ يَنْفَعُكُم، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾ [آل عمران: ٩٢].

أَيْ: لَنْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الإحْسَانِ وَالتَّقْوَىٰ وَالمَنَازِلِ العَالِيَةِ فِي الجَنَّةِ إلاَّ إذا تَصَدَّقْتُمْ بِأَحَبِّ أَمْوَالِكُم إِلَيْكُمْ.

وَلَمَّا نَزَلَتْ هٰذِه الآيَةُ بَادَرَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِتَقْدِيمِ أَنْفَسِ أَمْوالِهِم وَأَحَبِّهَا إِلَيْهِمْ تَقَرُّباً إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَتَصَدَّق أَبُو طَلْحَةَ الأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

---

(١) رواه البخاريُّ (١٤٤٢)، ومسلمٌ (١٠١٠).

بِحَائِطِهِ الذِي هُو أَحَبُّ إِلَيْهِ، وَكَانَ عِنْدَ عُمَرَ جَارِيَةٌ تُعْجِبُهُ، فَأَعْتَقَهَا، وَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وكَذَلِكَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ كَانَ إِذَا أَعْجَبَهُ شَيءٌ مِنْ مَالِهِ تَصَدَّقَ بِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ. .

وَقَدْ وَصَفَ اللهُ الأَبْرَارَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: ٨ـ٩].

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ اليَوْمَ لاَ يَتَصَدَّقُونَ إِلاَّ بِالشَّيءِ الذِي تَعَافُهُ أَنْفُسُهُم، أَوْ يرِيدُونَ أَنْ يَرْمَوْهُ فِي المَزَابِلِ مِمَّا ذَهَبَ نَفْعُهُ وَقَلَّتِ الرَّغْبَةُ فِيهِ، وَهَذَا لاَ يُفِيدُهُم شَيْئاً، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالإِنْفَاقِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً. وَالطَّيِّبُ هُو الحَلاَلُ الجَيِّدُ.

وَاحْذَرُوا ـ عِبَادَ اللهِ ـ مِنْ مَوانِعِ قَبُولِ الصَّدَقَةِ التِي مِنْهَا أَنْ يَتَصَدَّقَ الإِنْسَانُ وَهُو كَارِهٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ۝٥٤﴾ [التوبة: ٥٤].

أَي: يُنْفِقُونَ بِغَيْرِ انْشِرَاحِ صَدْرٍ وَطِيبِ نَفْسٍ وَرَغْبَةٍ فِي ثَوابِ النَّفَقَةِ. وَمَنْ كَانَ كَذَٰلِكَ فَإِنَّهُ يَعْتَبِرُ النَّفَقَةَ مَغْرَماً لاَ مَغْنَماً.

وَمِنْ مَوانِعِ قَبُولِ الصَّدَقَةِ المَنُّ بِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ۝٢٦٣ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٣ـ٢٦٤].

أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الصَّدَقَةَ تَبْطُلُ بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ، وَهِي أَنْ يَفْعَلَ مَعَ مَنْ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ مَكْرُوهَا مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، فَهَذَا يُحْبِطُ بِهِ ثَوَابَ صَدَقَتِهِ، لأَنَّ إِثْمَ المَنِّ

وَالأَذَىٰ لاَ يُغطِّيهِ ثوابُ الصَّدَقَةِ. وَقَدْ وَرَدَتِ الأَحَادِيثُ بِالنَّهْيِ عَنِ المَنِّ بالصَّدَقَةِ، مِنْهَا مَا فِي «صَحِيح مُسْلِمٍ» عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُم اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِم وَلاَ يُزَكِّيهِم، وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ: المَنَّانُ بِمَا أَعْطَى. والمُسْبِلُ إِزَارَهُ. وَالمُنَفِّقُ سِلعَتَه بِالحَلِفِ الكَاذِبِ»(١).

وَمِنْ مَوانِعِ قَبُولِ الصَّدَقَةِ: أَنْ يَقْصِدَ بِهَا الرِّيَاءَ وَالسمْعَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وَرِئَاءُ النَّاسِ: مرَاءَاتُهُم.

وَالمُرَائِي: هُو الذِي يُحِبُّ أَنْ يَرَىٰ النَّاسُ عَمَلَهُ، وَيُرِيدُ مَدْحَهَم وَثَنَاءَهُم عَلَيْهِ، وَلاَ يَرِيدُ ثَوَابَ اللهِ، لأَنَّهُ لَيْسَ فِي قَلْبِهِ إِيمَانٌ، وَقَدْ شَبَّهَ اللهُ قَلْبَهُ بِالحَجَرِ الأَملَسِ المُغَطَّىٰ بِالتُّرَابِ، فَيَظُنُّ الرَّائِي أَنَّهُ إِذَا أَصَابَهُ المَطَرُ أَنْبَتَ كَمَا تُنْبِتُ الأَرْضُ الطَّيِّبَةُ. وَلَكِنَّ المَطَرَ يُزِيلُ عَنْهُ التُّرَابَ وَيُظهِرُهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ حَجَراً لاَ يَقْبَلُ الإِنْبَاتَ، وَهٰكَذَا قَلْبُ المُرَائِي الذِي لاَ إِيمَانَ فِيهِ، فَأَعْمَالُه وَنَفَقَاتُه بَاطِلَةٌ لاَ أَصْلَ لَهَا تُؤَسَّسُ عَلَيْهِ.

عِبَاد اللهِ: إِنَّ الشحَّ وَالبُخْلَ آفَتَانِ نَفْسِيتَانِ يَمْنَعَانِ مَنِ التَّصَدُّقِ وَالإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩] وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ

---

(١) رواه مسلمٌ (١٠٦).

ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُم عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُم وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُم» رواه مُسْلِمٌ[١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَثَلُ البَخِيلِ وَالمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدَيِّهِمَا إِلَى تراقيهمَا. فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلاَّ سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِه حَتَّى تُخْفِي بَنَانَه وتَعْفُو أَثَرَهُ، وَأَمَّا البَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئاً إِلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا فَهُو يُوَسِّعُهَا فَلاَ تَتَّسِعُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

والجُنَّةُ: الدِّرْعُ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ المُنْفِقَ كُلَّمَا أَنْفَقَ تَوَسَّعَ دِرْعُه، وَطَالَ حَتَّى يُضْفِي عَلَيْهِ كُلِّهِ. وَالمُرَادُ أَنَّ الجَوادَ إِذَا هُمَّ بِالصَّدَقَةِ انْفَسَحَ لَهَا صَدْرُهُ، وَطَابَتْ نَفْسُهُ وَتَوَسَّعَتْ فِي الإِنْفَاقِ. وَالبَخِيلُ إِذَا حَدَّثَهَا بِهَا شَحَّتْ بِهَا، فَضَاقَ صَدْرُهُ، وَانْقَبَضَتْ يَدَاهُ.

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَاحْذَرُوا الصِّفَاتِ المَذْمُومَةَ، وَاتَّصِفُوا بِالصِّفَاتِ الحَمِيدَةِ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾ [المنافقون: ٩-١١].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٥٧٨).

(٢) رواه البخاريُّ (١٤٤٣)، ومسلمٌ (١٠٢١) واللفظ للبخاريِّ - رحمهما الله تعالى -.

الخُطْبَة الثَّانِية :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَغْنَى وَأَقْنَى، وَوَعَدَ مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، بِأَنْ يُيَسِّرَهُ لِلْيُسْرَىٰ، وَتَوَعَّدَ مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى بِأَنْ يُيَسِّرَهُ لِلعُسْرَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الآخِرَةُ وَالأُولَى، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المَخصُوصُ مِنْ بَيْنِ الرُّسُلِ بِالشَّفَاعَةِ العُظْمَىٰ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ جَاهَدُوا بِأَمْوالِهِم وَأَنْفُسِهم لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِي العُلْيَا، وسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ :

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ، وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ أَموالِكُمْ، قَبْلَ مَمَاتِكُمْ وَانْتِقَالِكُمْ، وَاحْرِصُوا عَلَى وَضْعِ الصَّدَقَاتِ فِي مَوَاضِعِهَا الصَّحِيحَةِ مِنْ إِعْطَائِهَا لِلْمُحْتَاجِينَ مِنَ الفُقَرَاءِ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَالمَدِينِينَ المُعْسِرِينَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ إِخْفَاءَ الصَّدَقَةِ أَفضَلُ مِنْ إِظْهَارِهَا، لِما فِيه مِنَ البُعْدِ عَنِ الرِّيَاءِ، وَالسَّتْرِ عَلَى الفَقِيرِ الذِي يَسْتَحِي مِنْ أَخْذِ الصَّدَقَةِ. وَإِذَا كَانَ فِي إِظْهَارِ الصَّدَقَةِ مَصْلَحَةٌ شَرْعِيَّةٌ بِأَنْ يَكُونَ قَدْوة لِغَيْرِهِ فِي التَّصَدُّقِ أَوْ تَكُونَ فِي مَشْرُوعٍ خَيْرِيٍّ ظَاهِرٍ فَلاَ بَأْسَ بِذٰلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وَتَحَرَّوْا ـ عِبادَ اللهِ ـ بِصَدَقَاتِكُم المُحْتَاجِينَ المُتَعَفِّفِينَ عَنِ السُّؤالِ، لأَنَّ هٰذَا الصِّنْفَ أَفْضَلَ مَا وضِعَتْ فِيهِ الصَّدَقَاتُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

فَهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الاكْتِسَابَ، وَلاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ تَعَفُّفاً وَحَيَاءً، يَحْسَبُهُمْ مَنْ يَجْهَلُ حَالَهُم أَغْنِيَاءَ مِنْ تَسترهِمْ، قَالَ ﷺ: «لَيْسَ المِسْكِينُ الذي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّه اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرةُ والتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ المَسْكِينَ الذِي لاَ يَجِدُ غِنَىً يُغْنِيهِ، وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

وَالسَّائِلُ لَهُ حَقٌّ عَلَى المَسْؤُولِ، فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فِي أَنَّهُ مُحْتَاجٌ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَإِنَّهُ آثِمٌ، وَمَا أَخَذَهُ حَرَامٌ وَسُحْتٌ وَجَمْرٌ مِنْ جَهَنَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّراً ـ أَيْ: مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَإِنَّمَا يَسْأَلُ لِيُكَثِّر مَالَه ـ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْراً فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ» رَواه مُسْلِمٌ[٢].

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ المَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إِلاَّ أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَاناً أَوْ فِي أَمْر لاَ بُدَّ مِنْهُ» رَواه التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيث حَسَنٌ صَحِيحٌ[٣]. وَالكَدُّ: الخَدْشُ وَنَحْوهُ.

وَعَن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ تَزَالُ المَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَىٰ اللهَ تَعَالَى وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مزْعَةُ لَحْمٍ» متفق عليه[٤].

وَعَن أَبِي عَبْدِ اللهِ الزُّبيرِ بنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، ثُمَّ يَأْتِي الجَبَلَ، فَيَأْتِي بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيبِيعهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطُوهُ أَوْ مَنَعُوه» رَواه البُخَارِيُّ[٥].

---

(١) رواه البخاريُّ (٤٥٣٩)، ومسلمٌ (١٠٣٩).
(٢) رواه مسلمٌ (١٠٤١).
(٣) روه الترمذيُّ.
(٤) رواه البخاريُّ (١٤٧٤)، ومسلمٌ (١٠٤٠).
(٥) رواه البخاريُّ (٢٠٧٤)، وكذا رواه مسلمٌ (١٠٤٢). كلاهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وليس عن الزبير ـ رضي الله عنه ـ .

نَسْأَلُ اللهُ أَنْ يُغْنِينَا بِحَلاَلِه عَنْ حَرَامِه وَأن يَكْفِيَنَا بِفَضْلِهِ عَمَّن سِوَاهُ . . إِنَّ خَيْرَ الحَديثِ كِتَابُ اللهِ . . إلخ .

* * *

فِي الحَثِّ عَلَى إِخْرَاجِ زَكَاةِ الحُبُوبِ وَالثِّمَارِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، حَثَّ عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ وَالإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَه وَلاَ نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُولُهُ وَمُصْطَفَاهُ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وَأَصْحَابِهِ ومَنْ وَالاَهُ، وسَلَّمَ تَسْلِيمَاً كَثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وَاطْلُبُوا الرِّزْقَ مِنْ حِلِّه، وَأَنْفِقُوه فِي وُجُوهِه التِي شَرَعَ اللهُ فِي الإِنْفَاقِ فِيهَا. فَقَدْ جَاءَتْ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ فِي الكِتَابِ وَالسُّنةِ فِي الحَثِّ عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ وَالإِنْفَاقِ فِي وَجُوهِ الخَيْرِ. وَقَدْ ذَمَّ اللهُ الذِينَ يَجْمَعُونَ المَالَ وَلاَ يُنفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ. قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ النَّارِ:

﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المعارج: ١٥ـ٢٥].

وَقَدْ نَهَىٰ عَنْ المَكَاسِبِ المُحَرَّمَةِ. فَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩].

أَيْ: لاَ يَأْكُلْ بَعْضُكُم مَالَ بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ الوَجْهِ الذِي أَبَاحَهُ اللهُ. وَالأَكْلُ بِالبَاطِلِ أَنْوَاعٌ كَثِيرةٌ كَالرِّبَا، وَالقِمَارِ، وَالغِشِّ، وَالحِيَلِ البَاطِلَةِ، وَالخُصُومَاتِ

الفَاجِرَةِ، وَالسَّرِقَةِ، وَالنَّهْبِ، والاغْتِصَابِ، وَبَيْعِ الأَشْيَاءِ المُحَرَّمَةِ كَالمُسكِرَاتِ والمُخَدِّرَاتِ والدُّخَانِ، وَآلاَتِ اللَّهْوِ، والصُّوَرِ، وَغَيرِ ذَلِكَ مِمَّا حَرَّمَهُ اللهُ، لأَنَّ اللهَ إِذَا حَرَّمَ شَيْئاً حَرَّمَ ثَمَنَهُ.

وَلَمَّا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أيُّ الكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: «**عَملُ الرَّجُلِ بِيدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ**» رواه أَحْمَدُ وَالبَزَّارُ وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ. وَالبَيْعُ المَبْرُورُ: هُو الخَالِصُ مِنَ الغِشِّ وَالحِيَلِ وَالكذِبِ وَالأَيْمَانِ الفَاجِرَةِ.

وَمِنْ أَنْواعِ الكَسْبِ الطَّيِّبِ الزِّرَاعَةُ وَغَرْسُ الأَشْجَارِ التِي يُنْتَفَعُ بِثَمَرِهَا. لِمَا فِي الزِّرَاعَةِ وَغَرْسِ الأَشْجَارِ مِنْ عَملِ اليَدِ، وَالتَّوكلِ عَلَى اللهِ، وَالنَّفْعِ العَامِ للخَلْقِ.

عَنْ جَابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسَاً إلاَّ كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ وَلاَ يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَة إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ**» وَفِي رِوايةٍ: «**فَلاَ يَغْرِسُ المُسْلِمُ غَرْسَاً فَيَأْكُل مِنْهُ إِنْسَانٌ ولاَ دَابَّةٌ وَلاَ طَيْرٌ إلاَّ كَان لَهُ صَدَقة إِلَى يَوْمِ القِيَامةِ**». وَفِي رِوَايةٍ: «**لاَ يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسَاً وَلاَ يَزْرَعُ زَرْعَاً فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلاَ دَابَّةٌ وَلاَ شَيءٌ إلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَة**» رَواه مُسْلِمٌ[1].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُو فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ**. وَذَكَرَ مِنْهُنَّ «**مَنْ غَرَسَ نَخْلاً**»[2].

وَعَنْ جَابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ**»، قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**كُنْتُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ إِذْ لاَ تَعْبُدُونَ اللهَ، تَحْمِلُونَ الكلَّ**

---

(١) رواه مسلمٌ (١٥٥٢).

(٢) رواه البزارُ عن أنسٍ - رضي الله عنه - انظره في صحيح الترغيب (٢/ ٥٢) (٧٤).

وَتَفْعَلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ المَعْرُوفَ وَتَفْعَلُونَ إِلى ابنِ السَّبِيلِ حَتَّىٰ إِذَا مَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ بِالإِسْلَامِ وَبَنِيِّهِ إِذَا أَنْتُم تُحصنُونَ أَمْوَالَكُمْ. فِيمَا يَأْكُلُ ابنُ آدَمَ أَجْرٌ. وَفِيمَا يَأْكُلُ السَّبعُ وَالطَّيْرُ أَجْرٌ» قَالَ: فَرَجَعَ القَوْمُ، فَمَا مِنْهُم أَحَدٌ إِلاَّ هَدَمَ مِنْ حَدِيقَتِهِ ثَلاثِينَ بَاباً. رَواهُ الحَاكِمُ وَقالَ: صَحِيحُ الإِسْنَادِ.

وَفِي هٰذِه الأَحَادِيثِ فَضْلُ الزِّرَاعِةِ وَغَرْسِ الأَشْجَارِ التِي يَنْتَفِعُ مِنْهَا الخَلْقُ، وَلاَ سِيَّمَا النَّخِيلُ، وَأَنَّ مَا أُكِلَ مِنْهَا بِعِلْمِ صَاحِبِهَا أَوْ بِغَيْرِ عِلْمِهِ فَلَه أَجْرُهُ، وَأَنَّ الأَجْرَ يَسْتَمِرُّ بِبَقَاءِ الأَشْجَارِ التِي يُؤكَلُ مِنْهَا بَعْدَ مَوْتِهِ. وَقَدْ شَرَعَ اللهُ الإِنفاقَ مِنَ الأَموالِ التِي يَحصُلُ عَلَيْهَا الإِنْسَانُ.

وَهٰذَا الإِنْفَاقُ مِنْهُ مَا هُو وَاجِبٌ كَالزَّكَاةِ التي هِي رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ وَقَرِينَةُ الصَّلاَةِ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالتِي قَاتَلَ الصَّحَابَةُ مَنْ مَنَعَهَا.

وَمِنَ الإِنْفَاقِ مَا هُو مُسْتَحَبٌّ كَسَائِرِ الصَّدَقَاتِ.

والإِنْفَاق فِي سَبِيلِ اللهِ وَاجِب أَوْ مُسْتَحَب يُشْرَعُ فِي جَمِيعِ الأَمْوَالِ. فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ فِي الأَمْوالِ عَلَى اختِلافِ أَنْوَاعِهَا أَنْ تُخرَجَ زَكَاتُهَا مِنْهَا، فَفِي النقُودِ زَكَاةٌ، وَفِي عُرُوضِ التِّجَارَةِ وَهِي السِّلَعُ المُعَدَّةُ لِلْبَيْعِ للاتِّجَارِ بِثَمَنِهَا زَكَاةٌ، وَفِي بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ وهِي الإِبلُ والبَقَرُ والغَنَم زَكَاةٌ، وَفِي الخَارِجِ مِنَ الأَرْضِ مِنْ حُبُوبٍ وَثِمَارٍ، لأَنَّ الزِّرَاعَةَ قَدْ تَطَوَّرَتْ فِي هٰذَا الزَّمَانِ وَسَهُلَتْ تَكَالِيفُهَا. قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٧ـ٢٦٨].

يَأْمُرُ اللهُ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ أَنْ يُنْفِقُوا مِنْ جَيِّدِ مَا كَسَبُوه مِنَ التِّجَارَاتِ مِنَ

النُّقُودِ وَعُرُوضِ التِّجَارَةِ المُعدَّةِ لِلْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَمَا اقْتَنوهُ لِلْدَّرِّ وَالنَّسْلِ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ومَا أُخْرِجَ لَهُم مِنَ الأَرْضِ مِنَ الحُبُوبِ كَالبُرِّ وَالشَّعِيرِ وَأَصْنَافِ الحُبُوبِ، وَمِنَ الثِّمَارِ كَالتَّمْرِ وَالْعِنَبِ، وهَذَا يشْمَلُ الصَّدَقَاتِ الوَاجِبَةَ كَالزَّكَاةِ، وَالصَّدَقَاتِ المُسْتَحَبَّةَ كَأنواعِ التَّطَوُّعَاتِ، وَيَنْهَىٰ سُبْحَانَهُ عَنْ إِخْرَاجِ الخَبِيثِ وَهُو الرَّدِيءُ الذِي لَوْ دَفَعَهُ إِلَيْهِم مَنْ لَهُم حَقٌّ عَلَيْهِ لَمْ يَقْبَلُوه مِنْهُ إلاَّ عَلَى كُرْهٍ فَكَيْفَ تَرْضَوْنَ للهِ مَا لاَ تَرْضَوْنَه لِأَنفسِكُم؟ فَالوَاجِبُ إِخْرَاجُ زَكَاةِ الشَّيءِ مِنْهُ: الجَيِّدُ مِنَ الجَيِّدِ، والرَّدِيءُ مِنَ الرَّدِيءِ، وَالمُتَوَسِّطُ مِنَ المُتَوَسِّطِ. وَمَنْ أَخْرَجَ الرَّدِيءَ عَنِ الجَيِّدِ لَمْ يُجْزِئْهُ عَنِ الوَاجِبِ وَلاَ يَحْصُلُ لَهُ الثَّوَابُ.

ثُمَّ بيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ غَنِي عن المَخْلُوقِينَ وَعَنْ صَدَقَاتِهِم، وَإِنَّمَا أَمَرَهُم بِهَا وَحَثَّهُمْ عَلَيْهَا لِنَفْعِهِم هُمْ وَنَفْعِ إِخْوَانِهِم المُحتَاجِينَ، ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهم بَيْنَ دَاعِيَيْنِ: دَاعِي الرَّحْمٰنِ الذِي يَدْعُوهُم إِلَىٰ الإِنْفَاقِ، وَيعِدُهُم الخَيْرَ وَالفَضْلَ وَالثَّوَابَ، وَدَاعِي الشَّيْطَانِ الذِي يَدْعُوهُم إِلَىٰ البُخْلِ، وَيُخوِّفُهُم مِنَ الفَقْرِ. وَقَالَ تَعالَى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

فَالذِي يُنْفِقُ مِمَّا يَكْرَهُ لاَ يَنَالُ الْبِرَّ، فَالوَاجِبُ أَنْ يُجيبُوا دَاعِيَ الرَّحْمنِ وَيَرْفُضُوا وَيَحْذَرُوا دَاعِي الشَّيْطَانِ.

وَقَدْ بيَّنَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةٍ أُخرَىٰ وَقْتَ وَجُوبِ إِخْرَاجِ زَكَاةِ الحُبُوبِ وَالثِّمَارِ. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١].

أَيْ: أَخْرِجُوا زَكَاةَ الزَّرْعِ يَوْمَ حَصَادِهِ، وَمِثْلُهُ الثِّمَارُ، فَإِنَّهَا تُخْرَجُ زَكَاتُهَا يَوْمَ جُذَاذِهَا، لأَنَّهُ الوَقْتُ الذِي تَتِمُّ بِهِ النِّعْمَةُ عَلَى المُزَارِعِينَ وَأَصْحَابِ النَّخِيلِ بِالتَّمَكُّنِ مِنَ الحُصُولِ عَلَى ثِمَارِهِم وَحُبُوبِهِم، وَهُو الوَقْتُ الذِي تَتَشَوَّفُ فِيهِ نُفُوسُ الفُقَرَاءِ إِلَى الصَّدَقَاتِ وَالمُواسَاةِ، فَفِي هٰذِه الآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ الزَّكَاةِ

فِي الحُبُوبِ وَالثِّمَارِ، وَأنَّه لاَ حَوْلَ لَهُمَا، بَلْ حولُهُمَا وَقْتُ الحُصُولِ عَلَيْهِمَا بِالحَصَادِ لِلزُّرُوعِ، وَالجُذَاذِ لِلنَّخِيلِ، وَأَنَّهُ لَوْ أَصَابَ الثِّمَارَ وَالحُبُوبَ آفَةٌ، فَتَلِفَتْ قَبْلَ الحَصَادِ والجُذاذِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيطٍ مِنْ صَاحِبِهَا، فَلاَ زَكَاة فِيهَا، وَقَدْ بَيَّنَتِ سنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ المِقْدَارَ الوَاجِبَ إِخْرَاجُهُ فِي زَكَاةِ الحُبُوبِ وَالثِّمَارِ، وَأَنَّهُ العُشْرُ فِيمَا سُقِيَ بِلاَ مُؤونةٍ، وَنِصْفُ العُشْرِ فِيمَا سُقِيَ بِمؤونَةٍ.

فَعَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِي ﷺ قال: «فِيمَا سَقَتِ الأَنْهَارُ وَالغَيْمُ العُشورُ، وَفِيمَا سُقِيَ بِالسَّانِيَةِ نِصْفُ العُشورِ»، رَواه أَحْمَدُ ومُسْلمٌ، والنسَائِيُّ، وَأَبو دَاودَ[1]، وَقَالَ: الأَنْهارُ: العُيونُ.

وعَنِ ابنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالعُيونُ أَوْ كَانَ عثرياً العُشْرُ، وَفِيمَا سُقِيَ بالنَّضحِ نِصْفُ العُشْرِ».

فَالْحَدِيثَانِ يَدُلاَّنِ عَلَى أَنَّ مَايُسْقَى بِلاَ نَفَقَةٍ كَالَّذِي يَشْرَبُ مِنَ السُّيُولِ، أوْ مِنَ الأنْهَارِ أَوْ العُيونِ فَفِيهِ العُشْر، وَأَنَّ مَايُسْقَى بِنقَةٍ كَالذِي يُسْقَى بالسَّوانِي أَوْ المَكَائِنِ الرَّافِعَةِ، فَفِيهِ نِصْفُ العُشْرِ.

عِبَادَ اللهَ: جَاء الوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِي حَقِّ مَانِعِي الزَّكَاةِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَامَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ، خِصَالٌ خَمْسٌ إن ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَنَزَلْن بِكُمْ - أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَط حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إلاَّ فَشَتْ فِيهِمُ الأَوْجَاعُ التِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلاَفِهِم، وَلَمْ يُنْقِصُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ

---

(١) رواه مسلمٌ (٩٨١).

إلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ المَؤونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوالِهِم إلاَّ منِعُوا القَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلاَ البَهَائِمُ لَمْ يُمطَرُوا، وَلاَ نَقَضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِه إلاَّ سُلِّطَ عَلَيْهِم عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَيَأْخُذ بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِم. وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُم بِكتَابِ اللهِ إلاَّ جُعِلَ بَأْسُهُم بَيْنَهُم»[1] رَواهُ البَيْهَقِيُّ.

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمَا تَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ وَلاَ بَحْرٍ إلاَّ بِحَبْسِ الزَّكَاةِ» رَواه الطَّبَرَانِيُّ.

فَدَلَّ الحَدِيثَانِ عَلى أنَّ مَنْعِ الزَّكَاةِ يُسَبِّبُ احْتِبَاسَ الأَمْطَارِ التِي فِيهَا حَياةُ النَّاسِ وَحَيَاةُ البَهَائِمِ وَالأَشْجَارِ، ويُسَبِّبُ تَلَفَ الأَموالِ التِي لَمْ تُزكَّ. وَأَنْتُمْ تَرَونَ مَا يَحِلُّ بِالنَّاسِ مِنْ تَأخُرِ نُزُولِ الأَمْطَارِ وَمَا يُصِيبُ الزُّرُوعَ وَالثِّمَارَ مِنَ الآفَاتِ التِي تُتْلِفُهَا أَو تُنْقِصُ مَحَاصِيلَهَا، وَذٰلِكَ بِسببِ مَنْعِ الزَّكَاةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٣ ـ ٦٧].

يُذَكِّرُ سبْحَانَهُ عِبَادَهُ فِيمَا يُلقُونَه مِنَ البَذْرِ فِي الأَرْضِ: هَلْ هُم الذِينَ أَخْرَجُوهُ نَبَاتاً مِنَ الأَرْضِ ثُمَّ نَمَّوْهُ حَتَّى تكَامَلَ وَأَخرَجُوا سنبُلَه وَصَارَ حَباً حَصِيداً، وَثَمَراً نَضِيجاً، أَمْ إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هَو الذِي فَعَلَ ذٰلِكَ كُلَّهُ، وَلَمْ تَفْعَلُوا أَنْتُم إلاَّ حَرْثَ الأَرْضِ وَوَضْعَ البَذْرِ فِيهَا.

ثُمَّ مَنِ الذِي يَدْفَعُ عَنْ هٰذَا الزَّرْعِ الآفَاتِ التِي هُو مُعَرَّضٌ لَهَا مِنَ البَرْدِ وَالجَرَادِ وَالأَمْرَاضِ، أَتَقْدِرُونَ عَلَى دَفْعِ ذَلِكَ عَنْهُ لَولاَ دَفْعُ اللهِ عَنْهُ حَتَّى يَحِينَ

---

(١) رواه البيهقي والحاكم. انظر «الصحيحة» (١٠٦).

حَصَادُه، وَلَو شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَ عَلَيه مَا يُتلِفُهُ وَيَجْعَلُه مُحَطَّماً أَوْ نَاقِصاً لاَ حَبَّ فِيهِ، وَلاَ تَقْدِرُونَ عَلَى دَفْعِ ذَلِكَ عَنه، وَإِنَّمَا تَتَلاوَمُونَ وَتَتَسَاءَلُونَ عَنِ السبَبِ الذِي قَضَى عَلَيْهِ، وَتَتَحَسَّرُونَ عَلَى مُصِيبَتِكُمْ وَهَلاَكِ زُرُوعِكُم مَعَ مَا بَذَلْتُمْ فِيهَا مِنَ الأَتْعَابِ وَالنَّفَقَاتِ، وَتُقِرُّونَ بِالعَجْزِ فَاشْكُرُوا اللهَ الذِي زَرَعَه لَكُم وَحَمَاهُ مِنَ الآفَاتِ، وَتَصَدَّقُوا مِنْهُ عَلَى ذَوِي الحَاجَاتِ، وَأَدُّوا مَا فِيه مِنْ حَقِّ الزَّكَاةِ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة: ٢٧١].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِية:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، يَمُنُّ عَلَى عِبَادِهِ بِالأَرْزَاقِ، وَيَأْمُرُهُم أَنْ يُنفِقُوا مِمَّا أَعْطَاهُم لِيَجِدُوه يومَ التَّلاَقِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَه إلاَّ اللهُ المَلِكُ الخَلاَّقُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُولُه، وَأَفْضلُ خَلْقِهِ عَلَى الإِطْلاَقِ، بَعَثَهُ لِيُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وَأَصْحَابِهِ البَرَرَة السّبَاق، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَاسْمَعُوا مَا جَاءَ فِي المُتَصَدِّقِينَ مِنْ زُرُوعِهِم وَأَشْجَارِهِم مِنَ الوَعْدِ بِالخَيْرِ وَالبَرَكَةِ، وَمَا جَاءَ فِي الذِينَ لاَ يَتَصَدَّقُونَ مِنْهَا مِنَ الوَعِيدِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي فَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتاً فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ. فَتَنَحَّىٰ ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَه فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَد اسْتَوعَبَتْ ذَلِكَ المَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ**

المَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يحَوِّلُ المَاءَ بِمسحاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَاعَبْدَ اللهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ، لِلاسْمِ الذِي سَمِعَ مِنَ السَّحَابَةِ، فَقَالَ: يَاعَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَن اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتاً فِي السَّحَابِ الذِي هٰذَا مَاؤهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ ـ لاسمك ـ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا. فَقَالَ: أَما إِذْ قُلْتَ هٰذَا، فإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخرجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأَردُّ فِيهَا ثُلُثَهُ» رَواه مُسْلِمٌ(١).

وَذَكَرَ الحَافِظُ ابنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ قَولِه تَعَالَى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ الآيَاتُ: [القلم: ١٧ـ٢٠].

إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ لَه حَدِيقَةٌ يَسِيرُ فِيهَا بِسِيرةٍ حَسَنَةٍ، فَكَانَ مَا يَسْتَغِلُّ مِنْهَا يَرُدُّ فِيها مَا تَحْتَاجُ إِلَيهِ وَيَدَّخِرُ لِعِيَالِهِ قُوتَ سَنَتِهِم، وَيَتَصَدقُ بِالفَاضِلِ، فَلَمَّا مَاتَ وَوَرِثَهُ بَنُوه قَالُوا لَقَدْ كَانَ أَبُونَا أَحْمَقَ إِذْ كَانَ يَصْرِفُ مِنْ هٰذِه شَيْئاً لِلْفُقَرَاءِ، وَلَوْ أَنَّا مَنَعْنَاهُم لَتوفَّرَ ذٰلكَ عَلَيْنَا، فَلَمَّا عَزَمُوا عَلَى ذلِكَ عُوقِبُوا بِنَقِيضِ قَصْدِهِم، فَأَذْهَبَ اللهُ مَا بِأَيْدِيهِم بِالْكُلِّيةِ رَأسَ المَالِ وَالرِّبْحَ وَالصَّدَقَةَ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُم شَيءٌ وَكَانُوا قَدْ عَزَمُوا عَلَى صِرَامِ البُسْتَانِ أَوَّلَ الصَّبَاحِ قَبْلَ انْتِبَاهِ النَّاسِ وَحُضُورِ المَسَاكِينِ، فَأَحْرَقَهُ اللهُ بِاللَّيْلِ عُقُوبَةً لَهُم عَلَى نِيَّتِهِم السَّيئةِ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا جَاؤوا لِتَنْفِيذِ مَا عَزَمُوا عَلَيْهِ فَوَجَدُوهَا سَوْدَاءَ مُحْتَرِقَةً، فَظَنُّوا أَنَّهَا غيرهَا. فَلَمَّا تَحَقَّقُوا أَنَّهَا هِي أَدْرَكُوا أَنَّ اللهَ عَاقَبَهُم وَحرَمَهُم إِيَّاهَا، فَأَخَذُوا بِالتَّأَسُّفِ وَالتَّلاوُم.

وَهٰذِهِ عِبْرَةٌ لِكُلِّ مَنْ مَنَعَ حَقَّ اللهِ فِي مَالِهِ أَنْ يُعَاقِبَهُ اللهُ بِإِتْلَافِهِ كُلِّهِ حَتَّى يُصْبِح فَقِيراً مُفْلِساً.

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٩٨٤) بلفظ «بينا..».

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ بِأَدَاءِ حَقِّهَا، وَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ رَبِّكُم وَسُنَةِ نَبِيكُم، فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مَحَمَّدٍ ﷺ... إلخ.

* * *

ظَاهِرَةُ التَّأَخُّرِ فِي الحُضُورِ لِصَلاَةِ الجُمُعَةِ والجماعة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أمرَ بالمسارعة إلى الخيرات، وَحذَّرَ مِنْ إضَاعَةِ الأعْمَارِ وَالأوْقَاتِ، وَأَشْهَدُ أنْ لاَ إله إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبيتِهِ وَإلهيتِهِ ومَا لَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُه وَرَسُولُه، حَثَّ عَلَى المُبَادَرةِ إلَى حُضُورِ الجُمَعِ وَالجماعَاتِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلهِ وَأَصْحَابهِ الذِينَ كَانَ تَنَافُسُهم فِي الطاعَاتِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمَاً كَثِيرَاً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاسْتَجِيبُوا لِنِدَاءِ رَبِّكُمْ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

وَاعلَمُوا أَن الأَوْقَاتِ تَمْضِي، وَالأَعْمَارَ تَنْقَضِي، وَمَنْ خَافَ أَدْلَج، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِل، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيةٌ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنةُ، وَالجَنة لاَ تُدْرَكُ بِالتَّمَنِّي، وَلاَ بِشَرَفِ النَّسَبِ، وَلاَ بِعَمَلِ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ، وَلاَ بِكَثْرةِ الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

ومَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ.

فَالجَنة لِمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَعَمِلَ صَالِحَاً، وَلو كَانَ عَبْدَاً حَبَشِياً، وَالنَّارُ لِمَنْ كَفَرَ باللهِ وَلو كَانَ شَرِيفَاً قُرَشِياً.

عِبَادَ اللهِ: إنَّنَا نَرَىٰ الكَثِيرَ مِنَّا يَتَكَاسَلُونَ عَنِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَيَنْشَطُونَ فِي طَلَبِ الدنْيَا وَيَتَوسَّعُونَ فِي إِعْطَاءِ نُفُوسِهِم مَا تَشْتَهِي.

وَلْنَضرِبْ لِذٰلِكَ مَثَلاً فِي عِلاَقَةِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بِالمَسَاجِدِ وَحُضُورِ الجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَنَرَىٰ الكَثِيرَ يَسْكُنُونَ بِجِوارِ المَسَاجِدِ وَلاَ يَدْخُلُونَهَا، وَلاَ يُعْرَفُون فِيهَا، يَجاوِرُونَ المَسَاجِدَ بِبيُوتِهِم، ويَبْعدُونَ عَنْهَا بِقُلُوبِهِم، وذٰلِكَ دَلِيلٌ عَلَى ضعْفِ الإِيمَانِ فِي قُلُوبِهم أَو انعِدَامِهِ، لأنَّ عِمَارَةَ المَسَاجِدِ بِالصَّلاَةِ وَالعِبَادَةِ، وَالتَّرَدُّدَ إِلَيْهَا مِنْ أَجلِ ذلِكَ عَلاَمَةُ الإِيمَانِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٨﴾ [التوبة: ١٨].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسَاجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ». وَتَلاَ هَذِهِ الآيَةَ[1]. تَرَى هَؤُلاَءِ يَمْلَؤُونَ الأَسْوَاقَ، وَيَأْكُلُونَ الأَرْزَاقَ وَلاَ يَتَّجِهُونَ إِلَى المَسَاجِدِ، وَلاَ يُشَارِكُونَ المُسْلِمِينَ فِي إِقَامَةِ شَعَائِرِ الدِّينِ. ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٩﴾ [المجادلة: ١٩].

حَرَمُوا أَنْفُسَهُم أَجْرَ المَشْيِ إِلَى المَسَاجِدِ وَمَا فِيهِ مِنَ الحَسَنَاتِ وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، وبَقِيَتْ أَوْزَارُهُم عَلَى ظُهُورِهِم.

وَالبَعْضُ الآخَرُ مِنَ النَّاسِ - وَهُمْ كَثِيرٌ - يَأْتُونَ إِلَى المَسَاجِدِ فِي فُتُورٍ وَكَسَلٍ، ويُمْضُونَ فِيهَا قَلِيلاً مِنَ الوَقْتِ عَلَى مَضَضٍ وَمَلَلٍ، فَالْكَثِيرُ مِنْهُم إِذَا سَمِعَ الإِقَامَةَ جَاءَ مُسْرِعاً ثَائِرَ النَّفَسِ، وَدَخَلَ فِي الصَّلاَةِ وَهُو مُشَوَّشُ الفِكْرِ، لَمْ يراعِ أَدَبَ

---

(١) رواه الترمذيُّ (٣٠٩٢) وحَسَّنَهُ، ورواه غيرُه أيضاً.

الدُّخُولِ إِلَى المَسْجِدِ، وَلَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ حَيْثُ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُم الإِقَامَةَ فَامْشُوا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُم فَأَتِمُّوا»(١). وفَاتَه أَجْرُ التَّقَدُّمِ إِلَى المَسْجِدِ، وَانْتِظَارِ الصَّلاَةِ، فَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الذِي يَجْلِسُ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ فِي المَسْجِدِ كَالمُرَابِطِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ أَجْرُ المُصَلِي مَادَامَ يَنْتَظِرُ الصَّلاَة، وَأَنَّ المَلاَئِكَةَ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ كَذَلِكَ، لكنِ اليومَ يُؤَذِّنُ المُؤَذِّنُونَ وَيَمْضِي وَقْتٌ طَويلٌ وَالمَسْجِدُ خَالٍ لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ إِلَى أَنْ تُقام الصَّلاَةُ، فَيَأْتُونَ مُتَكَاسِلِينَ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ التَّأَخُّرَ فِي الحُضُورِ إِلَى الصَّلاةِ كَمَا أَنَّهُ يُفَوِّتُ أُجُوراً كَثِيرَةً فَهُو أَيْضاً يَفْتَحُ بَابَ التَّهَاونِ بالصَّلاَةِ، وَيَجُرُّ فِي النِّهَايَةِ إِلَى تَرْكِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صحِيحِهِ» عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّراً، فَقَالَ لَهُمْ: «تَقَدَّمُوا فَأْتمُّوا بِي، وَلِيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ وَلاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُم اللهُ»(٢).

فَدَلَّ هٰذَا عَلَى خُطُورَةِ التَّأَخُّرِ عَنِ الحُضُورِ إِلَى الصَّلاَةِ، وَأَنَّ المُتَأَخِّرَ يُعَاقَبُ بِأَنَّ اللهَ يُؤَخِّرُهُ عَنْ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ فَضْلِهِ، وَيَكْفِي فِي التَّنْفِيرِ عَنِ التَّأَخُّرِ أَنَّ فِيهِ تَشَبُّهاً بِالمُنَافِقِينَ الذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِم: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [التوبة: ٥٤]، وَقَالَ فِيهِم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢].

أَعْتَقِدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ لَوْ كَانَ يَفُوتُهُم بِتَأَخُّرِهِم طَمَعٌ مِنْ مَطَامِعِ الدنْيَا لَجَاؤُوا مَعَ أَوَّلِ النَّاسِ، وَلَجَلَسُوا فِي الانْتِظَارِ السَّاعَاتِ الطَّوِيلَةِ دُونَ مَلَلٍ، وما ذَاكَ إِلاَّ لأَنَّ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٣٦)، ومسلمٌ (٦٠٢).

(٢) روه مسلم (٤٣٨).

الدُّنْيَا أَحَبُّ إِلَيْهِم مِنَ الآخِرَةِ.

لَقَدْ أَصْبَحَتِ المَسَاجِدُ اليَومَ مَهْجُورَة مُغْلَقَةً غَالِبَ الوَقْتِ، لاَ تُفتَحُ إِلاَّ بِضْعَ دَقَائِقَ وَبِقَدْرِ أَدَاءِ الصَّلاَةِ عَلَى عَجَلٍ.

لَقَدْ أَصْبَحَتِ المَسَاجِدُ تَشْكُو مِنْ قِلَّةِ المُرْتَادِينَ لَهَا وَالْجَالِسينَ فِيهَا لِذِكْرِ اللهِ، لَقَدْ فَقَدَتِ الرجَالَ الذينَ يُسبِّحُونَ اللهَ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ لاَ تُلْهِيهِم تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، يَخَافُونَ يَوْمَاً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ. فَقَدَتِ العَاكِفِينَ وَالرُّكعَ السُّجودَ الذِينَ يَعْمُرُونَهَا آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، قَدْ كَانَتِ المَسَاجِدُ فِيمَا مَضىٰ بُيوتَاً للعِبَادَةِ وَمَدَارِسَ لِلْعِلْمِ وَمُلْتَقىٰ المُسْلِمِينَ وَمنطَلَقَهُم، فِيْهَا يَتَعَارَفُونَ وَيَتَآلَفُونَ، وَمِنْهَا يَسْتَمِدُّونَ الزَّادَ الأُخْرَوِي، وَنُورَ الإِيمَانِ وَقُوةَ اليَقِينِ، بِهَا تَعَلَّقَتْ قُلُوبُهم وَإِلَيْهَا تَهْوِي أَفْئِدَتُهُم، هِي أَحَبُّ إِلَيْهِم مِنْ بُيوتِهِم وَأَمْوالِهِم، فَلاَ يَمَلُّونَ الجُلُوسَ فِيهَا، وَإِنْ طَالَتْ مُدَّتُه، وَلاَ يَسْأَمُونَ التَّرَدُّدَ عَلَيْهَا وَإِنْ بَعُدَتْ مَسَافَتُه يَحْتَسِبُونَ خُطَاهُم إِلَيْهَا وَيَسْتَثْمِرُونَ وَقْتَهُم فِيهَا، فَيَتَسَابَقُونَ فِي التَّبْكِيرِ إِلَيْهَا.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: هٰذِه حَالَةُ السلَفِ فِي المَسَاجِدِ، وَاليَوْمَ كَمَا تَعْلَمُونَ كَثُرَ التَّأَخُرُ عَنِ المَسَاجِدِ وَقَلَّ الجُلُوسُ فِيهَا، فَفَاتَ بِذٰلِكُم الخَيْرُ الكَثِيرُ عَلَى الأُمَّةِ، وَضَعُفَتْ مَنْزِلَةُ المَسَاجِدِ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَقَلَّ تَأْثِيرُهَا فِيهِم، فَظَهَرَ الجَفَاءُ وَتَنَاكَرَتِ القُلُوبُ، وتَفَكَّكتِ الرَّوَابِطُ حَتَّى صَارَ الجَارُ لاَ يَعْرِفُ جَارَهُ، وَلاَ يَدْرِي عَنْ حَالِه.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَأَعِيدُوا لِلْمَسَاجِدِ مَكَانَتَهَا فِي قُلُوبِكُمْ، وَبَكِّرُوا فِي الذّهَابِ إِلَيْهَا، وَأَكْثِرُوا مِنَ الجُلُوسِ فِيهَا، وَاسْمَعُوا مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الحَثِّ عَلَى المَشْيِ إِلَى المَسَاجِدِ وَالجُلُوسِ فِيهَا لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صَلاَةُ الرَّجُلِ مَعَ الجَمَاعَةِ تُضعَّفُ عَلَى صَلاَتِهِ بِبَيْتِهِ وَفِي سُوقِه خَمْساً وعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذٰلِكَ أَنَّهُ إذا تَوَضأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ لَمْ يَخطُ خُطْوَةً إلاَّ رُفِعَتْ لَه بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ المَلاَئِكَةُ تُصَلِي عَلَيْهِ مَادَامَ فِي مُصَلاَّهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلاَ يَزَالُ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ» رَواهُ البُخَارِيُّ[1].

وَرَوىٰ مَالِكٌ فِي «المُوَطَّأ» مِنْ قَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ: مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ عَامِداً إِلَى الصَّلاَةِ فَإِنَّهُ فِي صَلاَةٍ مَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلاَةِ، وَإِنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ بِإِحْدَىٰ خُطْوَتَيْهِ حَسَنَةً، وَيُمْحَىٰ عَنْهُ بِالأُخْرَىٰ سَيِّئَةً، فَإِذَا سَمِعَ أَحَدُكُمُ الإِقَامةَ فَلاَ يَسْعَ، فَإِنَّ أَعْظَمَكُم أَجْراً أَبْعَدُكَم دَاراً». قَالَوا: لِمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: مِنْ أَجْلِ كثْرَةِ الخُطَا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكُم عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَع بِهِ الدَّرَجَاتِ»، قَالُوا: بَلَى يَارَسُولَ اللهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الوضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ. وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذَلِكُمُ الرباطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ» رَواه مَالِكٌ وَمُسْلِمٌ[2].

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَشِّرِ المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيامَةِ» رَواه أَبُو دَاودَ وَالتِّرْمِذِيُّ[3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ البِلاَدِ إِلَى اللهِ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٤٧).

(٢) رواه مسلمٌ (٢٥١).

(٣) رواه أبو داود (٥٦١)، والترمذيُّ (٢٢٣).

تَعَالَىٰ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ البِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُها» رَواه مُسْلِمٌ(١).

عِبادَ اللهِ: لَقَدْ عَظَّمَ اللهُ شَأْنَ المَسَاجِدِ، وَأَثْنَىٰ عَلَى الذِينَ يَعْمُرُونَهَا بِالطَّاعةِ وَوَعَدَهُم جزِيلَ الثَّوَابِ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشيطان الرجيم: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥]، وقالَ تعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٢].

بَارَكَ اللهُ لِي ولَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيم

الخُطْبَة الثَّانِية:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ، جَعَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ عِيدَ أَهْلِ الإِسْلَامِ، وَأَمَرَ بِالسَّعْيِ إِلَى صَلاةِ الجُمعَةِ عِنْدَ النِّدَاءِ إِلَيْهَا وَنَهى عَنِ الانْشِغَالِ عَنْهَا بِجَمْعِ الحُطَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَه إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُولُهُ، حَثَّ عَلَى التَّبْكِيرِ فِي الحُضُورِ لِصَلاَةِ الجُمُعَةِ، وَاهْتَمَّ بِذَلِكَ غَايَةَ الاهْتِمَامِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وَأَصْحَابِهِ البَرَرة الكِرَامِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى بِفِعْلِ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَتَرْكِ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ. يَقولُ اللهَ تَعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الجُمُعَةُ: ٩].

سَمَّىٰ اللهُ هٰذَا اليومَ العَظِيمَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، لأنَّ أَهْلَ الإِسْلَامِ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ فِي

كُلِّ أُسْبُوعٍ فِي المَسَاجِدِ الكِبَارِ لأَدَاءِ الصَّلاَةِ التِي هِي أَعْظَمُ شَعَائِرِ الدِّينِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، كَمَا أَنَّ هٰذَا اليومَ قَدِ اجْتَمَعَ فِيهِ مَنَ الخَصَائِصِ مَا لَمْ يَجتمِعْ فِي غَيْرِهِ مِنْ أَيَّامِ الأُسْبُوعِ، فَفِيهِ كَمُلَ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَفِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَفِيهِ سَاعَةُ الإِجَابَةِ، وَهِي سَاعَةٌ لاَ يُوافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَسْأَلُ اللهُ فِيهَا خَيْراً إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ.

وَقَدِ اخْتَارَ اللهُ هٰذَا اليَوْمَ العَظِيمَ لِهٰذِهِ الأُمَّةِ، وَأَضَلَّ عَنْهُ مَنْ كَانَ قَبْلَهَا مِنَ الأُمَمِ، فَاخْتَارَتِ اليَهُودُ يَوْمَ السَّبْتِ، وَاخْتَارَتِ النَّصَارَىٰ يومَ الأَحَدِ، وَاخْتَارَ اللهُ لِهٰذِهِ الأُمَّةِ يَومَ الجُمُعَةِ الذِي أَكْمَلَ اللهُ فِيهِ الخَلِيقَةَ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ المُؤْمِنِينَ فِيهِ بِالاجْتِمَاعِ لِعِبَادَتِهِ بِأَدَاءِ صَلاَةِ الجُمُعَةِ، وَحَثَّهُم عَلَى المُبَادَرَةِ بِالحُضُورِ إِلَيْهَا وَالتَّفَرُّغِ لَهَا مِنْ جمِيعِ أَعْمَالِ الدُّنْيَا، وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى التَّبْكِيرِ فِي الحُضُورِ وَالانْتِظَارِ فِي المَسَاجِدِ حَتَّى تُقامَ صَلاَةُ الجُمُعَةِ وحَثَّ عَلَى أَنْ يَكُونَ الإِنْسَانُ عَلَى أَحْسَنِ هَيْئَةٍ، وَفِي أَجْمَلِ لِبَاسٍ وَأَطْيَبِ رَائِحَةٍ، وَحَثَّ عَلَى التنظُّفِ وَالاغْتِسَالِ قَبْلَ الحُضُورِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابةِ، ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الأُولَى، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشاً أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَت المَلاَئِكَة يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ» أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ**[1].

---

(١) رواه البخاريُّ (٨٨١)، ومسلمٌ (٨٥٠).

فَدَلَّ هٰذَا الحَدِيثُ عَلَى طَلَبِ التَّبْكِيرِ فِي الحُضُورِ لِصَلاَةِ الجُمُعَةِ والانْتِظَارِ فِي المَسْجِدِ حَتَّى تُقَامَ، وَأَنْ يُشْغِلَ وَقْتَه حَالَ الانْتِظَارِ بِصَلاَةِ النَّافِلَةِ وَالذِّكْرِ وَتِلاَوَةِ القُرْآنِ، وَدَلَّ الحَدِيثُ عَلَى أَنْ الأَجْرَ يَتَفَاوتُ بِتَفَاوُتِ الحُضُورِ، وَأَنَّهُ كَلَّمَا بَكَّر زَادَ الأَجْرُ، وَكُلَّمَا تَأَخَّرَ نَقَصَ الأَجْرُ، وَالظَاهِرُ أَنَّ السَّاعَة الأُولَى تَبْدَأُ بَعْدَ طُلوعِ الشَّمسِ، فَمَطْلُوبٌ مِنَ المُسْلِمِ أَنْ يَتَوجَّهَ إِلَى صَلاَةِ الجُمُعَةَ مِنْ بَعْدِ طُلُوعِ الشَّمْسِ، لِيَحْصُلَ عَلَى هٰذِه الفَضِيلَةِ. وَكَانَ المُسْلِمُونَ إِلَى عَهْدٍ قَرِيب يُبَكِّرُونَ فِي الحضُورِ لِصَلاَةِ الجُمُعَةِ، وَيَمْلَؤُونَ المَسَاجِد بِوقْتٍ مُبَكِّرٍ، وَأَمَّا اليَومَ فَقَلَّ مَنْ يَعْمَلُ بِذَلِكَ. فَالْكَثِيرُ لاَ يَحْضُرُ إِلاَّ عِنْدَ الخُطْبَةِ أَوْ عِنْدَ الإِقَامَةِ، أَوْ فِي آخِرِ الصَّلاَةِ، فَيَحْرِمُون أَنْفُسَهُم مِنَ أَجْرِ التَّبْكِيرِ وَمِنْ سَمَاعِ الخُطْبَةِ. بَلْ ربَّمَا لاَ يَتَمَكَّنُونَ مِنْ إِدْرَاكِ الصَّلاَةِ، وَهٰذَا حِرْمَانٌ عَظِيمٌ وَنَقْصٌ كَبِيرٌ، يَجْلِسُ أَحَدُهُم فِي بَيْتِهِ، وَهُو بِجِوَارِ المَسْجِدِ وَلاَ يَقُومُ إِلَى الصَّلاَةِ إِلاَّ عِنْدَمَا يَدْخُلُ الإِمَامُ يَخْشَىٰ أَنْ يُمْضِيَ شَيْئاً مِنَ الوَقْتِ فِي المَسْجِدِ قَبْلَ حُضُورِ الإِمَامِ، وَهُو لاَ يَأْنَسُ بِجُلُوسِهِ فِي المَسْجِدِ، بَلْ يَعْتَبِرُ ذِلِكَ حَبْساً. لأَنَّهُ لاَ يَدْرِي عَمَّا فِيهِ مِنَ الفَضْلِ، بَلْ يَظُنُّ أَنَّ المَطْلُوبَ هُو أَدَاءُ الصَّلاَةِ فَقَط، فَلِذٰلِكَ لاَ يَأْتِي إِلاَّ عِنْدَ الإِقَامَةِ، وَلاَ يَدْرِي أَنَّه مَطْلُوبٌ مِنْهُ التَّبْكِيرُ وَالانْتِظَارُ، وَأَنَّ صَرْفَ الوَقْتِ فِي ذٰلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ، وَلاَ يَدْرِي أَنَّهُ مَطْلوبٌ مِنْهُ سَمَاعُ الخُطْبَةِ وَالتَّذْكِيرِ، وَلاَ يَدْرِي أَنَّ الخُطْبَةَ هِي الذِّكْر، أَوْ هِي مِن الذِّكْرِ الذِي أَمَرَ اللهُ بِالسَّعْيِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

وَذٰلِكَ لأَنَّ اللهَ شَرَعَ الخُطْبَةَ لِتَعْلِيمِ النَّاسِ مَا يَجْهَلُونَ، وَتَحْذِيرِهِم مِمَّا يَضُرُّهُم وَتَنْبِيهِهِم وَإِرْشَادِهُم، فَالخُطْبَةُ دَرْسُ الأُسْبُوعِ وَمَوْعِظَةُ المُسْلِمِينَ، وَكُلُّهم بِحَاجَةٍ إِلَى اسْتِمَاعِهَا وَالانْتِفَاعِ بِهَا.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاهْتَمُّوا بِالحُضُورِ لِصَلاَةِ الجُمُعَةِ مُبَكِّرِينَ .

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر : ١٩] .

وَقَدْ عَاتَبَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَنِ انْصَرَفَ عَنْ سَمَاعِ الخُطْبَةِ إِلَى طَلَبِ الدُّنْيَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾ [الجمعة : ١١] .

وَقَدْ أَخبرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الذِي لاَ يُنْصتُ لِسَمَاعِ الخُطْبَةِ يَكُون كَالحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الجُمعَةَ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَهُو كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً**» رواه أحْمَدُ وَغَيْرُهُ، وذٰلِكَ لأَنَّهُ تَكَلَّفَ الحُضُورَ، وَلَمْ يَسْتَفِدْ مِنْهُ، فَهُو كَالحِمَارِ الذِي يَتَكَلَّفُ حَمْلَ الكُتُبِ الكَبِيرَةِ وَهُو لاَ يَسْتَفِيدُ مِنْهَا .

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ . . . إلخ .

* * *

فِي خِصَالِ الفِطْرَةِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَخَصَّهُ بِالإِنْعَامِ وَالتَّكْرِيمِ، وَأَشْهَدُ أن لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ.

﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤].

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُه، أَثْنَىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ جَاهَدُوا تَحْتَ رَايتِه، وَتَمَسَّكُوا بِسُنَّتِهِ، وَكَانُوا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً...

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالى وَاعْمَلُوا بِسُنَّةِ نَبِيكُمْ، كَمَا أَمَرَكُم اللهُ بِذلِكَ فَقَالَ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧].

أَلاَ وَإِنَّ مِنْ سُنَّتِهِ ﷺ العَمَلَ بِخِصَالٍ هِي مِنْ خِصَالِ الفِطْرَةِ، وَفِي العَمَلِ بِهَا جَمَالُ الإِنْسَانِ وَنَظَافَتِهِ وَحُسْنُ مَظْهَرِهِ، وَمُخَالَفَةُ أَهْلِ النَّقَائِصِ وَالمَعَائِبِ الكَفَرَةِ وَالفَسَقَةِ، وَعَدَمُ التَّشَبُّهِ بِالدَّوَابِّ مِنَ السِّبَاعِ وَالبَهَائِمِ وَالحَيَوانَاتِ.

قَالَ ﷺ: «**خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الاسْتِحْدَادُ، وَالخِتَانُ، وقَصُّ الشَّارِبِ. وَنَتْفُ الإِبطِ. وَتَقْلِيمُ الأَظَافِرِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(١)].

وَمَعْنَى الحَدِيثِ: أَنَّ مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الخِصَالَ الخَمْسَ فَقَد اتَّصَفَ بِالفِطْرَةِ التِي

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٨٨٩)، ومسلمٌ (٢٥٧).

فَطَرَ اللهُ العِبَادَ عَلَيْهَا، وَحَثَّهُم عَلَى فِعْلِها، لِمَا فِيهَا مِنْ جَمَالِ المَظْهَرِ وَحُسْنِ الهَيْئَةِ وَنَظَافَةِ الجِسْمِ.

وَالفِطْرَةُ: هِي السُّنَّةُ القَدِيمَةُ التِي اخْتارَهَا الأَنْبِيَاءُ، وَاتَّفَقَتْ عَلَيْهَا الشَّرَائِعُ.

وَأَوَّلُ هٰذِهِ الخِصَالِ الاسْتِحْدَادُ: وَهُو حَلْقُ العَانَةِ أَوْ إِزَالَتُهَا بِأَيِّ مَادَّةٍ مُزِيلَةٍ، لِمَا فِي بَقَائِهَا مِنَ التَّشْوِيهِ وَتَرَاكُمِ الأَوْسَاخِ.

وَالثَّانِيَةُ مِنْ خِصَالِ الفِطْرَةِ الخِتَانُ: وهو قَطْعُ جَمِيعِ الجِلْدَةِ التي تُغَطِّي حَشَفَةَ الذَّكَرِ وَإِزَالَتها، وَالمقْصُودُ مِنَ الخِتَانِ: تَطْهِيرُ الإِنْسَانِ مِنَ النَّجَاسَةِ التِي تَتَجَمَّعُ تَحْتَ القلفةِ لَو بَقِيَتْ، وَيُسْتَحَبُّ المُبَادَرَةُ بِخِتَانِ الصَّبِيِّ، لأَنه أَسْرَعُ فِي البُرْءِ، وَلِيَنْشَأَ الطِّفْلُ عَلَى أَكْمَلِ الأَحْوَالِ.

والثَّالِثَةُ مِنْ خِصَالِ الفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ أَوْ إِحْفَاؤُه وَهُو المُبَالَغَةُ فِي أَخْذِهِ. وَفِي الحَدِيثِ: «مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ فَلَيْسَ مِنَّا» رَواهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ[1]. وَمِنْهُ السَّبَالاَنِ، وَهُمَا طَرَفا الشَّارِبِ، فلا تَجُز إِطَالَتُهمَا كَمَا يفْعَلُ بَعْضُ الجُهَّالِ. فَقَدْ رَوىٰ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ: «قُصُّوا سِبَالاَتِكُم وَلاَ تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ».

وَقَدْ ذَكَرَ العُلَمَاءُ مِنْ فَوَائِدِ أَخذِ الشَّارِبِ: عَدَمُ التشبه بِاليَهُودِ وَالمَجُوسِ، وَحُصُولُ النَّظَافَةِ عِنْدَ الأَكْلِ وَالشُّرْب، لأَنَّ الشَّارِبَ الطَّوِيلَ يَعْلَقُ بِهِ شَيءٌ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَيَتَّسِخُ بِذَلِكَ، وَرُبَّمَا يَنغَمِسُ فِي الشَّرَابِ فَيَكْرَههُ غَيْرُهُ، وَأَيْضاً قَدْ يَتَسَرَّبُ شَيءٌ مِنَ الأنفِ، فَيَتَلَبَّدُ عَلَى الشَّارِبِ، وَلاَ يَخفَى مَا فِي ذٰلِكَ مِنَ الكَراهَةِ وَالتَّشْوِيهِ.

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢٧٦٢) ولكنه قال: حسنٌ صحيحٌ.

وَجَاءَ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ أَنَّ مِنْ خِصَالِ الفِطْرَةِ إِعْفَاءَ اللِّحْيَةِ، وَهُو تُوْفِيرُهَا، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ «خَالِفُوا المُشْرِكِينَ وَفِّرُوا اللِّحَى وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ»[1].

وَفِي رِوايةٍ: «وَأَوْفُوا اللِّحَىٰ»[2]، أَي: اتْرُكُوهَا وَافِيَةً، وَبَعْضُ النَّاسِ اليَومَ ابْتُلُوا بِمُخَالَفَةِ أحادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ وَمُخَالَفَةِ سُنَّتِهِ فِي اللِّحَىٰ وَالشَّوَارِبِ، فَبَعضُهُم يُوَفِّرُ الشَّارِبَ وَيَحْلِقُ اللِّحْيَةَ وَهٰذَا الفِعْلُ فِيهِ مُعَاكَسَةٌ لأَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ، حَيْثُ وَفَّرَ مَا أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِأَخْذِهِ وَإِزَالَتِهِ، وَأَزَالَ مَا أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِإِبقَائِهِ وَتَوْفِيرِهِ، فَحَلَقَ لِحْيَتَهُ وَأَبْقَىٰ شَارِبَهُ تَقْلِيداً لِلْمُشْرِكِينَ وَمُخَالَفَةً لِسُنَّةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ، وَذَلِك لأَنَّ الشَّيطَانَ زَيَّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً، بَل لَقَدْ بَلَغَ الأَمْرُ أَنْ بَعْضَ الأَنْظِمَةِ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ الإِسْلَامِيَّةِ تَفْرِضُ عَلَى مَنْسُوبِيهَا حَلْقَ لِحَاهُم وَمُعَاقَبَةَ مَنْ يُوفِّرُونَ لِحَاهُم بِطَرْدِهِم مِنَ الخِدْمَةِ الوَظِيفِيَّةِ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُصُّ لِحْيَتَهُ وَلاَ يُبْقِي مِنْهَا إِلاَّ شَيْئاً يَسِيراً، وَهَذَا يُخَالِفُ مَا أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ تَوْفِيرِهَا وَإِعْفَائِهَا، فَإِنَّ مَعْنَى ذٰلك إِبْقَاؤُهَا كَامِلَةً مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لَهَا بِقَصٍّ أَوْ نَتْفٍ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ لَمَّا لَمْ يُدْرِكْ مِنْهُ إِزَالَتَهَا بِالكُلِّيَّةِ اكْتَفَىٰ مِنْهُ بِإِزَالَةِ بَعْضِهَا، لأَنَّهُ يُرِيدُ مِنْهُ مُخَالَفَةَ السُّنَّةِ عَلَى أَيِّ وَجْهٍ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنِ ابْتُلِيَ بِصَبْغِ لِحْيَتِهِ بِالسَّوَادِ، وَهٰذَا مُحَرَّمٌ، وَعَلَيْهِ وَعِيدٌ شَدِيدٌ، لأَنَّ النَّبِي ﷺ نَهَى عَنِ الصَّبْغِ بِالسَّوَادِ فِي أَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ، وَقَدْ رَوَىٰ أَبُو دَاودَ، والنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّان، وَالحَاكِمُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَكُونُ قَوْمٌ يَخْضُبُونَ لِحَاهُم فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٨٩٢)، ومسلم (٢٥٩).

(٢) رواه مسلمٌ (٢٥٩).

الحَمَام لاَ يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الجَنَّةِ»[١].

وَهٰذَا وعِيدٌ شَدِيدٌ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ تَحْرِيمِ هَذَا العَمَلِ، أَمَّا تَغْيِيرُ لَوْنِ الشَّيْبِ بغَيْرِ السَّوَادِ فَإِنَّه مَشْرُوعٌ كَصَبْغِهِ بِالحِنَّاءِ أَوْ الكَتمِ أَوْ غَيْرِهِمَا مِمَّا لَيس لَونهُ مِنَ الأَسْوَدِ الخَالِصِ.

وَمما يُنْهَى عَنْهُ نَتْفُ الشَّيْبِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَنْتِفُوا الشَّيْبَ، فَإِنَّهُ نُورُ المُسْلِمِ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبو دَاودَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ[٢].

وَبَعْضُ النَّاسِ قَدْ يَفْعَلُ السَّيِّئَتَيْنِ بِحَيْثُ يَقُصُّ لِحْيَتَهُ وَيُبْقِي مِنْهَا شَيْئاً قَلِيلاً يَصْبَغُهُ بِالسَّوَادِ، وَكِلاَ الفِعْلَيْنِ مُحَرَّمٌ وَمَعْصِيَةٌ.

إِنَّ اللِّحْيَةَ جَمَالُ الرَّجُلِ وَهَيْبَتُهُ، وَهِي الفَارِقَةُ بَيْنَ وَجْهِ الرَّجُلِ وَوَجْهِ المَرْأَةِ. فَمَا بَالُ بَعْضِ النَّاسِ يُعَادُونَهَا وَيَعْبَثُونَ بِهَا، لَكِنَّهُ التَّقْلِيدُ الأَعْمَىٰ وَاتِّبَاعُ الهَوَىٰ وَالشَّيْطَانِ، فَالوَاجِبُ عَلَى مَنِ ابْتُلِيَ بِفِعْلِ شَيءٍ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللهِ وَيُطِيعَ رَسُولَ اللهِ. فَإِنَّهُ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وَاهْتَدَىٰ بِهُدَىٰ اللهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤].

الخصلةُ الرَّابِعَة مِنْ خِصَالِ الفِطْرَة: **نَتْفُ الإبطِ**، أَيْ نَزْع مَا يَنْبُتُ فِيهِ مِنْ شَعْرٍ أَو إِزَالَتُهُ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ. كَالحَلْقِ وَأَنْوَاعِ المُزِيلاَتِ لِمَ فِي إِزَالَتِهِ مِنْ قَطْعِ الرَّائِحَةِ الكَرِيهَةِ وَإِزَالَةِ الوَسَخِ المُتَجَمِّعِ عَلَيْهِ وَغَيرِ ذلِكَ مِنَ الفَوائِدِ. وَلِمَا فِي بَقَائِهِ مِنَ التَّشْوِيهِ.

الخصلةُ الخَامِسَةُ مِنْ خِصَالِ الفِطْرَةِ: **تَقْلِيمُ أَظَافِرِ اليَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ**، أَيْ: **قَصُّهَا لِمَا فِي تَرْكِهَا طَوِيلة مِنْ تَشوِيهِ الخِلْقَةِ وَالتَّشَبُّهِ بِالسِّبَاعِ، وَلِمَا يَتَرَاكَمُ تَحْتَهَا**

---

(١) رواه أبو داود (٤٢١٢).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٠٢)، والترمذيّ (٢٨٢٢).

مِنَ الأَوْسَاخِ المُنَافِيَةِ لِلنَّظَافَةِ المَطْلُوبَةِ شَرْعاً، وَلأَنَّهَا تَمْنَعُ وَصُولَ المَاءِ إِلَى مَا تَحْتَهَا فِي الطَّهَارَةِ لِلصَّلاَةِ. .

وَبَعْضُ النِّسَاءِ وَبَعْضُ الشَّبَابِ قَدِ ابْتُلُوا بِتَطْوِيلِ الأَظَافِرِ وَعَدَم قَصِّهَا تَشَبُّهاً بِالكُفَّارِ وَمُخَالَفَةً لِلسُّنَةِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وَبعْضُ النِّسَاءِ قَدْ تَضعُ عَلَى الأَظَافِرِ صِبْغاً سَمِيكاً يُسَمَّىٰ بَالمنَاكِيرِ يَتَجَمَّدُ على الظُّفرِ، ويَمْنَعُ وُصُولَ مَاءِ الطَّهارَةِ إِليْهِ، وهذِه لاَ تَصِحُّ طَهَارَتُهَا لأَنَّهُ قَدْ بَقِيَ جُزْءٌ مِنْ جِسْمِهَا لَمْ يَصِلْهُ المَاءُ وَهٰذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ يَجِبُ التَّنَبُّهُ لَهُ وَالتَّنْبِيهُ عَلَيْهِ.

وَمِنْ خِصَالِ الفِطْرَةِ الثَّابِتَةِ بِالأَحَادِيثِ الكَثِيرَةِ الصَّحِيحَةِ: **السِّوَاكِ**، فَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِهِ وَالحَثِّ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ مِئَةِ حَدِيثٍ، وَاتَّفَقَ العُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، وَهُو اسْتِعْمَالُ عودٍ وَنَحْوِهِ فِي الأَسْنَانِ، لِيُذهِبَ الصُّفْرَةَ وَنَحْوَهَا وَالرَّائِحَةَ الكَرِيهَةَ. .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**السِّواكُ مَطْهَرَةٌ لِلفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ**». رَواه أَحْمَدُ والنَّسَائِي والبُخَارِيُّ تَعْلِيقاً[١].

وَعَنْ أَبِي هَرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ**» رَواهُ الجَمَاعَةُ[٢]، وَفِي رِوايَةٍ لأَحْمَدَ: «**لأَمَرْتُهم بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ**».

وَيسْتَحَبُّ السِّوَاكُ كُلَّ وَقْتٍ، وَيَتَأَكَّدُ عِنْدَ الوضُوءِ قَبْلَ المَضْمَضَةِ، وَعِنْدَ الصَّلاَةِ وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ وَالانْتِبَاهِ مِنَ النَّوْمِ، وَعِنْدَ تَغَيُّرِ رَائِحَةِ الفَم ـ لأَنَّ المُسْلمَ

---

(١) رواه البخاريُّ تعليقاً بصيغة الجزم «كتاب: ٣٠ باب: ٢٧»، ووصله النسائي ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٢) البخاريُّ (٨٨٧)، ومسلمٌ (٢٥٢)، وأبو داود (٤٧)، والترمذيُّ (٢٢، ٢٣)، وغَيرُهُم.

يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ نَظِيفَ الفَم طَيِّبَ الرَّائِحَةِ دَائِماً، وَلاَ سِيَّمَا عِنْدَ عِبَادَةِ رَبِّه وَمُخَاطَبَتِهِ، وَالدُّخولِ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيوتِهِ، فَهُو نَوْعٌ مِنَ التَّطْهِيرِ المَشْرُوعِ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ، لأَنَّ مُخَاطَبَةَ العُظَمَاءِ مَعَ طَهَارَةِ الأَفْوَاهِ تَعْظِيمٌ لَهُمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «السّواكُ مَطْهَرَةٌ لِلفَم مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ».

وَيسْتَحَبُّ أَنْ يَسْتَاكَ بِعُودِ الأَرَاكِ فَهُو أَحْسَنُ أَنْوَاعِ المِسْوَاكِ أَوْ بمشْرَاخِ عذقِ النَّخِيلِ، أَوْ بِأَيِّ شَيءٍ يُزِيلُ رَائِحَةَ الفَمِ، وَيُنظفُ الأَسْنَانَ. وَفِي السّوَاكِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ، فَلاَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ تَرْكُهُ. وَاللهُ المُوَفِّقُ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ الذِي خَلقَ الإِنْسَانَ، وَسَخَّرَ لَهُ كُلَّ شَيءٍ فِي هَذِه األأَكْوَانِ. وأَشْهَدُ أنْ لاَ إِله إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ذُو العَظَمَةِ وَالسُّلْطَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه إِلَى كَافَّةِ الثَّقَلَيْنِ الإِنْسِ وَالجَانِّ. صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ كُلَّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا الله تَعَالَى بِفِعْلِ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَتَرْكِ مَا نَهَاكُمْ، وَاقْتَدُوا بِرَسُولِهِ وَاعْمَلُوا بِسُنَّتِهِ، لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

عِبَادَ اللهَ: يَنْبَغِي تَعَاهُدُ الأَشْيَاءِ التِي تُشْرَعُ أَخْذُهَا كَالشَّارِب وَالأَظْفَارِ وَشَعْرِ الإِبْطِ وَالعَانَةِ، بَحَيْثُ لاَ تُتْرَكُ تَطُولُ طُولاً مُشَوِّهاً، وَيَحْصُلُ مِنْهَا أَضْرَارٌ، وَلِمَا

فِي طُولِ بقَائِهَا مِنْ مُخَالَفَةِ السُّنَّةِ.

عَنْ أَنَس بِنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «وُقِّتَ لَنَا في قَصِّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيم الأَظَافِرِ وَنَتْفِ الإِبْطِ وَحَلْقِ العَانَةِ أَنْ لاَ نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» رواه مُسْلِمٌ وابنُ مَاجه.

وَفِيه دَلِيلٌ عَلَى لاَ أنه يَجُوزُ تَرْكُهَا أَكثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَالأَفْضَلُ أَنْ يَتَعَاهَدَها كُلَّ أُسْبُوعٍ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ المُسْلِمُ نَظِيفاً جميلَ الهَيْئَةِ عَامِلاً بِالسُّنَّةِ، وَلاَ يَتَجَارَىٰ مَعَ العَوائِدِ المُخَالِفَةِ لِلسُّنةِ، فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله وَخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مَحَمَّدٍ ﷺ . . . إلخ.

* * *

الطَّهَارَةُ لِلصَّلاَةِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِرِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه الصَّادِقُ الأَمِينُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُم بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ الطَّهَارَةَ مِفْتَاحُ الصَّلاَةِ، وَمِنْ أَعْظَمِ شُرُوطِ صِحَّتِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: ٦].

فَفِي هٰذِه الآيةِ الكَرِيمَةِ الأَمْرُ بِالطَّهَارَةِ لِلصَّلاةِ مِنَ الحَدَثِ الأَصْغَرِ بِالوضُوءِ، وَمِنَ الحَدَثِ الأَكْبَرِ بِالاغْتِسَالِ لِجَمِيعِ البَدَنِ.

وَفِيهَا أَنَّ الطَّهَارَةَ مِنَ الحَدَثَيْنِ تَكُونُ بِالمَاءِ الطَّهُورِ عِنْدَ وَجُودِهِ وَالقُدْرَةِ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِد المَاءَ أَوْ وَجَدَهُ وَلَمْ يَقْدِر عَلَى اسْتِعْمَالِهِ لِمَرَضٍ أَوْ لِكَوْنِ المَاءِ قَلِيلاً لاَ يَكْفِي لِطَهَارَتِهِ وَحَاجَتِهِ إِلَيْهِ لِلشُّرْبِ وَالطَّبْخِ، فَإِنَّه يَتَيَمَّمُ بِالتُّرَابِ بَدَلاً مِنَ المَاءِ.

وَفِي الآيَةِ بَيَانُ تَيْسِيرِ اللهِ لِعِبَادِهِ وَرَفْعُ الحَرَجِ عَنْهُم فِيمَا شَرَعَهُ لَهم مِنَ الطَّهَارَةِ بِالمَاءِ أَوْ بِالتُّرَابِ عِنْدَ عَدَمِ وُجُودِ المَاءِ، أَو العَجْزِ عَنِ اسْتِعْمَالِه، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُرِيدُ أَنْ يُطَهِّرَهُم مِنَ الحَدَثِ وَالنَّجَاسَةِ، وَمِنَ الذُّنُوبِ وَالأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ. ﴿ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ٦]. بالتَّرْخِيصِ لَكُمْ بِالتَّيَمُّمِ بَدَلاً مِنَ الطَّهَارَةِ بِالمَاءِ عِنْدَ تَعَذُّرِهَا ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [المائدة: ٦] فيجبُ شكرُ اللهِ عَلَى نِعْمَتِهِ وَتَيْسِيرِهِ، وَرَفْعِهِ لِلْحَرَجِ عَنْكُمْ، وَذَلِكَ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَالاعْتِرَافِ بفضْلِهِ وَالقِيامِ بطَاعَتِهِ.

وَفِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ بَيَانُ أَعْضَاءِ الوُضُوءِ، وَهِي الوَجْهُ وَاليدَانِ وَالرَّأْسُ وَالرِّجْلَانِ، وأَنَّ الفَرْضَ فِي الوَجْهِ وَاليَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ الغَسْلُ، وَالْفَرْضَ فِي الرَّأْسِ المَسْحُ بِكَامِلِهِ، وَأَنَّهُ فِي الحَدَثِ الأَكْبَرِ، وَهُو الجَنَابَةُ وَنَحْوهَا يجبُ غَسْلُ جَمِيعِ البَدَنِ، وَأَمَّا صِفَةُ التَّيَمُّمِ بِالتُّرَابِ فَقَدْ بَيَّنَتْهَا السُّنَةُ النَّبَوِيَّةُ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَضْرِبَ بِيَدَيْهِ عَلَى تُرابٍ طَهُورٍ لَهُ غُبَارٌ يَعْلَقُ بِالْيَدِ، وَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ، وَمِثْلُ التُّرَابِ مَا كَانَ عَلَيْهِ غُبَارٌ طَاهِرٌ مِنْ فِرَاشٍ أَوْ جِدَارٍ وَنَحْوِهِمَا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى الفِرَاشِ أَو الجِدَارِ وَنَحْوِهِمَا غُبَارٌ فَإِنَّهُ لاَ يُجْزِىءُ التَّيَمُّمَ بِالضَّرْبِ عَلَيْهِ.

عِبَادَ اللهِ: وَصِفَةُ الوُضُوءِ أَنْ يَنْوِيَ بِقَلْبِهِ، رَفْعَ الحَدَثِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِسْمِ اللهِ، ثُمَّ يَغْسِلُ كَفَّيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَتَمَضْمضُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَيَسْتَنْشِقُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَيُبَالِغُ فِي المَضْمَضَةِ بِأَنْ يُدِيرَ المَاءَ إِلَى أَقْصَىٰ فَمِهِ، ويُبَالِغُ فِي الاسْتِنْشَاقِ بأن يَجتذِبَ الماء إلى أَقْصَىٰ أَنْفِهِ، إلاَّ أن يكونَ صائِماً، فإِنَّهُ لاَ يُبَالِغُ في المَضْمَضَةِ وَالاسْتِنْشَاقِ خَشْيَةَ أَنْ يَذْهَبَ المَاءُ إِلَى حَلْقِهِ، ثُمَّ يَغْسِلُ وَجْهَهُ مِنْ مَنَابِتِ الرَّأْسِ المُعْتَادِ إِلَى مَا انْحَدَرَ مِنَ اللَّحْيَيْنِ وَالذَّقْنِ طُولاً، وَمِنَ الأُذنِ إِلَىٰ الأُذْنِ عَرْضاً، وَاللِّحْيَةُ مِنَ الوَجْهِ يَجِبُ غَسْلُ ظَاهِرِهَا وَلَوْ طَالَتْ، وَيُسْتَحَبُّ تَخْلِيلُ بَاطِنِهَا

بِالمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهُ مَعَ المِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَمْسَحُ جَمِيعَ رَأْسِهِ بِأَنْ يَضعَ يَدَيْهُ مَبْلُولَتَيْنِ بِالمَاءِ عَلَى مُقَدَّمِ رَأْسِهِ، وَيُمِرُّهُمَا إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَردُّهما إِلَى المَكَانِ الذي بَدَأَ مِنْهُ، وَالأُذُنَانِ مِنَ الرَّأْسِ يَمْسَح ظَاهِرَهُمَا وَبَاطِنَهُمَا، وَذٰلِكَ بِأَنْ يُدْخِلَ أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَتَيْنِ فِي خرقي أذنيه، ويُدير إبهامَيْه على ظاهرِهما، ثم يغسلُ رجليه ثَلاَثاً مَعَ الكَعْبَيْنِ، وَيَجِبُ تعَمِيمُ أَعْضَاءِ الوضُوءِ بجَرَيَانِ المَاءِ عَلَيْهَا، فَإِنْ بَقِيَ مِنهَا شَيءٌ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ المَاءُ لَمْ يَصِحْ وضُوؤُه، لِمَا رَوَىٰ عَمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً تَرَكَ مَوْضِعَ ظُفْرٍ فِي قَدَمِهِ اليُمْنَىٰ فَأَبْصَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «ارْجِعْ فَأَحْسِنْ وضُوءَكَ» رَواهُ مُسْلِمٌ[١].

وَإِذَا كَانَ فِي بَعْضِ أَعْضَاءِ الوضُوءِ جُرْحٌ يَتَضَرَّرُ بِالمَاءِ فَإِنَّهُ يَجَنِّبُ المَاءَ الجُرْحَ، وَيَغْسِلُ بَاقِيَ العُضْوِ، وَيَتَيَمَّمُ عَنْ مَوضِعِ الجُرْحِ، وَإِنْ كَانَ عَلَى الجُرح غِطَاءٌ مِنْ ضِمَادٍ أَوْ لُصُوقٍ أَوْ جَبِيرَةٍ عَلَى كَسْرٍ، فَإِنَّهُ يمْسَحُ عَلَيْهِ بِالمَاءِ وَيَكْفِيهِ عَنْ غُسْلِهِ.

وَإِذَا كَانَ عَلَى رِجْلَيْهِ خُفَّانِ أَوْ كَنَادِرَ سَاتِرَةٌ لِلْكَعْبَيْنِ وَمَا تَحْتَهُمَا فَإِنَّهُ يَمْسَحُ عَليْهِمَا وَيَكْفِيهِ ذَلِكَ مِنْ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ. وَالشّرَّاب إِذَا كَانَتْ ضَافِيَةً عَلَى الكَعْبَيْنِ وَمَا تَحْتَهمَا، وَكَانَتْ مَتِينَةً تَسْتُرُ الجِلْدَ فَإِنَّهُ يَمْسَحُ عَلَيْهِما وَيَقُومَانِ مَقَامَ الخُفَّيْنِ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ قَوْلَيِ العُلَمَاءِ.

وَمُدَّةُ المَسْحِ عَلَى الخُفَّيْنِ وَمَا يَقُومُ مَقَامَهُمَا مِنَ الشَّرَّابِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ لِلْمُقِيمِ وَثَلاَثَةُ أَيَّام بِلَيَالِيهَا لِلْمُسَافِرِ الذِي يُبَاحُ لَهُ قَصْرُ الصَّلاَةِ. وَأَمَّا مَا عَلَى الجُرْحِ مِنْ ضِمَادٍ وَنَحْوِهِ فَإِنَّهُ يَمْسَحُ عَلَيْهِ إِلَى نَزْعِهِ أَوْ بُرْءِ مَا تَحْتَهُ. وَصِفَةُ الغُسْلِ مِنَ الجَنَابَةِ

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٤٣).

وَنَحْوِهَا: أَنْ يَنْوِيَ الاغْتِسالَ لِلْجَنَابَةِ وَنَحْوِهَا، ثُمَّ يُسَمِّيَ، ثُمَّ يَغْسِلَ كَفَّيْهِ ثَلاَثاً، ثُمَّ يَسْتَنْجِي، ثُمَّ يَتَوضَّأَ وضوءَهُ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ يُحْثِيَ المَاءَ عَلَى رَأْسِهِ مَرَّاتٍ يُعَمِّمُهُ بِهَا وَيَرْوِيَ أُصُولَ شَعْرِهِ، ثُمَّ يُفِيضَ المَاءَ عَلَى سَائِرِ بَدَنِهِ وَيُعَمِّمُهُ بِهِ وَلاَ يَتْرُكَ مِنْهُ شَيْئاً لاَ يَصِلُ إِلَيْهِ المَاءُ لأَنَّهُ لَوْ بَقِيَ مِنْهُ شَيءٌ وَلَوْ قَلِيلٌ لَمْ يَغْسِلْهُ لَمْ يَصِح طَهَارَتُهُ حَتَّى يَغْسِلَهُ.

عِبَادَ اللهِ: وَالحِكْمَةُ - واللهُ أَعْلَمُ - فِي غَسْلِ هٰذِهِ الأَعْضَاءِ فِي الوضوءِ أَنَّهَا هِي التِي يُبَاشِرُ بَهَا العَبْدُ مَا يُرِيدُ فِعْلَهُ، وَبِهَا يَعْصِي اللهَ وَيُطِيعُهُ، وَهِي أَسْرَعُ مَا يَتَحَرَّكُ مِنَ الإِنْسَانِ للطَّاعَةِ وَالمَعْصِيَةِ. وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّه كُلَّمَا غَسَلَ عضواً مِنْهَا حَطَّ اللهُ عَنْهُ كُلَّ خَطِيئَةٍ أَصَابَهَا بِذَلِكَ العُضْوِ.

وَلَمَّا أَمَرَ سُبْحَانَهُ بِغسِيلِ هٰذِه الأَعْضَاءِ فِي الوضُوءِ وَغَسْلِ جَمِيعِ البَدَنِ فِي الاغْتِسَالِ مِنَ الجَنَابَةِ وَنَحْوِهَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة: ٦].

فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الحِكْمَةَ فِي ذٰلِكَ إِرَادَتُه تَطْهِيرَ المُسْلِمِ مِنَ الحَدَثِ وَتَطْهِيرَه مِنَ الخَطَايَا. وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: أَنَّ هَذِه الأُمَّةَ يبْعَثُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوضَوءِ وَيُعْرَفُونَ بِذَلِكَ بَيْنَ الأُمَمِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الوضُوءِ وَفَائِدَتِهِ لِلْمُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَإِذَا فَرغَ مِنَ الطَّهَارَةِ اسْتُحِبَّ لَهُ أَنْ يَقُولَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، لِمَا رَوَىٰ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فيُسْبِغُ الوضوءَ، ثم يقُول: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مَحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» رَواه أَحْمَدُ

وَمُسْلِمٌ»[١]. وفِي رَوايةٍ يَقُولُ زِيادةً على ذلِكَ: «اللَّهُمَّ اجعَلْنِي مِنَ التَّوابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهرِينَ»[٢] والحِكْمَةُ فِي قَوْلِ هٰذَا الذِّكْرِ بَعْدَ الوضُوءِ لِيَجْمَعَ بَيْنَ طَهَارَةِ البَاطِنِ بِشَهَادَةِ التَّوْحِيدِ وَطَهَارَةِ الظَّاهِرِ بِالوضُوءِ.

عِبَادَ اللهِ: إِيَّاكُمْ وَالإِسْرَافَ فِي المَاءِ فِي الوضُوءِ وَالاغْتِسَالِ، فَقَدْ نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذلِكَ، وَكَانَ ﷺ يَتوضَّأُ بِالمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ، وَهُو القُدْوةُ ﷺ، فَالإِكْثَارُ مِنْ صَبِّ المَاءِ فِي الوضُوءِ والاغْتِسَالِ إِسْرَافٌ لاَ دَاعِيَ لَهُ، وَرُبَّمَا أَنَّ الإنْسَانَ يُسْرِفُ فِي صَبِّ المَاءِ وَلاَ يَتَطَهَّرُ الطَّهَارَة المَطْلُوبَةَ بِحَيْثُ يَبْقَىٰ شَيءٌ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ المَاءُ، لأَنَّهُ لم يَتَنَبَّهْ لِذٰلِكَ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَحَافِظُوا عَلَى الطَّهَارَةِ لِلصَّلاَةِ وَتَطَهروا كَمَا أَمَرَكُم اللهُ، وَاقْتَدُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٢].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ عَلَى فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمَاً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا الله تَعَالَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ الطّهُورَ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَأَنَّ التَّطَهرَ

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٣٤).

(٢) رواه الترمذي (٥٥).

لِلصَّلاَةِ بِالوضُوءِ والاغْتِسَالِ أَمَانةٌ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، ويُسْأَلُ عَنهُ يَوْمَ القِيَامَةِ. قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ المُؤمِنينَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ ﴾ [المؤمنون: ٨].

وبَعْضُ النَّاسِ يَتَسَاهَلُ فِي شَأْنِ الطَّهَارَةِ فَلاَ يُتِمُّهَا كَمَا أَمَرَ اللهُ، وَقَدْ يُصَلِّي طُولَ عَمُرِهِ أَوْ غَالِبَهُ مِنْ غَيْرِ طَهَارَةٍ صَحِيحَةٍ فَلاَ تَصِحُّ صَلَوَاتُهُ. وَيُذْكَرُ عَنْ بَعْضِ البَادِيَةِ أَنَّهُمْ يَتَيَمَّمُونَ بِالتُّرَابِ دَائِماً مَعَ وُجُودِ المَاءِ، وَيَظُنُّونَ أَنَّ التَّيَمُّمَ يَكْفِي عَنِ المَاءِ، وَاللهُ تَعَالَى إِنَّمَا جَعَلَ التَّيَمُّمَ بَدَلَ المَاءِ عِنْدَ فَقْدِه أَوِ العَجْزِ عَنِ اسْتِعْمَالِهِ، فَمَنْ تَيَمَّمَ وَهُو وَاجِدٌ لِلْمَاءِ وَقَادِرٌ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ لَمْ تَصِحْ صَلاَتُه، لأَنَّه صَلَّى بِغَيْرِ طَهَارَةٍ، فَتَرَكَ شَرْطاً مِنْ شُرُوطِ صِحةِ الصَّلاَةِ.

وَاعْلَمُوا أنَّه كَمَا تَجِبُ الطَّهَارَةُ مِنَ الحَدَثِ بِالوضُوءِ أَوِ الاغْتِسَالِ تَجِبُ الطَّهَارَةُ مِنَ النَّجَاسَةِ فِي الثِّيَابِ وَالبُقْعَةِ، فَيَجِبُ أَنْ يُصَلي بِبَدَنٍ طَاهِرٍ وَبِثِيَاب طَاهِرَةٍ، وَفِي بُقْعَةٍ طَاهِرَةٍ. وَإِذَا أَصَابَتِ البَدَنَ أَوِ الثَّوْبَ أَوِالبُقْعَةَ نَجَاسَةٌ وَجَبَ غَسْلُهَا بِالمَاءِ حَتَّى تَزُولَ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاعْلَمُوا أنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ . . إلخ.

* * *

شُرُوطُ الصَّلاَةِ

الحَمْدُ للهِ ذِي الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ، جَعَلَ إِقَامَةَ الصَّلاَةِ مِنْ أَعْظَمِ صِفَاتِ أَهْلِ الإِيمَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِله إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُنْجِي مَنْ قَالَهَا وَعمِلَ بِهَا مِنَ النِّيرَانِ، وتوجبُ له دخول الجنان، وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدهُ ورسولُه المؤيَّد بالمعجزات والبرهان، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا الله تَعَالَى وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمَرَ بِإِقَامَةِ الصَّلاَةِ وَأَثْنَىٰ عَلَى الذِينَ يُقِيمُونَهَا، وَوَعَدَهُم بِجَزِيلِ الثَّوَابِ وَالسَّلاَمَةِ مِنَ العِقَابِ.

ومَعْنَىٰ إِقَامَةِ الصَّلاَةِ: الإتيانُ بِهَا كَمَا أَمَرَ اللهُ فِي مَواقِيتِهَا، وَمَع جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ فِي المَسَاجِدِ، وَأَنْ تَكُونَ مُسْتَوْفِيَةً لِشُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا، وَمَا تَيَسَّرَ مِنْ سُنَنِهَا، وَذٰلِكَ مِمَّا يَسْتَدْعِي مِنَّا وَيُؤَكِّدُ عَلَيْنَا تَعلُّمَ أَحْكَامِهَا وَمَعْرِفَةَ مَا يُشْرَعُ فِيهَا، وَمَا يُخِلُّ بِهَا أَوْ يُنْقِصُهَا، فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَحْسِبُ أَنَّه يُصَلِّي وَهُو لاَ يُصَلِّي لِجَهْلِهِ بِأَحْكَام الصَّلاَةِ وَإِخْلاَلِهِ بِأَحْكَامِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾ [الماعون: ٤ـ٥].

وَذَلِكَ لأَنَّهُمْ يُؤَخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ مَواقِيتِهَا فَهُمْ يُصَلُّونَ صُورَة وَلاَ يُصَلُّونَ حَقِيقَةً، فَيَسْتَحِقونَ العِقَابَ عَلَى هٰذِه الصَّلاةِ بَدَلاً مِنَ الثَّوَابِ.

عِبَادَ اللهِ: وَإِنَّ مِنْ أَهَمِّ مَا يَجبُ عَلَيْنَا أَن نَعْرِفَ شُرُوطَ صِحَّةِ الصَّلاَةِ، التِي إذا اخْتَلَّ شَرْطٌ مِنْهَا لِغَيرِ عُذْرٍ شَرعِيٍّ بَطَلَتِ الصَّلاَةُ، لأنَّ المَشْرُوطَ تَتَوَقَّفُ صِحتُهُ

عَلَى تَحَقُّقِ وجُودِ الشَّرْطِ.

وَلِذٰلِكَ قَالَ العُلَمَاءُ: الشَّرْطُ: هُو مَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِهِ العَدَمُ. وَقَدْ ذَكَرَ العُلَمَاءُ أنَّ لِلصَّلاَةِ تِسْعَةَ شُرُوطٍ، أَخَذُوهَا مِنْ أَدِلَّةِ الكِتَابِ وَالسُّنةِ، وَهَذِه الشُّرُوطُ هِي: ـ الإسْلاَمُ، وَالعَقْلُ، والتَّمييزُ، وَرَفْعُ الحَدَثِ، وَإِزَالَةُ النَّجَاسَةِ، وَسَتْرُ العَوْرَةِ، وَدُخُولُ الوَقْتِ، وَاسْتِقْبَالِ القِبْلَةِ، وَالنِّيَّةُ.

فَالإِسْلامُ شَرْطٌ لِصِحَّةِ كُلِّ عِبَادَةٍ، لأَنَّ الكَافِرَ لاَ يَصِحُّ مِنْهُ عَملٌ، وَلاَ تُقْبَلُ مِنهُ عِبادَةٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [النور: ٣٩]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ومَنْ زَالَ عَقْلُهُ بِجُنُونٍ أَوْ إِغْمَاءٍ أَوْ نَوْمٍ أَوْ سُكْرٍ، فَإِنَّهُ لاَ تَصِحُّ مِنْهُ صَلاَةٌ فِي هَذِهِ الحَالَةِ. وَالسَّكْرَانُ يَجِبُ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ، ويُقَامُ عَلَيْهِ الحَدُّ، وَلاَ تَصِحُّ صَلاَتُهُ حَالَ سُكْرِهِ لِفُقْدَانِ العَقْلِ، قَالَ ﷺ: **«رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلاَثَةٍ: الصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ والمُجْنُونِ حَتَّى يَفِيقَ، وَالنَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيقِظَ»**[١].

وَالطِّفْلُ غَيْرُ المُمَيِّزِ وَهُو من دُونَ السَّابِعَةِ لاَ يُؤمَرُ بصَلاَةٍ، وَلاَ تَصِحُّ مِنْهُ لَوْ صَلَّى، وَأَمَّا المُمَيِّزُ فَإِنَّهُ يُؤمَرُ بِالصَّلاَةِ وتَصِحُ مِنْهُ نَافلة، قَالَ ﷺ: **«مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ لِسَبْعٍ وَاضْرِبُوهُم عَلَيْهَا لِعَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُم فِي المَضَاجِعِ»**[٢].

وَهٰذَا أَمْرٌ يَغْفُلُ عَنْهُ أَوْ يَتَسَاهَلُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ اليَوْمَ فَلاَ يَأْمُرُونَ أَوْلاَدَهُم بِالصَّلاَةِ، وَلاَ يَضْرِبُونَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الضَّرْبَ عَلَى تَرْكِهَا، وَسَيَسْأَلُهم اللهُ عَنْ تَرْكِ هٰذَا الوَاجِبِ العَظِيمِ، وَعَنْ هٰذِهِ الأَمَانَةِ التِي حَمَّلَهُمُ اللهُ إِيَّاهَا فَأَضَاعُوهَا.

---

(١) رواه الترمذيُّ (١٤٢٣) وغيرُه.

(٢) رواه أبو داود (٤٩٥) وغيره.

وَمِنْ شُرُوطِ صِحَّةِ الصَّلاَةِ: الطَّهَارَةُ، وَذٰلِكَ بِالوضُوءِ مِنَ الحَدَثِ الأَصْغَرِ وَالاغْتِسَالِ مِنَ الحَدَثِ الأَكْبَرِ، وَذٰلِكَ بِالمَاءِ الطَّهُورِ، فمن لَمْ يَجِدِ المَاءَ أَوْ وَجَدَهُ وَعَجَزَ عَنِ اسْتِعْمَالِهِ لِمَرَضٍ وَنَحْوِهِ، فَإِنَّهُ يَتَيَمَّمُ بِالتُّرَابِ، بِأَنْ يَضْرِبَ بِيدَيْهِ عَلَى الأَرْضِ أَوْ عَلَى شَيْءٍ لَهُ غُبَارٌ طَاهِرٌ وَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ [المائدة: ٦].

وَمِنْ شُرُوطِ صِحَّةِ الصَّلاَةِ: إِزَالَةُ النَّجَاسَةِ مِنَ البَدَنِ وَالثَّوْبِ وَالبُقْعَةِ التِي يُصَلِّي فِيهَا، لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَلَعَ النَّعْلَيْنِ وَهُو فِي الصَّلاَةِ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ فِيهِمَا نَجَاسَةً، وَأَمَرَ المَرْأَةَ بِغَسْلِ الدَّمِ الذِي يُصِيبُ ثَوْبَهَا مِنْ أَجْلِ الصَّلاَةِ فِيهِ، وَأَمَرَ بِصَبِّ المَاءِ عَلَى بَوْلِ الأَعْرَابِيِّ الذِي بَالَ فِي طَائِفَةِ المَسْجِدِ.

وَمِنْ شَرُوطِ الصَّلاَةِ: سَتْرُ العَوْرَةِ، وَالعَوْرَةُ: مَايُسْتَحَىٰ مِنْهُ وَيَقْبُحُ ظُهُورُه، وَقَدْ سَمَّى اللهُ كَشْفَ العورَةِ فَاحِشَةً، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ﴾ [الأعراف: ٢٨].

وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَطُوفُونَ بِالبَيْتِ عراةً، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ هٰذَا مِنَ الدِّينِ، فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِم بِذٰلِكَ وَأَمَرَ بِسَتْرِ العَوْرَةِ فَقَالَ: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

فَأَمَرَ اللهُ بِسَتْرِ العَوْرَةِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ وَسَماهُ زِينَةً، وَقَدْ أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَى فَسَادِ صَلاَةِ مَنْ صَلَّى عُرْيَاناً وَهُو يَقْدِرُ عَلَى سَتْرِ عَوْرَتِه.

إِنَّهُ يَجِبُ سَتْرُ العَوْرَةِ دَائِماً فِي الصَّلاَةِ وَغَيْرِهَا، لأَنَّ كَشْفَ العَوْرَة وَالنَّظَرِ إِلَيْهَا يَجُرُّ إِلَى الفَاحِشَةِ، وَيَدُلَّ عَلَى عَدَمِ الحَيَاء وَفَسَادِ الخُلُقِ.

وَإِنْ كَانَ شيَاطِينُ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالدُّوَلُ المُنْحَطَّةُ اليَوْمَ يَعْتَبِرُونَ العُرِي تَقَدُّماً وَفَضِيلَةً، وَحَدُّ عَوْرَةِ الرَّجُلِ مِنَ السُّرَّةِ إِلَى الرُّكْبَةِ هذا الذي لابد من ستره، ويستحب له أن يتجمل باللباس الزائد عن ذلك لأَنَّ الله سُبْحَانَهُ أَمَرَ بِقَدْرٍ زَائِدٍ عَلَى سَتْرِ العَوْرَةِ فَقَالَ: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

فَأَمَرَ بِالتَّزَيُّنِ بِاللِّبَاسِ لِلصَّلاَةِ، وَذَلِكَ زَائِدٌ عَلَى سَتْرِ العَوْرَةِ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَلْبَسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ وَأَجْمَلَهَا لِلصَّلاَةِ وَغَيْرِهَا. لأَنَّهُ سَيَقِفُ فِيهَا بَيْنَ يَدَي اللهِ تَعَالَى، كَمَا تُسَنُّ لَهُ النَّظَافَةُ فِي ثَوْبِهِ وَبَدَنِهِ فِي الصَّلاَةِ وَغيرِهَا. وأَمَّا المَرْأَةُ الحُرَّةُ فَكُلُّهَا عَوْرَةٌ فِي الصَّلاَةِ إِلاَّ وَجْهَهَا، فَإِنَّهُ يُبَاحُ لَهَا كَشْفُهُ فِي الصَّلاةِ، إِلاَّ إِذَا كَانَ عِنْدهَا رِجَالٌ غَيْرُ مَحَارِمٍ لَهَا فَإِنَّهَا تُغَطِّيهِ عَنْهُم فِي الصَّلاَةِ وَغَيْرِهَا. وَلاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَا تَسْتُرُ بِهِ العَوْرَةَ ضَافِياً عَلَيْهَا يسْتُرُ جَمِيعَ بَدَنِهَا، وَأَنْ يَكُونَ سَاتِراً لِمَا تَحْتَهُ، لاَ يُرَىٰ مِنْ وَرَائِهِ لَوْنُ الجِلْدِ وَلاَ يَكُونَ ضَيِّقاً يُبَيِّنُ تَقَاطِيعَ بَدَنِهَا. فَإِنَّ الصَّلاَةَ لاَ تَصِحُّ إِلاَّ مَعَ السَّتْرِ الكَامِلِ لِلْعورَةِ حَسبَ الاسْتِطَاعَةِ، هذَا وَيَجبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ سَتْرُ عَوْرَتِهِ فِي الصَّلاَةِ حَتَّى عَنْ نَفْسِه، وَفِي خُلْوَةٍ، وَفِي ظُلْمَةٍ، وَخَارِجِ الصَّلاَةِ.

وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ تَسَاهَلَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ خُصُوصَاً مَنْ يُزَاوِلُونَ الأَلعَابَ الرِّيَاضِيَّةَ، وَكَثِيرٌ مِنَ النِّسَاءِ عَنْدَ الخُرُوجِ من البُيُوتِ أَو بَحضْرَةِ الرِّجَالِ تَأَثُّراً بِمَا عَلَيْهِ المُجْتَمَعَاتُ الكُفْرِيَّةُ أَو المُجْتَمَعَاتُ المُتَسَمِّيَةُ بِالإِسْلاَمِ، حَيْثُ يَعُدُّونَ العُرِي تَقَدُّماً وَتَحَضُّراً وَفَضِيلَةً، وَيَعُدُّونَ السترَ تَأَخُّراً وَرَجْعِيَّة، وَهٰذَا مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ لِبَنِي آدَمَ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ، وَقَدْ حَذَّرَنَا اللهُ مِنْهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ﴾ [الأعراف: ٢٧].

فَيَجبُ عَلَى المُسْلِمِينَ الحَذَرُ مِنْ كَيْدِ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ فِي هَذَا وَغَيْرِهِ.

وَمِنْ شُرُوطِ صِحَّةِ الصَّلاَةِ دُخُولُ وَقْتِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

أَيْ: مَفْرُوضَة فِي أَوْقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ لاَ يَصِحُّ فِعْلُهَا فِي غَيْرِهَا، فَمَنْ صَلَّى قَبْلَ دُخُولِ الوَقْتِ، لَمْ تَصِح صَلاَتُهُ. وَكَذَا لاَ يَجُوزُ تَأْخِيرُ الصَّلاَةِ عَنْ وَقْتِهَا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ.

وَلِهَذَا شَرَعَ الأَذَانَ إِعلاَمَاً بِدُخُولِ الوَقْتِ: وَوَقْتُ الظُّهْرِ يَبْدَأُ بِزَوالِ الشَّمْسِ، وَوَقْتُ العَصْرِ يَبْدَأُ بِمَصِيرِ ظِلِّ الشَّيءِ مُسَاوِيَاً لَهُ، وَوَقْتُ المَغرب يَبْدَأُ بِغُروبِ الشَّمْسِ، وَوَقْتُ العِشَاءِ يَبْدَأُ بمَغِيبِ الشَّفَقِ الأَحْمَرِ، وَوَقْتُ الفَجْرِ يَبْدَأُ بِطُلوُعِ الفَجْرِ الثَّانِي، وَهَذِه عَلاَمَاتٌ وَاضِحَةٌ يَعْرِفُهَا العَامِيُّ وَالمُتَعَلِّمُ، وَيَجبُ عَلَى المُسْلِمِينَ التَّقَيُّدُ بِهَا، وَالمحَافَظَةُ عَلَىٰ أَدَاءِ الصَّلاَةِ فِيهَا، وَصَلاَةُ المُسْلِمِينَ جَمِيعَاً فِي المَسَاجِدِ فِيهَا ضَمَانٌ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى أَدَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا، فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ فَوَائِدِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ الَّتِي تَسَاهَلَ فِيهَا اليَوْمَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

وَمِنْ شُرُوطِ الصَّلاَةِ: اسْتِقْبَالُ القِبْلَةِ، وَهِيَ الكَعْبَةُ المُشَرَّفَةُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤].

فَمَنْ كَانَ يَرَىٰ الكَعْبَةَ وَجَبَ عَلَيْهِ اسْتِقْبَالُ نَفْسِ الكَعْبَةِ بِجَمِيعِ بَدَنِهِ، وَمَنْ كَانَ قَرِيبَاً مِنْهَا لَكِنَّهُ لاَ يَرَاهَا لِحَائِلٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فَإِنَّهُ يَجْتَهِدُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا وَإِصَابَتِهِ لَهَا مَهْمَا أَمْكَنَهُ ذِلِكَ، وَمَنْ كَانَ بَعِيداً عَنْهَا فِي أَيِّ جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ الأَرْضِ، فَإِنَّهُ يَسْتَقْبِلُ الجِهَةَ الَتِي فِيهَا الكَعْبَةُ، قَالَ ﷺ: «مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ

قِبْلَةٌ»[١].

وَهٰذَا بِالنِّسْبَةِ لأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ كَانَ شَمَالِيَّ الكَعْبَةِ، وَمِثْلُهُم مَنْ كَانَ فِي الجِهَاتِ الأُخْرَىٰ، فَأَهْلُ الجَنُوبِ يَتَّجِهُونَ شَمَالاً، وَأَهْلُ المَشْرِقِ يَتَّجِهُونَ غَرْباً، وَأَهْلُ المَغْرِبِ يَتَّجِهُونَ شَرْقاً. وَهٰذَا مِنْ تَيْسِيرِ اللهِ لِهٰذِه الأُمَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤].

أَيْ أَيْنَ وَجَدتمْ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ أَوْ جَوٍّ، فَاتَّجِهُوا فِي الصَّلاَةِ إِلَى الجهَةِ التِي فِيهَا الكَعْبَةُ، ولا يَضُرُّ المَيْلُ اليَسِيرُ.

وَيُسْتَدَلُّ عَلَى القِبْلَةِ بِأَشْيَاء كَثِيرَةٍ، مِنْهَا السُّؤالُ: بِأَنْ يَسْأَلَ مَنْ يَعْرِفُ اتِّجَاهَ القِبْلَةِ وَيَعْمَلُ بِخَبَرِهِ إِذَا كَانَ ثِقَة، وَمِنْهَا الاسْتِدْلاَلُ بِالنُّجُومِ وَالشَّمْسِ وَالقَمَرِ وَالجِبَالِ وَالرِّيَاحِ وَالأنْهَارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧].

وَمِنْ شَرُوطِ صِحَّةِ الصَّلاَةِ: النِّيَّةُ، وَهِي القَصْدُ وَالعَزْمُ عَلَى فِعْلِ العِبَادَةِ، تَقَرُّباً إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَهِي شَرْطٌ لِصِحَّةِ كُلِّ العِبَادَاتِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَىٰ»**[٢]. ومَحِلُّهَا القَلْبُ، وَلاَ يَجُوزُ التَّلَفُّظُ بِهَا، لأَنَّهُ بِدْعَةٌ. فَلاَ يَقُولُ: نَوَيْتُ أَنْ أُصَلِّيَ الظُّهْرَ، نَويتُ أَنْ أُصلِّيَ العَصْرَ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الأَلْفَاظِ، وَإِنَّمَا يَقْصِدُ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ فَيَنْوِي الصَّلاَةَ التِي يُرِيدُهَا مِنْ فَرِيضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ وَأَنَّهَا ظُهْرٌ أَوْ عَصْرٌ أَوْ غَيْرُهُمَا، يَنْوِيهَا عِنْدَ تكبِيرَةِ الإِحْرَامِ لِتَكُونَ النِّيَّةُ مُقَارِنَةً لِلْعِبَادَةِ، وَإِنْ تَقَدَّمَتِ النِّيَةُ عَلَى تَكبِيرَةِ الإِحْرَامِ بِزَمَنٍ يَسِيرٍ بَعْدَ دُخُولِ

---

(١) رواه الترمذيُّ (٣٤٢)، وغيرُه.

(٢) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) وغيرهما.

الوَقْتِ فَلاَ بَأْسَ.

وَيَجِبُ الحَذَرُ مِن الوِسْوَاسِ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَثِيرًا مَا يَتَسَلَّطُ عَلَى الإِنْسَانِ فِي شَأْنِ النِّيةِ، وَفِي تَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ، فَيَقُولُ لَهُ: لَمْ تَنْوِ، لَمْ تُكَبِّرْ، لَمْ، لَمْ... حَتَّىٰ يُشْغِله عَنْ صَلاَتِهِ، أَوْ يَحْمِلَهُ عَلَى العَمَلِ بِالبِدْعَةِ وهُو التَّلَفُّظُ بِالنِّيةِ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ المُسْلِمَ إِذَا تَوَضَّأَ، وَخَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ وَوَقَفَ فِي الصَّف فَإِنَّه قَدْ نَوَىٰ وَلَو لَمْ يَتَلَفَّظْ، وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ وَلاَ أَصْحَابُهُ ولاَ الأَئِمَّةُ المَعْرُوفُونَ مِنَ السَّلفِ يَجْهَرُونَ بِالنِّيةِ، لأَنَّ النِّيةَ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ، وَاللهُ تَعَالَىٰ يَعْلَمُ مَافِي القُلُوبِ، وَلَوْ لَمْ يَتَلَفَّظْ بِذَلِكَ اللِّسَانُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]، وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٦].

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَأَدُّوا الصَّلاَةَ كَمَا شَرَعَهَا اللهُ، وَكَمَا بَيَّنَهَا رَسُولُ اللهِ، وَأَخلِصُوا للهِ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ وأقوالكم وَنِيَّاتِكُمْ وَمَقَاصِدِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ مَا كَانَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ وَصَوَابًا عَلَى سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلكُم فِي القُرْآنِ الكَرِيم

الخُطْبَة الثَّانِية:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَمَرَ بِالمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلاَةِ إِلَى المَمَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحدَه لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيتِهِ وَإِلهِيتِه وَمَا لَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه المُؤَيَّدُ بِالمُعْجِزَاتِ البَاهِرَاتِ.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وَأَصْحَابِه ذَوي المَنَاقِبِ العَظِيمَة والكَرَامَاتِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُو اللهَ تَعَالَى، وَاعْلَمُوا أنَّ هَنَاكَ أَمْكِنَةً لاَ تَصِحُّ الصَّلاَةُ فِيهَا:

مِنْهَا المَقْبَرَةُ، فَلاَ تَصِحُّ الصَّلاَةُ فِيهَا إلاَّ صَلاَةَ الجنَازَةِ، لِقَولِه ﷺ «الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إلاَّ المَقْبَرَةُ»[١]، وَقَالَ ﷺ: «لاَ تُصَلُّوا إِلَى القُبُورِ، وَلاَ تَجْلِسُوا عَلَيْهَا»[٢].

وَكَذَا لاَ تَصِحُّ الصَّلاَةُ فِي المَسَاجِدِ المبْنِيةِ عَلَى القُبُورِ، وَهي المَعْرُوفَةُ الآنَ بِالأَضْرِحَةِ لِقَولِهِ ﷺ: «لاَ تَتخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدِ»[٣].

وَكَذَا لاَ تَصِحُّ الصَّلاَةُ فِي الحَمَّامَاتِ وَالحُشُوشِ، وَلاَ تَصِحُّ فِي أَعْطَانِ الإبلِ، وَلاَ تَصِحُّ الصَّلاَة فِي قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَلاَ تَصِحُّ الصَّلاَةُ فِي أَرْضٍ مَغْصُوبَةٍ، وَلاَ فِي مَجزَرَةٍ وَمَزْبلَةٍ. كُلُّ هَذِهِ المَواضِعِ مَنْهِيٌّ عَنِ الصَّلاَةِ فِيهَا، وَالنَّهْيُ يَقْتَضِي الفَسَادَ وَعَدَمَ الصِّحَّةِ، فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَتَعَلَّمُوا أَحْكَامَ صَلاَتِكُمْ وَجَمِيعَ عِبَادَتِكُمْ، وَأدُّوهَا عَلَى وِفْقَ كِتَابِ اللهِ وَسُنةِ رَسولِ اللهِ.

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ. . إلخ.

* * *

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٢)، والترمذيُّ (٣١٧)، وغيرهما.

(٢) رواه مسلمٌ (٩٧٢)، وأبو داود (٣٢٢٩)، والترمذيُّ (١٠٥٠) عن أبي مرثد ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه مسلمٌ (٥٣٢) عن جندب ـ رضي الله عنه ـ.

فِي بَيَانِ أَرْكَانِ الصَّلاَةِ وَوَاجِبَاتِهَا وسننها

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَمَرَ بإِقَامِ الصَّلاَةِ، فَقَالَ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَه لاَ شَرِيكَ لَهُ، المَلِكُ الحَقُّ المُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُه، أَخْبرَ أَنَّ الصَّلاَةَ عَمُودُ الدِّينِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُم بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمَاً كَثِيرَاً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا الله تَعَالَى: وَتَعَلَّمُوا أَحْكَامَ صَلاَتِكُم حَتَّى تُؤَدُّوهَا عَلَى الوَجْهِ المَشْرُوعِ، وَتَجَنَّبُوا المُبْتَدَعَ فِيهَا وَالمَمْنُوعَ، لِتَكُونَ صَحِيحَةً مَقْبُولَةً.

فَالصَّلاَةُ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ تَشْتَمِلُ عَلَى أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ تَتَكَوَّنُ مِنْهَا صِفَتُهَا الكَامِلَةُ، وَهَذِه الأَفْعَالُ وَالأَقْوَالُ تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلاَثَةِ أَقْسَامٍ، أَرْكَانٍ وَوَاجِبَاتٍ وَسُنَنٍ. .

فَالأَرْكَانُ إِذَا تَرَكَ المُصَلِّي مِنْهَا شَيْئَاً سَهْوَاً أَوْ عَمْدَاً بَطَلَتِ الصَّلاَةُ بِتَرْكِهِ.

وَالوَاجِبَاتُ إِذَا تَرَكَ مِنْهَا شَيْئَاً عَمْدَاً بَطَلَتِ الصَّلاَةُ بِتَرْكِهِ، وَإِنْ تَرَكَهُ سَهواً لَمْ تَبْطُلِ الصَّلاَةُ، وَيَجْبرُهُ بِسُجُودِ السَّهْوِ.

وَالسُّنَنُ لاَ تَبْطُلُ الصَّلاَةُ بِتَرْكِهَا عَمْدَاً وَلاَ سَهْوَاً، لَكِنَّهَا تُنْقِصُ هَيْئَتَهَا الكَامِلَةَ. وَالنَّبِيُّ ﷺ صَلَّىٰ صَلاَة كَامِلَةً بِجَمِيعِ أَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَسُنَنِها، وَقَالَ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[١].

---

(١) رواه البخاري (٦٣١) عن مالك بن الحويرث ـ رضي الله عنه ـ.

وَرَوَى لَنَا أَصْحَابُه الذِينَ صَلَّوْا خَلْفَهُ صِفَةَ صَلاَتِهِ فِي الأَحَادِيثِ الوَارِدَةِ عَنْهُم حَتَّى كَأَنَّنَا نُشَاهِدُهَا، فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُم وَجَزَاهُم عَنِ الإِسْلاَمِ وَالمُسْلِمِينَ خَيْرَاً.

وأرْكَانُ الصَّلاَةِ أَرْبَعَةَ عَشَر:

الرُّكْنُ الأَوَّلُ: القِيَامُ فِي صَلاَةِ الفَرِيضَةِ، فَلاَ تَصِحُّ صَلاَةُ الفَرِيضَةِ مِنْ جَالِسٍ وَهُو يَقْدِرُ عَلَى القِيَامِ بِالإِجْمَاعِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صلِّ «**قَائِماً فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِداً**»[١].

فَدَلَّتِ الآيَةُ وَالحَدِيثُ عَلَى وجُوبِ القِيَامِ فِي الصَّلاَةِ المَفْرُوضَةِ مَعَ القُدْرَةِ عَلَيْهِ، وَهُو الانْتِصَابُ قَائِماً، فَلَوْ خَفَضَ رَأْسَهُ حَتَّى صَارَ كَهَيْئَةِ الرَّاكِعِ لَمْ تَصِحّ صَلاَتُه. أَمَّا إِذَا خَفَضَ رَأْسَه عَلَى هَيْئَةِ الإِطْرَاقِ لَمْ تَبْطُلْ، لَكِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي، وَقَدْ رَأَىٰ عمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَجُلاً قَدْ طَأْطَأَ رَأْسَهُ فِي الصَّلاَةِ، فَقَالَ: يَا هٰذَا ارْفَعْ رأْسَكَ، فَإِنَّ الخُشُوعَ فِي القُلُوبِ، وَلَيْسَ الخُشُوعُ فِي الرِّقَابِ.

الرُّكْنُ الثَّانِي: تَكْبِيرَةُ الإِحْرَامِ، بِأَنْ يَقُولَ وَهُو قَائِمٌ مَنْتَصِبٌ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ: اللهُ أَكْبَرُ، وَمَعْنَاهُ: اللهُ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ كُلِّ كَبِيرٍ وَعظِيمٍ، وَمُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، وَحِكْمَةُ افْتِتَاحِ الصَّلاَةِ بِالتَّكْبِيرِ لِيَسْتَحضِرَ عَظَمَةَ اللهِ وَهُو قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَخْشَعُ لَهُ وَيَسْتَحِي مِنْهُ، فَلاَ يَشْتَغِلُ قَلْبُهُ بِغَيْرِهِ. وَسُمِّيتْ تَكْبِيرَة الإِحْرَامِ، لأَنَّهَا تحَرِّمُ مَا كَانَ مُبَاحَاً قَبْلَهَا مِنَ الكَلاَمِ وَالأَكْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَالمُصَلِّي إِذَا كَبَّرَ وَدَخلَ فِي الصَّلاَةِ كَانَ مَمْنُوعَاً مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ المُخَالِفَةِ لِلصَّلاَةِ، وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ عِنْدَ تَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ، لِقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلاَةِ رَفَعَ يَدَيْهِ

---

(١) رواه البخاريُّ (١١١٧)، وأبو داود (٩٥٢)، والترمذيُّ (٣٧٢) عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ.

حَتَّى يَكُونَا حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

الرُّكْنُ الثَّالِثُ: قِرَاءَةُ الفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، لِحَدِيثِ، «لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»(٢) فَيَجِبُ عَلَى الإِمَامِ وَالمُنْفَرِدِ قِرَاءَتُهَا، وَالأَحْوَطُ أَنَّ المَأْمُومَ يَقْرَؤُهَا فِي الصَّلاَةِ السِّرِّيَّةِ وَفِي سَكَتَاتِ الإِمَامِ مِنَ الصَّلاَةِ الجَهْرِيَّةِ.

الرُّكْنُ الرَّابِعُ: الرُّكُوعُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

وَلِفِعْلِ الرَّسُولِ ﷺ وَقَوْلِهِ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»(٣).

وَالرُّكُوعُ فِي اللُّغَةِ: الانْحِنَاءُ. وَالرُّكُوعُ المَشْرُوعُ أَنْ يَنْحَنِيَ حَتَّى تَبْلُغَ كَفَّاهُ رُكْبَتَيْهِ، وَيمُدَّ ظَهْرَهُ مُسْتَوِياً، وَيَجْعَلَ رَأْسَهُ مَحَاذِياً ظَهْرَهُ لاَ يَرْفَعُهُ وَلاَ يَخْفِضُهُ، لأَنَّ النَّبِي ﷺ إِذَا رَكَعَ سَوَّىٰ ظَهْرَهُ، حَتَّى لَوْ صُبَّ عَلَيْهِ المَاءُ لاَسْتَقَرَّ، رَوَاهُ ابنُ مَاجَه.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» إِذَا رَكَعَ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ وَلَمْ يُصَوِّبْهُ وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ»(٤) وَبَعْضُ النَّاسِ يُخِلُّ بِهٰذَا، فَتَرَاهُ رَافِعاً رَأْسَهُ فِي الرُّكُوعِ أَوْ مُدَّلِياً لَهُ إِلَى أَسْفَل.

الرُّكْنُ الخَامِسُ: مِنْ أَرْكَانِ الصَّلاَةِ: الرَّفْعُ مِنَ الرُّكُوعِ وَالاعْتِدَالُ وَاقِفاً كَحَالِهِ قَبْلَ الرُّكُوعِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِماً»، وَلأَنَّهُ ﷺ فَعَلَ ذَلِكَ وَدَاوَمَ عَلَيْهِ وَقَالَ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمونِي أُصَلِّي»(٥).

---

(١) رواه البخاريُّ (٧٣٥)، ومسلمٌ (٣٩٠).
(٢) رواه البخاريُّ (٧٥٦)، ومسلمٌ (٣٩٤)، ورواه أيضاً أصحابُ السنن الأربعة.
(٣) رواه البخاري (٦٣١) عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه.
(٤) رواه البخاريُّ (٨٢٨) بمعناه.
(٥) رواه البخاري (٦٣١) عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

الرُّكْنُ السَّادسُ: السُّجُودُ، وَهُو وَضْعُ الأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ عَلَى الأَرْضِ: الجَبْهَةِ مَعَ الأَنْفِ، وَاليَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ القَدَمَيْنِ، فَلاَ بُدَّ أَنْ يُبَاشِرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِه الأَعْضَاءِ مَوْضِعَ السُّجُودِ، سَواءٌ كَانَ عَلَى الأَرْضِ مباشَرَةَ أَوْ عَلَى فِرَاشٍ أَوْ مُصَلَّى، وَلاَ يَمُدّ جِسْمَهُ حَتَّى يَكُونَ كَهَيْئَةِ المُنْبَطِحِ عَلَى الأَرْضِ كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ المُتَكَلِّفِينَ اليَومَ، فَإِنَّ بَعْضَهُم يقدِّمُ رَأْسَهُ جِدّاً، وَيُؤَخِّرُ رِجْلَيْهِ جِدّاً حَتَّى رُبَّمَا يُضَايِقُ الصَّفَّ الذِي أَمَامَهُ وَالصَّفَ الذِي خَلْفَهُ، وَهَذَا مَنَ الغُلُو المَذْمُومِ الذِي نَهَى عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ.

عِبَادَ اللهِ: إنَّ السُّجُودَ أَعْظَمُ أَرْكَانِ الصَّلاَةِ، لأنَّ العَبْدَ يَخْضَعُ لِرَبِّهِ وَيَضَعُ أَشْرَفَ أَعْضَائِهِ وَهُو الجَبْهَةَ وَالأَنْفَ فِي مَوَاطِىءِ الأَقْدَامِ، وَلِذَلِكَ كَانَ السَّاجِدُ أَقْرَبَ إِلَى رَبِّهِ حَيْثُ خَضَعَ لَهُ غَايَةَ الخُضُوعِ، وَهُو أَحْرَىٰ لِقَبُولِ الدُّعَاءِ فَاهتمُّوا بِشَأْنِهِ..

الرُّكْنُ السَّابِعُ وَالثَّامِنُ: الرَّفْعُ مِنَ السُّجُودِ وَالجُلُوسُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ لمْ يَسْجُد حَتَّى يَسْتَوِيَ قَاعِداً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١].

والرُّكْنُ التَّاسِعُ: الطَّمَأْنِينَةُ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِ الصَّلاَةِ، وَهِي السُّكُونُ بِقَدْرِ مَا يَأْتِي بِالذِّكْرِ الوَاجِبِ وَيَسْتَقِرَّ كُلُّ عُضْوٍ مَكَانَهُ، فَمَنْ تَرَكَ الطَّمَأْنِينَةَ فَقَدْ أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ، وَيُسَمَّىٰ بِالمُسِيءِ فِي صَلاَتِهِ، وَقَدْ أَمَرَهُ النَّبِي ﷺ بِإِعَادَةِ الصَّلاَةِ، وَقَالَ لَهُ: «صَلِّ، فإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»[٢].

---

(١) رواه مسلمٌ (٤٩٨).

(٢) رواه البخاريُّ (٧٥٧)، ومسلمٌ (٣٩٧) والترمذيُّ (٣٠٣) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وغيرهم.

وَرَأَىٰ حُذَيفَةُ رَجُلاً لاَ يُتِمُّ رُكُوعَهُ وَلاَ سُجُودَهُ، فَقَالَ: مَا صَلَّيْتَ، وَلَو مِتَّ مِتَّ عَلَى غَيرِ الفِطْرَةِ التِي فَطَرَ اللهُ عَلَيْهَا مُحَمَّداً ﷺ، وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ نَقْرَ الصَّلاَةِ مِنْ صِفَاتِ المُنَافِقِينَ، فَلْيَتَنَبَّهُ المُسْلِمُ لِذَلِكَ وَلْيَحْذرْ أَنْ يُصَلِيَ صُورَةً وَهُو لاَ يُصَلِّي حَقِيقَةً.

الرُّكْنَ العَاشِر وَالحَادِي عَشَر: التَّشَهُّدُ الأَخِيرُ وَجلسَتُهُ، لِقَولِهِ ﷺ: «**إِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَتِهِ (أي: جَلَسَ لِلتَّشَهُّدِ)، فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ للهِ وَالصَّلَوَاتُ والطَّيباتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه**». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الرُّكْنُ الثَّانِي عَشَر: الصَّلاَةُ عَلَى النَّبِي ﷺ فِي التَّشَهُّدِ الأَخِيرِ ـ بِأَنْ يَقُولَ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إبراهيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلَى آلِ مَحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**» لأَمْرِهِ ﷺ بِذٰلِكَ لَمَّا سُئِلَ كَيفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ، فَقَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد**»[2]

الرُّكْنُ الثَّالِثُ عَشَر: التَّرْتِيبُ بَيْنَ هَذِهِ الأَرْكَانِ عَلَى الصفةِ التِي كَانَ يُصَليهَا النَّبِيُّ ﷺ، لِقَولِهِ ﷺ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيتُمونِي أُصَلِّي**»[3] وَقَدْ عَلَّمَهَا النَّبِيُّ ﷺ لِلمُسِيءِ فِي صَلاَتِهِ مُرَتَّبَةً بِـ(ثُمَّ) المُقْتَضِيَةِ لِلترتيب.

الرُّكْنُ الرَّابعَ عَشَر: التَّسْلِيمَتَانِ ـ بِأَنْ يَقُولَ عَنْ يَمِينِه: السَّلاَمُ عَلَيْكُم وَرَحمَةُ

---

(١) رواه البخاريُّ (٨٣١)، ومسلمٌ (٤٠٢) عن ابن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ .

(٢) رواه مسلمٌ (٤٠٥) عن أبي مسعودٍ الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ .

(٣) رواه البخاري (٦٣١) عن مالك بن الحويرث ـ رضي الله عنه ـ.

اللهِ وَعَنْ يَسَارِهِ كَذٰلِكَ، وَهُو خِتَامُ الصَّلاَةِ وَعَلاَمَةُ الخُرُوجِ مِنْهَا لِقَولِه ﷺ: «وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ»[1]. وَفِي رِوايةٍ «خِتَامُها التَّسْلِيمُ»، وهُو دُعَاءٌ بِالسَّلاَمَةِ يَدْعُو بِهِ الإمَامُ وَالمَأْمُومُ وَالمُنْفَرِدُ لأَنْفُسِهِم وَلِلحَاضِرِينَ مِنَ المَلاَئِكَةِ. يَنْوُونَ بِهِ الخُرُوجَ مِنَ الصَّلاَةِ وَاسْتِبَاحَةَ مَا حَرمَ عَلَيْهِم فِي أَثْنَاءِ الصَّلاَةِ مِنَ الكَلاَمِ وَغَيْرِه.

عِبَادَ اللهِ: مَنْ تَرَكَ رُكْناً مِنْ هَذِه الأَرْكَانِ، فَإِنْ كَانَ تَكْبِيرةَ الإِحْرَامِ لَمْ تَنْعَقِدْ صَلاَتُهُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ تَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ وَقَدْ تَرَكَهُ عَمْداً بَطَلَتْ صَلاَتهُ، وَإِنْ تَرَكَهُ سَهْوَاً فَإِنْ ذَكَرَه قَبْلَ شُرُوعِهِ فِي قِرَاءَةِ الرَّكْعَةِ الأُخْرَىٰ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ وَيأْتِي بِهِ بما بَعْدَهُ، وإن لم يذكره إلا بعد الشروع فِي قِرَاءِةِ الركْعَةِ الأُخْرَىٰ لَغَتْ الرَّكْعَةَ المَتْرُوكَ مِنْهَا ذَلِكَ الرُّكْنُ، وَقَامَتْ الرَّكْعَةُ التِي تَلِيهَا مَقَامَهَا، وَيُكْمِلُ صَلاَتَهُ، ثُمَّ يَسْجُدُ لِلسَّهْوِ قَبْلَ السَّلاَمِ، وَإِنْ لَمْ يَذْكُر الرُّكنَ المَتْرُوكَ إِلاَّ بَعْدَالسَّلاَمِ فَإِنَّهُ يَكُونُ كَتَرْكِ رَكْعَةٍ كَامِلَةٍ، فَإِنْ لَمْ يُطِلِ الفَصْلَ بَعْدَ السَّلاَمِ، فَإِنَّه يَأْتِي بِرَكْعةٍ وَيَسْجُدُ لِلسَّهوِ، وَإِنْ طَالَ الفَصْلُ أَوْ انْتَقَضَ وَضُوؤُه فَإِنَّهُ يُعِيدُ الصَّلاَةَ كَامِلَةً.

أَيُها المُؤْمِنُونَ: هَذِه أَرْكَانُ الصَّلاَةِ، وَهِي الجَوانِبُ القَوِيَّةُ التِي يَقُومُ عَلَيْهَا بُنْيَانُهَا، وَلاَ تَصِحُّ إِلاَّ بِهَا مَعَ القُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَمَنْ عَجَزَ عَنِ الإِتْيَانِ بِشَيءٍ مِنهَا كَاملاً فَإِنَّهُ يَأْتِي مِنهُ بِمَا يَسْتَطِيعُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

وَلِقَولِهِ ﷺ: «**صَلِّ قَائِمَاً، فَإِنْ لَمْ تَستطعْ فَقَاعِداً، فإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**»[2]. ومَنْ عَجزَ عَنِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، فَإِنَّهُ يَومِىءُ بِرَأْسِهِ يَخْفِضُهُ فِي سجُودِه أَكْثَرَ مِنَ رُكُوعِهِ، وَمَنْ عَجزَ عَنْ قِرَاءَةِ الفَاتِحَةِ فَإِنَّهُ يَحْمَدُ اللهَ وَيُكَبِّرُه

---

(١) رواه أبو داود (٦١) والترمذيُّ (٣).

(٢) رواه البخاري (١١١٧) والترمذي (٣٧٢) وغيرهما.

وَيُهَلِّلُهُ ثُمَّ يَرْكَعُ، لِقَوله ﷺ: «إنْ كَانَ مَعَكَ قُرْآنٌ فَاقْرَأْ، وَإلاَّ فَاحْمَدِ اللهَ وَكَبِّرْهُ وَهَلِّلْهُ ثُمَّ ارْكَع» رَواهُ أَبُو دَاودَ وَالتِّرْمِذِيُّ[1].

وَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ شَيْئاً مِنَ القُرْآنِ فَعَلِّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي، قَال: «قُلْ: سُبْحَانَ اللهِ. وَالحَمْدُ للهِ. و لا إلَه إلاَّ اللهُ. وَاللهُ أَكْبَرُ. وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ» رَواهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاودَ وَالنَّسَائِيُّ[2]. وَهٰذَا إنما هُو فِي الذِي لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَعَلَّمَ أَو لَمْ يَجِدْ مَنْ يُعَلِّمُهُ، أَمَّا الذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَعَلَّمَ الفَاتِحَةَ فَإنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا مَعَ مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ، وَعُلِمَ مِنْ ذٰلِكَ أَنَّ الصَّلاَة لاَ تَسْقُطُ بِحَالٍ، وَإنَّمَا يُصَلِّي المُسْلِم عَلَى حَسبِ اسْتِطَاعَتِهِ.

فَاتَّقوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاهْتَمُّوا بِأَدَاءِ صَلاَتِكُمْ عَلَى الوَجْهِ المَشْرُوع حَتَّى تُقيمُوا عَمُودَ الإسْلاَم وَثَانِي أَرْكَانِهِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، فَإنَّهُ لاَ دِينَ لِمَنْ لاَ صَلاَةَ لَهُ، وَلا صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يُتِمَّ شُرُوطَهَا وَأَرْكَانَهَا وَوَاجِبَاتِهَا حَسبَ اسْتِطَاعَتِهِ.

وَفَّقَ اللهُ الجَمِيعَ لِلْعِلْمِ النَّافِعِ والعمل الصَّالِحِ، وَرَزَقَنَا وَإيَّاكُم الإخْلاَصَ وَالقَبُولَ.

أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨ـ٢٣٩].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُم فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

---

(١) لم أجدْهُ.

(٢) رواه أبو داود (٨٣٢) عن عبدالله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، جَعلَ الصَّلاَةَ كِتَاباً مَوقُوتاً عَلَى المُؤْمِنِينَ ، وَأَشْهدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ النَّاصِحُ الأَمِينُ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُم بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً . .

أَمَّا بَعْدُ :

أَيُّهَا النَّاسُ : اتَّقُوا اللهَ تعَالَى ، فَإِنَّ تَقْوَاهُ سَبَبٌ لِنَيْلِ العِلْمِ النَّافِعِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وَقَدْ سَبَقَ أَنْ تَحَدَّثْنَا عَنْ أَرْكَانِ الصَّلاَةِ وَأَحْكَامِهَا ، وَالآنَ نُوَاصِلُ الحَدِيثَ عَنْ وَاجِبَاتِ الصَّلاَةِ وَسُنَنِهَا .

فَوَاجِبَاتُ الصَّلاَةِ ثَمَانِيةٌ : وَهِي :

جَمِيعُ التَّكْبِيرَاتِ غَيْرَ تَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ . . وَأَمَّا تَكْبِيرَةُ الإِحْرَامِ فَهِي رُكْنٌ كَمَا سَبَقَ . وَقَوْلُ : سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ لِلإِمَامِ وَالمُنْفَرِدِ ، وَأَمَّا المَأْمُومُ فَلاَ يَقُولهَا : وَقَوْلُ : رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ بَعْدَ الاعْتِدَالِ مِنَ الرُّكُوعِ فِي حَقِّ الجَمِيعِ ، وَقَوْلُ : سُبْحَانَ ربيَ العَظِيمِ فِي الرُّكُوعِ ، وَقَوْلُ : سُبْحَانَ رَبِيَ الأَعْلَىٰ فِي السُّجُودِ ، وَقَوْلُ : رَبِّ اغْفِرْ لِي بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ ، وَالتَّشَهُّدَ الأَوَّلُ مَعَ الجُلُوسِ لَهُ . وَهُو قَوْلُ : التَّحِياتُ للهِ . . إِلَى أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِله إِلاَّ اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْده وَرَسُولُهُ .

فَمَنْ تَرَكَ وَاجِباً مِنْ هَذِه الوَاجِبَات متَعَمِّداً لَمْ تَصِحْ صَلاَته ، وَإِنْ تَرَكهُ سَهْوَاً فَإِنَّهُ يَسْجُدُ لِلسَّهْوِ عوضَاً عَنْهُ ، وَما عَدَا الأَرْكَانِ وَالوَاجِبَاتِ المَذْكورَةِ فَإِنَّهُ سُنَنٌ : أَقْوَالٌ وَأَفْعَالٌ لاَ تَبْطُلُ الصَّلاَةُ بِتَرْكِهِ عَمداً وَلاَ سَهْواً ، وَلَكِنِ الإِتْيَانُ بِهِ أَكْمَلُ لِلصَّلاَةِ وَأَفْضَلُ .

وَسُنَنُ الأَقْوالِ كَثِيرَةٌ: كَالاسْتِفْتَاحِ، وَالتَّعَوُّذِ، والبَسْمَلَةِ، وَالتَّأْمينِ، وَقِرَاءَةِ مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ بَعْدَ الفَاتِحَة فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَفِي الركْعَتَينِ الأُولَيَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ والعَصْرِ وَالمَغْرِبِ وَالعِشَاءِ، وَمَا زَادَ عَلَى المَرَّةِ الوَاحِدَةِ مِنْ تَسْبِيحِ الركُوعِ وَالسُّجُودِ، وَمَا زَادَ على المَرَّةِ مِنْ قَولِهِ: رَبِّ اغْفِرْ لِي بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ، وأَنْ يَقُولَ فِي التَّشَهُّدِ الأَخِيرِ قَبْلَ التَّسْلِيمِ: اللَّهُمَّ إِنِي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّم، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَمَا تَيَسَّرَ مَعَ ذَلِكَ مِنَ الدُّعاءِ.

وَأَمَّا سُنَنُ الأَفْعَالِ فَهِي كَثِيرَةٌ مِنْهَا: رَفْعُ اليَدَيْنِ عِنْدَ تَكبِيرَةِ الإِحْرام وَعِنْدَ الرُّكُوعِ وَعِنْدَ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ، ووَضْعُ اليَدِ اليُمْنَىٰ عَلَى اليَدِ اليُسْرَىٰ عَلَى صَدْرِهِ أَوْ تَحْتَ سُرَّتِهِ حَالَ القِيَامِ، وَالنَّظَرُ إلى مَوْضِعِ سُجُودِهِ، وَوَضْعُ اليَدَينِ عَلَى الرُّكْبَتَيْنِ فِي الرُّكُوعِ، وَمَدُّ ظَهْرِهِ مُسْتَوِياً، وَجَعْلُ رَأْسِهِ حِيَالِهِ فِي الرُّكُوعِ، وَمُجَافَاةُ بَطْنِهِ عَنْ فَخِذَيْهِ، وَفَخِذَيْهِ عَنْ سَاقَيْهِ وَعَضُدَيْهِ عَنْ جَنْبَيْهِ فِي السُّجُودِ.. إِلَى غيْرِ ذَلْكَ مِنْ سُنَنِ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ التِي تَبْلُغُ خَمْساً وَأَرْبَعِينَ سُنَّةً أَوْ أَكثَرَ، لَكِنْ لاَ يَنْبَغِي التشَدُّدُ فِي فِعْلِ السُّنَنِ حَتَّى تُصْبِحَ كَأَنَّهَا فَرَائِضُ أَوْ التَّزيُّد فِي صُورَةِ تَطْبِيقِهَا حَتَّى تخرجَ عن كيفيتها الشرعية، كما نشاهدُ من بعضِ الناس حيث يجمع أحدهم يديه في حال القِيَام عَلَى ثُغْرَةِ نَحْرِهِ بَدَلاً مِنْ وَضْعِهِمَا عَلَى صَدْرِهِ أَوْ تَحْتَ سُرَّتِهِ، وَيَحنِي رَأْسَهُ إِلَى قُرْب الرُّكُوعِ، وَإِذَا سجدَ مدَّ رجليهِ إلى خلفٍ، ورأسهُ إلى أمامٍ حتى يصبحَ كهيئةِ المنبطحِ على الأرض. وإذا وَقَفَ فِي الصَّلاَةِ بَاعَدَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ يَمِيناً وَشِمَالاً، حَتَّى إِنَّهُ لَيَشْغَلُ مَوْضِعَ رَجُلَيْنِ وَيُضَايِقُ مَنْ بِجَانبِهِ، وَبَعْضُهُم يَتَشَدَّدُ فِي شَأْنِ السّتْرَةِ حَتَّى يَتْرُكَ القِيَام فِي الصَّفِّ لأَدَاءِ الرَّاتِبَةِ، وَيَذْهَبُ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ يَبْحَثُ فِيهِ عَنْ سترةٍ فَيَفُوتُه المَكَانُ الذِي رُبَّمَا

يَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ تَحْصِيلِ السُّتْرَةِ وَهُو القُرْبُ مِنَ الإمَامِ فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ. . إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْواعِ التَّشَدُّدِ فِي بَعْضِ السُّنَنِ التِي رُبَّمَا يُخْرِجُهَا عَنْ كَيفِيتِهَا المَشْروعَةِ أَوْ يُفَوِّتُ سُنَنَاً أَفْضَلَ مِنْهَا، وَالمَطْلُوبُ الاعْتِدَالُ وَالاسْتِقَامَةُ مِنْ غَيْرِ إفْرَاطٍ وَلاَ تَفْرِيطٍ. وَعَلَى مُقْتَضَى الكِتَابِ وَالسُّنةِ.

فَإنَّ خَيرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مَحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا. . إلخ.

* * *

في بَيَانِ مَا يَجُوزُ وَمَا لاَ يَجُوزُ فِعْلُهُ فِي الصَّلاَةِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ لعَالَمِينَ، جَعلَ الخُشوعَ فِي الصَّلاَةِ مِنْ صِفَاتِ المُؤْمِنينَ المُفْلِحِينَ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُم يَرِثُونَ الفِرْدَوسَ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَلَو كَرِهَ المُشْرِكُونَ، وَأشْهَدُ أنَّ محَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه خَاتَم النَّبِيينَ، وَقَائِدُ الغُرِّ المُحَجَّلِينَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وَأَصحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وَاعْلَمُوا أنَّ الخُشُوعَ فِي الصَّلاَةِ هُو رُوحُهَا، وَهُو الذِي تَحْصُلُ بِهِ إِقَامَتُهَا حَقِيقَة، فَصَلاَةٌ بِلاَ خُشُوع كَجسَد بِلاَ رُوحٍ، وَقَدْ عَلَّقَ اللهُ سُبْحَانَهُ الفَلاَحَ بِخُشُوعِ المُصَلِّي فِي صَلاَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١ـ٢].

فَمَنْ فَاتَهُ الخُشُوعُ فِي الصَّلاَةِ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الفَلاَحِ، وَمِنْ عَلاَمَاتِ الخُشُوعِ فِي الصَّلاةِ سُكُونُ الجَوارِحِ، وَعَدمُ الحَرَكَةِ، وَحُضُورُ القَلْبِ، وَالتلذُّذُ بِكَلاَم اللهِ وَدُعَائِهِ.

وَمِنْ عَلاَمَاتِهِ إِتْمَامُ أَرْكَانِ الصَّلاَةِ وَوَاجِبَاتِهَا وَسُنَنِهَا وَعدَمُ السُّرْعَةِ فِيهَا، وَمِنْ عَلاَمَاتِ الخُشُوعِ مُتَابَعَةُ الإمَامِ وَعدَمُ مُسَابقَتِهِ أَو التَّخَلف عَنْهُ.

ومن علامات الخشوع في الصلاة تجنب ما نُهيَ عنه فيها، فهناك أشياء نهى النبي ﷺ عنها في الصلاة وهي نوعان:

النوع الأَوَّلُ: مَا يُبْطِلُ الصَّلاَة، وَهُو ثَمَانِيةُ أَشْيَاء «الكَلاَمُ العمدُ»، والضحكُ،

والأكلُ والشرب، وكشف العورَةِ، والانحرافُ عن القبلة، والعبث الكَثِيرُ، وَحُدُوثُ النَّجَاسَةِ».

والنَّوعُ الثَّانِي: مَا يُنْهَى عَنْهُ فِي الصَّلاَةِ وَلاَ يُبْطِلُهَا، لَكِنْ يُنْقِصُهَا، وَهُو أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ:

فَيُنْهى فِي الصَّلاَةِ عَنْ رَفْعِ البَصَرِ إِلَى السَّمَاءِ، لأَنَّ النَّبِي ﷺ أَنْكَرَ عَلَى مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَقَال: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُم إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِم»، واشْتَدَّ قَولُه فِي ذلِكَ حتَّى قَالَ: «لَيَنْتَهُنَّ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُم» رَواهُ البُخَارِيُّ[1].

هٰذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ يُوجِبُ عَلَى المُسْلِمِ الحَذَرَ مِنْ ذَلِكَ وَالامْتِنَاعَ مِنْ رَفْعِ البَصَرِ فِي الصَّلاَةِ.

وَكَذَلِكَ لاَ يَجُوزُ تَسْرِيحُ البَصَرِ فِيمَا أَمَامَهُ مِنَ الأَشْيَاءِ، لأَنَّ ذَلِكَ يَشْغَلُهُ عَنْ صَلاَتِهِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَتَسَاهَلُ فِي هَذَا الأَمْرِ، فَتَرَاهُ يَنْظُرُ هُنَا وَهُنَاكَ وَهُو قَائِمٌ يُصَلِّي.

وَالمطْلُوب مِنَ المُصَلِّي أَنْ يَقْصُرَ نَظَرَهُ عَلَى مَوْضِعِ سُجُودِهِ، وَلاَ يَسرحَهُ فِيمَا أَمَامَهُ مِنَ الجُدْرَانِ وَالنُّقُوشِ وَالكِتَابَةِ وَالقَنَادِيلِ المُعَلَّقَةِ وَغَيْرِهَا.

وَنَهَى ﷺ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالحَيَوَانَاتِ فِي الصَّلاَةِ، فَنَهَى عَنْ بُرُوكٍ كَبُرُوكِ البَعِيرِ، وَالْتِفَاتٍ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ، وَافتِرَاشٍ كَافْتِرَاشِ السَّبعِ، وَإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الكَلْبِ، وَنَقْرٍ كَنَقْرِ الغُرَابِ، وَرَفْعِ الأَيْدِي وَقْتَ السَّلاَمِ كَأَذْنَابِ الخيْلِ الشُّمْسِ، فَهٰذِهِ سِتُّ حَيَوانَاتٍ نُهِيَ المُصَلِّي عَنِ التَّشَبُّهِ بِهَا فِي الصَّلاَةِ.

فَنُهِيَ المُصَلِّي أَنْ يَبْرُكَ كَبُرُوكِ البَعِيرِ يَعْنِي حَالَ انْحِطَاطِهِ لِلسُّجُودِ، فَالْمَشْرُوعُ لِلمُصَلِّي إِذَا انحَطَّ للسُّجُودِ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَا يَضَعُ عَلَى الأَرْضِ رُكْبَتَيْهِ

---

(١) رواه البخاريُّ (٧٥٠)، وأبو داود (٩١٣).

ثُمَّ يَدَيْهِ، ثُمَّ جَبْهَتَهُ وَأَنْفَهُ وَلاَ يَضعُ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ، فَإِنَّ هٰذَا بُروكُ البَعِيرِ الذِي نُهِينَا عَنْهُ فِي الصَّلاَةِ إِلاَّ إذا كَانَ كَبِيرَ السِّنِّ أَوْ مَرِيضاً وَاحْتَاجَ إِلى وَضْعِ يَدَيْهِ قَبْلِ رُكْبَتَيْهِ فَلاَ بَأْسَ بِذَلِكَ.

ونُهِيَ المُصَلِّي عَنِ الالْتِفَاتِ فِي الصَّلاَةِ كَمَا يَلْتَفِتُ الثَّعْلَبُ، وَأَخْبَرَ ﷺ: **«أَنَّ الالتفاتَ فِي الصَّلاَةِ اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ العَبْدِ»** رَواه البُخَارِيُّ[١].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:

الالتفَاتُ المَنْهِي عَنْهُ فِي الصَّلاَةِ قِسْمَانِ:

أَحَدُهُما: التِفَاتُ القَلْبِ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى غَيْرِ اللهِ تعَالَى.

والثَّانِي: التفَاتُ البَصَرِ، وَكِلاَهُمَا مُنْهِيٌّ عَنْهُ، وَلاَ يَزَالُ اللهُ مُقْبلاً عَلَى عَبْدِهِ مَا دَامَ العَبْدُ مُقْبِلاً عَلَى صَلاَتِهِ، فَإِذَا التَفَتَ بِقَلْبِهِ أَوْ بَصَرِهِ أَعْرَضَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ التِفَاتِ الرَّجُلِ فِي صَلاَتِهِ فَقَالَ: «.. **اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ العَبْدِ**» وَفي أَثَرٍ: **يَقُولُ اللهُ تَعَالَى إِلَى خَيْرٍ مِنِّي، إِلَى خَيْرٍ مِنِّي**» وَمَثَلُ مَنْ يَلْتَفِتُ فِي صَلاَتِهِ بِبَصَرِهِ أَوْ بِقَلْبِهِ مَثْلُ رَجُلٍ اسْتَدْعَاهُ السُّلْطَانُ، فَأَوْقَفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَقْبَلَ يُنَادِيهِ وَيُخَاطِبُه وَهُو فِي خِلاَلِ ذلِكَ يَلْتَفِتُ عن السُّلْطَانِ يَمِيناً وَشِمَالاً، وَقَدِ انْصَرَفَ قَلْبُهُ عَنِ السلْطَانِ فَلَمْ يَفهمْ مَا يُخَاطِبُه بِهِ، لأنَّ قَلْبَهُ لَيْسَ حَاضِراً مَعَهُ، فَمَا ظَنُّ هٰذَا الرَّجُلِ أَنْ يَفعَلَ بِهِ السُّلْطَانُ أَلَيْسَ أَقَلُّ المَرَاتِبِ فِي حَقِّهِ أَنْ يَنْصَرِفَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مَمْقُوتاً مُبْعَداً قَدْ سَقَطَ مِنْ عَينَيهِ، فَهٰذَا المُصَلِّي لاَ يَسْتَوي وَالحَاضِرُ القَلْبِ المُقْبِلُ عَلَى اللهِ تَعَالَى فِي صَلاَتِهِ، الذِي قَدْ أَشْعَرَ قَلْبَهُ عَظَمَةَ مَنْ

---

(١) رواه البخاريُّ (٧٥١).

هُو وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَامْتَلأَ قَلبُهُ مِنَ هَيْبَتِهِ، وَذَلَّتْ عُنُقُه لَهُ، وَاسْتَحَى مِنْ رَبِّه تَعالَى أَنْ يُقبِلَ عَلَى غَيْرِهِ أَوْ يَلْتَفِتَ عَنْهُ.

وَنُهِيَ المُصَلِي عَنِ افْتِرَاشٍ كَافْتِرَاشِ السَّبُعِ، وَذٰلِكَ بِأَنْ يَفْتَرِشَ ذِرَاعَيْهِ فِي حَالِ السُّجودِ بِأَنْ يَمُدُّهُمَا على الأَرْضِ مَعَ إِلْصَاقِهِمَا بِهَا، وَالمَشْروعُ أَنْ يَضَعَ كَفيْهِ مَبْسُوطَتَيْنِ بِبَاطِنِهِمَا عَلَى الأَرْضِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ وَأُذُنَيْهِ، وَيَرْفَعَ مِرْفقَيْهِ، وَيُجَافِي عَضُدَه مِنْ جَنْبَيْهِ، لقَولِهِ ﷺ: **«إِذَا سَجَدتَ فَضَع كَفَّيكَ وَارْفَعْ مِرْفَقَيْكَ»** رَواه مُسْلِمٌ(١).

وَمِمَّا نُهِيَ عَنْهُ المُصَلِّي: إِقْعَاءٌ كَإِقعَاءِ الكَلْبِ، وَقَدْ فَسَّرَ ذٰلِكَ أَهْلُ العِلْمِ بِأَنَّ مَعْنَاهُ أَنْ يَفْرُشَ قَدَمَيْه بِأَنْ يَجْعَلَ ظُهُورَهمَا مِمَّا يلِي الأَرْضَ، وَيَجْلِسَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَذٰلِكَ بَيْنَ السَجْدَتَيْنِ، وَالمَشْرُوعُ فِي تِلْك الجِلْسَةِ أَنْ يَجْلسَ مُفْتَرِشاً يَفْرِشُ رِجْلَهُ اليُسْرَىٰ وَيجْلِسُ عَلَيْهَا، وَيَنْصُبَ رِجْلَهُ اليُمْنَىٰ وَيُخْرِجَهَا مِنْ تَحْتِهِ وَيثْنِيَ أَصَابِعَهَا نَحْوَ القِبْلَةِ..

وَمِمَّا نُهِيَ عَنْهُ المُصَلِّي: نَقْرٌ كَنقرِ الغُرَابِ، وَمَعْنَاهُ أَنْ يُسْرِعَ فِي الصَّلاَةِ فَلاَ يتِمَّ رُكُوعَهَا وَلاَ سُجُودَهَا وَلاَ الطُّمَأْنِينَةَ فِيهَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الأَشْعَرِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ ثُمَّ جَلَس فِي طَائِفَةٍ منْهُم، فدَخَلَ رَجُلٌ، فَقَامَ يُصَلِّي، فَجَعلَ يَرْكَعُ وَيَنْقُرُ فِي سُجُودِهِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: **«تَرَوْنَ هٰذَا لَوْ مَاتَ مَاتَ على غَيرِ مِلَّةِ مَحَمَّدٍ، يَنْقُرُ صَلاَتَه كَمَا يَنْقُرُ الغرَابُ الدمَ، إِنَّمَا مثل هٰذَا الذِي يُصَلِّي وَلاَ يَرْكَعُ فِي سُجُودِه كَالجَائِع لاَ يَأْكُلُ إِلاَّ تَمْرَة أَوْ تَمْرَتَيْنِ فَمَا يُغْنِيَانِ عَنْهُ»** وَقَدْ جعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِصَّ الصَّلاَةِ وَسَارِقَهَا شَرّاً مِنْ

---

(١) رواه مسلمٌ (٤٩٤).

لِصَّ الأَمْوالِ وَسَارِقِهَا، حَيْثُ قَالَ ﷺ: «أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الذِي يَسْرِقُ صَلاَتَهُ» قَالُوا يَا رَسُول اللهِ: كَيْفَ يَسْرِق صَلاَته؟ قَالَ: «لاَ يُتِم رُكُوعَهَا وَلاَ سُجُودَهَا»: أَوْ قَالَ: «لاَ يُقِيمُ صُلبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»[1].

وَمِمَّا نُهِيَ عَنْهُ فِي الصَّلاَةِ فَرْقَعَةُ أَصابِعِهِ وَتَشْبِيكُهَا، رَوَىٰ الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُم فِي المَسْجِدِ فَلاَ يشَبِّكَن، فَإِنَّ التَّشْبِيكَ مِنَ الشَيْطَانِ، وَإِن أَحَدَكُمْ لاَ يَزَالُ فِي صَلاَةٍ مَادَامَ فِي المَسْجِدِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ».

وَعَنْ كَعْبِ بن عُجْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ مَرْفُوعَاً: «إِذَا تَوضَّأَ أَحَدُكُمْ ثُمَّ خَرَجَ عَامِداً إِلَى الصَّلاةِ فَلاَ يُشَبِّكَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِنَّهُ فِي صَلاَةٍ» رَواهُ أحمَدُ وَأَبُو دَاودَ وَالتِّرْمِذِيُّ[2].

وَعْن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ تُقَعْقِعْ أَصَابِعَكَ وَأَنْتَ فِي الصَّلاَةِ» رَواه ابنُ مَاجَه.

وَتَشْبِيكُ الأَصَابِع إِدْخَالُ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ، وَقَعْقَعتُهَا: غَمْزُ مَفَاصِلِهَا حَتَّى يُسْمَعَ لَهَا صَوْت، وَقَد نُهِيَ عَنْ هَذِينِ الفِعْلَيْنِ، لأَنَّهُمَا مِنَ العَبَثِ فِي الصَّلاَةِ، وَلأَنَّهُمَا يَدُلأَنِ عَلى الكَسَلِ، وَبَعْضُ النَّاسِ إِذَا قَامَ فِي الصَّلاَةِ تَسْمَعُ صَوْتَ أَصَابِعِهِ يَعْبَثُ بِهَا وَيفَرْقِعُهَا وَيُؤْذِي مَنْ حَوْلَهُ.

وَالمَشْرُوعُ لِلْمُصَلِّي أَنْ يَقْبضَ يَدَهُ اليُسْرَىٰ بِيَدِهِ اليُمْنَىٰ، وَيَجْعَلَهمَا فَوْقَ صَدْرِهِ طُولَ قِيامِهِ فِي الصَّلاَةِ.

---

(١) رواه أحمد والحاكم عن أبي قتادة رضي الله عنه وهو صحيح «صحيح الجامع» (٩٨٦).

(٢) رواه أبو داود (٥٦٢)، والترمذيُّ (٣٨٦).

وَيكْرهُ التَّمَطِّيَ فِي الصَّلَاةِ، وَهُو التَّمَغُّطُ. لأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الكَسَلِ وَعَدَمِ الخُشُوعِ، وَيُكْرَهُ التَّثاؤُبُ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنْ غَلَبَهُ كَظَمَ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَمِهِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَفْتَحُ فَمَهُ فِي التَّثَاؤُبِ وَيُصَوِّتُ بِهِ تَصْوِيتاً مزْعِجاً.

وَتُكْرَهُ كَثْرَةُ الحَرَكَةِ فِي الصَّلَاةِ مَنْ غَيْرِ حَاجَةٍ كَمَسْحِ جَبْهَتِهِ، وَمَسِّ لِحْيَتِهِ. وَعَقْص شَعْرِهِ. وَالعَبَثِ بِمَلاَبِسِهِ، وَإِدْخَالِ أَصَابِعِهِ فِي أَنْفِهِ لِتَنْظِيفِهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذلِكَ مِنَ الحَرَكَاتِ التِي تشْغِلُ عَنْ حُضُورِ القَلْبِ وَالخُشُوعِ فِي الصَّلاةِ. وَإِذَا كَثُرَتْ هٰذِه الأَفْعَالُ مِنْ غَيْرِ ضَرُورةٍ فَإِنَّهَا تُبْطِلُ الصَّلَاةَ كَمَا سَبَقَ.

وَيُكْرَهُ أَنْ يَدْخُلَ فِي الصَّلاَةِ وَهُو مُشَوَّشُ الفِكْرِ مُنْشَغِلُ البَالِ بِسَبَبِ حَضْرَةِ طَعَامٍ يَشْتَهِيهِ أَوْ بِسَبَبِ إِحْسَاسهِ بِبَوْلٍ أَوْ غَائِط أَوْ بِسَبَبِ كَوْنِ المَكَانِ الذِي يُصَلِّي فِيهِ حَاراً شَدِيداً أَوْ بَارِداً شَدِيداً. قَالَ ﷺ: «**لاَ صَلَاةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ وَلاَ وَهُو يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ**» رَواه مُسْلِم[١].

وَيكْرَهُ أَنْ يُصَلِّيَ وَأَمَامَهُ مَا يُلْهِيهِ منْ زَخَارِفَ وَنُقُوشٍ. فَعَنْ أَنَسٍ ـ رَضي اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: كَانَ قِرَامٌ لِعَائِشَةَ «أَيْ: سِتْرٌ ذَو أَلْوَانٍ سَتَرَتْ بِهِ جَانِبَ بَيْتِهَا، فَقَالَ لَهَا النَّبِي ﷺ: «**أَمِيطِي عَنَّا قِرَامَكِ هٰذَا، فَإِنَّهُ لاَ تَزَالُ تَصَاوِيرُهُ تُعْرَضُ لِي فِي صَلاَتِي**» رَواهُ البُخَارِيُّ[٢].

قَالَ العُلَمَاءُ: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى كَرَاهَةِ الصَّلَاةِ عَلَى المَفَارِشِ وَالسَّجَاجِيدِ المَنْقُوشَةِ، وَكَرَاهَةِ تَزْوِيقِ المَسَاجِدِ وَنَقْشِهَا، وَكَرَاهَةِ اسْتِقْبَالِ كُلِّ مَا يَشْغَلُ المُصَلِّي.

---

(١) رواه مسلمٌ (٥٦٠).
(٢) رواه البخاريُّ (٣٧٤).

وَتكْرَهُ الصَّلاَةُ بِمَكَانٍ فِيهِ تَصَاوِيرُ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّشَبُّهِ بِعِبَادَةِ الأَصْنَامِ، سَوَاءٌ أَكَانَتْ الصُّورَةُ مَنْصُوبَةً أَوْ غَير مَنْصُوبَةٍ عَلَى الصَّحِيحِ، وَلَكِنْ إِنْ كَانَتْ مَنْصُوبَة فَالكَرَاهَةُ أَشَدُّ.

وَيكْرَهُ لِلْمُصَلِّي مَسْحُ مَوْضِعِ سُجُودِهِ، أَوْ مَس مَا عَلَى جَبْهَتِهِ مِنْ أَثرِالسُّجُودِ وَهُو يُصَلِّي لِحَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ ـ رضي اللهُ عَنْهُ ـ مَرْفُوعاً: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلَا يَمْسَحِ الحَصَا، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ تُواجِهُه**» رَواه أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ[1].

لَكِنْ إِنْ كَانَ فِي مَوْضِعِ سُجُودِهِ مَا يُؤْذِيهِ فَلَهُ مَسْحُهُ وَإِزَالَتُهُ، وَالأَوْلَىٰ أَنْ يُسَوِّيَ مَوْضِعَ سُجُودِهِ قَبْلَ الدُّخُولِ فِي الصَّلَاةِ.

وَمِمَّا يَجِبُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ حُكْمُ النَّحْنَحَة فِي الصَّلَاةِ، فَالنَّحْنَحَةُ إِنْ كَانَتْ لِحَاجَة كَمَا لَو اسْتَأذنَ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَهُو يُصَلِّي فَتَنحْنَحَ لِينبِّهَه فَلاَ بَأْسَ بذٰلِكَ لِمَا رَوَى أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَه عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ لِي مدخَلانِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بالليْلِ وَالنَّهَارِ، فَإِذَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُو يُصَلِّي تَنحْنَحَ لِي، وَإِنْ كَانَتِ النَّحْنَحَةُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ فَالأَوْلَى تَرْكُهَا فِي الصَّلَاةِ.

وَبَعْضُ العُلَمَاءِ يَرَىٰ أَنَّهَا تُبْطِلُ الصَّلاَةُ إِذَا كَانَتْ لِغَيْرِ حَاجَةٍ، وَالوَاقِعُ أَنَّ فِيهَا تَشْوِيشاً عَلَى المُصَلِّينَ وَعَلَى قِرَاءَةِ الإِمَامِ، فَلاَ يَنْبَغِي فِعْلُهَا إِلاَّ عِنْدَ الحَاجَةِ مَعَ خَفْضِ الصَّوْتِ.

وَكَذَا الكَحَّةُ لاَ بَأْسَ بِهَا عِنْدَ الحَاجَةِ مَعَ التَّقْلِيلِ مِنْهَا وَكَظْمِهَا مَا أَمْكَنَ.

وَالصَّلاَةُ ـ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ـ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ تَجبُ العِنَايَةُ بِهَا، وَالتَّقَيُّدُ بِفِعْلِ مَا شُرِعَ وَتَرْكِ مَا يُخِلُّ بِهَا أَوْ يُنْقِصُهَا مِنَ الأَفْعَالِ وَالأَقْوالِ وَالحَرَكَاتِ.

---

(١) الحديث عند أبي داود (٩٤٥)، والترمذيُّ (٣٧٩) وحَسَّنهُ.

فَاتَّقُوا اللهَ في صَلاَتِكُم، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا قَامَ فِي الصَّلاَةِ غَارَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ، فَهُو يَحْرِصُ وَيَجْتَهِدُ كُل الاجْتِهَادِ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْهِ صَلاَتَهُ، فَإِذَا لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ مَنْعِهِ مِنَ الصَّلاَةِ بِالكُلِّيَّةِ، فَإِنَّهُ يُحَاوِلُ أَنْ يَشْغَلَهُ عَنْهَا فَيُذَكِّرُهُ فِي الصَّلاَةِ مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ قَبْلَ دُخُولِهِ فِيهَا. حَتَّى رُبَّمَا يَكُونُ قَدْ نَسِيَ الشَّيءَ، وَأَيِسَ مِنْهُ فَيُذَكِّرُهُ إِياهُ فِي الصَّلاَةِ لِيَشْغَلَهُ بِهِ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاحْذَرُوا صَلاَةَ المنَافِقِ، قَالَ ﷺ: **«تِلْكَ صَلاَةُ المُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنِي الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعاً لاَ يَذْكُرُ الله فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً»**[1]، قَال الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ، فَهٰذِهِ سِتُّ صِفَاتٍ فِي الصَّلاَةِ مِنْ عَلاَماتِ النِّفَاقِ: الكَسَلُ عِنْدَ القِيَامِ إِلَيْهَا، وَمُرَاءَاةُ النَّاسِ فِي فِعْلِهَا، وَتَأْخِيرُهَا، وَنَقْرُها، وَقِلَّةُ ذِكْرِ اللهِ فِيهَا، وَالتَّخَلُّفُ عَنْ جَمَاعَتِهَا.

فَاحْذَرُوا ـ عِبَادَ اللهِ ـ مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ فِي الصَّلاَةِ..

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٥ـ٤٦].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ الكَرِيم

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، شَرَعَ فَيَسَّرَ وَمَا جَعَلَ عَلَيْنَا فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهدُ أَنَّ مَحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

---

(١) رواه مسلمٌ (٦٢٢)، وأبو داود (٤١٣)، والترمذي (١٦٠) عن أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وَتَعَلَّمُوا أَحْكَامَ صَلاَتِكُمْ حَتَّى تُؤَدُّوهَا عَلى الوَجْهِ المَشْرُوعِ. وَقَدْ سَبَقَ أَنْ بَيَّنَّا لَكُمْ بَعْضَ مَا يُنْهَىٰ عَنْ فِعْلِهِ فِي الصَّلاَةِ وَالآنَ نُبَيِّنُ لَكُمْ مَا يَجُوزُ أَوْ يُشْرَعُ فِعْلُه فِيهَا.

فَاعلَمُوا أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلْمُصَلِّي رَدُّ المَارِّ بَيْنَ يَدَيْهِ، لَقوْلِهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلاَ يَدَعَنَّ أَحَداً يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِنْ أَبَىٰ فَلْيُقَاتِلْهُ (أَيْ: يَدْفَعْهُ بِشدَّةٍ)، فَإِنَّ مَعَهُ القَرِينَ» (أَي الشَّيْطَان). رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

وَهَذَا إِذَا لَمْ يَكُنْ المَارُّ محتَاجاً إِلَى المُرُورِ فَإِنْ كَانَ محتَاجاً إِلَيْهِ لِعَدَمِ وجُودِ طَرِيقٍ آخَرَ فَإِنَّهُ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَي المُصَلِّي لِلضَّرورَةِ. وَفِي المَسْجِدِ الحَرَامِ لاَ يُمْنَعُ النَّاسُ مِنَ المُرُورِ بَيْنَ يَدَيْهِ، لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى بِمَكَّةَ وَالنَّاسُ يَمُرُّونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَيْسَ دُونَهُم سترةٌ. رَواه أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ.

وَلِلْمُصَلِّي قَتْل الحَيَّةِ وَالعَقْرَبِ. لأنَّهُ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الأَسْوَدَيْنِ: الحَيَّةِ وَالعَقْرَبِ فِي الصَّلاَةِ. رَواه أَبُو دَاودَ وَالتِّرْمِذيُّ، وَصَحَّحَهُ.

وَلاَ بَأْسَ بِالعَمَلِ اليَسيرِ فِي الصَّلاَةِ كَالتَّقَدّمِ أَوِ التَّأَخُّرِ قَلِيلاً لِلْحَاجَةِ.

وَلهَ التَّعَوُّذُ عَنْدَ آيَة الوَعِيدِ، وَالسُّؤَالِ عِنْدَ آيَةِ الرَّحْمَةِ فِي صَلاَةِ النَّافِلَةِ، لِفعْلِه ﷺ وَإِذَا عَرَضَ لِلْمُصَلِّي أَمْرٌ وَهُو فِي الصَّلاَةِ كَاسْتِئْذَان عَلَيْهِ أَوْ سَهْوِ إِمَامِهِ، أَوْ خَافَ عَلى إِنْسَانٍ مِنَ الوقُوعِ فِي هَلَكَة، فَلَهُ التَّنْبِيهِ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ يُسَبِّحَ الرَّجُلُ وَتُصَفقُ المَرْأَةُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا نَابَكُم شَيءٌ فِي صَلاَتِكُم فَلْيُسَبِّحِ الرِّجَالُ وَلْتُصَفِّقِ النِّسَاءُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[2].

---

(١) رواه مسلمٌ (٥٠٦).

(٢) رواه البخاريُّ (٧١٩٠)، ومسلمٌ (٤٢١).

وَإِذَا احْتاجَ المُصَلِّي إِلَى إِصْلَاحِ لِبَاسِهِ فَلاَ بَأْسَ بِذٰلِكَ، وَكَذَا إِذَا تَذَكَّر أَنَّ فِي بَعْضِ لِبَاسِهِ نَجَاسَةً فَخَلَعَهُ فِي أَثْنَاءِ الصَّلَاةِ فَلاَ بَأْسَ بِذٰلِكَ، لأَنَّهُ ﷺ التَحَفَ بِإِزَارِهِ وَهُو فِي الصَّلاَةِ وَلَمَّا عَلِمَ ﷺ وَهُو فِي الصَّلاَةِ أَنَّ فِي نَعْلَيْه نَجَاسَةً خَلَعَهُمَا، وَمَضَىٰ فِي صَلاَتِهِ.

فَهٰذِهِ أَفْعَالٌ يَسِيرَةٌ تفْعَلُ لِحَاجَةٍ أَوْ لِدَفْعِ مَضَرَّةٍ، وَهِي لاَ تُخِلُّ بِالصَّلاَةِ.. فَالحَمْدُ للهِ عَلَى التَّيْسِيرِ.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محَمَّدٍ ﷺ.. إلخ.

* * *

فِي بَيَانِ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَمَرَنَا بِالاجْتِمَاعِ عَلَى دِينِهِ وَالاعْتِصَامِ بِحبْلِهِ، وَنَهَانَا عَنِ التَّفَرُّقِ وَالاخْتِلاَفِ، لِمَا فِي الاجْتِمَاعِ مِنَ القُوةِ وَالأُلْفَة، وَمَا فِي الافْتِرَاقِ مِنَ الضَّعْفِ وَالنُّفْرَةِ، أَحْمَدهُ عَلَى نِعْمَةِ الإِسْلاَمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَه إلا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً تَفْتَحُ لِمَنْ قَالَهَا صَادِقاً دَارَ السَّلاَمِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَى جَمِيعِ الأَنَامِ. صَلَّى اللهُ عَلَيه وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ البَرَرَةِ الكِرَامِ. وَسَلَّمَ تَسْلِيمَاً كَثِيرَاً عَلَى الدَّوَامِ...

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ صَلاَةَ الجَمَاعَةِ مِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِ الإِسْلاَمِ، وَفِيهَا مَصَالِحُ عَظِيمَةٌ وَخَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ، بِهَا يَحْصُلُ التَّعَارفُ وَالتَّآلُفُ وَالتَّعَاوِنُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، وَتَظْهَرُ بِهَا قُوَّةُ الدِّينِ، وَإِغَاظَةُ الكُفَّارِ وَالمُنَافِقِينَ، يَحْصلُ بِهَا النَّشَاطُ عَلَى العِلْمِ. والسَّلاَمَةُ مِنَ الكَسَلِ، وَالاحْتِرَازُ مِن وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَسَلَّطُ عَلَى المُنْفَردِ فِي صَلاَتِهِ، وَيَبْتَعِدُ عَنِ المُصَلِّي فِي الجَمَاعَةِ، وَفِي صَلاَةِ الجَمَاعةِ مُضَاعفَةُ الأَجْرِ، وَرِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ. وَتَكْفِيرُ السَّيئَاتِ، وَالبَرَاءَةُ مِنَ النِّفَاقِ، وَالتَّخَلُّقُ بِصِفَاتِ المُؤْمِنِينَ الذِينَ يَعْمُرُونَ بُيوتَ اللهِ بِالطَّاعَةِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨].

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ لِصَلاَةِ الجَمَاعَةِ أَحْكَامَاً تَجِبُ عَلَى المُسْلِم مَعْرِفَتُهَا، حَتَّى يُؤَدِّيَهَا عَلَى الوَجْهِ المَطْلُوبِ الذِي تَبْرَأُ بِهِ ذِمَّتُهُ، وَيَحْصُلُ على ثَوابِهَا، مِنْهَا: أَنَّهُ

يُشْرَعُ التَّبْكِيرُ لِحُضُورِهَا، وَالجُلُوسُ لانْتِظَارِ إِقَامَتِهَا فِي المَسْجِدِ، وَقَدَ أَخَلَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِهٰذِهِ الفَضِيلَةِ، فَصَارُوا يَتَأَخَّرُونَ فِي الحُضُورِ تَأَخُّراً كَثِيراً حَتَّى يَفُوتَ عَلَيْهِم خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ.

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ: أَنَّ مَنْ دَخَلَ المَسْجِدِ بَعْدَ الإِقَامَةِ فَإِنَّهُ يَمْشِي بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ، فَلاَ يُسْرِعُ وَلاَ يَرْكُضُ، لِقَولِهِ ﷺ: **«إِذَا سَمِعْتُمُ الإِقَامَةَ فَامْشُوا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُم فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُم فَأَتِمُّوا»**[1]. وَقَدْ أَخَلَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِهٰذَا الحُكْمِ، فَتَرَاهُم إِذَا دَخَلُوا المَسْجِدَ بَعْدَ الإِقَامَةِ أَسْرَعُوا وَرَكَضُوا وَخُصُوصاً إِذَا رَأَوا الإِمَامَ رَاكِعاً، فَخَالَفُوا السنَّةَ وَشَوَّشُوا عَلَى المُصلِّينَ وَعَلَى الإِمَامِ، وَلَمْ يرَاعُوا حُرْمَةَ المَسْجِدِ، ثُمَّ دَخَلُوا فِي الصَّلاَةِ وَهُمْ ثَائِرُو النَّفَسِ مُشَوشُو الفِكْرِ. وَقَدْ يذْهَلُونَ عَنْ تَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ أَوْ يَأْتُونَ بِهَا بَعْدَ مَا يَرْكَعُونَ. وَمَعْلومٌ أَنَّ تَكْبِيرَةَ الإِحْرَامِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلاَةِ، وَلاَ تَنْعَقِدُ الصَّلاَةُ وَلاَ تَصِحُّ إِلاَّ بِالإِتْيَانِ بَهَا. وَهُو قَائِمٌ مُعْتَدِلٌ قَبْلَ أَنْ يَرْكَعَ، ثُمَّ يكَبِّرُ تَكْبِيرَةً ثَانِيَةً لِلرُّكُوعِ فِي حَالِ انْخِفَاضِهِ لَهُ، وَلَوْ أَنَّ هَؤُلاَءِ بَكَّرُوا فِي الإِتْيَانِ إِلَى المَسْجِدِ لَسَلِمُوا مِنْ هَذَا الخَلَلِ وَحَصَلُوا عَلَى عَظِيمِ الأَجْرِ.

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ: أَنَّهَا لاَ تَصِحُّ صَلاَةُ الرَّجُلِ وَحْدَهُ خَلْفَ الصَّفِّ، لِقَولِهِ ﷺ: **«لاَ صَلاَةَ لِفَرْدٍ خَلْفَ الصَّفِّ»** رواه أَحْمَدُ وابنُ مَاجه، وَقَدْ رَأَىٰ ﷺ رَجُلاً يُصَلِّي خَلْفَ الصَّف وَحْدَهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يُعِيدَ الصَّلاَة، رواه الخَمْسَةُ إِلاَّ النَّسَائِيُّ[2]. فَلاَ بُدَّ مِنَ المُصَافَّةِ فِي صَلاَةِ الجَمَاعَةِ فَلاَ تَصِحُّ صَلاَةُ الفَذِّ خَلْفَ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٣٦) ومسلمٌ (٦٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٦٨٢) والترمذيُّ (٢٣٠). وقال: حديثٌ حسنٌ.

الصَّفِّ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ فِي الصَّفِّ أَوْ عَنْ يَمِينِ الإِمَامِ أَوْ يَنْتَظِرُ مَنْ يَأْتِي وَيَصُفُّ مَعَهُ.

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ: أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الكِبَارُ وَأَهْلُ العِلْمِ أَقْرَبَ إِلَى الإِمَامِ، وَيَكُونُ الصِّغَارُ بَعْدَهُم، لِقَولِهِ ﷺ: «**لِيَلِيني مِنْكُم أُولُوا الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى**» رَواهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ[1]. وتَكُونُ النِّسَاءَ خَلْفَ الرِّجَالِ وَلَوْ كَانَتِ امْرأَةً وَاحِدَةً، فَإِنَّها تَقِفُ خَلْفَ الصَّفِّ وَلاَ تَقِفُ فِي صف الرِّجَالِ. وَلَوْ صَلَّتِ امْرأَةٌ مَعَ رَجُلٍ فَإِنَّهَا تكُونُ خَلْفَه وَلاَ تَقِفُ إِلَى جَنْبِهِ.

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ: أَنْ لاَ يؤم أحدٌ فِي المَسْجِدِ غَيْرُ إِمَامِهِ الرَّاتِبِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ أَوْ عُذرِهِ، فَيَجِبُ عَلَى الجَمَاعَةِ مَرَاعَاةُ حَقِّ الإِمَامِ مَا دَامَ مُلْتَزِماً بِالقِيامِ بِحَقِّ الإِمَامَةِ. كَمَا أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الإِمَامِ أَنْ يَحْتَرِمَ حَقَّ المَأْمُومِينَ، وَلاَ يُحْرِجَهُم، وَلاَ يَشُقَّ عَلَيْهِمْ بِانْتِظَارِ حُضُورِهِ أَكْثَرَ مِنَ المُعْتَادِ. وَلاَ يَجوزُ لَهُ أَنْ يُخَلِّفَ مَنْ لاَ يَصْلُحُ لِلإِمَامَةِ عِنْدَ غِيابِهِ، وَإِنَّمَا يخلِفُ مَنْ يَصْلُحُ وَمَنْ تَبْرَأُ بِهِ الذِّمَّةُ.

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ: أَنَّهَا إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ بِأَنْ شَرَعَ المُؤَذِّنُ فِي الإِقَامَةِ، فَإِنَّهُ لاَ يَجُوزُ الشُّرُوعُ فِي صَلاَةٍ نَافِلَةٍ، وَلاَ رَاتِبةٍ وَلاَ تَحِيَّةِ مَسْجِد وَلاَ غَيْرِهِمَا، لقَولِه ﷺ: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَلَا صَلاَةَ إِلاَّ المَكْتُوبَةُ**» رَواهُ مُسْلِمٌ[2]. وفِي رِوَايَةٍ «**فَلَا صَلاَةَ إِلاَّ التِي أُقِيمَتْ**» أَمَّا إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ وَهُو فِي صَلاَةِ نَافِلَةٍ فَإِنَّهُ يُتِمُّهَا خَفِيفَةً وَلاَ يَقْطَعُهَا، لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ [محمد: ٣٣]. هٰذَا هُو الأَحْوَطُ فِي هَذِه المَسْأَلَةِ.

---

(١) رواه مسلم (٤٢٣).

(٢) رواه مسلم (٧١٠).

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ: أَنْ مَنْ جَاءَ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ مَعَهُمْ عَلَى أَيِّ حَالٍ وَجَدَهُم قَائِمِينَ أَوْ رَاكِعِينَ أَوْ سَاجِدِينَ أَوْ جَالِسِينَ، فَإِنْ وَجَدَهُم رَاكِعِينَ دَخلَ مَعَهمْ فِي الرُّكُوعِ، وَكَانَ بِذَلِكَ مدرِكاً لِلرَّكْعَةِ عَلَى الصَّحِيحِ، وَإِنْ فَاتَه الرُّكُوعُ دَخلَ مَعَهم فِيمَا بَقِيَ وَلاَ يَعْتَدُّ بِتِلْكَ الرَّكْعَةِ، وَبَعْضُ النَّاسِ إِذَا جَاءَ بَعْدَ الرُّكُوعِ بَقِيَ وَاقِفاً إِلَى أَنْ يَقومَ الإمَامُ لِلرَّكْعَةِ التِي بَعْدَهَا، وَهٰذَا خَطَأٌ وَخِلاَفُ المَشْرُوعِ. وَبَعْضُهُم إِذَا جَاءَ وَالإِمَامُ فِي التَّشَهُّدِ الأَخِيرِ لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُ، وَهٰذَا خطَأٌ أَيْضاً لأَنَّهُ خِلاَفُ السُّنةِ.

فَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا جِئْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ وَنَحْنُ سُجُودٌ فَاسْجُدُوا وَلاَ تَعُدُّوهَا شَيْئاً، وَمَنْ أَدْرَكَ الرَّكْعَةَ فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّلاَةَ**» رَواه أَبُو دَاودَ[1].

وَعَنْ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالب وَمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَتَىٰ أَحَدُكُم الصَّلاَةَ وَالإِمَامُ عَلَى حَالٍ فَلْيَصْنَعْ كَمَا يَصْنَعُ الإِمَامُ**» رَواه التِّرمِذيُّ[2].

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ: وُجُوبُ اقْتِدَاءِ المَأْمُومِ بِالإِمَامِ بِالمُتَابَعَةِ التَّامَّةِ بِأَنْ تكُونَ أَفْعَالُهُ وَأَقْوَالُهُ بَعْدَ أَفْعَالِ وَأَقْوالِ الإمَامِ، فَلاَ يُسَابِقُهُ وَلاَ يُوافِقُهُ فِيهَا، لأَنَّ المَأْمُومَ مُتَّبِعٌ لإِمَامِهِ وَمُقْتَدٍ بِهِ، وَالتَّابِعُ المُقْتَدِي لاَ يَتَقَدَّمُ عَلَى مَتْبُوعِهِ وَقُدْوَتِهِ. قَالَ النَّبِي ﷺ: «**أَمَا يَخْشَىٰ أَحَدُكُم إِذَا رَفَعَ رَأسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ صُورَتَهُ صُورةَ حِمَارٍ**» مُتَّفَقٌ

---

(١) رواه أبو داود (٨٩٣)، وروى البخاريُّ (٥٨٠) ومسلمٌ (٦٠٨) الجزء الأخير: «ومن أدرك ..» بمعناه.

(٢) رواه الترمذيُّ (٥٩١).

عَلَيْهِ[(١)].

فَمَنْ تَقَدَّمَ عَلَى إِمَامِهِ كَانَ كَالحِمَارِ الذِي لاَ يَفْقَهُ مَا يُرَادُ بِعَمَلِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَحَقَّ العُقُوبةِ.

وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلا تَرْكَعُوا حَتَّى يَرْكَعَ، وَلاَ تَسْجُدُوا حَتَّى يَسْجُدَ»[(٢)] وروى الإمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاودَ: «إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَلاَ تَرْكَعُوا حَتَّى يَرْكَعَ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَلاَ تَسْجُدُوا حَتَّى يَسْجُدَ»[(٣)].

وَكَانَ الصَّحَابَةُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ يَحْنِي أَحَدٌ ظَهْرَه حَتَّى يَقَعَ رَسُولُ الله ﷺ سَاجِداً، ثُمَّ يَقَعُونَ سُجُوداً بَعْدَهُ، وَلَمَّا رَأَىٰ عُمَرُ رَضيَ اللهُ عَنْهُ رَجُلاً يُسَابِقُ الإِمَامَ ضَرَبَهُ وَقَالَ: لاَ وَحْدَكَ صَلَّيْتَ، وَلاَ بِإِمَامِكَ اقْتَدَيْتَ. وَهٰذَا أَمْرٌ يَتَسَاهَلُ فِيهِ بَعْضُ النَّاسِ أَوْ يَجْهَلُونَهُ فَيُسَابِقُونَ الإِمَامَ وَيَتَعرَّضُونَ لِلإِثْمِ وَالوَعِيدِ أَوْ لِبطَلاَنِ صَلاَتِهِمْ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَم ابنُ تَيْمِيةَ رَحِمَهُ اللهُ: مُسَابَقَةُ الإِمَامِ حَرَامٌ بِاتِّفَاقِ الأَئمةِ، لاَ يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَرْكَعَ قَبْلَ إِمَامِهِ، وَلاَ يَرْفَعَ قبلَهُ، وَلاَ يَسْجُدَ قَبْلَهُ، وَقَدِ اسْتَفَاضَتِ الأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِالنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ، وَمُسَابَقَةُ الإِمَام تَلاَعُب مِنَ الشَّيْطَانِ بِبَعْضِ المُصَلِّينَ لِيُخِلَّ بِصلاَتِهِ، وَإِلاَّ فَمَاذَا يَسْتَفِيدُ الذِي يُسَابِقُ الإِمَام، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْرُجَ مِنَ الصَّلاَةِ إِلاَّ بَعْدَ سَلاَمِ الإِمَام.

وَمِنْ أَحْكَام صَلاَةِ الجَمَاعَةِ: أَنَّ المَسْبُوقَ يَقومُ بَعْد فَرَاغِ إِمَامِهِ مِن التَّسْلِيمَةِ الثَّانِيَةِ لِيُتِمَّ مَا فَاتَهُ مِنَ الصَّلاَةِ، وَلاَ يَقُومُ قَبْلَ ذلِكَ، فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَسْتَعْجِلُ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٩١) ومسلمٌ (٤٢٧).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٨٨)، ومسلمٌ (٤١٢).

(٣) أبو داود (٦٠٣).

فَيَقُومُ إِذَا سَمِعَ التَّسْلِيمَةَ الأُولَى. وَهَذَا يُخِلُّ بِصَلَاتِهِ، وَرُبَّمَا يُبْطِلُهَا عِنْدَ بَعْضِ العُلَمَاءِ.

وَمِن أَحْكَامِ صَلَاةِ الجَمَاعَةِ: أَنَّ المَأْمُومَ يَسْتَمِعُ لِقِرَاءَةِ إِمَامِهِ إِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ جَهْرِيَّة، لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

أَمَّا إِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ سِرِّيَّة أَوْ كَانَ المَأْمُومُ لاَ يَسْمَعُ قِرَاءَةَ الإِمَامِ لِبُعْدِهِ عَنْهُ فَإِنَّ المَأْمُومَ يَقْرَأُ، لَكِنْ بِحَيْثُ لاَ يُشَوِّشُ عَلَى مَنْ بِجَانِبِهِ.

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلَاةِ الجَمَاعَةِ: إِكْمَالُ الصَّفِّ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ وَمُرَاصَّةِ الصُّفُوفِ وَتَعْدِيلِهَا، عَنْ جَابِرِ بن سَمُرَة رَضي اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **«أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ المَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟»** فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَصُفُّ المَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: **«يُتِمُّونَ الصَّفَّ الأَوَّلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»** رواه مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ[1].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«سَوُّوا صُفُوفَكُم، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ»**[2].

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ قَبْلِ أَنْ يُكَبِّرَ فَيَقُولُ: **«تَرَاصُّوا وَاعْتَدِلُوا»**.

وَعَنِ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا كَأَنَّمَا يُسَوِّي بَيْنَ القِدَاحَ حَتَّى رَأَىٰ أَنَّنَا عَقَلْنَا عَنهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْماً فَقَامَ حَتَّى كَادَ أَنْ يُكَبِّرَ، فَرَأَىٰ رَجُلاً بَادِياً صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ فَقَالَ: **«عِبَادَ اللهِ، لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ**

---

(١) رواه مسلمٌ (٥٢٢).

(٢) رواه مسلمٌ (٤٣٣)، وأبو داود (٦٦٨)، وابن ماجة (٩٩٣) وغيرهم.

لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بين وجُوهِكُم» قَالَ: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يُلْزِقُ كَعْبَهُ بِكَعْبِ صَاحِبِهِ وَرُكْبَتَهُ بِرُكْبَتِهِ وَمَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِهِ[(١)].

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَوُّوا صُفوفَكُم وَحَاذُوا بَيْنَ مَنَاكِبِكُمْ، وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُم وَسُدُّوا الخلَلَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الحَذَفِ». يَعْنِي أَوْلادَ الضَّأْنِ الصِّغَارِ رَوَاهُ أَحْمَدُ[(٢)].

وَهٰذِهِ الأَحَادِيثُ تَدُلُّ عَلىَ وجُوبِ الاهْتِمَامِ بِالصُّفُوفِ مِنْ حَيْثُ إِتْمَامُهَا وَتَعْدِيلُهَا وَسَدُّ الفُرَجِ، وَذَلِكَ بِتَقَارُبِ المُصَلِّينَ بَعْضِهِم مِنْ بَعْضٍ. وَلَيْسَ مَعْنَى إِلْزَاقُه الكَعْبِ بِالْكَعْبِ كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ النَّاسِ اليَومَ بِحَيْثُ يَبَاعِدُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْخُذَ مَكَانَ رَجُلَيْنِ وَيُؤْذِي مَنْ بِجَانِبِهِ وَيَتْرُكَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ فَتْحَةً وَاسِعَةً فَإِنَّ هٰذَا خِلاَفُ السُّنةِ.

فَإِنَّ السُّنَّةَ مَرَاصَةُ الصُّفُوفِ بِأَنْ يَقْرُبَ بَعْضَ المُصَلِّينَ مِنْ بَعْضٍ حَتَّى لاَ يَدَعُوا بَيْنَهُم فُرْجَةً.

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ: أَنَّ المَأْمُومَ يَفْتَحُ عَلَى الإِمَامِ إِذَا غَلِطَ فِي القِرَاءَةِ أَو انْغَلَقَتْ عَلَيْهِ، فَيُسْمِعُهُ القِرَاءةَ الصَّحِيحَةَ وَيُذَكِّرهُ بِهَا، عِن المِسْوَرِ بنِ يَزِيد المَالِكِي رضي اللهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ فتَرَكَ آيَة، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَارَسُولَ اللهِ آيَة كَذَا وَكَذا، قَالَ: «فَهَلاَّ ذَكَّرْتَنِيهَا» رَواه أَبُو دَاودَ[(٣)].

وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّىٰ صَلاَةً فَقَرَأَ فِيهَا، فَلُبِّسَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا انصَرَفَ قَالَ لأُبَيٍّ: «أَصَلَّيْتَ مَعَنَا» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا مَنَعَك»، رَواه

---

(١) رواه مسلمٌ (٤٣٦)، والبخاريُ مختصراً (٧١٧)، وأبو داود (٦٦٣)، والترمذيُّ (٢٢٧) والنسائيُّ (٧٨٠)، وابنُ ماجة (صحيح سنن ابن ماجة ٨١٣).

(٢) أبو داود (٦٦٧) وغيره.

(٣) رواه أبو داود (٩٠٧).

أَبُو دَاودَ[١].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُلَقِّنُ بَعْضُهُم بَعْضاً فِي الصَّلاَةِ. رَواهُ الحَاكِمُ وَغَيْرُهُ.

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ: أَنَّ الإِمَامَ إِذَا سَهَا فِي الصَّلاَةِ فَإِنَّ المَأْمُومَ يُنَبِّهُهُ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ يُسَبِّحَ الرِّجَالُ وَتُصَفِّقَ النِّسَاءُ إِذَا كَانَ خَلْفَهُ نِسَاءٌ.

فَعَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «إِذَا نَابَكُمْ شَيءٌ فِي صَلاَتِكُمْ فَلْيُسَبِّحِ الرِّجَالُ وَلْتِصُفِّقِ النِّسَاءُ» رَواهُ أَبُو دَاودَ. وَأَصلُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ. وَهُو يَدُلُّ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ تَنْبِيهِ الإِمَامِ بِذَلِكَ إِذَا سَهَا فِي الصَّلاَةِ.

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ: أَنَّ الإِمَامَ يُرَاعِي حَالَ المَأْمُومِينَ، فَلاَ يُطِيلُ الصَّلاَةَ إِطَالَةً تَشُقُّ عَلَيْهِم، وَلاَ يخَفِّفُهَا يُخِلُّ بِهَا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُم بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِم السَّقِيمَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الحَاجَةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَالمُرَادُ: الاعْتِدَالُ، فَلاَ يُطِيلُ عَلَيْهِمْ إِطَالَةً تَشُقُّ عَلَيْهِم وَلاَ يُخَفِّفُ الصَّلاَةَ تَخْفِيفَاً مُخِلاً لاَ يَتَمَكَّنُ مَعَهُ المَأْمُومُ مِنْ مُتَابَعَتِهِ وَالإِتْيَانِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلاَةِ وَواجِبَاتِهَا.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهَ ـ فِي أُمُورِكُم عَامَّةً، وَفِي صَلاَتِكُمْ خَاصَّة، فَإِنَّهَا عَمُودُ الإِسْلاَمِ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

---

(١) رواه البخاريُّ (٧٠٣)، ومسلمٌ (٤٦٧) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ .

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، شَرَعَ لِنَبِيِّهِ سُنَنَ الهُدَىٰ. وَأَمَرَ بِالتَّعَاوُنِ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ المُصْطَفَىٰ. صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَاقْتَدَىٰ. وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ أَهَمِّ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ أَداؤُهَا فِي المَسَاجِدِ التِي أَمَرَ اللهُ بِبِنَائِهَا لإِقَامَةِ الصَّلاَةِ فِيهَا، وَشَهِدَ بِالإِيمَانِ لِمَنْ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهَا. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨].

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مِنَ السَّبْعَةِ الذِينَ يُظِلُّهُم اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: رَجُلاً قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِد.

وَقَدْ همَّ النَّبِيُّ ﷺ بِتَحْرِيقِ بُيوتِ المُتَخَلِّفِينَ عَنِ الصَّلاَةِ فِي المَسَاجِدِ وَوَصفَهُم بِالنِّفَاقِ.

وَفِي السُّنَنِ: «مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ ثُمَّ لَمْ يُجِبْ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَلاَ صَلاَةَ لَهُ»[1]. قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ: وَمَنْ تَأَمَّلَ الأَحَادِيثَ حَقَّ التَّأَمُّلِ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ فِعْلَهَا فِي المَسَاجِدِ فَرْضٌ عَلَى الأَعْيَانِ إِلاَّ لِعَارِضٍ يَجُوزُ مَعَهُ تَرْكُ الجَمَاعَةِ.

فَتَرْكُ حَضُورِ المَسْجِدِ لِغَيْرِ عُذْرٍ كَتَرْكِ أَصْلِ الجَمَاعَةِ لِغَيْرِ عُذْرٍ، وَبِهَذَا تَتَّفِقُ جَمِيعُ الأَحَادِيثِ وَالآثَارِ.

---

(١) أبو داود (٥٥١) ولم أجده عند الترمذيّ ـ رحمه الله تعالى ـ.

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيمية: وَالصَّلَاةُ فِي المَسَاجِدِ مِنْ أَكْبَرِ شَعَائِرِ الدِّينِ وَعَلَامَاتِهِ، وَفِي تَرْكِهَا بِالكُلِّيَّةِ أَوْ فِي المَسَاجِدِ مَحْوُ آثَارِ الصَّلَاةِ، بِحَيْث إِنَّهُ يُفْضِي إِلَى تَرْكِهَا وَلَوْ كَانَ الوَاجِبُ فِعْلُ الجَمَاعَةِ (يَعْنِي: وَلَو فِي غَيْرِ المَسْجِدِ) لَمَا جَازَ الجَمْعُ لِلْمَطَرِ وَنَحْوِهِ، وَتَرْكُ الشَّرْطِ وَهُو الوَقْتُ لِأَجْلِ السُّنةِ. ومَنْ تَأَملَ الشَّرعَ المُطَهَّرَ عَلِمَ أنَّ إِتْيَانِ المَسْجِدِ لَهَا فَرْضُ عَيْنٍ إِلاَّ لِعُذْرٍ، وَفِي الأَثَرِ «لاَ صَلَاةَ لِجَارِ المَسْجِدِ إِلاَّ فِي المَسْجِدِ». وَفِي إِقَامَةِ صَلَاةِ الجَمَاعَةِ فِي غَيْرِ المَسَاجِدِ تَعْطِيلٌ لِلْمَسَاجِدِ التِي أَمَرَ اللهُ بِبِنَائِهَا وَدَعْوةِ النَّاسِ لِلصَّلَاةِ فِيهَا، بِقَوْلِ: حَيَّ عَلى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ أَيْ: تَعَالَوْا لإِقَامَةِ الصَّلَاةِ فِي المَسْجِدِ.

وَفِي الحَدِيثِ: «مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يُجِبْ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلاَّ مِنْ عُذْرٍ»[1].

فَاتَّقُوا الله - عِبَادَ اللهِ - وَأَقْبِلُوا عَلَى المَسَاجِدِ وَاعْمُرُوهَا بِذِكْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ لَعَلَّكُمْ ترْحَمُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ.. إلخ.

* * *

(١) رواه أبو داود (٥٥١).

فِي بَيَانِ صَلاَةِ أَهْلِ الأَعْذَارِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، سَهَّلَ لِعِبَادِهِ طَرِيقَ العِبَادَةِ وَيَسَّرَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً تُؤمِّنُ مَنْ قَالَهَا وَعَمِلَ بِهَا مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ محمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَاحِبُ الوَجْهِ الأَنْوَرِ وَالجَبِينِ الأَزْهَرِ.
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ السَّادَةِ الغُرَرِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَتَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ فِي سَائِرِ أَحْوالِكُمْ، فَإِنَّهُ نَجَاتُكُمْ وَرَأْسُ مَالِكُمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وَمِنَ رَحْمَةِ اللهِ أَنْ جَعَلَ هٰذَا الدِّينَ سَهْلاً سَمْحاً لاَ آصَارَ فِيهِ وَلاَ أَغْلاَلَ. يَتَمَشَّىٰ مَعَ حَالَةِ الإِنْسَانِ وَاسْتِطَاعَتِهِ، فَقَدْ جَاءَ بِالْيُسْرِ وَالْفَرَجِ وَالسَّمَاحَةِ وَرَفْعِ الحَرَجِ، وَمِنْ ذلِكَ تَشْرِيعُهُ فِي الصَّلاَةِ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ عِنْدَهُ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ أَوْ سَفَرٍ أَوْ خَوْفٍ.

فَمَنْ حَصَلَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ تِلْكَ الأَعْذَارِ فَإِنَّهُ يُصَلِّي حَسبَ اسْتِطَاعَتِهِ. وَلاَ تَسْقُطُ عَنْهُ الصَّلاَة فِي حَالَةٍ مِنَ الأَحوَالِ مَا دَامَ عَقْلُهُ بَاقِياً، فَالمَرِيضُ يَلْزَمهُ أَنْ يُؤَدِّيَ الصَّلاَةَ قَائِماً وَإِن احْتَاجَ إِلَى الاعتِمَادِ عَلَى عَصَا وَنَحْوِهِ فَلاَ بَأْسَ بِذٰلِك، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِع الصَّلاَةَ قَائِماً بِأَنْ عَجَزَ عَنِ القِيَامِ أَوْ شَقَّ عَلَيْهِ، أَوْ خِيفَ مِنْ قِيامِهِ زِيَادَةُ مَرَضِهِ أَوْ تَأَخُّرُ بُرْئِهِ، فَإِنَّهُ يُصَلِّي قَاعِداً، وَتَكُونُ هَيْئَةُ قُعُودِهِ حَسبَ الأَسْهَلِ عَلَيْهِ، وَيُومِىءُ بِرأْسِهِ فِي الرُّكُوعِ بِأَنْ يَحنِيَ رَأْسَهُ وَيَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيم. وَأَمَّا

السُّجُودُ فَإِنِ اسْتَطَاعَ مَنْ صَلَّى قَاعِداً أَنْ يَسْجُدَ عَلَى الأَرْضِ وَجَبَ عَلَيْهِ ذٰلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَإِنَّهُ يُومِىءُ بِرَأْسِهِ فِي السُّجُودِ وَيَجْعَلُهُ أَخفضَ مِنَ الإِيمَاءِ بِالرُّكُوعِ وَيَقُولُ: سُبْحَانِ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الصَّلاَةَ جَالِساً فَإِنَّهُ يُصَلِّي عَلَى جَنْبِهِ، وَالأَفْضَلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى جَنْبِهِ الأَيْمَنِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ التَّوجُّهَ إِلَى القِبْلَةِ أَوْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَنْ يُوجِّهُهُ إِلَيْهَا، وَخَشِيَ خروجَ الوَقْتِ، فَإِنَّهُ يُصَلي حَسبَ حَالِهِ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ تَسْهُلُ عَلَيْهِ، وَيُومِىءُ بِرَأْسِهِ فِي الرُّكُوعِ وَيقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيم، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، وَيَقُولُ: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، ثمَّ يُومِىء برَأْسَهُ فِي السُّجودِ وَيَجْعَلُهُ أَخفَضَ مِنَ الرُّكُوعِ، ويقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى، ثُمَّ يَرْفَع رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ وَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، ثُمَّ يُومِىءُ بِرَأْسِهِ لِلسَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ الأُولَىٰ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِع المَرِيضُ الصَّلاَةَ عَلَى جَنْبِهِ فَإِنَّهُ يُصَلِّي مُسْتَلْقِياً عَلَى ظَهْرِهِ وَتَكُونُ رِجْلاَهُ إِلَى القِبْلَةِ إِنْ أَمْكَنَ، وَيُومِىءُ بِرَأْسِهِ لِلرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ كَمَا سَبَقَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى صَلاَةِ المَرِيضِ عَلَى هٰذِه الكَيْفِيَّاتِ السَّابقةِ مَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ البُخَارِيُّ وَأَهلُ السنَنِ مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ بِي بواسِيرُ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فقَالَ: «صَلِّ قَائِماً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِداً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبِكَ». زَادَ النَّسائِيُّ: «فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَمُسْتَلْقِياً»(١).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ المَرِيضُ الإِيمَاءَ بِرَأْسِهِ أَوْمَأَ بِطَرفِهِ، أَي: عَيْنَيْهِ عِنْدَ جَمَاعَةٍ مِنَ العُلَمَاءِ، وُهُو الأَحْوطُ، أَمَّا مَا يَقُولُه بَعْضُ العَوامِّ: إِنَّهُ يُومِىءُ بِأَصْبُعِهِ أَوْ يَدِهِ، فَهُو قَوْلٌ لاَ أَصْلَ لَهُ فِي الشَّرْعِ ولا تَصِحُّ بِهِ الصَّلاَةُ، لأَنَّ اليَدَيْنِ لَيْسَتَا مِنْ مَوْضِع

---

(١) رواه البخاري (١١١٧) والترمذي (٣٧٢) وغيرهما.

الإيمَاءِ، وَأَمَّا مَوْضِعُ الإيمَاءِ هُو الرَّأْسُ وَالوَجْهُ أَو الطَّرْفُ عِنْدَ بَعْضِ العُلَمَاءِ.
وَمِمَّا سَبَقَ يتبيَّنُ لَنَا أَنَّ الصَّلاَةَ لاَ تَسْقُطُ عَنِ المَرِيضِ مَهما بَلَغَ بِهِ المَرَضُ مَا دَامَ عَقلُهُ بَاقِياً، بَلْ يُصَلِّي عَلَى حَسبِ حَالِهِ، وَلاَ يَجوزُ لَهُ تَأْخِيرُ الصلاَةِ عَنْ وَقْتِهَا، فَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ المَرْضَىٰ وَمَنْ تجْرَىٰ لَهُمْ عَمَلِيَّاتٌ جِرَاحِيَّةٌ وَيَرْقدُونَ عَلَى سُرُرِ المُسْتَشْفيَاتِ وَيَتْرُكُونَ الصَّلاَةَ مُدَّةَ بَقَائِهم فِي تِلْكَ المُسْتَشْفيَاتِ وَمُدَّةَ رُقَادِهِم عَلَى تِلْكَ السُّرُرِ بِحُجَّةِ أَنَّهمْ لا يقدِرونَ على أداءِ الصَّلاةِ بصفةٍ كاملةٍ، أو لا يقدرُونَ على الوضوءِ، وأنَّ عليهِم ملابسَ نَجسَةً وَلاَ يَقْدِرُونَ عَلَى اسْتِبْدَالِهَا، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَعْذَارِ التِي يَظُنُّونَهَا تُسقِطُ عَنهُمُ الصَّلاَةَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَخْطَؤُوا فِي ذَلِكَ، فَالصَّلاةُ تُؤَدَّىٰ حَسبَ الاسْتِطَاعَةِ، وَمَنْ عَجَزَ عَنْ بَعْضِ شُرُوطِهَا أَوْ أَرْكَانِهَا أَوْ وَاجِبَاتِهَا فَإِنَّهُ يَسْقُطُ عَنْهُ مَا عَجَزَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ، لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

فَإِنِ اسْتَطَاعَ المَرِيضُ الوضُوءَ تَوضَّأَ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِنَّهُ يَتَيَمَّم بِالتُّرَابِ، بِأَنْ يَضْرِبَ بِيدَيْهِ عَلَى تُرَابٍ طَهورٍ أَوْ عَلَى شَيءٍ عَلَيْه غُبَارٌ طَهُورٌ مِنْ فِراش أَوْ جِدَارٍ أَوْ بَلاَطٍ، ثُمَّ يَمسَحُ وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ بِمَا عَلِقَ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الغُبَارِ. وَإِذَا جِيءَ لَهُ بِتُرَابٍ يَسيرٍ يَجْعلَهُ عِنْدَ سَرِيرِهِ فِي مِنْدِيلٍ أَوْ إِنَاء صَغِيرٍ يَضْرِبُ عَلَيْهِ لِلتَّيَمُّمِ فَحَسَنٌ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَاء ولا تُرَاباً وَخَشِيَ خُرُوج الوقْتِ فَإِنَّهُ يُصَلِّي بِلاَ وَضُوءٍ وَلاَ تَيَمُّمٍ، وَصَلاَتُهُ صَحِيحَةٌ وَمُجْزِئَةٌ، لأَنَّهُ فَعَلَ مَا يَسْتَطِيعُ، وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

وَالثيَابُ التِي علَيْهَا نَجَاسَةٌ إِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَغْسِلَ النَّجَاسَةَ عَنهَا وَيُصَلِّي فِيهَا فَعَلَ، أو اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَبْدِلَهَا بِثِيَابٍ طَاهِرَةٍ أو خَلْعَ مَا لاَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الصَّلاَةِ مِنْهَا، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ غَسْلَهَا وَاسْتِبْدَالَهَا وَلاَ خَلْعَ شَيءٍ

مِنها، وَخَشِيَ خُروجَ وَقْتِ الصَّلاَةِ، فَإِنَّهُ يُصَلِّي فِيهَا وَصَلاَتُهُ صَحِيحَةٌ.

وَإِذَا كَانَ فِي أَحد أَعْضَاءِ الوضُوءِ جُرْحٌ أَوْ مَوضِعُ عَمَلِيَّةٍ وَعَلَيْهِ ضِمَادٌ فَإِنَّهُ يَمْسَحُ عِنْدَ كُلِّ وضُوءٍ عَلَى ذَلِكَ الضِّمَادِ الذِي فَوْقَ الجُرْحِ، وَيَكْفِيهِ المَسْحُ عَلَى الضِّمَادِ عَنْ غَسْلِ مَا تَحْتَهُ إِلَى أَنْ يُزالَ أَوْ يَبْرَأَ مَا تَحْتَهُ.

وَيَجِبُ عَلَيْنَا جميعاً أَنْ نَعْلَمَ وَنُعَلِّمَ مَرْضَانَا أَنَّ الصَّلاَةَ يَجِبُ أَدَاؤُهَا فِي مَواقِيتِهَا حَسَبَ الإِمْكَانِ، فَإِنَّ بَعْضَ المَرْضَى قَدْ يَتْرُكُ الصَّلاَةَ مُدَّةَ بَقَائِهِ فِي المُسْتَشْفَىٰ، وَيَقُولُ: أَقْضِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا خَرَجْتُ مِنَ المُسْتَشْفَىٰ، وَهٰذَا خَطَأٌ عَظِيمٌ، نَشَأَ عَنِ الجَهْلِ بِشَأْنِ الصَّلاَةِ، وَالجَهْلِ بِأَحْكَامِ وَكَيْفِيَّةِ صَلاَةِ المَرِيضِ، فَيَجِبُ التنبُّهُ لِذٰلِكَ، وَيَجِبُ عَلَى المَسْؤُولِينَ عَنِ المُسْتَشْفَيَاتِ أَنْ يَعْتَنُوا بِتَفَقُّدِ أَحْوالِ المَرْضَى وَيعَلِّمُوهُم كَيْفَ يُصَلُّونَ، وَذٰلِكَ بواسِطَةِ توزِيعِ نَشَرَاتٍ أَوْ تَسْجيلاَتٍ تُذاعُ فِي المُسْتَشْفى عَنْ أَحْكَامِ الصَّلاَةِ وَأَحْكَامِ الطَّهَارَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَحْكَامِ المَرِيضِ، وَيَجُوزُ لِلْمَرِيضِ إِذَا احْتَاجَ إِلَى الجَمْعِ بَيْنَ الصَّلاَتَيْنِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ المَغْرِبِ وَالعِشَاءِ فِي وَقْت إِحْدَاهُمَا تَقْدِيماً أَوْ تَأْخِيراً، وَبَيْنَ الظُّهْرِ وَالعَصْرِ فِي وَقْت إِحْدَاهُمَا تَقْدِيماً أَوْ تَأْخِيراً حسبَ الأَرْفَقِ بِهِ إِذَا كَانَ يَلْحَقُهُ بِتَرْكِ الجَمْعِ مَشَقَّةٌ.

وَمِنْ أَهْلِ الأَعْذَارِ: المُسَافِرُ: الذِي يَقْصِدُ مَسَافَةً تَبْلُغُ ثَمَانِينَ كِيلُو مِتْراً فَأَكْثَرَ، فَإِنَّهُ يُسْتَحَبُّ لَهُ قَصْرُ الصَّلاَةِ الرُّبَاعِيَّةِ إِلَى رَكْعَتَيْنِ رُخْصَةً مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَصَدَقَةً تَصَدَّقَ بِهَا عَلَيْهِ لِلتَّخْفِيفِ عَنْهُ، قَالَ تعالَى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ يَعْنِي: سَافَرْتُمْ ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [النساء: ١٠١].

يَعْنِي: الرُّبَاعِيَّةَ، فَتُصَلُّوهَا رَكْعَتَيْنِ وَهِي الظُّهْرِ وَالعَصْرُ وَالعِشَاءُ دُونَ المَغْرِبِ وَالفَجْرِ، فَإِنَّهمَا لاَ تُقْصَرَانِ بِالإِجْمَاعِ، لأَنَّ المَغْرِبَ وِتْرَ النَّهَارِ، وَالفَجْرُ شُرِعَتْ رَكْعَتَيْنِ فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ.

وَلاَ يَقْصُرُ المُسَافِرُ إلاَّ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَلَدِهِ وَفَارَقَ عَامِرَ قَرْيَتِهِ، وَيَجُوزُ القَصْرُ لِلْمُسَافِرِ وَلَو تَكَرَّرَ سَفَرهُ كَصَاحِبِ البَرِيدِ وَصَاحِبِ سَيَّارَةِ الأُجْرَةِ.

ويَلْزَمُ المُسَافِرَ إِتْمَامُ الصَّلاَةِ إذا صَلَّى خَلْفَ مُقِيمٍ، وَإِذَا نَوَىٰ فِي أَثْنَاءِ سَفَرِهِ إِقَامَةً تَزِيدُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَيامٍ فَإِنَّهُ يتِمُّ الصَّلاَةَ لِانْقِطَاعِ أَحْكَامِ السَّفَرِ فِي حَقِّهِ، أَمَّا إِنْ نَوَى إِقَامَة لاَ تَزِيدُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَيامٍ، أَوْ نَوَىٰ إِقَامَةً غَيْرَ مُحَدَّدَةٍ، فَإِنَّهُ يَقْصُرُ الصَّلاَةَ لِعَدَمِ انْقِطَاعِ أَحْكَامِ السَّفَرِ فِي حَقِّهِ.

وَأَمَّا النَّوَافِلُ فَإِنَّ المُسَافِرَ يُحَافِظُ مِنْهَا عَلَى الوِتْرِ، وَعلَى قِيامِ اللَّيْلِ، وَعَلَى رَاتِبَةِ الفَجْرِ، وَهُمَا الرَّكْعَتَانِ اللَّتَانِ قَبْلَهَا، وَأَمَّا بَقِيَّةُ الرَّوَاتِبِ التِي مَعَ الفَرائِضِ فَإِنَّهُ لاَ يُصَلِّيهَا، لأنَّهُ لَمْ يُنْقلْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ صَلَّى سُنَّةً رَاتِبَةً فِي السَّفَرِ غَيْر سُنَّةِ الفَجْرِ وَالوِتْرِ.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : وَكانَ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ فِي سَفَرِهِ الاقْتِصَارُ عَلَى الفَرْضِ، وَلَمْ يُحْفَظْ عَنهُ ﷺ أنَّه صَلَّى سُنَّةَ الصَّلاَةِ قَبْلَهَا وَلاَ بعْدَهَا، إلاَّ مَا كانَ مِنَ الوِتْرِ وَسُنَّةِ الفَجْرِ، وَثَبَتَ أَنَّهُ ﷺ كَان يُصَلِّي التَّهجدَ على رَاحِلَتِهِ، وَيُباحُ لِلمُسَافِرِ فِي أَثْنَاءِ السَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالعَصرِ فِي وَقْتِ إِحْدَاهُمَا جَمْعَ تَقْدِيمٍ أَوْ تَأْخِيرٍ، وَبَيْنَ المَغْرِبِ وَالعِشَاءِ فِي وَقْتِ إِحْدَهُمَا جَمْعَ تَقْدِيمٍ أَوْ تَأْخِيرِ حَسبَ الأَرْفَقِ بِهِ، فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ وَقْتُ الأُولَى قَبْلَ رُكُوبِهِ فَإِنَّهُ يَجْمَعُ جَمْعَ تَقْدِيمٍ، ثُمَّ يَرْكَبُ، وَإِنْ دَخلَ عَلَيْهِ وَقْتُ الأُولَى وَهُو يَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ فَإِنَّهُ يُؤَخِّرُهَا وَيُصَلِّيهَا مَعَ الثَّانِيَةِ إِذَا نَزَلَ جَمْعَ تَأْخِيرٍ، وَإِنْ كَانَ فِي طَائِرَةٍ لاَ تَنزِلُ إلاَّ بَعدَ خُرُوجِ وَقْتِ الثَّانِيَةِ فَإِنَّهُ يُصَلِّي فِي الطَّائِرَةِ عَلَى حَسبِ حَالِهِ، ولا يُؤَخِّرُ الصَّلاَةَ إِلَى النُّزُولِ، وَإِذَا كَانَ المُسَافِرُ نَازِلاً فَإِنَّهُ يُصَلِّي كُلَّ صَلاَةٍ فِي وَقْتِهَا قَصْراً بِلاَ جَمْعٍ، لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا كَانَ يَجْمَعُ إلاَّ إِذَا جَدَّ بِهِ السَّيْرُ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ أَنَّه جَمَعَ وَهُو نَازِلٌ

إلاَّ فِي عَرَفَةَ وَمُزْدَلِفَةَ لأَجْلِ اتصَالِ الوقُوفِ، ويُبَاحُ الجَمْعُ فِي الحَضَرِ بَيْنَ المَغْرِبِ وَالعِشَاءِ خَاصَّةً فِي حَالَةِ المَطَرِ وَالوَحْلِ وَالبَرْدِ الشَّدِيدِ، لأَنَّهُ ﷺ جَمَعَ بَيْنَ المَغْرِبِ وَالعِشَاءِ فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ، وَفَعَله أَبُو بَكْرٍ وَعُمرُ وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَتَرْكُ الجَمْعِ فِي المَسْجِدِ فِي هَذِهِ الحَالَةِ، وَالصَّلاَةِ فِي البُيُوتِ بِدْعةٌ مُخَالِفَةٌ لِلسُّنةِ.

وَمِنْ أَهْلِ الأَعْذَارِ: الخَائِفُونَ الذين يَمْنَعُهُمُ الخَوْفُ مِنْ أَدَاءِ الصَّلاَةِ كَامِلَة عَلَى الوَجْهِ الذِي يُؤَدِّيهَا بِهِ الآمِنُ، فَإِنَّ هؤُلاَءِ يُصَلُّونَ عَلَى حَسبِ حَالِهِم. وَلِلْخَائِفِ حَالَتَانِ:

الحَالَةُ الأُولَى: حَالَةَ الخَوْفِ الشَّدِيدِ كَالهَارِبِ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ سَيْلٍ أَوْ سَبُعٍ وَمَنْ فِي حَالَةِ الْتِحَامِ القِتَالِ مَعَ العَدُوِّ، فَإِنَّ هَؤُلاءِ فِي هَذِه الحَالَةِ يُصَلُّونَ رِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً مُسْتَقْبِلِي القِبْلَةِ وَغيرِ مُسْتَقْبِلِيهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩].

قَالَ الإِمَامُ البَغَوِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ مَعْنَاهُ إِنْ لَمْ يُمْكِنْكُمْ أَنْ تُصَلُّوا قَانِتِينَ مُوفِّينَ لِلصَّلاَةِ حَقَّهَا لِخَوفٍ، فَصَلُّوا مُشَاةً على أَرْجُلِكُمْ أَو رُكْبَاناً عَلَى ظُهُورِ دَوابكُمْ، وَهٰذَا فِي حَالِ المُقَاتَلَةِ وَالمُسَايَفَةِ، يُصَلِّي حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ راجلاً أَوْ رَاكِباً مُسْتَقبِلَ القِبْلَةِ وَغَيْرَ مُسْتَقْبِلِهَا، وَيُومِىءُ بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَيَجْعَلُ السُّجُود أَخْفَضَ مِنَ الرُّكُوعِ.

وكَذَلِكَ إِذَا قَصَدَه سَبُعٌ أَوْ غَشِيَهُ سَيْلٌ يَخَافُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَعَدَا أَمَامَهُ، وَصَلَّىٰ بِالإِيمَاءِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ.

وَالحَالَةُ الثَّانِيَةُ: إِذَا كَانَ الخَوْفُ غَير شَدِيدٍ، وَكَانَ العَدُوُّ مُقَابِلاً لَهُمْ قَرِيباً مِنهُمْ يَخْشَوْنَ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْهِمْ فِي الصَّلاةِ، فَفِي هَذِهِ الحَالَةِ يَقْسِمُ الإِمَامُ الجُنْدَ

إِلَى طَائِفَتَيْنِ طَائِفَةٍ تُصَلِّي مَعهُ، وَطَائِفَةٍ تَحْرُسُ وَتُرَاقِبُ تَحَرُّكَاتِ العَدُو، فَإِذا صَلَّى بِالَّذِينَ مَعَهُ رَكْعَة ثَبَتَ قَائِماً، وَأتمُّوا لِأَنْفُسِهِم وَسَلَّموا، ثُمَّ ذَهَبُوا إِلى مَكَانِ الحِرَاسَةِ، وَجَاءتِ الطَّائِفَةُ التِي كَانَتْ تَحْرُسُ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى وَصَلُّوا مَعَ الإِمَامِ الرَّكْعَةَ الثَّانِيةَ، ثُمَّ أَتَموا لِأَنفُسِهِم وَانتَظَرَهُم جَالِساً ثُمَّ سَلَّمَ بِهِمْ.

وَلِصَلاَةِ الخَوْفِ صُورٌ أُخْرَىٰ جَاءَتْ بِهَا الأَحَادِيثُ بِحَسبِ الأَحْوالِ. قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: صَحَّتْ صَلاَةُ الخَوْفِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ خَمْسَةِ أَوْجُهٍ أَوْ سِتَّةِ أَوْجُهٍ، كُلُّهَا جَائِزَةٌ، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَيْهَا كُلِّهَا فَحَسَنٌ.

فَالحَمْدُ للهِ عَلَى التَّيْسِيرِ، وَنَسْأَلُه سُبْحَانَهُ أَنْ يُثَبِّتَنا عَلَى دِينِه وَيرْزُقَنَا التَّمَسُّكَ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ.

أَعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨-٢٣٩].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، عَلَى نِعَمِه الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ.

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ١٨].

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ العَزِيزُ الحَكِيم، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوله يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ سَارُوا عَلَى نَهْجِهِ القَوِيمِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وَاعْرِفُوا مَكَانَةَ الصَّلاةِ فِي الإِسْلاَمِ، فَقَدْ تَبيَّنَ

لَكُمْ مِنْ خِلاَلِ عَرْضِنَا لِكَيْفِيَّةِ صَلاَةِ أَهْلِ الأَعْذَارِ أَن الصَّلاَةَ لاَ تَسْقُطُ بِحَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ، لاَ فِي حَالَةِ السَّفَرِ وَلاَ فِي حَالَةِ المَرَضِ، وَلاَ فِي حَالَةِ الخَوْفِ، وَلَمْ يَجُزْ تَأْخِيرُهَا عَنْ وَقْتِهَا فِي تِلْكَ الأَحْوالِ الشَّدِيدَةِ، فَمَا بَالُ أَقْوام يَتَخَلَّفُونَ الآنَ عَنْ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ وَهِي تُقَامُ بِجوَارِ بُيوتِهِم وَعَلَى مَسْمَعٍ وَمَرْأىً مِنْهُمْ وَهُمْ آمِنُونَ أَصِحَّاءُ.

وَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يُؤخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا وَلاَ يُصَلُّونَها إِلاَّ بَعْدَ قِيامِهِم مِنَ النَّوْمِ أَوْ فَرَاغِهِمْ مِنَ الشُّغْلِ، وَهُم يَقْرَؤُونَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

أَيْ: فَرْضاً فَرَضَهُ اللهُ فِي أَوْقَاتٍ مَحدَّدَةٍ، أَلَيْسُوا مُؤْمِنِينَ؟ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَن مَنْ أخرَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا فَقَدْ أَضَاعَهَا وَسَهَا عَنْهَا؟

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، وقَال تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ـ٥].

أَمَا آنَ لِهٰؤلاَءِ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِهِم وَفِي أَهْلِيهِم، فَيُنْقِذُوا أَنفُسَهُم وَأَهْلِيهِم مِنْ نَارٍ ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

هَلْ يُرِيدُونَ أَنْ يَسْتَقِيمَ لَهمْ دِينٌ بِدُونِ صَلاَةٍ، هَلْ يُرِيدُونَ أَنْ تَصِحَّ لَهُمْ صَلاَةٌ بِدُونَ التِزَامٍ بِشُرُوطِهَا وَأَحْكَامِهَا.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَخُذُوا عَلَى أَيدِي مَنْ أَلْزَمَكُمُ اللهُ الأَخْذَ عَلَى أَيْدِيهِم. أَنْقِذُوهُمْ مِنَ المَعَاصِي أَشَدَّ مِمَّا تُنْقِذُونَهُمْ مِنَ الغَرقِ وَالحَرِيقِ، فَإِنَّ العَذَابَ وَالعُقُوبَةَ إِذَا نَزلا لاَ يَقْتَصِرَانِ عَلَى المُذْنِبِ، بَلْ يعُمَّانِ مَعَهُ مَنْ لَمْ

يُنْكِرْ عَلَيْهِ ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٥].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُم فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

* * *

فِي أَحْكَامِ صَلَاةِ الجُمعَةِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، شَرَعَ لِعِبَادِهِ الجُمَعَ وَالجَمَاعَاتِ، لِيُطَهِّرَهُم بِهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَيَرْفَعَ بِهَا الدَّرَجَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ وَالأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولهُ، أَنْزَلَ عَلَيْهِ الآيَاتِ البَيِّنَاتِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تسْليماً كَثِيراً، فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ . .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا الله تَعَالَى، وَاشْكُرُوهُ عَلَى مَا خَصَّكُمْ بِهِ مَنْ نِعَمِهِ العَظِيمَةِ التِي مِنْ أَعْظَمِهَا هٰذَا اليَومِ الذِي خَصَّ اللهُ بِهِ هٰذِه الأمةَ وَهُو يوم الجُمعَةِ، وَقَدْ شَرَعَ فِيهِ أَدَاءَ شَعِيرَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ شَعَائِرِ الإِسْلَامِ، وَهِي صَلَاة الجُمُعَةِ، وَهٰذِهِ الصَّلاةُ لَهَا أَحْكَامٌ مِنهَا:

أن الله سُبْحَانَهُ شَرَعَ الاجْتِمَاعَ لَهَا بِأَكْبَرِ عَدَدٍ مُمْكِنٍ، فَلا يَجُوزُ تَعَدُّدُ أَمْكِنَةِ إِقَامَتِهَا فِي البَلَدِ إِلاَّ عِنْدَ عَدَمِ التَّمَكُّنِ مِنْ إِقَامَتِهَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، فَقَدْ قَالَ العُلَمَاءُ ـ رَحِمَهُم اللهُ ـ: يَحْرُمُ إِقَامَة الجُمُعَةِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ منَ البَلَدِ إِلاَّ إِذَا دَعَتِ الحَاجَةِ إِلَى تَعَدُّدِ الجَوَامِعِ بِحَسبِ الحَاجَة، وَقَدْ تَسَاهَلَ النَّاسُ اليَوْمَ فِي هَذَا الحُكْمِ، فَصَارُوا يعَدِّدُونَ الجَوامِعَ فِي أَمْكِنَةٍ مُتَقَارِبَةٍ مِنْ غَيْر حَاجَةٍ إِلَىٰ ذَٰلِكَ، وَهي فَرْضُ عَيْنٍ، فَتَلْزَمُ كُلَّ مُسْلِمٍ ذَكَرٍ بَالِغٍ عَاقِلٍ مقِيمٍ فِي البَلَدِ أَوْ خَارِجِهِ إِذَا كَانَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ لَهَا.

وَقَدْ وَرَدَ الوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ يَتَخَلَّفُ عَنْ صَلاةِ الجُمعَةِ. عَنْ عَبْدِاللهِ بنِ

عُمَرَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهما أَنَّهما سَمِعَا رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ عَلَى أَعْوادِ مِنْبَرِهِ: «لَيَنْتَهِينَّ أَقْوَامٌ مِنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَختمنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الغَافِلِينَ» رَواهُ مُسْلِمٌ[1]. وَلاَ تَجِبُ الجُمُعَةُ عَلَى مُسَافِرٍ سَفَرَ قَصْرٍ، لأن النَّبِي ﷺ وَأَصْحَابَهُ كَانُوا يُسَافِرُونَ فِي الحَجِّ وَغَيرِهِ فَلَمْ يُصلِّ الجُمعَةَ وَمن صَلاَّهَا مَعَ المُقِيمِينَ أَجْزَأَتْهُ، وَإِذَا نَوَىٰ المُسَافِرُ الإِقَامَةَ فِي بَلَدٍ إِقَامَة تَزِيدُ عَلَى أَرْبعَةِ أَيَّامٍ وَجَبَتْ عَلَيْهِ صَلاَةُ الجُمعَةِ مَعَ أَهْلِ ذلِكَ البَلَدِ.

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجُمُعَةِ أَنَّها يُسْتَحَبُّ التَّهَيُّؤُ لَهَا قَبْلَ حُضُورِهَا بِالاغْتِسَالِ وَالتَّنْظِيفِ وَالتَّطَيُّبِ، وَلبسِ أَحْسَنَ الثِّيَابِ، وَتَجْمِيلِ الهَيْئَةِ بقَصِّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمِ الأَظَافِرِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الجُمعَةِ فَاغْتَسَلَ الرَّجُلُ وَغَسَلَ رَأْسَهُ، ثُمَّ تَطَيَّبَ مِنْ أَطْيَبِ طِيبِهِ، وَلَبِسَ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاةِ، وَلَمْ يفرِّق بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ اسْتَمَعَ الإِمَامَ غُفِرَ لَهُ مِنَ الجُمعَةِ إِلَى الجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ» رَوَاهُ ابنُ خُزَيْمَةَ فِي «صَحِيحِهِ»[2].

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجُمُعَةِ أَنَّهَا يُسْتَحَبُّ التَّبْكِيرُ بِالحُضُورِ لَهَا فِي المَسْجِدِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «منِ اغْتَسَلَ يومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي الساعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشاً أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ» رَواهُ مَالِك وَالبُخَارِيُّ

---

(١) رواه مسلمٌ (٨٦٥).

(٢) رواه ابنُ خزيمة.

وَمُسْلِمٌ[١].

فَفِي هٰذَا الحَدِيثِ التَّرْغِيبُ فِي التَّبْكِيرِ لِحُضُورِ صَلاَةِ الجُمُعَةِ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى التَّبْكِيرِ مِنْ تَحْصِيلِ مَكَانٍ فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ، وَالحُصُولِ عَلَى فَضِيلَةِ انْتِظَارِ الصَّلاةِ، وحُصُولِ الاشْتِغَالِ بِذِكْرِ اللهِ بَصَلاةِ النَّافِلَةِ، وَتِلاَوَةِ القُرْآنِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالدُّعَاءِ، وَهَذِهِ الفَضَائِلُ تَفُوتُ كُلُّهَا عَلَى المُتَأَخِّرِ، وَمَعَ الأَسفِ فِي هذَا الزَّمَانِ قَلَّ الاهْتِمامُ بِالتَّبْكِيرِ لَحُضُورِ صَلاَةِ الجُمعَةِ، فَالكَثِيرُ لاَ يَأْتُونَ إِلَيْهَا إلاَّ عَنْدَ دُخُولِ الإمَامِ أَوْ عِنْدَ الإقَامَةِ، يَحْرِمُونَ أَنْفُسَهُم مِنَ هٰذِهِ الأُجُورِ العَظِيمَةِ وَالفَضَائِلِ المُتَعَدِّدَةِ لاَ لِشَيءٍ إلاَّ لأن الشَّيْطَان خَذَلَهُم عَنِ التَّبْكِيرِ وَزَهَّدَهُم فِي الثَّوَابِ. فَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ الذي رَواهُ أَبُو دَاودَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ خَرَجَتِ الشَّيَاطِينُ يريثُونَ النَّاسَ إِلَى أَسْوَاقِهِم**»[٢]. يَعْنِي: يُؤَخِّرونهم عَنِ الحُضُورِ.

ومِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجُمُعَةِ أَنَّهُ يُشْتَرَطُ لَهَا تَقَدُّمُ خُطْبَتَيْنِ يَشْتَمِلاَنِ عَلَى حَمْدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَشَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَالصَّلاَةِ وَالسَّلام عَلَيْهِ، وَالوَصِيَّةِ بِتَقْوىٰ اللهِ وَمَوعِظَةِ المُسْلِمِينَ، وَتَوْجِيهِهِمْ وَتَنْبِيهِهِمْ إِلَى مَا يَحْتَاجُونَ إِلى التَّنْبِيهِ إِلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ بِحَسَبِهِ، وَوَصِيَّتِهِمْ بِمَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَنَهْيِهِمْ عَمَّا يُبْعِدُهُمْ عَنِ اللهِ، وَيُوجِبُ لَهُمْ سَخَطَه وَنَارَهُ، مَعَ جَزَالَةِ الأَلْفَاظِ وَجَوْدَةِ الإلْقَاءِ، وَلاتَكُونُ طَوِيلَةً مُمِلَّةً وَلاَ قَصِيرَةً مُخِلَّةً، . . ولاَ تكون حشْواً منَ الكلامِ الذي لا فائدَة فيه، بل يختارُ لها الموضوعَ المناسبَ المفيدَ، وَيَتَجنَّبُ المَوْضُوعِ الذِي لاَ مناسَبَةَ لَهُ أوْ لاَ فَائِدَةَ فِيهِ.

---

(١) رواه البخاريُّ (٨٨١)، ومسلمٌ (٨٥٠).

(٢) رواه أبو داود (١٠٥١) بمعناه.

فَقَدْ كَان النَّبِيُّ ﷺ يَهْتَمُّ بِشَأْنِ الخُطبَةِ مَوْضُوعًا وَإِلْقَاءً، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعلاَ صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ، صَبَّحَكُمْ ومَسَّاكُمْ، وَكَانَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ فِي خُطَبِهِ قَوَاعِدَ الإِسْلاَمِ وَشَرَائِعه وَيُكْثِرُ فِيهَا مِنْ تِلاَوَةِ القُرْآنِ، وَكَانَ يَقْصُرُ الخُطْبَةَ وَيُطِيلُ الصَّلاَةَ، وَيُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيَقْصِدُ الكَلِمَاتِ الجَوامِع، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خطبتهِ مئِنَّة من فِقهِه». فَيجب على الخُطباءِ أن يقتدُوا بهِ في خُطَبِهم، فإنَّ بعض الخُطباءِ اليَومَ يُطِيلُ الخُطْبَةَ طُولاً مُمِلاًّ وَيَتَنَاوَلُ فِيهَا مَوضُوعَاتٍ لاَ مُنَاسَبَةَ لَهَا فِيهَا، وَلاَ فَائِدَةَ للحَاضِرِينَ مِنْهَا، أَوْ هِي غَرِيبَةٌ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ، وَمَعَ هَذَا يَقْصُرُونَ الصَّلاَةَ وَيُقَلِّلُونَ القِرَاءَةَ فِيهَا، وَهٰذَا خِلاَفُ السنةِ.

وَاعلَمُوا رَحِمَكُم اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ الحَاضِرِينَ الإِنْصَاتُ وَالاسْتِمَاعُ لِلْخُطْبَةِ، وَيَحْرُمُ الكَلاَمُ وَقْتَ إِلْقَائِهَا، وَيَحْرُمُ العَبَثُ حَالَ الخُطْبَةِ بِكَثْرَةِ الحَرَكَةِ بِيَدٍ أَوْ رِجْلٍ أَوْ تَحْرِيكِ شَيْءٍ مِنْ غَيْرِ حَاجَة أَوْ مَس لِحْيَةٍ أَوْ ثوبٍ، لأَنَّ ذلِكَ يَشْغَلُ عَنِ اسْتِمَاعِ الخُطْبَةِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنهمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الجُمعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَهُو كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسفَاراً، وَالذِي يَقُولُ لَهُ: أَنْصِتْ لَيْسَتْ لَهُ جُمُعَةٌ»** رَواه الإمَام أَحْمَدُ.

وَإِنَّمَا شَبَّه المُتَكَلِّم وَقْتَ الخُطْبَةِ بِالحِمَارِ يَحمِلُ أَسْفَارَاً، لأنَّه فَاتَهُ الانْتِفَاعُ مَعَ تَكَلُّفِهِ الحُضُورَ، فَهُوَ كَالحِمَارِ الذي يَتَكَلَّفُ حَمْلَ الكُتُبِ وَهُو لاَ يَنْتَفِعُ بِهَا، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الذِي يَنْهَاهُ عَنِ الكَلاَمِ وَقْتَ الخُطْبَةِ وَيَقُولُ لهُ: اسْكُتْ، لَيْسَتْ لَهُ جُمُعَةٌ، مَعَ أَنَّ ذٰلِكَ فِي الأَصْلِ أَمرٌ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكرٍ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أن غَيْرَ ذِلكَ مِنَ الكَلاَمِ مَمْنُوعٌ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ حَالَ الخُطْبَةِ.

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ مسَّ الحَصَا فَقَدْ لَغَا، وَمَنْ لَغَا فَلَا جُمُعةَ لَهُ» صَحَّحَهُ التِّرمِذيُّ[١]. وَمَعْنَىٰ: مَسَّ الحَصَا، أَيْ سَوَّى الأَرْضَ بِيَدِهِ، لأَنَّ هَذا مِنَ العَبَثِ الذِي يَشْغَلُ عَنِ استِمَاعِ الخُطبَةِ، وَيذْهِبُ الخُشُوعَ.

ومَنْ دَخلَ المَسْجد وَالإمَامُ يَخْطُبُ لَمْ يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا دَخلَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الجمعَةِ وَقَد خَرَجَ الإِمَامُ فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ» مُتفقٌ عَلَيْهِ[٢]. زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا»[٣].

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجُمعَةِ أَنهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ جَهْراً فِي الرَّكْعَةِ الأولَى بِسُورَةِ الجُمُعَةِ، وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ بِسُورَةِ (إذا جَاءَكَ المُنَافِقُونَ)، أَوْ يَقْرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَىٰ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَىٰ)، وَفِي الثَّانِيَةِ بِالغَاشِيَةِ، لِفعْلِهِ ﷺ.

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجُمُعَةِ أَنَّ مَنْ أَدْرَكَ مِنْهَا رَكْعَةً مَعَ الإِمَامِ أَتَمَّهَا جُمُعَةً، وَإِنْ أَدْرَكَ مِنْهَا أَقَلَّ مِنْ ذلِكَ بِأَنْ جَاءَ وَدَخلَ مَعَ الإِمَامِ بَعْدَ رَفْعِهِ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، فَإِنَّهُ يُتِمُّهَا ظُهْراً إِذَا كَانَ نوىٰ الظُّهْرَ عِنْدَ تَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «وَمَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الجُمُعَةِ فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّلاَةَ»[٤]، فَإِنْ لَمْ يَنْوِهَا ظُهراً عِنْدَ تكبِيرَةِ الإِحْرَامِ، فَإِنَّهُ يُتِمُّهَا نَافِلَةً، وَيُصَلِّي الظُّهْرَ بَعْدَهَا..

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجُمُعَةِ أَنَّهَا لا رَاتِبَةَ لَهَا قَبْلَهَا. لَكِنْ مَنْ دَخلَ المَسْجِد لِصَلاَةِ الجُمُعَةِ وَكَانَ مُبَكِّراً، فَإِنَّهُ يُصَلِّي مِنَ النَّوَافِلِ مَا تَيَسَّرَ لَهُ إِلَىٰ أَنْ يَدْخُلَ الإِمَامُ

---

(١) روى الجزء الأول منه مسلمٌ (٨٥١)، والترمذيُّ (٥١٢).
(٢) رواه البخاريُّ (جزء القراءة خلف الإمام (١٦١)، ومسلمٌ (٨٧٥).
(٣) رواه مسلمٌ (٨٧٥).
(٤) رواه النسائيُّ وابنُ ماجة عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ والحديث صحيح «صحيح الجامع» (٥٩٩٤).

لِلْخُطْبَةِ، وَفِي الحَدِيثِ: «ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ»[1].

وَكَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ الله عَنْهُمْ إِذَا أَتَوْا المَسْجِدَ يَومَ الجُمعَةِ يُصَلُّونَ مِنْ حِينِ يَدْخُلُونَ مَا تَيَسَّرَ، وَرَاتِبَةُ الجُمعَةِ بَعْدَهَا. لِمَا فِي «صَحِيح مُسْلِم»: «إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُم الجُمعَةَ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ»[2]، وَكَانَ ﷺ إِذَا صَلَّىٰ الجُمُعَةَ دَخلَ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ سُنَّتَهَا، فَمَنْ صَلَّىٰ رَاتِبَةَ الجُمُعَةِ فِي المَسْجِدِ صَلاهَا أَرْبَعاً وَمَنْ صَلاهَا فِي بَيْتِهِ صَلاَّهَا ركعَتَيْنِ، جَمْعا بَيْنَ الأَحَادِيثِ.

وَمِنْ أَحْكَامِ صَلاَةِ الجُمُعَةِ أَنَّهُ يَحْرُمُ البَيْعُ وَالشِّرَاءُ. وَيَجبُ السَّعْيُ إِلَيْهَا عَلَى مَنْ تَلْزَمُهُ بَعْدَ النِّدَاءِ الثَّانِي، لِقَولِهِ تَعالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الجمعة: ٩].

وَيَحْرُمُ السَّفَرُ بَعْدَ الزَّوَالِ مِنْ يَوْمِهِ عَلَى مَنْ تَلْزَمُهُ حَتَّى يُصَلِّيَهَا، وَقَبْلَ الزَّوَالِ يكْرَهُ السَّفَر حَتَّىٰ يُصَلِّيَهَا.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَحَافِظُوا عَلَى الجُمَعِ وَالجَمَاعَاتِ، لِتَكُونُوا مِنَ المُفْلِحِينَ.

بَارَكَ اللهُ لِي وَلكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ عَلَى فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً..

---

(١) رواه البخاريُّ (٩١٠) عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلمٌ (٨٨١) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وَأَطِيعُوهُ، وَحَافِظُوا عَلَى الصَّلواتِ، وَعلَى الجُمَعِ والجَمَاعَاتِ، تَنَالُوا مِنَ اللهِ الأَجْرَ وَالكَرَامَاتِ، عنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الصَّلَواتُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**» رواه مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ[١].

وَعَنْ أَبي لُبَابَةَ بن عَبْد المُنْذِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ سَيِّدُ الأيامِ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَهُو أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْم الأَضْحَىٰ وَيَوْمِ الفِطْرِ، وَفِيهِ خَمْسُ خِلَالٍ: خَلَقَ اللهُ فِيهِ آدَمَ، وَأَهْبَطَ اللهُ فِيهِ آدَمَ إِلَىٰ الأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللهُ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا العَبْدُ شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَاماً، وَفِيهِ تَقومُ السَّاعَةُ، مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلاَ سَمَاءٍ وَلاَ أَرْضٍ وَلاَ رِيَاحٍ وَلاَ جِبَالٍ وَلاَ بَحْرٍ إِلاَّ وَهُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يوم الجُمُعَةِ**» رَواهُ أَحْمَدُ وَابنُ مَاجه[٢].

فَاحْمَدُوا الله عَلَى مَا خَصَّكُمْ بِهِ مِنْ هٰذَا اليَوْمِ، وَما جَعَلَ فِيهِ مِنَ الخَيْرِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ.

واعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ. . إلخ.

* * *

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٣٣)، والترمذيُّ (٢١٤).

(٢) رواه أحمد وابن ماجه عن أبي لبابة ـ رضي الله عنه. والحديث حسن «صحيح الجامع» (٢٢٧٩).

فِي الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلاَةِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَمَرَ بِذِكْرِهِ فِي كُلِّ الأَوقَاتِ، وَخَاصَّةً فِي أَدْبَارِ الصَّلَواتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً أَرْجُو بِهَا النَّجَاة، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَخِيرَتُهُ مِنْ جَمِيعِ البَرِيَّاتِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً مَا تَعَاقَبَتِ الأَوْقَات . .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالإِكْثَارِ مِنْ ذِكْرِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب: ٤١].

وَخَصَّصَ سُبحَانَهُ الأَمْرَ بِذِكْرِهِ بَعْدَ أَدَاءِ العِبَادَاتِ، فَأَمَرَ بِذِكْرِهِ بَعْدَ الفَرَاغِ مِنَ الصَّلَواتِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]. وَقَال سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وَأَمَرَ بِذِكْرِهِ بَعْدَ إِكْمَالِ صِيَام رَمَضَانَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَأَمَرَ بِذِكْرِهِ بَعْدَ قَضَاءِ مَنَاسِكِ الحَجِّ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وَذَلِكَ وَاللهُ أَعْلَمُ جَبرٌ لِمَا يَحْصُلُ فِي العِبَادَةِ مِنَ النَّقْصِ وَالوَسَاوِسِ، وَلإِشْعَارِ الإِنْسَانِ أَنَّهُ مُطْلوبٌ مِنْهُ مواصَلَةُ الذِّكْرِ وَالعِبَادَةِ لِئَلاَّ يَظُنَّ أَنَّهُ فَرَغَ مِنَ

العِبَادَةِ فَقَدْ أَدَّىٰ مَا عَلَيْهِ.

وَالذكْرُ المَشْروعُ بَعْدَ صَلاَةِ الفَرِيضَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الصِّفَةِ الوَارِدَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، لا عَلَى الصِّفَةِ المُحْدَثَةِ المُبْتَدَعَةِ التِي يَفْعَلُهَا الصُّوفِيَّةُ المُبْتَدِعَةُ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ ثوْبَانِ رَضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انصرَفَ من صَلاَتِهِ اسْتَغْفَرَ اللهَ ثَلاَثاً، وَقَالَ: «اللَّهمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ يَاذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ»[1].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَن المُغِيْرَة بنِ شُعْبَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ قَالَ: «لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَله الحَمْدُ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مَعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»[2].

وَفِي «صَحِيح مُسْلِمٍ» عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَن رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُهَلِّلُ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ حِينَ يُسَلِّمُ بِهٰؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ: «لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، لاَ حَوْلَ وَلاَقُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ. لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ وَلاَ نَعْبُدُ إلاَّ إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ، وَلُه الفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ»[3].

وَفِي «السُّنَنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَر أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلاةِ الفَجْرِ وَهُو ثَانٍ رِجْلَيْه قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ وَحْدَه لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيي وَيُمِيتُ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كُتِبَ لَهُ

---

(١) رواه مسلمٌ (٥٩١).
(٢) رواه البخاريُّ (٨٤٤)، ومسلمٌ ((٥٩٣).
(٣) رواه مسلمٌ (٥٩٤).

عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ عَشْرِ سَيِّئَاتٍ، وَرفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ يَومُه ذٰلِكَ كُلُّهُ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَحُرِسَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يدْرِكَه فِي ذلك اليَوم إلاَّ الشِّرك باللهِ» قَالَ الترمِذيُّ: هذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[١].

وَوَرَدَ أَنَّ هٰذِهِ التَّهْلِيلاَتِ العَشْرَ تُقالُ بَعْدَ صَلاَةِ المَغْرِبِ أَيْضاً فِي حَدِيثِ أُمِّ سَلمَةَ عِنْدَ أَحْمَد وَحَدِيثِ أَبِي أَيوبَ الأَنْصَارِيِّ فِي «صَحِيحِ ابنِ حِبَّانَ»، وَيَقولُ بَعْدَالمَغْرِبِ وَالفَجْرِ أَيْضاً «رَبِّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ» سَبْعَ مَرَّاتٍ، لَمَا رَواهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاودَ وَالنَّسَائِيُّ وَابنُ مَاجَه وَغَيْرُهُم.

ثُمَّ يُسَبِّحُ الله بَعْدَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَيحْمَدُه، ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ، وَيُكَبِّرُهُ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ، وَيَقُولُ تَمَامَ المِئَةِ: «لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ وَحْدهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلهُ الحَمْدُ، وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ» لِمَا رَوَىٰ مُسْلِمٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كَلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ، وَحَمِدَاللهَ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ. وَكَبَّرَ اللهَ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتسعُونَ، ثُمَّ قَالَ تَمَامَ المَائَةِ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيك لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُو عَلَى كَلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ. غُفِرتْ لَهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زبدِ البَحْرِ»[٢].

ثُمَّ يَقْرَأُ آيَةَ الكُرْسِيِّ، وَقلْ هُو اللهُ أَحَدٌ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. لِمَا رَواه النسَائِي فِي «عمل اليوم والليلة». وَالطَّبَرَانِيُّ عنْ أَبِي أُمامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ لَمْ يَمْنَعهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إلاَّ أَنْ يَمُوتَ»[٣] يَعْنِي: لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دخُولِ الجَنَّةِ إلاَّ المَوْتُ.

---

(١) الحديث عند أبي داود (٥٠٧٧)، والترمذيُّ (٣٤٧٠).
(٢) رواه مسلمٌ (٥٩٧).
(٣) «عمل اليوم والليلة» (رقم: ١٠٠)، وابن السني رقم: (١٢١).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «كَانَ فِي ذِمَّةِ اللهِ إِلى الصَّلاَةِ الأُخْرَىٰ».

وَفِي «السُّنَن» عَنْ عُقْبَةِ بنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ المُعَوذَتَيْنِ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ»[1].

عِبَادَ اللهَ: دلت هٰذِه الأَحَادِيثُ الشَّرِيفَةُ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ هَذِه الأَذْكَارِ بَعْدَ الصَّلَواتِ المَكْتُوبَةِ، وَعَلَى مَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ مَنْ قَالَهَا مِنَ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ، فَيَنْبَغِي لَنَا المُحَافَظَةُ عَلَيْهَا وَالإِتْيَانِ بها عَلَى الصِّفَةِ الوَارِدَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنْ نَأْتِيَ بِهَا بَعْدَ السَّلاَمِ مِنَ الصَّلاةِ مُبَاشَرَةً قَبْلَ أَنْ نَقُومَ مِنَ المَكَانِ الذِي صَلَّيْنَا فِيهِ، وَنُرَتِّبَهَا عَلَى هٰذَا التَّرْتِيبِ.

فَإِذَا سَلَّمْنَا مِنَ الصَّلاَةِ، نَسْتَغْفِرُ اللهُ ثَلاَثاً، ثُمَّ نَقُولُ: الَّلهمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمَ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَام، ثُمَّ نَقُولُ: لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَه الحَمْدُ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَع ذَا الجَدِّ مَنْكَ الجَدُّ. أَيْ: لاَ يَنْفَع الغَنِيُّ مِنْكَ غِنَاهُ، وَإِنَّمَا يَنْفعُهُ العَمَل الصَّالِحُ.

ثُمَّ نَقُولُ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ، وَلاَ نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ، له النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ، وَلهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُون.

ثُمَّ نُسَبِّحُ اللهَ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ، وَنَحْمَدُهُ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ، وَنُكَبِّرُهُ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ، وَنَقُولُ تَمَامَ المِئَةِ: لاَ إِلٰهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَه الحَمْدُ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

---

(١) أبو داود (١٥٢٣)، ولم أجده عند أصحاب السنن سواه.

وَبَعْدَ صَلاَةِ المَغْرِبِ وَصَلاَةِ الفَجْرِ نَأْتِي بِالتَّهْلِيلاَتِ العَشْرِ، وَنَقُولُ: رَبِّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ نَفْرَغَ مِنْ هٰذِه الأَذْكَارِ عَلَى هٰذَا التَّرْتِيبِ نَقْرَأُ آيَةَ الكُرْسِيِّ، وَسُورَ: قُلْ هُو اللهُ أَحَد، والمُعَوِّذَتيْنِ، وَيُسْتَحَبُّ تَكْرَارُ قِرَاءَةِ هٰذِهِ السُّورَ بَعْدَ صَلاَةِ المَغْرِبِ، وَصَلاةِ الفَجْرِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَيُسْتَحَبُّ الجَهْرُ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ عَقِبَ الصَّلاَةِ، لَكِنْ لاَ يَكُونُ بِصَوتٍ جَمَاعِيٍّ، وَإِنَّمَا يَرْفَعُ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ صَوْتَهُ مُنْفَرِداً، وَيَسْتَعِينُ عَلَى ضَبْطِ عَدَدِ التَّهْلِيلاَتِ وَعَدَدِ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ والتَّكبيرِ عقب الصلاةِ، لكن لا يكون بصوتٍ جماعي، وإنَّما يرفعُ بهِ كل واحدٍ صوتهُ منفرداً، ويستعينُ على ضبطِ عدد التهليلاتِ وعدد التسبيحِ والتحميدِ وَالتَّكْبِيرِ بعقدِ الأَصَابعِ، لأنَّ الأَصَابعَ مَسْؤُولاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ يومَ القِيامَةِ.

وَيُباحُ اسْتِعْمَالُ السُّبْحةِ لِيَعُدَّ بِهَا الأَذْكَارَ وَالتَّسْبِيحاتِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ أَنَّ فِيهَا فَضِيلَةَ خَاصَّة، وَكَرِهَهَا بَعْضُ العُلَمَاءِ، وَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّ لَهَا فَضِيلَةَ فَاتِخَاذُهَا بِدْعَةٌ، وَذٰلِكَ مِثْلُ السُّبَحِ التِي يَتَّخِذُها الصُّوفِيَّةُ وَيُعَلِّقُونَهَا فِي أَعْنَاقِهِم أَوْ يَجْعَلُونَهَا كَالأَسْورَةِ فِي أَيْدِيهِم، وَهٰذَا مَعَ كَوْنِهِ بِدْعَةٌ فَإِنَّ فِيهِ رِيَاءً وَتَكَلُّفاً.

ثُمَّ بَعْدَ الفَرَاغِ منْ هٰذِهِ الأَذْكَارِ يَدْعُو سِرّاً بِمَا شَاءَ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ عَقِبَ هٰذِهِ العِبَادَةِ وَهٰذِهِ الأَذْكَارُ العَظِيمَةُ أَحْرَىٰ بِالإِجَابَةِ، وَلاَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ بِالدُّعاءِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ النَّاسِ، فَإِنَّ ذَلِكَ بِدْعَةٌ. وَإِنَّمَا يَفْعَلُ هٰذَا بَعْدَ النَّافِلَةِ أَحْيَاناً، وَلاَ يَجْهَرُ بِالدُّعَاءِ، بَلْ يُخْفِيهِ، لأَنَّ ذٰلِكَ أَقْرَبُ إِلَى الإِخْلاَصِ وَالخُشُوعِ، وَأَبْعَدُ عَنِ الرِّيَاءِ، وَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ فِي بَعْضِ البِلاَدِ مِنَ الدُّعَاءِ الجَمَاعِيِّ بَعْدَ الصَّلَواتِ بِأَصْوَاتٍ مرْتَفِعَةٍ مَعَ رَفْعِ الأَيْدِي، أَوْ يَدْعُو الإِمَامُ وَالحَاضِرُونَ يُؤَمِّنُونَ رَافِعِي أَيْدِيهِم، فَهٰذَا العَمَلُ بِدْعَةٌ مُنْكَرَةٌ، لأَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ يَدْعُو بَعْدَ الفَرَاغِ مِنَ الصَّلاَةِ عَلَى هٰذِهِ الصِّفَةِ

لاَ فِي الفَجْرِ وَلاَ فِي العَصْرِ وَلا فِي غَيْرِهِمَا منَ الصَّلَواتِ. وَلاَ اسْتَحَبَّ ذٰلِكَ أَحَدٌ مِنَ الأَئِمَّةِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابنُ تَيْمِيةَ: مَنْ نَقَلَ ذٰلِكَ عَنِ الإمامِ الشَّافِعيِّ فَقَدْ غَلِطَ عَلَيْهِ، فَيَجبُ التَّقَيُّدُ بِمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧]، وَيقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَمَرَ بِالتَّزَوُّدِ مِنَ الخَيْرَاتِ، وَذٰلِكَ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَالإكْثَارِ مِنَ الحَسَنَاتِ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَه، تُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ الأَرْض وَالسَّمَاوَاتُ وَجَميعُ المخْلُوقَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، حَثَّ عَلَى أَدَاءِ السُّنَنِ وَالرَّوَاتِبِ بَعْدَ الصَّلَواتِ المَفْرُوضَاتِ. صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ كَانَ تَنَافُسُهم فِي المُسَابَقَةِ إِلَى الخَيْرَاتِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً..

أَمَّا بَعْدُ:

عباد الله: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَأَكْثِرُوا مِنَ الحَسَنَاتِ، وَتُوبُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَحَافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ، قَالَ تَعالَى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هود: ١١٤].

ثُمَّ اعْلَمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَرعَ لَكُمْ سُنَناً رواتِبَ مَعَ الفَرَائِضِ، وَهِيَ سُنَنٌ مُتأكدةٌ يُكْرَهُ تَرْكُهَا، وَمَنْ دَاومَ عَلَى تَرْكِهَا سَقَطَت عَدَالتُهُ، فَتُرَدُّ

شَهَادَتُهُ، لأَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ دِينِهِ، فَحَافِظُوا عَلَيْهَا. وَهِي عَشْرُ رَكَعَاتٍ أَو اثْنَتَا عَشْرَة رَكْعَةٍ، رَكعَتَانِ قَبْلَ الظُّهرِ، وَقِيلَ أَرْبَعُ رَكعَاتٍ، وَهُو الصَّحِيحُ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ الظُّهرِ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ المَغْرِبِ، وَركْعَتَانِ بَعْدَ العِشَاءِ، وَرَكْعَتَانِ قَبْلَ صَلاَةِ الفَجْرِ، وَرَكْعَتَانِ: بعد طلوعِ الفجرِ لقولِ ابنِ عمرَ رضيَ الله عنهما: حفظت من رسولِ اللهِ ﷺ عشرَ ركعاتٍ: رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ المَغْرِبِ فِي بَيْتِهِ، وركْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ فِي بَيْتِهِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ، كَانَتْ سَاعَةً لاَ يَدْخُلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا أَحَدٌ، حَدَّثَتْنِي حَفْصَةُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ وَطَلَعَ الفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: لَمْ يَكنِ النَّبِي ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُداً مِنْهُ عَلَى رَكْعَتَي الفَجْرِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

وَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لاَ يَدَعُ أَرْبَعاً قَبْلَ الظُّهرِ[٣].

وَمَنْ فَاتَتْهُ رَاتِبَةُ الفَجْرِ قَبْلَهَا فَالأَفْضَلُ أَنْ يُصَلِّيَهَا بَعْدَمَا تَطْلَعَ الشَّمْسُ، وَإِنْ صَلاَّهَا بَعْدَ صَلاةِ الفَجْرِ فَلاَ بَأْسَ.

واعلموا أن خير الحديثِ كتاب الله وخيرَ الهدِي هديُ محمدٍ ﷺ.

* * *

---

(١) رواه البخاريُّ (١١٨٠)، ومسلمٌ (٧٢٩).
(٢) رواه البخاريُّ (١١٦٩)، ومسلمٌ (٧٢٤).
(٣) رواه البخاريُّ (١١٨٢).

فِي فَضْلِ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَمَرَ عِبَادَهُ بِالتَّزَوُّدِ لِلدَّارِ الآخِرَةِ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنْ فَرَائِضَ وَنَوافِلَ، وَنَهَاهُم عَنِ الغَفْلَةِ وَالإِعْرَاضِ وَالانْشِغَالِ بِالدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، السَّعِيدُ مَنْ أَطَاعَهُ وَاتَّقَاهُ، وَالشَّقِيُّ مَنْ خَالَفَ أَمْرُهُ وَعَصَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه، نَبِي غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَرَ، وَمَع ذَلِكَ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَفَطَّرَتْ قَدَمَاهُ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ اتَّبَعُوهُ وَاقْتَدَوْا بِهِ فِي فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً . .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا الله تَعَالَى، وَحَافِظُوا عَلَى أَدَاءِ فَرَائِضِ اللهِ فَإِنَّهَا أَحَبُّ الطَّاعَاتِ إِلى اللهِ، ثُمَّ تَزَوَّدُوا مَعَ الفرَائِضِ من النَّوَافِلِ وَالتَّطوعَاتِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

وَمَعْنَى: (تَطَوَّعَ خَيْرا) فَعَلَ غَيْرَ المُفْتَرَضِ عَلَيْهِ مِنْ صَلاَة وَصَدَقَةٍ وَصَوْمٍ وَحج وَغَيْرِ ذلِكَ مِنْ أَنْواعِ التَّطَوُّعَاتِ، فَالتَّطَوعُ هُنَا الإِتْيَانُ بِالطَّاعَةِ غَيْرِ الوَاجِبَةِ.

وَقَالَ تَعَالَى: (فَإِن الله شَاكِرٌ عَلِيمٌ) مَعْنَاهُ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَشْكُرُ لِعِبَادِهِ فعْلَ الطَّاعَاتِ فَيُثِيبَهُم عَلَى القَلِيلِ بِالْكَثِيرِ، وَيَعْلَمُ أَعْمَالَهُمْ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا وَمِقْدَارَ مَا يَسْتَحِقُونَهُ مِنَ الجزَاءِ عَلَيْهَا، فَلاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَاعِفهَا وَيُؤتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً.

وَفِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

«وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلاَ يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إليَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّه»[١].

فَالتقرُّبُ إِلَى اللهِ بِالنَّوافِلِ سَبَبٌ لِنَيْلَ مَحبَّةِ اللهِ لِلْعَبْدِ، كَمَا أَن التَّقَرُّبَ إِلى اللهِ بِالنَّوافِلِ يَجْبُرُ بِهِ مَا يَحْصُلُ فِي الفَرَائِض مَنْ نَقْصٍ يَوْمَ القِيَامَةِ. فَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيث: «أَوَّلُ مَا يحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيامَةِ الصَّلاَةُ المكْتُوبَةُ، فَإِنْ أتمَّهَا، وَإِلاَّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: «انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي منْ تَطَوُّعٍ، فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ أَكْمَلَتُ مِنهُ الفَرِيضَةَ، ثُمَّ يُفْعَلُ بِسَائِرِ الأَعْمَالِ المَفْرُوضَةِ مِثْلَ ذَلِكَ»[٢].

فَالفَرَائِض أَكْمَلُ مِنَ النَّوَافِلِ فِي ذَاتِهَا وَفَضْلِهَا وَكَثْرَةِ ثَوَابِهَا، وَالسُّنَنُ نَوْعَانِ: نَوْعٌ مُسْتَقِلٌ بِنَفْسِهِ كَنَوافِلِ الصَّلاَةِ وَنَوافِلِ الصِّيَام وَالصَّدَقَةِ وَالحَجِّ وَغيْرِهَا. وَنَوْعٌ تَابِعٌ لِلْفَرَائِضِ غيْرُ مسْتَقِلٌ بِنَفْسِهِ، فَهٰذَا النوْعُ الأَخِيرُ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهِ اعْتِنَاءً عَظِيماً بَعْد اعْتِنَائِهِ بِأَصْلِ الوَاجِبَاتِ، لأَنَّهُ مُكَمِّلٌ لَهَا، وَيُثَابُ عَلَيْهِ مَعَهَا.

وَإِذَا كَانَتِ الصَّلَواتُ الخَمْسُ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَنْهُ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يحَافِظَ عَلَى هٰذِهِ الصَّلَواتِ الخَمسِ، وِيَتَأَكَّدُ عَلَيْهِ كَذَلِكَ أَنْ يحَافِظَ عَلَى نَوافِلِ الصَّلَواتِ، وَلاَ سِيَّمَا الرَّواتِبِ التِي مَعَ الفَرَائِضِ: وَهِي عَشْرُ ركَعَاتِ التِي قَالَ فِيهَا ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ رَكَعَاتٍ، رَكْعَتيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا. وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ المَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ فِي بَيْتِهِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الفَجْرِ، وَكَانتِ مُحَافَظَتُهُ ﷺ عَلَى سُنَّةِ الفَجْرِ أَشَدَّ مِنْ جَمِيعِ النَّوافِلِ، فَلَمْ يدَعْها، هِي وَالوتِرُ

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) رواه أبو داود «صحيح أبي داود» (٨١٠).

لاَ حَضَراً وَلاَ سَفَراً.

أَمَّا غَيْرُ سُنَّةِ الفَجْرِ مِنَ الرَّوَاتِبِ ﷺ فَلَمْ يَكنْ ﷺ يَفْعَلُهَا مَعَ الفَرَائِضِ فِي السَّفَرِ.

عِبَادَ اللهِ: وَمِنَ الصَّلَوَاتِ النَّوافِلِ صَلاَةُ اللَّيلِ، وَهِي سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ. قَالَ تَعَالَى فِي مَدْحِ قُوَّامِ اللَّيْلِ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

أَيْ إِنَّهُمْ يَتْرُكُونَ النَّومَ على الفُرُشِ اللَّيِّنِ وَاللُّحُفِ الدَّفِيئةِ فِي الشِّتَاءِ وَيَقُومُونَ لِصَلاةِ التَّهَجُّدِ (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ) فِيهَا خَوْفاً مِنْ عِقَابِهِ وَطَمَعاً فِي ثوَابِهِ. . ثُمَّ ذَكرَ سُبْحَانَهُ جَزَاءَهُم، فَقَالَ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

فَإِنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ .. فَهمْ لَمَّا أَخْفَوْا قِيَامَهُم بِاللَّيْلِ أَخْفَىٰ اللهُ جَزَاءَهُمْ، فَأَعْطَاهُمْ مَالا عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، كَمَا جَاءَ ذلِكَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ.

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ صَلاَةَ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ تُطفِىءُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطفِىءُ المَاءُ النَّارَ، وَتَلاَ هٰذِه الآيَةَ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾.

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: فَيَشْمَلُ ذلِكَ مَنْ تَرَكَ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ لِذِكْرِ اللهِ وَدُعَائِهِ، فَيَدْخُلُ فِيهِ: «مَنْ صَلَّى بَيْنَ العِشَائَيْنِ» «ومَن انْتَظَرَ صَلاَةَ العِشَاءِ فَلَمْ يَنمْ حَتَّى يُصَلِّيَهَا، لاَ سِيَّمَا مَعَ حَاجتِهِ إِلَى النَّوْمِ وَمجَاهَدَتِهِ نَفْسَهُ عَلَى تَرْكِهِ لِأَدَاءِ الفَرِيضَةِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمَنِ انْتَظَرَ صَلاَة العِشَاءِ «إِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا بِاللَّيْلِ لِلتَّهَجُّدِ وَهُو أَفْضَلُ أَنْواعِ التَّطَوعِ بِالصَّلاَةِ مُطْلَقاً، وَرُبَّمَا دَخلَ فِيهِ مَنْ تَرَكَ النَّومَ

عِنْدَ طُلُوعِ الفَجْرِ، وَقَامَ إِلَى أَدَاءِ صَلاَةِ الصُّبْحِ، لاَ سِيَّمَا مَعَ غَلَبَةِ النَّوْمِ عَلَيْهِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ سَبَبٌ لِدُخُولِ الجَنَّةِ بِسَلاَمٍ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ ابنِ سَلاَمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَوَّلَ مَا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَكُنْتُ فِيمَنْ جَاءَهُ، فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ وَجْهَهُ وَاسْتَبَنْتُهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ. قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُ مِنْ كَلاَمِهِ أَنْ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[١]. وَقِيَامُ اللَّيْلِ سَبَبٌ لِلانْطِلاَقِ مِنْ أَسْرِ الشَّيْطَانِ وَطِيبِ النَّفْسِ وَاسْتِقْبَالِ صَلاَةِ الفَجْرِ بِنَشَاطٍ، وَسَبَبُ انْشِرَاحِ الصَّدْرِ فِي النَّهَارِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُم إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ وَذَكَرَ اللهَ تَعَالَى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ**» رَوَاه مَالِكٌ وَالبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمْ[٢].

وَلِقِيَامِ اللَّيْلِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ وَعَظِيمَةٌ، فَاجْعَلُوا لَكُمْ حظّاً مِنْهُ وَلَوْ كَانَ قَلِيلاً، وَلاَ تَحْرِمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ وَاجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ فِي اللَّيْلِ وِتْراً، فَإِنَّ الوِتْرَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَتْرُكُهُ حَضَراً ولا سَفَراً، حَتَّى قَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ بِوُجُوبِهِ وَتَظَاهَرَتِ الأَحَادِيثُ فِي فَضْلِهِ وَالحَثِّ عَلَيْهِ، وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: مَنْ تَرَكَ الوِتْرَ، يَعْنِي دَاوَمَ عَلَى تَرْكِهِ فَهُوَ رَجُلُ سُوءٍ لاَ يَنْبَغِي أَنْ تُقْبَلَ شَهَادَتُهُ.

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢٤٨٧).

(٢) رواه البخاريُّ (١١٤٢)، ومسلمٌ (٧٧٦).

فَحَافِظُوا ـ رَحِمَكُم اللهُ ـ عَلَى أَدَاءِ الوِتْرِ، وَاجْعَلُوهُ آخِرَ صَلاَتِكُمْ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا أَمَرَ بِذٰلِكَ النَّبِي ﷺ فِي قَوْلِهِ: «**اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْراً**»[1]. وَمَنْ كَانَ لاَ يَثِقُ مِنْ قِيَامِهِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ، لِمَا رَوَى الإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ، ـ رضِيَ اللهُ عنه ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ: «**أَيُّكم خَافَ أَنْ لاَ يَقُومَ مِنْ آخرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ ثُمَّ لِيَرْقُدْ، وَمَنْ وَثِقَ بِقِيَام مِن آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ مِنْ آخِره، فَإِنَّ قِرَاءَةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَحْضُورَةٌ، وَذٰلِكَ أَفْضَلُ**»[2].

وإِذَا أَوْتَرَ الإِنْسَانُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَيَسَّرَ لَهُ القِيَامُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ يُصَلِّي مَا تَيَسَّرَ لَهُ وَلاَ يُعِيدُ الوِتْرَ. وَيَكْفِيهِ الوِتْرُ الذِي فَعَلَهُ فِي أَوْلِ اللَّيْلِ، لِقَولِه ﷺ: «**لاَ وِتْرَانِ فِي لَيْلَةٍ**»[3].

وَأَقَلُّ الوِتْرِ رَكْعَة وَاحِدَةٌ. وَأَكْثَرُهُ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَة، يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْن، ثُمَّ يُوتِرُ مِنْهَا بِوَاحِدَةٍ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً يُوتِرُ مِنْهَا بِوَاحِدَةٍ، رَواهُ مُسْلِمٌ[4].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»: «صَلاَةُ اللَّيْلِ مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ، فَإِذَا خَشِيتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِواحِدةٍ»[5].

وَأَدْنَىٰ الكَمَالِ فِي عَدَدِ رَكَعَاتِ الوِتْرِ ثَلاَثٌ، يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مِنْهَا، وَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يُصَلِّي الثَّالِثَةَ وَيَقْنُتُ فِيهَا بَعْدَ الرُّكُوعِ فَيَدْعُو بِالدُّعاءِ الوَارِدِ، وَإِذَا أَوْتَرَ بَثَلاَثٍ،

---

(١) رواه البخاريُّ (٩٩٨)، ومسلمٌ بمعناه (٧٤٩).
(٢) رواه مسلمٌ (٧٥٥).
(٣) أبو داود (١٤٣٩)، والترمذيُّ (٤٧٠) وغيرهما.
(٤) رواه مسلمٌ (٧٣٦).
(٥) رواه البخاريُّ (٩٩٣)، ومسلمٌ (٧٤٩).

فَإِنَّه يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَىٰ بَعْدَ الفَاتِحَةِ بِسُورَةِ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعلَىٰ)، وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الفَاتِحَةِ بِسُورَة (قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ)، وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّالِثَةِ بَعْدَ الفَاتِحَةِ بِسُورَةِ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد) لأَنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ بِهٰذِهَ السُّوَرِ فِي وِتْرِهِ، رَواهُ أَبُو دَاودَ وَغَيْرُه[١].

عِبَادَ اللهِ: وَيُسْتَحَبُّ التَّطَوعُ بِالصَّلاَةِ فِي النَّهارِ فِيمَا عَدَا الأَوْقَاتِ المَنْهِيِّ عَنِ الصَّلاةِ فِيهَا، وَمِن ذٰلِكَ صَلاَةُ الضُّحَىٰ وَوَقْتُهَا مِنَ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ إِلَى قُربِ زَوالِ الشَّمْسِ مِنْ وَقْتِ الظَّهِيرَةِ، وَأَقَلُّهَا رَكْعَتَانِ وَأَكْثَرُهَا ثِمَان رَكَعَاتٍ، يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ صَلاَةِ الضُّحَىٰ وَفَضْلِهَا حَديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي رَسُولُ اللهِ ﷺ «بِثَلاَثَةِ أَيَّام مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَي الضُّحَىٰ، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَام»، رَواهُ أَحْمَدُ ومُسْلِم[٢]. فَيُسْتَحَبُّ فِعْلُهَا وَالمُدَاوَمَةُ عَلَيْهَا خُصُوصاً لِمَنْ لَمْ يَقُمْ مِنَ اللَّيْلِ.

أَيُّها المُسْلِمُونَ: وَهُنَاكَ نَوَافِلُ لَهَا أَسْبَابٌ تُفْعَلُ إِذَا وجِدَتْ هٰذِهِ الأَسْبَابُ، مِثْلُ تَحِيَّةِ المَسْجِدِ لِمَنْ دَخَلَهُ وَأَرَادَ الجُلُوسَ فِيهِ، وَسُنَّةُ الوضُوءِ، وَصَلاَةُ الكُسُوفِ وَرَكعَتَي الطَّوافِ، فَهٰذِهِ النَّوافِلُ تُفْعَلُ عِنْدَ وَجُودِ أَسْبَابِهَا، وَهَذِهِ هي النَّوافِلُ اللَّيْلِيَّةِ وَالنَّهَارِيَّةُ، وَهي زِيَادَةٌ فِي عَمَلِ المُسْلِمِ وَإِتَاحَةٌ لِلْفُرْصَةِ أَمَامَهُ، لِيتَزَوَّدَ لآخِرَتِهِ، وَلِيَتَّصِلَ بِرَبِّهِ، وَيَرْفَعَ إِلَيْهِ شَكوَاهُ وَحَوائِجَهُ وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ، وَصَلاَةُ اللَّيلِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَةِ النَّهَارِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ المَكْتُوبَةِ صَلاَةُ اللَّيْلِ» رَواه مُسْلِم[٣]

---

(١) رواه أبو داود (١٤٢٣).

(٢) الحديث في الصحيحين عند البخاريّ (١٩٨١)، ومسلمٌ (٧٢١).

(٣) رواه مسلمٌ (١١٦٣).

فالتَّطَوُّعُ المُطْلَقُ أفضَلُهُ صَلاَةُ اللَّيْلِ، لأَنَّ اللَّيلَ تَنْقَطِعُ فِيهِ الشَّوَاغِلُ وَيَتَفرَّغُ فِيهِ القَلْبُ لِذِكْرِ اللهِ وتَدَبُّرِ القُرْآنِ، وَلأَنَّ آخِرَ اللَّيْلِ وَقْتُ النُّزُولِ الإلٰهِيِّ إلَىٰ سَمَاءِ الدنْيَا، وَوَقْتُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ. فَاجْعَلُوا لَكُمْ نَصِيباً مِنْ قِيامِ اللَّيْلِ، وَلا تَكُونُوا مِنَ الغَافِلِينَ. فَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ اليَومَ يَسْهَرُونَ اللَّيْلَ إِمَّا عَلَى اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالمَعَاصِي ـ يَسْهَرُونَ عَلَى لَعِبِ الوَرَقِ ـ أَوْ عَلَى اسْتِمَاعِ الأَغَانِي وَالمَزَامِيرِ وَأَنْواعِ المَلاَهِي، أَوْ عَلَى مُشَاهَدَةِ الأَفْلاَمِ الخَلِيعَةِ المُدَمِّرَةِ لِلأَخْلاَقِ، أَوْ مُشَاهَدَةِ المُسَلْسلاتِ التِي تَحْمِلُ أَفْكَاراً مَسْمُومَةً، أَوْ عَلَى مِزَاحٍ، وَقِيلَ وَقَالَ، وَضَحِكٍ وَغَفْلَةٍ. وَرُبَّمَا يَنَامُونَ عَنْ صَلاَةِ الفَجْرِ وَيُخْرِجُونَهَا عَنْ وَقْتِهَا، أَوْ يَتَأَخَّرُونَ عَنْ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ فِي المَسْجِدِ، فَتَكُونُ المَصِيبَةُ بِذلِكَ أَعْظَمُ لأَنَّهُمْ سَهِرُوا عَلَى فِعْلٍ مُحَرَّمٍ، وَنَامُوا عَنْ أَدَاءِ وَاجِبٍ.

وَهٰكَذَا المَعَاصِي يَجُرُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاحْفَظُوا أَوْقَاتَكُمْ فِيمَا يُفِيدُكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ، وَلاَ تُضَيِّعُوهَا فَتَخْسَرُوهَا وَتَنْدَمُوا عَلَى فَوَاتِهَا حِينَ لاَ يَنْفَعُ النَّدَمُ . .

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٥-١٩].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ عَلَى فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ لاَ نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَلاَ مَلْجَأَ مِنْهُ إلاَّ إِلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً . .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى: واشْكُرُوهُ عَلَى مَا يَسَّرَ لَكُمْ مِنْ فِعْلِ الخَيْرَاتِ وَاعْلَمُوا ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ أَنَّ هُنَاكَ أَوْقَاتاً يُنْهَى عَنْ صَلاَةِ التَّطَوُّعِ فِيهَا، وَهِيَ خَمْسَةُ أَوْقَاتٍ، بيَّنَها النَّبيُّ ﷺ:

الأولُ: مِنْ طُلُوعِ الفَجْرِ الثَّانِي إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَإِذَا طَلَعَ الفَجْرُ الثَّانِي امْتُنِعَ فِعْلُ صَلاَةِ النَّافِلَةِ مَا عَدَا سُنَّةَ الفَجْرِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا طَلَعَ الفَجْرُ فَلاَ صَلاَةَ إلاَّ رَكْعَتَي الفَجْرِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاودَ وَغَيْرُهُمَا[١].

الثاني: مِنْ طُلوعِ الشَّمْسِ حَتَّى تَرْتَفِعَ قَدْرَ رُمْحٍ.

الثَّالثُ: عِنْدَ قِيامِ الشَّمْسِ حَتَّى تَزُولَ، لِقولِ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ: ثَلاَثُ سَاعَاتٍ نَهَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَ وَأَنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا: حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَازِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ حَتَّى تَزُولَ، وَحِينَ تَتَضَيَّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ. رَواهُ مُسْلِمٌ[٢].

الرَّابعُ: مِنْ صَلاَةِ العَصْرِ إِلَى قُرْبِ غُرُوبِ الشَّمْسِ.

الخَامِسُ: حِينَ تَشْرَعُ فِي الغُرُوبِ حَتى تَغْرُبَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لاَ صَلاَةَ بَعْدَ الفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَلاَ صَلاَةَ بَعْدَ العَصْرِ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٣]، وَهُنَاكَ صَلَوَاتٌ يَجُوزُ فِعْلُهَا فِي أَوْقَاتِ النَّهْي:

فَيَجُوزُ قَضَاءُ الفَرَائِضِ الفَائِتَةِ فِي هٰذِهِ الأَوْقَاتِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ

---

(١) لم أجده عند أبي داود والحديث عند الطبرانيِّ فِي الأوسط.

(٢) رواه مسلمٌ (٨٣١).

(٣) البخاري (٥٨٦)، ومسلم (٨٢٧).

صلاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

وَيَجُوزُ فِيهَا فِعْلُ رَكْعَتَي الطَّوَافِ، لِقَوْلِه ﷺ: «لاَ تَمْنَعُوا أَحداً طَافَ بِهٰذَا البَيْتِ وَصَلَّى أَيَّةَ سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَه[٢].

وَتَجوزُ الصَّلاَةُ عَلَى الجنَازَةِ بَعْدَ الفَجْرِ وَبَعْدَ العَصْرِ، لأَنَّ فِي تَأْخِيرِ الجنَازَةِ ضَرَراً عَلَيْهَا، وَيَجُوزُ فِيهَا فِعْلُ سُنَّةِ الفَجْرِ بَعْدَهَا إِذَا لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ أَدَائِهَا قَبْلَهَا فَتَنَبَّهُوا لِذٰلِكَ ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ وَتَقَيَّدُوا بِهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ.. إلخ.

* * *

(١) البخاريُّ (٥٩٧)، ومسلمٌ (٦٨٤).

(٢) رواه أبو داود (١٨٩٤)، والترمذيُّ (٨٦٨) وغيرهما.

فِي أحكَامِ الجَنائِزِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، حَكَمَ بِالمَوتِ عَلَى بَنِي الإِنْسَانِ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمٰن: ٢٦ـ٢٧].

وبَعْدَ المَوتِ يُودَعُونَ فِي القُبُورِ إِلَى يَومِ البَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَأَحْمَدُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَشْهَدُ أنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ الكَبِيرُ المتَعَالُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولهُ أَرْسَلَهُ بِالهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ، وَبِقَمْعِ الكُفْرِ وَالضَّلاَلِ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ خَيرِ صَحْبٍ وآلٍ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمَاً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَتَذَكَّرُوا المَوتَ وَقُرْبَ نُزُولِهِ، فَاسْتَعِدُّوا لَهُ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالتَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ، فَإِنَّ نِسْيَانَ المَوْتِ يُقَسِي القَلْب، وَيُرَغبُ فِي الدُّنْيَا. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللذَّاتِ» يَعْنِي المَوتَ. رَواهُ ابْنُ مَاجَه وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنه[1]، وَابنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِهِ». وَزَادَ: «فَإِنَّهُ مَا ذَكَرَهُ فِي سَعةٍ إلاَّ ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ»[2].

وَعَنْ عَبْدِاللهَ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرَ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ،

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢٣٠٨)، وابنُ ماجة (٤٢٥٨).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٤١٦).

وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوتِكَ. رَواه البُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ[١].

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ تَذَكُّرَ المَوتِ يُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَيُحَفِّزُ عَلَى العَمَلِ الصَّالِحِ، وَعَلَى التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالتَّخَلُّصِ مِنْ مَظَالِمِ العِبَادِ وَإِعْطَاءِ النَّاسِ حُقُوقَهُم، وَلَمَّا كَانَ المَوتُ نِهَايَةَ حَيَاةِ الإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَقَدْ شَرَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِلأَمْوَاتِ أَحْكَاماً تَجِبُ مَعْرِفَتُهَا وَتَنْفِيذُهَا فِي أَمْوَاتِ المُسْلِمِينَ، تُعْرَفُ بِأَحْكَامِ الجَنَائِزِ، كَانَ وَاجِباً عَلَيْنَا مَعْرِفَتُهَا.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم ـ رَحِمَهُ اللهِ ـ كَانَ هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الجَنَائِزِ أَكْمَلَ الهَدْيِ، مُخَالِفاً لِهَدْيِ سَائِرِ الأُمَمِ، مُشْتَمِلاً عَلى الإِحْسَانِ إِلَى المَيِّتِ وَمُعَامَلَتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي قَبْرِهِ وَيَوْمِ مَعَادِهِ، وَعَلَى الإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ، وَعَلَى إِقَامَةِ عُبُودِيَّةِ الحَيِّ للهِ وَحْدهُ فِيمَا يُعَامَلُ عَلَى أَكْمَلِ الأَحْوَالِ، وَالإِحْسَانُ إِلَى المَيِّتِ وَتَجْهِيزُهِ إِلَى اللهِ عَلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِهِ وَأَفْضَلِهَا. وَوُقُوفِهِ ﷺ وَوقُوفُ أَصْحَابِهِ صُفُوفاً يَحْمَدُونَ اللهَ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلْمَيِّتِ وَيَسْأَلُونَ لَهُ المَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ وَالتَّجَاوزَ عَنْهُ، ثُمَّ المَشْيُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى أَنْ يُودِعُوهُ فِي حُفْرَتِهِ، ثُمَّ يَقُومُ هُو وَأَصْحَابُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى قَبْرِهِ سَائِلِينَ لَهُ التَّثْبِيتَ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَتَعَاهَدُه بِالزِّيَارَةِ لَهُ فِي قَبْرِه وَالسَّلاَمَ عَلَيْهِ وَالدُّعَاءِ لَهُ كَمَا يَتَعَاهَدُ الحَيُّ فِي دَارِ الدُّنْيَا.

فَأَوَّلُ ذلِكَ تَعَاهُدُهُ فِي مَرَضِهِ وَتَذْكِيرُهُ الآخِرَةَ، وَأَمْرُهُ بِالوَصِيَّةِ وَالتَّوْبَةِ، وَأَمْرُ مَنْ حَضَرَ بِتَلْقِينِهِ شَهَادَةَ أَنْ لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ، لِتَكُونَ آخِر كَلاَمِهِ. فَقَدْ أَجْمَلَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي هٰذِه الكَلِمَةِ الطيبة أحكام الجنائز ونحن نفصلُها حسب الإمكَانِ..

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٤٨٨).

فأوّلُ هذه الأحكام: أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ تَلْقِينُ المُحتَضَرِ: لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللهُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ» رَواهُ مُسْلِمٌ[1]. وَذلِكَ لِتَكُونَ هَذِهِ الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ آخر كَلامِهِ، وَيُخْتَمَ لَهُ بِهَا. فَقَدْ جَاء فِي الحَدِيثِ الذِي رَواهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مَرْفُوعاً: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلامِهِ لاَ إِلَه إلاَّ اللهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ»[2]. وَلِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَعْرُضُ لِلإِنْسَانِ فِي حَالَةِ احْتِضَارِهِ لِيُفْسِدَ عَقِيدَتَهُ، فَإِذَا لُقِّنَ هٰذِهِ الكَلِمَةَ العَظِيمَة وَنَطَق بِهَا فَإِن ذَلِكَ يَطْرُدُ عَنهُ الشَّيْطَانَ، وَيُذَكِّرُهُ بِعَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ.

وَمِن هٰذِهِ الأَحْكَام أَنَّهُ إِذَا مَاتَ يُسْرَعُ فِي تَجْهِيزِهِ: مِنْ تَغْسِيلِهِ وَتَكْفِينِهِ، وَالصَّلاَةِ عَلَيْهِ وَنَقْلِهِ إلى قَبْرِهِ، لِقَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «لاَ يَنْبَغِي لِجِيفَةِ مُسْلِمٍ أَنْ تحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِهِ» رَواه أَبُو دَاودَ[3].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ الإِسْرَاعُ بِتَجْهِيزِ المَيِّتِ إِلَى اللهِ وَتَطْهِيرِهِ وَتَنْظِيفِهِ وَتَطْيِيبِهِ وَتَكْفِينِهِ فِي الثِّيَاب البِيضِ. قَالَ: وَكَانَ يَأْمُرُ بِغَسْلِ المَيِّتِ ثَلاَثاً أَوْ خَمْساً أَوْ أَكْثَرَ بِحَسْبِ مَا يَرَاهُ الغَاسِلُ وَيَأْمُرُ بِالكَافُورِ فِي الغَسْلَةِ الأَخِيرَةِ، وكَانَ يَأْمُرُ مَنْ وَلِيَ المَيِّتَ أَنْ يُحْسِنَ كَفَنَهُ، وَيُكَفِّنَهُ بِالبَيَاضِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ المُغَالاَةِ فِي الكَفنِ.

وَالرَّجُلُ يَتولَّىٰ تَغْسِيلَهُ الرِّجَالُ وَالمَرْأَةُ يتَوَلَّىٰ تَغْسِيلَهَا النِّسَاءُ، وَيَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُغَسِّلَ زَوْجَتَهُ. وَلِلْمَرْأَةِ أَنْ تُغَسِّلَ زَوْجَهَا. وَمَنْ تَعَذَّرَ غسْلُه لِعَدَم المَاءِ أَوْ لِكَوْنِ جِسْمُهُ مُحْتَرِقاً أَوْ مُتَقَطعاً لاَ يَتَحَمَّلُ المَاءَ فَإِنَّهُ يُيمَّمُ بِالتُّرَاب، وَإِنْ تَعَذَّرَ غُسْلُ بَعْضِهِ غسِلَ مَا أَمْكَنَ مِنْهُ، وَيُيمَّمُ عَنِ البَاقِي.

---

(١) رواه مسلمٌ (٩١٦).
(٢) رواه أيضاً أبو داود (٣١١٦).
(٣) رواه أبو داود (٣١٥٩).

وَالسَّقْطُ إِذَا كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ غُسِلَ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «**وَالسَّقْطُ يُصَلَّى عَلَيْهِ وَيُدْعَىٰ لِوالِدَيْهِ بِالمَغْفِرَةِ وَالرَّحمَةِ**» رواهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاودَ وَغَيْرُهمَا[١].

فَإِذَا غُسِلَ المَيّتُ وَكُفِّنَ، فَإِنَّهُ يُصَلَّىٰ عَلَيْهِ، وَالصَّلاَةُ عَلَيْهِ جَمَاعَةً أَفْضَلُ لِفِعْلِهِ ﷺ وَفِعْلِ أَصْحَابِهِ. قَال الإمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: وَمَقْصُودُ الصَّلاَةِ عَلَى الجَنَازَةِ هُو الدُّعَاءُ لِلْمَيِّتِ. وَقَالَ شَيْخُ الإسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ عَلَى قَولِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ ﴾ [التوبة: ٨٤].

لمَّا نَهىٰ اللهُ نَبِيَّهُ عَنِ الصَّلاَةِ على المُنَافِقِينَ كَانَ دَلِيلاً على أنَّ المُؤْمِنَ يُصَلَّىٰ عَلَيْهِ قَبْلَ الدَّفنِ، وَيُقَامُ عَلَى قَبْرِهِ بَعْدَه، وَدَلَّتِ الآيَةُ أَيْضاً عَلَى أَنَّ الصَّلاَةَ عَلَى المُسْلِمِينَ مِنْ أَكْبَرِ القُرُبَاتِ وَأَفْضَلِ الطَّاعَاتِ، وَرَتَّبَ الشَّارِعُ عَلَيْهَا الجَزَاءَ الجَزِيلَ كَمَا فِي الصِّحَاحِ وَغَيْرِهَا، وَدَلَّتِ الآيَةُ عَلَى أنَّ الصَّلاَةَ عَلَيْهِ كَانَتْ عَادَةَ النَّبي ﷺ فِي المُسْلِمِينَ وَأَمْرَاً مُتقرراً عِنْدَ المُسْلِمِينَ، وَكُلَّمَا كَثُرَ المُصَلُّونَ كانَ أَفْضَلَ، لِمَا رَوىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»: «**مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِئَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إلاَّ شُفِّعُوا فِيهِ**»[٢]. وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ: «**وَمَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ على قَبْرِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً لاَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئاً إلاَّ شُفِّعُوا فِيهِ**»[٣].

وَمَنْ فَاتَتْهُ الصَّلاَةُ عَلَى المَيِّتِ قَبْلَ دَفْنِهِ صَلَّى على قَبْرِهِ، لِمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابنِ عَبَّاسٍ: أَن النَّبِي ﷺ صَلَّى على قَبْرٍ،

---

(١) لم أجده في سنن أبي داود.
(٢) رواه مسلمٌ (٩٤٧).
(٣) رواه مسلمٌ (٩٤٨).

وَذٰلِكَ أَن امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُم المَسْجِدَ، ففَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقَالُوا مَاتَتْ، فقَالَ: أَفَلاَ كُنتُمْ آذَنتُمُونِي»؟ قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا، فَقَالَ: دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهَا»[١] فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا.

ثُمَّ بَعْدَ الصَّلاَةِ عَلَى المَيِّتِ يُبَادَرُ بحَمْلِهِ إِلَى قَبْرِهِ، وَيُسْتَحَبُّ لِلْمُسْلِمِ حُضُورِ الصَّلاَةِ عَلَى أَخِيهِ المُسْلِمِ وَحَمْلِ جَنَازَتِهِ إِلَى قَبْرِهِ، بِسَكِينَةٍ وَأَدَبٍ وَعَدَمِ رَفْعِ صَوْتٍ لاَ بِقِرَاءَةٍ وَلاَ ذِكْرٍ وَلاَ غَيْرِ ذَلِكَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّىٰ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّىٰ تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ» قِيلَ: وَمَا القِيرَاطَانِ؟ قَالَ: «مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

وَيُسَنُّ تَوْسِيعُ القَبْرِ وَتَعْمِيقُهُ، وَيُوضَعُ المَيِّتُ فِيهِ مَوَجَّهًا إِلَى القِبْلَةِ عَلَى جَنْبِهِ الأَيْمَنِ، وَيُسَدُّ اللَّحدُ عَلَيْهِ سَدّاً مُحْكَماً، ثُمَّ يُهَالُ عَلَيْهِ التُّرَابُ. وَيُرْفَعُ القَبْرُ عَنِ الأَرْضِ قَدْرَ شِبْرٍ، وَيَكُونُ مُسَنَّماً، أَي: مُحَدّباً، وَذٰلِكَ لِيُرَىٰ فيُعْرَفَ أَنَّهُ قَبْرٌ فَلاَ يُوطَأَ، ولا بَأْسَ أَنْ يُجْعَلَ عَلاَمَةٌ عَلَيْهِ، بِأَنْ يُوضَعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ وَنَحْوُهُ لِيَعْرِفَهُ مَنْ يُرِيدُ زِيَارَتَهُ لِلسَّلاَمِ عَلَيْهِ وَالدُّعَاءِ لَهُ.

وَلاَ تَجُوزُ الكِتَابَةُ عَلَى القَبْرِ، لاَ كِتَابَةُ اسْمِ المَيِّتِ وَلاَ غَيْرُهَا. وَلاَ يَجُوزُ تَجْصِيصُهُ وَلاَ البِنَاءُ عَلَيْهِ، وَلاَ تَجُوزُ إِضَاءَةُ المَقَابِرِ بِالأَنْوَارِ الكَهرِبَائِيةِ وَلاَ غَيرِهَا. لِحَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ القَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ، رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ، وَالنَّسَائِيُّ، وَأَبُو دَاودَ[٣]،

---

(١) رواه البخاريُّ (٤٥٨)، ومسلمٌ (٩٥٦).

(٢) رواه البخاريُّ (١٣٥٢)، ومسلمٌ (٩٤٥).

(٣) رواه مسلمٌ (٩٧٠)، وأبو داود (٢٢٥).

والتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَلَفْظُهُ: نَهَى أَنْ تُجَصَّصَ القُبُورُ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهَا، وَأَنْ تُوطَأَ»(١).

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: وَلَمْ يَكُنْ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ تَعْلِيَةُ القُبُورِ وَلاَ بِنَاؤُهَا بِآجرٍ وَلاَ بِحَجَرٍ وَلَبِنٍ وَلاَ تَشْيِيدُهَا، وَلاَ تَطْيِينُهَا، وَلاَ القِبَابُ عَلَيْهَا، فَكُلُّ هٰذَا بِدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ مُخَالِفَةٌ لِهَدْيِهِ ﷺ، وَقَدْ بَعَثَ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى اليَمَنِ أَنْ لاَ يَدَعَ تِمْثَالاً إِلاَّ طَمَسَهُ وَلا قَبْراً مُشْرِفا إلاَّ سَوَّاهُ.

فَسنَّتُهُ تَسْوِيَةُ هٰذِهِ القُبُورِ المُشْرِفَةِ كُلِّهَا، وَنَهَىٰ أَنْ يُجَصَّصَ القَبْرُ، وَأَنْ يُبْنَىٰ عَلَيْهِ، وَأَنْ يكْتَبَ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ قُبُورُ أَصْحَابِهِ لاَ مُشْرِفَةً وَلاَ لاَطِئَة. وَهَكَذَا كَانَ قَبْرُهُ الكَرِيمُ وَقَبْرَا صَاحِبَيْهِ، فقبرُهُ ﷺ مسنمٌ مبطوحٌ ببطحاءَ العرضةِ الحمراءِ لاَ مبنِيٌّ ولاَ مُطينٌ. وهكذا كان قبرا صاحِبيهِ، وَكَانَ يُعَلِّمُ قَبْرَ مَنْ يُرِيدُ تَعَرُّفَ قَبْرِهِ بِصَخْرَةٍ.

وَنَهَىٰ ﷺ عَن اتِّخَاذِ القُبُورِ مَسَاجِدَ وَإِيقَادِ السُّرُجِ عَلَيْهَا وَاشْتَدَّ نَهْيُهُ فِي ذٰلِكَ حَتَّى لَعَنَ فَاعِلَهُ، وَنَهَىٰ عَنِ الصَّلاَةِ إِلى القُبُورِ، وَنَهَى أُمَّتَهُ أَنْ يَتَّخذُوا قَبْرَهُ عِيداً، وَلَعَنَ زَوَّارَاتِ القُبُورِ، وَكَانَ هَدْيُهُ أَنْ لاَ تُهَانَ القُبُورَ وَتُوطأ، وَألاَّ يُجْلَسَ عَلَيْهَا وَيُتَّكَأَ عَلَيْهَا، وَلاَ تُعَظَّمَ بِحَيْثُ تُتخَذُ مَسَاجِدَ فيُصَلَّى عِنْدَهَا وَإِلَيْهَا، أَوْ تُتخَذَ أَعْيَاداً وَأَوْثَاناً.

وَكَانَ إذا زَارَ قُبُورَ أَصْحَابِهِ يَزُورُهَا لِلدُّعَاءِ لَهُمْ وَالتَّرَحُّمِ عَلَيْهِمْ وَالاسْتِغْفَارِ لَهمْ، وَهَذِهِ هِي الزِّيَارَةُ التِي سَنَّهَا لأُمَّتِهِ وَشَرَعَ لَهُمْ وَأَمَرَهُم أَنْ يَقُولُوا إِذَا زَارُوهَا السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ منَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ

---

(١) الترمذيُّ (١٠٥٢).

لاَحِقُونَ، نَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُم العَافِيَة، وَكَانَ هَدْيُهُ أَنْ يَقُولَ وَيَفْعَلَ عِنْدَ زِيَارَتِهَا مِنْ جِنْسِ مَا يَقُولُهُ عِنْدَ الصَّلاةِ عَلَى المَيِّتِ مِنَ الدُّعَاءِ وَالتَّرَحُّمِ وَالاسْتِغْفَارِ. فَأَبَى المُشْرِكُونَ إلاَّ دُعَاءَ المَيِّتِ وَالإِشْرَاكَ بِهِ وَالإِقْسَام عَلَى اللهِ بِهِ وَسُؤَالِ الحَوَائِجِ وَالاسْتِعَانَةِ بِهِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ، بِعَكسِ هَدْيِهِ ﷺ فَإِنَّهُ هَدْيُ تَوْحِيدٍ وَإِحْسَانٍ إِلَى المَيتِ، وَهَدْيُ هٰؤلاءِ شِرْكٌ وَإِسَاءَةٌ إِلَى نُفُوسِهِم وَإِلَى المَيِّتِ وَهُم ثَلاَثَةُ أَقْسَامٍ:

إِمَّا أَنْ يَدْعُوَ المَيِّتَ، أَوْ يَدْعُوَ بِهِ أَوْ عِنْدَهُ، وَيَرَوْنَ الدُّعَاءَ عِنْدَهُ أَوْجَبَ وَأَوْلَى مِنَ الدُّعَاءِ فِي المَسَاجِدِ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: وَمِنَ البِدَعِ المُحْدَثَةِ القِرَاءَة عِنْدَ الجَنَائِزِ، أَوْ عِنْدَ القُبُورِ، قِرَاءَةُ شَيءٍ مِنَ القُرْآنِ. يَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ يَنْفَعُ المَيِّتَ، وَهٰذَا بِدْعَةٌ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمِنْ عَوَائِدِ الكُفَّارِ وَمنْ يُقَلِّدُهُمْ مِنْ جَهَلَةِ المُسْلِمِينَ إِلقَاءُ أَكَالِيل الزُّهُورِ عَلَى القُبُورِ، وَمِنْ عَوَائِدِ الكُفَّارِ وَمَنْ يُقَلِّدُهُمْ مِنْ جَهَلَةِ المُسْلِمِينَ اليَومَ إِعْلاَنُ الإِحْدَادِ عَلَى الأمْواتِ، وَلُبْسُ السَّوَادِ، وَتَنْكِيسُ الأَعْلاَمِ، وَتَعْطِيلُ الأَعْمَالِ الرَّسْمِيَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، وَالوقُوفُ وَالصَّمْتُ بِضْعَ دَقَائِقَ لِرُوحِ المَيِّتِ، وَمَا أَشْبَهَ ذلِكَ مِنْ عَوَائِدِ الجَاهِلِيَّةِ البَاطِلَةِ، فَيَجِبُ عَلَى المُسْلِمِينَ الحذرُ مِنْ تَقْلِيدِهِمْ وَالتَّشَبُّهِ بِهِمْ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: إِنَّ الذِي يَنْفَعُ المَيِّتَ بَعْدَ مَوْتِهِ هُو مَا شَرَعَه الرسُولُ ﷺ مِنَ المُبَادَرَةِ بِقَضَاءِ دُيونِهِ، فَإِنَّ المُسْلِمَ مُرْتَهَنٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ وَتَنْفِيذِ وَصَايَاهُ الشَّرْعِيَّةِ، وَالدُّعَاءِ لهُ وَالتَّصَدُّقِ عَنْهُ وَالحج وَالعُمْرَةِ عَنْهُ، قَال ﷺ: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدقَةٍ جَارِيَةٍ، وَعِلْمٍ ينْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو**

لَـهُ»[١].

وَمِمَّا يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى النِّسَاءِ اتِّبَاعُ الجَنَائِزِ وَزِيَارَةَ القُبُورِ، لِحَدِيثِ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: قَالَتْ: نُهِينَا عنِ اتِّبَاعِ الجَنَائِزِ[٢]. وَالنَّهْيُ يَقْتَضِي التَّحْرِيمَ، وَعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَعَنَ زَائِرَاتِ القُبُورِ. رَواهُ الخَمْسَةُ وَصَحَّحهُ التِّرمِذِيُّ[٣].

فَالمَرْأَةُ لاَ تَزُورَ القُبُورَ لاَ قَبْرَ النَّبِيِّ وَلاَ قَبْرَ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا زِيَارَةُ القُبُورِ خَاصَّةٌ بِالرِّجَالِ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَلاَ تَنْسُوا المَوْتَ فَتَغْفُلُوا عَنِ العَمَلِ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾ [المنافقون: ٩ـ١١].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الملك: ٢].

---

(١) رواه مسلمٌ (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠) وغيرهما.

(٢) رواه البخاري (١٢٧٨) ومسلم (٩٣٨) وابن ماجة (١٥٧٧) كلهم بلفظ: «لم يعزم علينا».

(٣) أبو داود (٢٢٣٦)، والترمذيُّ (١٠٥٦)، وابنُ ماجة (١٥٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦) والترمذيُّ وابن ماجة بلفظ «زوارات» وقال الترمذيُّ: حسنٌ صحيح.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. خَلَقَ الخَلْقَ وَرَزَقَهُمْ وَلَمْ يَتْرُكْهُم هَمَلاً، بَلْ أَنْزَلَ عَلَيْهِم الكُتُبَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلاً، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ تَمَسَّكُوا بِسنَّتِهِ وَلَمْ يَرْتَضُوا بِهَا بَدلاً. وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا الله تَعَالَىٰ، وَاعلَمُو أَنَّ اللهَ شَرَعَ الصَّبْرَ عِنْدَ المَصَائِبِ، وَوَعَدَ الصَّابِرِينَ بِجَزِيلِ الثَّوابِ. وَنَهَى عَنِ التَّسَخط وَالجَزَعِ، وَتَوَعَّدَ عَلَى ذٰلِكَ بِأَلِيمِ العِقَابِ، فَنَهَىٰ سُبْحَانَهُ عَنْ عَادَةِ الأُمَمِ التِي لاَ تُؤْمِنُ بِالبَعْثِ وَالنُّشُورِ: مِنْ لَطْمِ الخُدُودِ، وَشَقِّ الجُيوبِ، وَحَلْقِ الرُّؤُوسِ، وَرَفْعِ الصَّوْتِ بِالنَّدْبِ وَالنِّيَاحَةِ، وَتَوابعِ ذٰلِكَ.

أَمَّا البُكَاءُ الذِي لاَ صَوْتَ مَعَهُ وَحُزْنُ القَلْبِ فَلاَ بَأْسَ بِهِمَا، وَقَدْ قَالَ النَّبِي ﷺ: «**تَدْمَعُ العَيْنُ وَيَحْزنُ القَلْب وَلاَ نَقُولُ إلاَّ مَا يُرْضِي الرَّبَّ**» رَواهُ البُخَارِيُّ[1].

وَتُسْتَحَبُّ تَعْزِيَةُ المُصَابِ بِالمَيِّتِ وَحَثُّهُ عَلَى الصَّبْرِ وَالاحْتِسَابِ، وَلَفْظُ التَّعْزِيَةِ أَنْ يَقُولَ: أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَكَ وَأَحْسَنَ عَزَاءَكَ، وَغَفَرَ لِمَيِّتِكَ، وَلاَ يَنْبَغِي الجُلُوسُ لِلعَزَاءِ، وَالإِعْلاَنِ عَنْ مَكَان الجُلُوسِ لِلعَزَاءِ.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: وَكَانَ مَنْ هَدْيِهِ ﷺ تَعْزِيَةُ أَهْلِ المَيِّتِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ هَدْيِهِ أَنْ يَجْتَمِعَ لِلعَزَاءِ وَيُقْرَأَ لَهُ القُرآنُ لاَ عِنْدَ قَبْرِهِ وَلاَ غَيْرِهِ، وَكُلُّ هٰذَا بِدْعَةٌ حَادِثَةٌ مَكْرُوهَةٌ، وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ السكُونُ وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ وَالاسْتِرْجَاعُ، وَيَبْرَأُ مِمَّنْ خَرَقَ لأَجْلِ المُصِيبَةِ ثِيَابَهُ، أَوْ رفع صَوْتَهُ بِالنَّدْبِ

---

(١) رواه البخاريُّ (١٣٠٣).

وَالنِّيَاحَةِ، أَوْ حلق لَهَا شَعْرَهُ.

وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ أَن أَهْلَ المَيِّتِ لاَ يُكَلِّفُونَ الطَّعَامَ لِلنَّاسِ، بَلْ أَمرَ أَنْ يَصْنَعَ النَّاسُ لَهُمْ طَعَامَاً يُرْسِلُونَهُ إِلَيْهِمْ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ وَالشِّيَمِ وَالحَمْلِ عَنْ أَهْلِ المَيِّتِ، فَإِنَّهُمْ فِي شُغْلٍ بِمُصَابِهِمْ عَنْ إِطعَامِ النَّاسِ.

وكَانَ مِنْ هَدِيهِ ﷺ تَرْكُ نَعْيِ المَيِّتِ، بَلْ كَانَ يَنْهَىٰ عَنْهُ، وَيَقُولُ هُو عَمَلُ الجَاهِلِيَّةِ. وَقَدْ كَرِه حذَيْفَةُ أَنْ يُعلِمَ بِهِ أَهلُهُ النَّاسَ إِذَا مَاتَ، وَقَالَ: أَخَافُ أَنْ يَكُونَ مِنَ النَّعْيِ، فَهٰذَا الذِي حَذَّرَ مِنْهُ ابْنُ القَيِّمِ يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ اليَومَ يَجْتَمِعُونَ لِلْعَزَاءِ، وَيُعْلِنُونَ عَنْ مَكَانِهِ فِي الصُّحُفِ. وَبَعْضُهُم يُهَيِئُونَ مَكَاناً لاجْتِمَاعِ النَّاسِ، وَيَصْنَعُونَ الطَّعَامَ، وَيَسْتَأْجِرُونَ المُقْرِئينَ. وَقَدْ رَوىٰ الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ جَرِيرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: كُنَّا نَعُدُّ الاجْتِمَاعَ إِلَى أَهْلِ المَيِّتِ وَصَنْعَةِ الطَّعَامِ بَعْدَ دَفْنِهِ مِنَ النِّيَاحَةِ. وَرِجَال إِسْنَادِهِ ثِقَاتٌ.

فَلاَ يَنْبَغِي جُلُوسُ المُصَابِ فِي مَكَانٍ لأَجْلِ العَزَاءِ، بَلْ يَخْرُجُ لِعَمَلِهِ كَعَادَتِهِ قَبْلَ المُصِيبَةِ، وَمَنْ لَقِيهُ فِي طَرِيقِهِ فَإِنَّهُ يُعزِّيه التعزية المَشْرُوعَةَ، أَوْ فِي أَيِّ مَكَانٍ.

وَيذْكَرُ أَنهُ فِي بَعْضِ الجِهَاتِ يَأْتِي النَّاسُ مِنْ بَعِيدٍ وَقَرِيبٍ لأَجْلِ التَعْزِيَةِ، وَيَأْتُونَ مَعَهُمْ بِأَغْنَامٍ وأَكْيَاسٍ مِنَ الطَّعَامِ تجْمَعُ عِنْدَ المُصَابِ فَيُذْبَحُ مِنَ الأَغْنَامِ، وَيُطْبَخُ مِنْهَا وَمِنَ الطَّعَامَ وَيُقَدَّمُ لِلنَّاسِ مُدَّةً مَعَيَّنَةً مِنَ الأَيَّامِ. وَهٰذَا العَمَلُ بِدْعَةٌ وَمُنْكَر لاَ يَجُوزُ فِعْلَهُ، وَصَرْفٌ لِلأَمْوَالِ وَالأَوْقاتِ بِغَيرِ فَائِدَةٍ، وَالوَاجِبُ العَمَلُ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي هَذَا وَفِي غَيْرِهِ، فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا. . إلخ.

خُطبَةُ الاستِسقَاءِ

الحَمْدُ للهِ الغَنِيِّ الحَمِيدِ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، وَأَشْهَدُ أنْ لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُو الوَلِيُّ الحَمِيدُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الخَلاَئِقِ أَجْمَعِينَ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّىٰ الأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحَابَتِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً. . .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: ١٥-١٧].

وَهُو مَعَ غِنَاهُ عَنْكُمْ يَأْمُرُكُمْ بِدُعَائِهِ لِيَسْتَجِيبَ لَكُمْ، وَسُؤَالِه لِيُعْطِيَكُمْ، وَاستِغْفَارِهِ لِيَغْفِرَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ مَعَ فَقْرِكُمْ وَحَاجَتِكُمْ إِلَيْهِ تُعْرِضُونَ عَنْهُ وَتَعْصُونَهُ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَعْصِيَتَهُ تُسَبِّبُ غَضَبَهُ عَلَيْكُمْ وَعُقُوبَتَهُ لَكُم، فَفِي «سُنَنِ ابنِ مَاجَه» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ عَاشِرَ عَشْرَةِ رَهْطٍ مِنَ المهَاجِرِينَ، عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ ﷺ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «**يَامَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ خَمْسُ خِصَالٍ، أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تَدْرِكُوهُنَّ، مَا ظَهَرتِ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ حَتَّى أَعْلَنُوا بِهَا إِلاَّ ابْتُلُوا بَالطَّوَاعِينَ وَالأَوْجَاعِ التِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلاَفِهِم الذِينَ مَضَوا. وَلا نَقَصَ قَوْمٌ المِكْيَالَ إِلاَّ ابْتُلُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ المُؤْونَةِ**

وَجوْرِ السُّلْطَانِ. وَما مَنَع قَوْمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إلاَّ مُنِعُوا المَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلاَ البَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا. وَلاَ خفَرَ قَوْمٌ العَهْدَ إلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِم عدُوّاً مِنْ غَيْرِهم، فَأَخَذُوا بَعْض مَا فِي أَيْدِيهِم. وَمَا لَمْ تَعْمَلْ أَئمَّتهُمْ بِمَاأَنْزَلَ اللهُ فِي كِتَابِهِ إلاَّ جَعلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»[1].

فَذَكَر ﷺ فِي هٰذَا الحَدِيثِ خَمْسَةَ أَنْواعٍ منَ المَعَاصِي، كُلُّ نَوْعٍ مَنْهَا يُسَبِّبُ عُقُوبَةً منَ العُقُوبَاتِ، وَمِنْ ذِلَك: مَنْعُ الزَّكَاةِ، وَنَقْصُ المِكْيَالِ يُسَبِّبَانِ مَنْعَ المَطَرِ وحُصُولَ القَحْطِ، وَشدَّةَ المَؤُونَةِ، وَجوْرِ السُّلْطانِ. وَأَنْتُمْ فِي هٰذِه الأَيَّام تَرَوْنَ تَأَخُّرَ المَطَرِ عَنْ وَقْتِهِ، وَإِجْدَابَ المَرَاعِي، مِمَّا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ تَضررُ العِبَادِ وَالبلاَدِ وَالبَهَائِمِ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن الحُبَارَىٰ لَتَمُوتُ فِي وكْرهَا مِنْ ظُلمِ الظَّالِمِ. وَقَالَ مجَاهِدٌ: إنَّ البَهَائِم تَلْعَنُ عُصَاة بَنِي آدَمَ إِذَا اشْتَدَّتِ السَّنَةُ، وَأَمْسَكَ المَطَرُ، تَقُولُ: هٰذَا بِشُؤْمِ مَعْصِيَةِ ابنِ آدَمَ.

أَمَّا مَنْعُ الزَّكَاةِ فَقَدِ ابْتُلي كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ اليَومَ بَتَضخُّمِ الأَمْوَالِ فِي أَيْدِيهِمْ، وَصَارُوا يَتَسَاهَلُونَ فِي إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ إمَّا بُخْلاً بِهَا إِذَا نَظرُوا إِلَى كَثْرَتِهَا، وَإما تَكَاسُلاً عَنْ إِحْصَائِهَا وَصَرْفِهَا فِي مَصَارِفِهَا.

وَأَمَّا نَقْصُ المَكَايِيلِ فَالْبَعْضُ مِنَ النَّاسِ حَمَلهُم الطَمعُ وَالجَشَعُ عَلَى الغِشِّ فِي المُعَامَلاتِ وَنَقْصِ المَكَايِيلِ وَالمَوَازِينِ وَبَخْسِ النَّاسِ أَشْيَاءَهِم، فَيَأْتِي عَلَى الأَكْيَاسِ وَالصَّنَادِيقِ وَيُفرِغُ مِنْهَا وَيَبِيعُهَا عَلَى النَّاسِ عَلَى أَنَّهَا تَامَّةٌ، وَهِي مَنْقُوصَةٌ مَبْخُوسَةٌ، وَبَائِعُو الخُضارِ وَالفَوَاكِهِ وَالتُّمُورِ يغِشُّونَ النَّاس فِي الصَّنَادِيقِ فَيَضَعُونَ

---

(١) رواه ابنُ ماجة (٤٠١٩).

الرَّدِيءُ فِي الأَسْفَلِ، وَالجَيِّدَ فِي الأَعْلَى، وَيَقُولُونَ كُلُّهُ مِنَ النَّوعِ الجَيِّدِ، وَقَدْ أَنْكَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَنْ فَعَلَ مِثْلَ هٰذَا وَزَجَرَهُ حِينَمَا مَرَّ عَلَى بَائِعِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ ﷺ فِيهِ، فَأَدْرَكَ فِي أَسْفَلِهِ بَلَلاً، فقَالَ: «مَا هٰذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَارَسُولَ اللهِ، يَعنِي: المَطَرُ فَقَالَ ﷺ: «أَفَلاَ جَعَلْتَهُ ظَاهِراً حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»[١].

فَقَدِ اعتَبَرَ ﷺ إِخْفَاءَ المَعِيبِ وَإِظْهَارَ السَّلِيمِ غِشّاً لِلْمُسْلِمِينَ وَتَبَرَّأَ مِنْ فاعِلِهِ، وَبَعْضُ البَاعَةِ يُغَرِّرُونَ بِالمُشْتَرِينَ الذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ أَقْيَامَ السِّلَعِ، وَيَثِقُونَ بِهِمْ، فَيَرْفَعُونَ عَلَيْهِمُ القِيمَة، وَيَغْبُنُونَهُمْ غُبْناً فَاحِشاً، وَكُل هٰذِهِ الجَرَائِمِ وغَيْرِهَا مِمَّا يَجْرِي فِي أَسْوَاقِ المُسْلِمِينَ تُسبِّبُ العُقُوبَاتِ الخَاصةَ وَالعَامَّةَ، وَمِنْ ذَٰلِكَ مَا تُشَاهِدُونَ مِنْ تَأَخُّرِ المَطَرِ الذِي بِهِ حَيَاتُكُمْ وَحَيَاةُ بَهَائِمِكُمْ وَحَيَاةُ زُرُوعِكُمْ وَأَشْجَارِكُم، قَالَ تَعَالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ [الفرقان: ٤٨-٥٠].

قَالَ الحَافِظُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الفرقان: ٥٠].

أَيْ: أَمْطَرْنَا هٰذِه الأَرْضَ دُونَ هٰذِهِ، وَسُقْنَا السَّحَابَ يَمُرُّ عَلَى الأَرْضِ وَيَتَعدَّاهَا وَيَتَجَاوَزُهَا إِلَى الأَرْضِ الأُخْرَىٰ، فيُمْطِرُهَا وَيَكْفِيهَا وَيَجْعَلهَا غَدَقاً، وَالتِي وَرَاءَهَا لَمْ يُنْزِل فِيهَا قَطْرَةٌ مِنْ مَاءٍ. وَلَهُ فِي ذَٰلِكَ الحُجةُ البَالِغَةُ وَالحِكْمَةُ القَاطِعَةُ. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ وابنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: لَيْسَ عَامٌ بِأَكْثَرَ مَطَراً مِنْ

---

(١) رواه مسلمٌ (١٠٢).

عَام وَلَكِنَّ اللهَ يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، ثُمَّ قَرَأَ هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان: ٥٠].

أَيْ: لِيَذَّكَّرُوا بِإِحْيَاءِ اللهِ الأَرْضَ المَيْتَةَ أَنَّهُ قَادِرٌ على إِحْيَاءِ الأَمْواتِ وَالعِظَامِ الرُّفاتِ، أَوْ لِيَذكرَ مَنْ مُنِعَ المَطَرَ إِنَّمَا أَصَابَهُ ذٰلِكَ بِذَنْبٍ أَصَابَهُ فَيُقْلِعَ عَمَّا هُوَ فِيهِ، فَالمَطَرُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ، قَالَ تَعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨ـ٧٠].

فَهُو الذِي أَنْزَلَ هٰذَا المَطَرَ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ، وَلَوْ شَاءَ لَحَبَسَهُ فَتَضَرَّرَ العِبَادُ وَهُو الذِي جَعَلَهُ عَذْباً فُرَاتاً سَائِغاً شَرَابُهُ، وَلَوْ شَاءَ جَعَلَهُ مِلْحاً أُجَاجاً لاَ يَصْلُحُ لِلشُّرْبِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ اللهَ أَرْشَدَنَا عِنْدَ احْتِبَاسِ المَطَرِ أَنْ نَسْتَغْفِرَهُ مِنْ ذُنُوبِنَا التِي بِسَبَبِهَا حَبَسَ عَنَّا المَطَرَ. قَالَ تَعالى حِكَايَةً عَنْ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ:

﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٢٥].

فَالإِكْثَارُ مِنَ الاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ سَبَبٌ لِنُزُولِ المَطَرِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ـ١٢].

أَيْ: إِذَا تُبْتُمْ إِلَى اللهِ وَاسْتَغْفَرْتُمُوه وَاَطَعْتُمُوهُ كَثَّرَ الرِّزْقَ عَلَيْكُم وَأسقَاكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَنْبَتَ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ، وَأنبتَ لَكُمُ الزَّرْعَ وَأَدر لَكُمُ الضَّرعَ، وَأَمَدَّكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجعلَ لَكُمْ جَنَاتٍ فِيهَا أَنواعُ الثِّمَارِ وَتَتَخَلَّلُهَا الأَنهارُ الجَارِيَةُ.

وَقَدْ شَرعَ النَّبِيُّ ﷺ لأُمَّتِهِ الاسْتِسْقَاءَ عِنْدَ احْتِبَاسِ المَطَرِ، وَذلِكَ بِالصَّلاةِ وَالدُّعاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلى اللهِ تَعَالَى، فَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ اسْتَسْقَىٰ عَلَى وُجُوهٍ: مِنْهَا أَنَّهُ اسْتَسْقَىٰ يَوْمَ الجُمُعَةِ عَلَى المِنْبَرِ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَتِهِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ وَعَدَ النَّاسَ يَوْماً يَخْرجُونَ فِيهِ إِلَى المُصَلَّىٰ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ رَكْعَتَيْنِ وَخَطَبَ وَدَعَا، مِمَّا يَدلُّ عَلَى أَنَّهُ مَطْلُوبٌ مِنَ المُسْلِمِينَ جَمِيعاً عِنْدَ امْتِنَاعِ المَطَرِ أَنْ يَحاسِبُوا أنفسهم وَيَتُوبُوا إِلَى رَبِّهِم، لأَنَّ ذٰلِكَ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيّ بنُ أَبِي طَالِبٍ: رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَا نَزَلَ بَلاَءٌ إِلاَّ بِذَنْبٍ، وَلاَ رُفِعَ بَلاَءٌ إِلاَّ بِتَوْبَةٍ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٢ـ٤٣].

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَتُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ، وَخُذُوا عَلَى أَيْدِي سُفَهَائِكُمْ بِأَمْرِهِمْ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ المُنْكَرِ. ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات: ١٠].

اللَّهُمَّ أَنْتَ الغَنِيُّ وَنَحْنُ الفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الغَيْثَ، ولا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَهُ عَلَيْنَا قُوَّةً لَنَا عَلَى طَاعَتِكَ وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً غَدَقاً، سحّاً طَبَقاً، عَامّاً نَافِعاً غَيرَ ضَارٍّ، هَنِيئاً مَرِيئاً عَاجِلاً غَيرَ آجِلٍ، اللَّهُمَّ سُقْيَا رَحْمَةٍ لاَ سُقْيَا عَذَابٍ وَلاَ هَدْمٍ وَلاَ غَرَقٍ، اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبِلاَدَكَ وَبَهَائِمَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ وَأَحْيِ بَلَدَكَ المَيِّتِ، اللَّهُمَّ إِنَّ بِالعِبَادِ وَالبِلاَدِ مِنَ اللَّأْوَاءِ وَالشِّدَّةِ وَالجَهْدِ وَالضِّيقِ وَالضَّنكِ مَا لاَ نَشْكُوهُ إِلاَّ إِلَيْكَ يَاسَمِيعَ الدُّعَاءِ. اللَّهُمَّ أَنبِتْ لَنَا الزَّرْعَ وَأَدرَّ لَنَا الضَّرْعَ، وَأَنزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ.

وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَهُ قُوَّةً لَنَا على طَاعَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ، فَإِنَّهمَا بِيَدَيْكَ وَلاَ يَمْلِكُهُمَا أَحَدٌ سِوَاك، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ.

(ثُمَّ يَقْلِبُ رِدَاءَهُ وَيَدْعُو سِرّاً مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ فيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا بِدُعَائِكَ وَوَعَدْتَنَا الإِجَابَةَ وَقَدْ دَعَوْنَاكَ كَمَا أَمَرْتَنَا فَاسْتَجِبْ لَنَا كَمَا وَعَدْتَنا).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نبينا مَحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

ثُمَّ يَنْصَرِفُ.

* * *

الخُطْبَةُ الأُولَى لِعِيدِ الفِطْرِ المُبَارَكِ

اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً. وَالحَمْدُ للهِ كَثِيراً، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً.

الحَمْدُ للهِ الذِي سَهَّلَ لِعِبَادِهِ طَرِيقَ العِبَادَةِ وَيَسَّرَ، وَجَعَلَ لَهُمْ عِيداً يَعُودُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ إِكْمَالِ صِيَامِهِمْ وَيَتَكَرَّرُ، وَوَاصَلَ لَهم مَواسِمَ الخَيْرَاتِ لِيُوفِيَهُمْ أُجُورَهَمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ الذِي لاَ يُحْصَرُ، فَمَا انقَضَىٰ شَهْرُ الصِّيَامِ إلاَّ وَأَعْقَبَهُ بِأَشْهُرِ الحَجِّ إِلَىٰ بَيْتِهِ المُطَهَّرِ.

أَحْمَدُهُ وَهُو أَحَقُّ أَنْ يُحْمَدَ وَيُشْكرَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً يَأْمَنُ مَنْ قَالَهَا وَعمِلَ بِمُقْتَضَاهَا يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَاحِبُ المَقَامِ المَحْمُودِ وَالكَوْثَرِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً إِلَى يَوْمِ البَعْثِ وَالمَحْشَرِ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَاشْكُرُوهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ إِكْمَالِ شَهْرِالصِّيَامِ، وَاسْأَلُوهُ أَنْ يتقَبَّلَ مِنْكُمْ مَا قَدَّمْتُمُوهُ فِيهِ مِنَ الصِّيَامِ وَالقِيَامِ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ مَا حَصَلَ مِنْكُمْ فِيهِ مِنْ تَقْصِيرٍ أَوْ إِجْرَامٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ هٰذَا اليَومَ يَومُ عِيدٍ يَفْرَحُ فِيهِ المُؤْمِنُونَ بِمَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيهِمْ مِنْ إِكْمَالِ شَهْرِ صِيَامِهِمْ وَقِيَامِهِمْ، وَتَمْكِينِهِمْ مِن اغْتِنَامِ فَضَائِلِهِ وَشَغْلِ أَوْقَاتِهِ بِالطَّاعَاتِ وَالقُرُبَاتِ، فَإِنَّ الفَرَحَ بِذلَكَ هُو الفَرَحُ المَشْرُوعُ.

وَأَمَّا الفَرَحُ بِنَيْلِ الشَّهوَاتِ الفَانِيَةِ وَالحُصُولِ عَلَى المَطَامِعِ العَاجِلَةِ فَهُو فَرَحٌ

مَذْمُومٌ غَيْر مَشْرُوعٍ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٥٨] .

فَهٰذَا اليَومُ يَوْمُ شُكْرٍ وَذِكْرٍ ، وَأَكْلٍ وَشُرْبٍ وَفِطْرٍ ، يَحْرُمُ صَومُهُ لِمَا فِي صَوْمِهِ مِنَ الإِعْرَاضِ عَنْ ضِيَافَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ حَيْثُ شَرَعَ الإِفْطَارَ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ كَانَ لَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا ، فَقَالَ : «إِنَّ اللهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ يَوْمَيْنِ خَيْراً مِنْهُمَا : يَوْمَ الفِطْرِ وَيَوْمَ الأَضْحَى» .

فَأَبْدَلَ اللهُ هٰذِهِ الأُمَّةَ بِيَوْمَي اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ يَوْمَي الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ وَالمَغْفِرَةِ وَالعَفْوِ .

فَفِي الدُّنْيَا لِلمُؤْمِنِينَ ثَلاثَةُ أَعْيَادٍ كُلُّ عِيدٍ مِنْهَا يَأْتِي بَعْدَ اسْتِكْمَالِ عِبَادَةٍ مِنَ العِبَادَاتِ العَظِيمَةِ فِي الإِسْلَامِ .

فَعِيدٌ يَتَكَرَّرُ كُلَّ أُسْبُوعٍ ، وَهو يَوْمُ الجُمعةِ : فَهُو عِيدُ الأُسْبُوعِ ، جَعلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ يَأْتِي بَعْدَ اسْتِكْمَالِ الصَّلَواتِ المَكْتُوبَاتِ فِي الأُسْبُوعِ ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ عَلَى المُسْلِمِينَ فِي كُلِّ يَومٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسَ صَلَوَاتٍ ، فَإِذَا اسْتَكْمَلَ المُسْلِمُونَ صَلَوَاتِ الأُسْبُوعِ ، جَاءَ يَوْمُ الجُمُعَةِ الذِي جَعَلَهُ اللهُ عِيداً لِلأُسْبُوعِ ، وَشَرَعَ فِيهِ صَلاَةً عَظِيمَةً يَجْتَمِعُ لَهَا المُسْلِمُونَ ، وَيَسبقُهَا خطْبَتَانِ تَشْتَمِلاَنِ عَلَى حَمْدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالشَّهَادةِ لَهُ بِالوَحْدَانِيَّةِ وَلِنَبِيِّهِ ﷺ بِالرِّسَالَةِ ، وَتَشْتَمِلاَنِ عَلَى الوَعْظِ وَالتَّذكِيرِ ، كَمَا أَنَّ يَومَ الجُمُعَةِ هُو اليَومُ الذِي أُكْمِلَ فِيهِ الخَلْقُ وَفِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ ، وَأُخْرِجَ مِنْهَا ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ وَتَنْتَهِي الدُّنْيَا .

فَهُو يَومٌ تَجْتَمِعُ فِيهِ خَصَائِصُ ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى فَضَائِلَ ، وَقَدْ خَصَّ اللهُ بِهِ هٰذِهِ الأُمةَ وَأَضَلَّ عَنْهُ الأُمَمَ قَبلَهَا ، وَهُو عِيدٌ لإِكْمَالِ الصَّلَواتِ المَكْتُوبَةِ التِي هِي الرُّكْنُ الثَّانِي مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ ، بَلْ هِي أَعْظَمُ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ .

وعِيدُ الفِطْرِ المُبَارَكِ يَأْتِي بَعْدَ اسْتِكْمالِ صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ الذِي جَعَلَهُ اللهُ الرَّكْنَ الرَّابِعَ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ بَعْدَمَا اسْتَكْمَلَ المُسْلِمُونَ صِيَامَ شَهْرِهِمْ المَفْرُوضَ عَلَيْهِمْ، وَاسْتَوْجَبُوا مِنَ اللهِ المَغْفِرَةَ وَالعِتْقَ مِنَ النَّارِ، فَإِنَّ صِيَامَهُ يُكَفِّرُ اللهُ بِهِ مَا مَضَىٰ مِنَ الذُّنُوبِ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ، وَلَمَّا اسْتَكْمَلُوه شَرَعَ اللهُ تعالَى اللهُ عَقِبَهُ عِيداً يَجْتَمِعُونَ فِيهِ عَلَى شُكْرِ اللهِ وَذِكْرِهِ وَتَكْبِيرِهِ عَلَى مَا هَدَاهُمْ لَهُ، وَهُو يومُ الجَوَائِزِ، يُسْتَوفَى فِيهِ الصَّائِمُونَ أَجْرَ صِيامِهِمْ وَيَرْجِعُونَ إِلَى بُيوتِهم بِالمَغْفِرَةِ وَالرِّضْوَانِ.

عِبَادَ اللهَ: وَمِنْ أَعْظَمِ ما شَرَعَ اللهُ فِي هٰذَا اليَوْمِ صَلَاةُ العِيدِ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ مَشْرُوعِيَّتِهَا: الكِتابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ المُسْلِمينَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ـ١٥].

قَالَ بَعْضُ العُلَمَاء (تزَكَّىٰ): أَيْ: أَخْرَجَ صَدَقَةَ الفِطْرِ، وَ(صَلَّى): أَدَّى صَلَاةَ العِيدِ، وَأَمَر النَّبِي ﷺ بالخُروجِ إِلَيْهَا، حَتَّى النِّسَاءُ يَخْرُجْنَ إِلَيْهَا مِن بُيُوتِهِنَّ يَشْهَدْن الخَيْرَ وَدَعْوةَ المُسْلِمينَ.

قَالَتْ أُمُّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كُنَّا نُؤْمَرُ أَنْ نَخْرُجَ يومَ العِيدِ، حَتَّى تخْرُجَ البِكْرُ مِنْ خدْرِهَا، وحَتَّى تَخْرُجَ الحُيَّضُ فَيكنَّ خَلْفَ النِّسَاءِ فَيُكَبِّرْنَ بِتَكْبِيرِهِمْ، وَيَدْعُونَ بِدْعَائِهِمْ، يَرْجُونَ بَرَكَةَ ذٰلِكَ اليَومِ وَطُهْرَتَهُ.

فَالخُرُوجُ لِإِدَاءِ صَلاةِ العِيدِ عَلَىٰ هٰذَا النَّمَطِ المَشْهُودِ مِنَ الجَمِيعِ فِيهِ إِظْهَارٌ لِشِعَارِ الإِسْلَامِ. فَصَلَاةُ العِيدِ مِنْ أَعْلَامِ الدِّينِ الظَّاهِرَةِ، لَوْ تَرَكَهَا أَهْلُ بَلَدٍ مَعَ اسْتِكْمَالِ شُرُوطِ إِقَامَتِهَا فِيهِمْ وَجَبَ عَلَى إِمَامِ المُسْلِمِينَ قِتَالُهُمْ.

وَيَنْبَغِي أَنْ تُؤَدَّىٰ صَلَاةُ العِيدِ فِي صَحْرَاءَ قَرِيبَةٍ مِنَ البَلَدِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّيهَا خَارِجَ البَلَدِ، وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّاهَا فِي المَسْجِدِ لِغَيْرِ عُذْرٍ. لأَنَّ فِي

أَدائِهَا خَارِجَ البَلَدِ إِظْهَاراً لِهَيْبَةِ المُسْلِمِينَ، وَإِعْلاَناً لِشِعَارِ الإِسْلاَمِ، وَلِحُصُولِ الأَجْرِ لِلْمُصَلِّين، وَلِتَمْكِينِ العَدَدِ الكَبِيرِ مِنْ حُضُورِهَا إِلَى غَيْرِ ذلِكَ مِنَ المَصَالِح وَالحِكَم. فَهِيَ مَظْهَرٌ عَظِيمٌ مِنْ مَظَاهِرِ الإِسْلاَمِ، لاَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِم أَنْ يَتَكَاسَلَ عَنْ حُضُورِهَا، وَينعَزِلَ عَنْ جَمَاعة المُسْلِمِينَ.

وَالعِيدُ الثَّالِثُ مِنْ أَعْيَادِ الإِسْلاَمِ التِي شَرَعَهَااللهُ عِيْدُ الأَضْحَىٰ، وَهُو أَكْبَرُ الأَعْيَادِ الإِسْلاَمِيَّةِ وَأَفْضَلُهَا.

شَرَعهُ اللهُ بَعْدَ إِكْمَالِ الحجِّ الذِي هو الرُّكْنُ الخَامِسُ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلام وَمَبَانِيهِ العِظَام، وَهَكَذَا نَجِدُ الأَعْيَادَ الإِسْلاَمِيَّةَ تَأْتِي بَعْدَ اسْتِكْمَالِ العِبَادَاتِ، وَيُسرَعُ فِيهَا أَنْواعٌ مِنَ الطَّاعَاتِ، شُكْراً للهِ سُبْحَانَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ. وَلَيْسَ فِي الإِسْلاَم أَعْيَادٌ غَيْرُ هٰذه الأَعْيَادِ الثَّلاَثَةِ، لاَ أَعْيَادُ المَوَالِدِ، ولا الأعيادُ الوطنيةُ، ولا أعيادُ الذِّكرياتِ والأحداثِ والانتصارات، لأن في ذلك ابتداعاً فِي الدِّينِ أَوْ تَشَبُّهاً بِالْكُفَّارِ وَالمُشرِكِينَ. فَكَمْ حَصَلَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الانْتِصَارَاتِ العَظِيمَةِ وَلَمْ يُحْدِثُوا لِذَلِكَ أَعْيَاداً لَمْ يَشْرَعْها اللهُ وَلا رَسُولُهُ.

وَاعْلَمُوا ـ عِبَادَ اللهِ ـ أَن الأَعْيَادَ لَمْ تُجْعَلْ لِلَّهْوِ وَاللَّعِبِ، وَإِنَّمَا جُعِلَتْ لإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ والإِكْثَارِ من الاسْتِغْفَارِ، فَعِيدُنَا ـ أَهْلَ الإِسْلاَمَ ـ لَيْسَ كَعِيدِ الكُفَّارِ، جُعِلَ لِلْفَخْرِ والاسْتِكْبَارِ، وَأَنما جُعِلَ لإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ وَالخُضُوع لَهُ وَشكْرِهِ عَلَى اسْتِكْمَالِ الصِّيَامِ وَالقِيَام وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ ببذْلِ الصَّدَقَاتِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ السَّعِيدُ مَنْ أَدْرَكَ العِيدَ، وَجَمَّلَ ظَاهِرَهُ بِاللِّبَاسِ الجَدِيدِ، وَمَلأَ بَطْنَهُ بِأَنْواعِ الطَّعَامِ، وَأَطْلَقَ لِسَانَهُ بِالمِزَاحِ وَالضَّحِكِ وَكَثْرَةِ الكَلاَم. وَإِنَّمَا السَّعِيدُ مَنْ تَقَبَّلَ اللهُ صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ، وَغَفَرَ لَهُ ذُنُوبَهُ وَإِجْرَامَهُ. وَتَزَكَّىٰ وَصَلَّىٰ صَلاَةَ

العِيدِ فِي خِتَامِ صِيَامِهِ، وَرَجَعَ مِنْ مُصَلاَّهُ بِجَائِزَةِ الرَّبِّ وَإِكْرَامِهِ.

عِبَادَاللهِ: تَذَكَّرُوا مَنْ صَلَّى مَعَكُمْ فِي مِثْلِ هٰذَا اليَوْمِ مِنَ الأَعْوامِ المَاضِيَةِ مِنْ آبَائِكم وَأَقْرِبَائِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ المُسْلِمِينَ مِمَّنْ رَحَلُوا عَنْ هٰذِه الدُّنْيَا وَلَمْ يَسْتَصْحِبُوا مِنهَا سِوَىٰ مَا قَدَّمُوا مِنْ أَعْمَال. وَتَرَكُوا الدُّورَ وَالقُصُورَ وَالأَمْوالَ، لَمْ تَمْنَعْهُم مِنَ المَوْتِ أَمْوَالٌ وَلاَ جُنُودٌ وَلاَ حُصُونٌ، وَلاَ يَنْفَعُهُم عِنْدَ اللهِ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ، إلاَّ مَنْ أَتَىٰ اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

فَلاَ تَغُرَّنكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَلاَ مَا تَرَوْن فِي هٰذَا اليَوم مِنْ مَظَاهِرِ الزِّينَةِ، فَإنَّ الزِّينَةَ الحَقِيقِيَّةَ زِينَةُ التَّقْوَىٰ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

نَظَرَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ إِلَى زِينَةِ النَّاسِ يَوْمَ العِيدِ، فَقَالَ: هَلْ تَرَوْنَ إلاَّ خِرَقًا تَبْلَى، وَلَحْماً يَأْكُلُهُ الدُّودُ غَداً.

وَرَأَىٰ آخَرُ قَوْمَاً يَضْحَكُونَ فِي يَوْمِ عِيدِ الفِطْرِ، فَقَالَ: إنْ كَانَ هؤُلاَءِ تُقُبِّلَ مِنهُمْ صِيَامُهُمْ فَمَا هٰذَا فِعْلُ الشَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانُوا لمْ يتقبَّلْ مِنهُمْ صِيَامُهُم فَمَا هَذَا فِعْلَ الخَائِفِينَ.

فَاتقوا اللهَ وَاسْتَحْضِرُوا عَظَمَةَ هٰذَا العِيدِ، وَتَأَمَّلُوا لأَيِّ شَيءٍ جُعِلَ، وَمَاذَا شُرِعَ فِيهِ؟ وَتَذَكَّرُوا بِمُرُوره وَتكرُّرِهِ عَلَيْكُمْ انْقِضَاءَ أَعْمَارِكُمْ، وَانْتِهَاءَ آثَارِكُمْ، وَخَتْمَ أَعْمَالِكُمْ، وَحُضُورَ آجَالِكُمْ. فَتَزَوَّدُوا بِالتَّقْوىٰ لِلسَّفَرِ البَعِيدِ.

الذي قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق: ١٩-٢٢].

وَتَذكَّرُوا بِاجْتِمَاعِكُمْ هٰذَا الاجْتِمَاعَ الأَكْبَرَ، عَلَى أَرْضِ المَحْشَرِ: ﴿ وَذَٰلِكَ

يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴿١٠٤﴾ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٣ - ١٠٧].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

* * *

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ لِعِيدِ الفِطْرِ المُبَارَكِ

اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. ـ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ. وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ. وللهِ الحَمْدُ. الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعلَه نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ نَقَلَهُ فِي الخَلْقِ حَتَّى تَكَامَلَ جِسْمُهُ وَحَوَاسُّهُ وَسَمْعهُ وَبَصَرُهُ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المَبْعُوثُ رَحْمَة لِلْعَالَمِينَ: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمَةِ الإِسْلاَمِ حَيْثُ هَدَاكُمْ إِلَيْهِ، وَجَعَلَكُمْ بِهِ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَقُومُوا بِوَاجِبَاتِهِ، وَتَجَنَّبُوا مَا يُخَالِفُهُ وَيُنَاقِضُهُ أَوْ يَنْقِصُهُ، وَتَمَسَّكُوا بِهِ تَكُونُوا مِنَ المُفْلِحِينَ، و تَبْتَغُوا دِيناً غَيْرَهُ فَتَكُونُوا مِنَ الهَالِكِينَ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَانْظُرُوا إِلَى الأُمَمِ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ وَمَا تَعِيشُ فِيهِ مِنْ جَاهِلِيَّةٍ جَهْلاَءَ، وَضَلاَلاَتٍ عَمْيَاءَ، وَدِيانَاتٍ بَاطِلَةٍ، وَمَذَاهِبَ مُنْحَرِفَةٍ، وَحِزْبِيَّاتٍ مُتَطَاحِنَةٍ، وَطَوَائِفَ مُتَنَاحِرَةٍ، وَصَدَقَ اللهُ سُبْحَانَهَ إِذْ يَقُولُ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٧].

وَهٰذِهِ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ أَنَّ مَنْ تَرَكَ الحَقَّ ابْتُلِيَ بِالبَاطِلِ.

﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

وَلاَ يعْرِفُ هٰذَا إلاَّ مَنْ عَاشَ فِي نَعْمَةِ الإسْلاَمِ، فَالضِّدُّ يُظْهِرُ حسنه الضِّد، وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الأَشْيَاءُ، إِنَّهُ لاَ يَعْرِفُ قَدْرَ الصِّحةِ إلاَّ مَنْ عَرَفَ حَالَةَ المَرْضَىٰ، وَلاَ يَعْرِفُ فَضْلَ النُّورِ إلاَّ مَنْ وَقعَ فِي الظُّلْمَةِ.

ثُمَّ اعْلَمُوا ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ أَنَّ الإسْلاَمَ لَيْسَ بِالتَّسَمِّي وَالانْتِسَابِ مِنْ غَيْرِ التزَامٍ لأَحْكَامِهِ، وَقِيَام بَوَاجِبَاتِهِ، وَابْتِعَادٍ عَنْ مُنَاقضَاتِهِ وَمُنَقصَاتِهِ.

إِنَّ لِلإِسْلاَمِ أَرْكَاناً وَشَرَائِعَ وَسُنَناً، فَهُو يَشْمَلُ عِبَادَةَ الخَالقِ، وَالإحْسَانَ إِلَى المَخْلُوقِ.

فَالْمُسْلِمُ مَنْ أَدَّىٰ الوَاجِبَاتِ وَاجْتَنَبَ المُحَرَّمَاتِ، فَشَهِدَ أَنْ لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَأَقَامَ الصَلاَةَ وَأَتىٰ الزَّكَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ وَحَجَّ بَيْتَ اللهِ الحَرَامَ، وَأَمَرَ بِالْمَعْروفِ وَنَهىٰ عَنِ المُنْكرِ.

المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ فِي دِمَائِهِمْ وَأَموَالِهِم وَأَعْرَاضِهِمْ، فَاحْذرُوا قَتْلَ النَّفْسِ التِي حَرَّمَ اللهُ قَتْلَهَا إلاَّ بِالْحَقِّ، وَاحْذَرُوا أَذِيَّةَ المُسْلِمِينَ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الأَذَىٰ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: غُضُّوا مِنْ أَبْصَارِكُمْ، فَإِنَّ النَّظَرَ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ، يَزْرَعُ الشَّهْوةَ فِي القَلْبِ، وَيَجُرُّ إِلَىٰ الوُقُوعِ فِي الفَوَاحِشِ، وَاحْذَرُوا الإسْبَالَ فِي الثِّيَابِ وَالبشُوتِ وَالأُزُرِ وَالسَّرَاوِيلِ، فَإِنَّ مَا كَانَ مِنْهَا أَسْفَلَ الكَعْبَيْنِ نَازِلاً فَهُو فِي النَّارِ، وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاضُعِ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المُسْتَكبِرِينَ، وَأَلْزِمُوا نِسَاءَكُمْ بِالسِّتْرِ وَالحِجَابِ وَالابْتِعَادِ عَنْ مُخَالَطَةِ الرِّجَالِ وَالخُلْوةِ مَعَ السَّائِقِ

وَالخَادِمِ، فَإِنَّهُ «مَا خَلاَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ لاَ تَحِلُّ لَهُ إلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ».

﴿ ۞أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١ ـ ١٨٣].

وَاحْذَرُوا الغِشَّ فِي بَيْعِكُمْ وَشِرَائِكُمْ وَمُقَاوَلاَتِكُمْ وَسَائِرِ أَعْمَالِكُمْ، فَإِنَّ الغِشَّ ظُلْمٌ، وَالظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ غَشَّ المُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، كَمَا جَاءَ بِذَلِكَ الحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِيَّاكُمْ وَالفُجُورَ فِي الخُصُومَاتِ وَالتَّسَاهُلَ بِالأَيْمَانِ وَالشَّهَادَاتِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وَاحْذَرُوا أَخْذَ الرِّشْوَةِ، وَأَكْلَ الرِّبَا، وَأَكْلَ مَالِ اليَتِيمِ، فَإِنَّهَا مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَهِيَ أَخْبَثُ المَكَاسِبِ المُوجِبَةِ لِغَضَبِ اللهِ وَلَعْنَتِهِ وَنَارِهِ، وَهِيَ سُحْتٌ وَمَحْقٌ، تُدَمِّرُ المُجْتَمَعَاتِ، وَتَقْضِي عَلَى الفَضَائِلِ وَالحَسَنَاتِ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَعَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ فَإِنَّ يَدَ اللهِ عَلَى الجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ.

إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا صلوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ.

اللَّهم أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالمُسْلِمِينَ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ الدِّينِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ هٰذَا البَلَدَ آمِناً مُطْمَئِناً وَسَائِرَ بِلاَدِ المُسْلِمِينَ عَامَّةً يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

عِبادَ اللهِ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٠ ـ ٩١].

* * *

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ لِعِيدِ النَّحْـرِ

اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرَاً. وَالحَمْدُ للهِ كَثِيرَاً، وَسُبْحَانَ اللهِ بكْرَةً وَأَصِيلاً، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، وللهِ الحَمْدُ. اللهُ أَكْبَرُ كُلَّمَا أَحْرَمُوا مِنَ المِيقَاتِ. وَكُلَّما لَبَّىٰ المُلَبُّونَ وزيدَ فِي الحَسَنَاتِ. اللهُ أَكْبَرُ كُلَّمَا دَخَلُوا فِجَاجَ مَكَّةَ آمِنِينَ، وَكُلَّمَا طَافُوا بِالبَيْتِ الحَرَامِ وَسَعَوْا بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، ذَاكِرِينَ اللهَ مُكَبِّرِينَ.

اللهُ أَكْبَرُ كُلَّمَا وَقَفُوا بعَرَفَةَ خَاضِعِينَ مُهَلِّلِينَ وَدَاعِين. . اللهُ أَكْبَرُ كُلَّمَا وَقَفُوا بِالمَشْعَرِ الحَرَامِ ذَاكِرِينَ. . اللهُ أَكْبَرُ كُلَّمَا رَموا الجَمَرَاتِ محلِّقِينَ رُؤُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ.

اللهُ أَكْبَرُ كُلَّمَا سَالَتْ مِنْهُمُ العَبَرَاتُ خَاشِعِينَ، لِرَبِّهِم رَاجِينَ وَخَائِفِينَ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ وَللهِ الحَمْدُ.

الحَمْدُ للهِ الذِي شَرَعَ لِعِبَادِهِ عِيدَاً يَذْكُرُونَهُ فِيهِ، وَيَشْكُرُونَهُ عَلَى فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ يَسْتَوِي عِنْدَهُ مَا فِي سِرِّ العَبْدِ وَإِعْلاَنِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ اللهُ لِتَبْلِيغِ الحَقِّ وَتِبْيَانِهِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا وَالذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا. وَسَلَّمَ تَسْلِيمَاً كَثِيرَاً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ العَظِيمةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ يَومَكُم هٰذَا هُو يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ، جَعَلَه عِيدَاً لأَهْلِ الإِسْلاَمِ، يَأْتِي بَعْدَ يَوْمِ عَرَفَةَ

الذِي يُؤَدِّي الحُجَّاجُ فِيهِ الرُّكْنَ الأَعْظَمَ مِنْ أَرْكَانِ الحَج، كَمَا قَالَ ﷺ: «**الحَجُّ عَرَفَةُ**»[1]. وَيَومُ عَرَفَةَ: هُو يَوْمُ العِتْقِ مِنَ النَّارِ، يَعْتِقُ اللهُ فِيهِ مَنْ وَقَفَ بعَرفَةَ، وَمَنْ لَمْ يَقِفْ بِهَا مِن المُسْلِمِينَ مِمَّنْ تَقَبَّلَ اللهُ تَوْبَتَهُ. وَصَلَحَتْ أَعْمَالُهُ وَنِيَّتُهُ.

فَلِذٰلِكَ صَارَاليَومُ الذِي يَلِيهِ عِيداً لِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ أَمْصَارِهِمْ مِنَ الحُجَّاجِ وَغَيْرِهِمْ، لاشْتِرَاكِهِمْ فِي العِتْقِ وَالمَغْفِرَةِ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، فَكَمَا اشْتَرَكُوا فِي المَغْفِرَةِ وَالعِتْقِ مِنَ النَّارِ يَشْتَرِكُونَ فِي هٰذَا العِيدِ الذِي يَتقرَّبُونَ فِيهِ بِذبْحِ القَرَابِينِ مِنَ الهَدْيِ وَالأَضَاحِي.

فَالحُجاجُ يَرْمُونَ فِيهِ الجَمْرَةَ وَيَشْرَعُونَ فِي التَّحَلُّلِ مِنْ إِحْرَامِهِمْ وَيقْضُونَ تَفَثَهمْ، وَيُوفُونَ نُذُورَهُمْ، وَيَطُوفُونَ بالبَيْتِ العَتِيقِ. وَأَهْلُ الأَمْصَارِ يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللهِ وَتَكْبِيرِهِ، وَيُؤَدُّونَ صَلاَةَ العِيدِ فِي جَمْعٍ حَاشِدٍ، وَفِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَذْبَحُونَ بَعْدَ ذٰلِكَ ضَحَايَاهُمْ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَجْعَلَ شُكْرَهُ عَلَىٰ إِعْطَائِهِ الكَوْثَرَ أَنْ يُصَلِيَ لِرَبِّهِ وَيَنْحَرَ.

فَمِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الأَيَّامِ المُبَارَكَةِ ذَبْحُ الهَدْيِ لِلْحُجَّاجِ، وَذَبْحُ الأَضَاحِي لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ حُجَّاجٍ وَغَيْرِهِم.

وَالأَضَاحِي سُنَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِما وَسَلَّمَ وَعَلَىٰ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ شَرَعَها لإِبْرَاهِيمَ حِينَ فَدَىٰ ابْنَهُ الذِي أَمَرَهُ اللهُ بِذَبْحِهِ امْتِحَاناً لَهُ، فَبَادَرَ بِامْتِثَالِ أَمْرِ رَبِّهِ ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣].

وَرَوَىٰ ابْنُ مَاجه وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ زِيدِ بن أَرْقَمَ: قِيلَ: يَارَسُولَ اللهِ، مَا هٰذِهِ الأَضَاحِي؟ قَالَ: «**سُنَّةُ إِبْرَاهِيمَ**»، قِيلَ لَهُ: فَمَا لَنَا بِهَا؟ قَالَ: «**بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَةٌ**».

---

(١) رواه أبو داود (١٩٤٩)، والترمذيّ (٨٨٩) وغيرهما.

قِيلَ: فَالصُّوفُ؟ قَالَ: «لِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنَ الصُّوفِ حَسَنَةٌ»(١)، وَضَحَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ، أَحَدهُمَا عَنْ مَحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَالآخَرُ عَنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ.

فَبَادِرُوا رَحِمَكُمُ اللهُ بِإِحْيَاءِ سُنَّةِ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ، فَإِنَّ بَعْضَ العُلَماءِ يَرَىٰ أَنَّ الأُضْحِيَةَ وَاجِبَةٌ عَلَى ذَوِي اليَسَارِ، وَالجُمْهُورُ يَرَوْنَ أَنَّهَا سُنَّةٌ، وَهُو القَوْلُ المُخْتَارُ، وَهِي أَفْضَلُ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ المُسْلِمُ فِي هٰذَا اليَومِ. وَذَبْحُهَا أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ بِثَمَنِهَا، لأنَّ فِي ذَبْحِهَا إِحْيَاءً لِلسُّنَّةِ.

وَأَفْضَلُ الأَضَاحِي أَكْرَمُهَا وَأَسْمَنُهَاوَأَغْلاَها ثَمَناً، وتجزىءُ الشاةُ عنِ الرجل وأهلِ بيتِهِ، والبدنةُ والبقرةُ عن سبعةٍ.

وَالمُجزِىءُ منَ الضَّأْنِ مَا تَمَّ لَهُ سِتَّةُ أَشْهُرٍ فَأَكْثَرُ، وَمِنَ المَعْزِ مَا تَمَّ لَهُ سَنَةٌ، وَمِن البَقَرِ مَا تَمَّ لَهُ سَنَتَانِ، وَمِنَ الإِبلِ مَا تَمَّ لَهُ خَمْسُ سِنِينَ، وَاجْتَنِبُوا ذَوَاتِ العُيوبِ، فَإِنَّهَا لاَ تُجْزِىءُ فِي الأَضَاحِي.

فَلاَ تُجزِىءُ العَوْرَاءُ البَيِّنُ عَوَرُهَا، وَلاَ العَرْجَاءُ البَيِّنُ عَرَجُهَا، وَهِي التِي لاَ تَطِيقُ المَشْيَ مَعَ الصِّحَاحِ، وَلاَ المَرِيضَةُ البَيِّنُ مَرَضُهَا، وَلاَ الهَزِيلَةُ التِي لاَ مُخَّ فِيهَا، وَلاَ العَوْرَاءُ التِي اسْتَبَانَ عَوَرُهَا، وَلاَ العضْبَاءُ التِي قطِعَ أَكْثَرُ قَرْنِهَا أَوْ أُذُنِهَا، وَلاَ الهَتْمَاءُ التِي ذَهَبَتْ ثَنَايَاهَا وَاقتُلِعَتْ مِنْ أُصُولِهَا.

وَتُجْزِىءُ الجَمَّاءُ وَالصَّمْعَاءُ وَهِي صَغِيرَةُ الأُذُنِ، أَو التِي لَمْ يُخْلَقْ لَهَا أُذنٌ. وَتُجزِىءُ البَتْرَاءُ، وَهِي التِي قطِعَ ذَنَبُهَا أَوْ لَمْ يُخلَقْ لَهَا ذَنبٌ. وَيُجْزِىءُ الخَصِيُّ وَهُو مَا قطِعَتْ خِصْيَتهُ، وَالسُّنَّةُ نَحْرُ الإِبلِ قَائِمَة معقُولَةَ يَدُهَا اليُسْرَىٰ، يَطْعنها فِي

(١) رواه ابن ماجة (٣١٢٧). قال البوصيري: هذا إسنادٌ فيه أبو داود، واسمُه نفيع بن الحارث، وهو متروكٌ.

وَهدِتهَا، وَهِي مَا بَيْنَ أَصْل العُنُقِ وَالصَّدْرِ، وَيَذْبَحُ الغَنَمَ وَالبَقَرَ مُضَّجِعَةً عَلَى الأَرْضِ عَلَى جَنْبِهَا الأَيْسَرِ، وَيَقُولُ عِنْدَ الذَّبْحِ: بِسْمِ اللهِ، اللهُ أَكْبَرُ، اللَّهُم إِنَّ هَذَا مِنْكَ وَلَكَ، وَيَتَلَفَّظُ بِالنِّيةِ، فَيَقُولُ: عَنْ فُلَانٍ، يَرْفُقُ بِالحَيَوانِ بِأَنْ يُحْسنَ الذَّبحَ، وَيَحِدُّ الشَّفْرَةَ وَهِي السِّكين التِي يَذْبَحُ بِهَا فِي مَكَان لاَ تَرَاهُ البَهِيمَةُ الأُخْرَىٰ وَلاَ يَذْبَحُ بِآلَةٍ كَالَّةٍ، وَيَجِبُ قَطْعُ المَرِيءِ، وَهُو مَجْرَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ. وَالحُلقُومِ، وَهُو مَجْرَىٰ التَّنَفُّسِ. وَأَحَدِ الوَدجَيْنِ أَوْ كِلَيْهِمَا، وَهُمَا - أَي: الوَدجَانِ - عِرْقَانِ فِي جَانِبَي العُنُقِ يَجْرِي مَعَهُمَا الدَّمُ..

وَالسُّنَّةُ أَنْ يُقَسِّمَ لَحْمَ الأُضْحِيَةِ أَثْلاَثاً، فَيَأْكُلُ ثُلُثاً، وَيهْدِي إِلَى أَصْدِقَائِهِ ثُلُثاً، وَيَتَصَدَّقُ بِثُلُثٍ عَلَى الفُقَرَاءِ، وَوَقْتُ الذَّبح مِن انْقِضَاءِ صَلَاةِ العِيدِ إِلَى آخِرِ اليَوْمِ الثَّالِثِ بَعْدَ يَوْمِ العِيدِ، أَيْ: يَوْمُ العِيدِ وَثَلاثَةُ أَيَّام بَعْدَهُ، فَيَنْتَهِي وَقْتُ الذَّبحِ بِغُرُوبِ الشَّمسِ مِنَ اليَومِ الثَّالِثَ عَشرَ مِنْ ذِي الحَجَّةِ، وَالأَفْضَلُ أَنْ يَذْبَحَهَا يَوْمَ العِيدِ، وَأَنْ يَتَوَلَّىٰ ذَبحَ أُضْحِيَتِهِ بِنَفْسِهِ، وَيَجُوزُ لَهُ أَنْ يُوَكِّلَ مَنْ يَذْبَحُهَا عَنْهُ بِحَضُورِهِ أَوْ فِي غَيْبَتِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ فَإِنَّهُ لاَ يَجوزُ لَهُ أَنْ يَأْخذَ شَيْئاً مِنْ شَعْرِهِ وَلاَ مِنْ أَظْفَارِهِ إِلَى أَنْ يَذْبَحَ أُضْحِيتَهُ أَوْ يَذْبَحهَا وَكِيلُهُ.

اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، وللهِ الحَمْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمُ اليَومَ فِي يَوْم مِنْ أَعْظَمِ الأَيَّامِ، فِي يَوْمِ عِيدٍ مِنْ أَعْيَادِ الإِسْلَامِ، وَأَعْيَادُ الإِسْلَامِ كُلهَا تَأْتِي بَعْدَ أَدَاءِ رُكنٍ مِنْ أَرْكَانِهِ العِظَامِ.

وَعِيدُ اليَومِ بَعْدَ أَدَاءِ رُكْنِ الحَجِّ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ العَتِيقِ، تَنْزِلُ المَغْفِرَةُ وَالعِتْقُ مِنَ النَّارِ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ العِيدُ لِمَنْ لَبِسَ الجَدِيدَ، وَتجمل فِي ظَاهِرِهِ مَعَ خَرَابِ بَاطِنِهِ.

وَلَكِنَّ العِيدَ لِمَنْ أَطَاعَ اللهَ ظَاهِراً وَبَاطِناً، وَخَافَ يَوْمَ الوَعِيدِ، وَلَيْسَ الفَرَحُ

بِالعِيدِ مِنْ أَجْلِ حُصُولِ المَآكِلِ وَالمَشَارِبِ وَالمَلاَبِسِ الفَاخِرَةِ وَالمَرَاكِبِ الفَخْمَةِ، وَلكِنَّ الفَرَحَ بِالعِيدِ مِنْ أَجْلِ نَيْلِ المَغْفِرَةِ، وَالعِتْقِ مِنَ النَّارِ، وَأَدَاءِ الطَّاعَاتِ، فَمَنْ نَالَ مِنْ ذلِكَ شَيْئاً فَهذَا اليَومُ لَهُ عِيدٌ سَعِيدٌ. وَإِلاَّ فَهُو مَطْرُودٌ بَعِيدٌ. قَالَ الحَسَنُ رَحِمَهُ اللهُ: كُلُّ يَومٍ لاَ نَعْصِي اللهَ فِيهِ فَهُو عِيدٌ، كُلُّ يَوْمٍ يَقْطَعُهُ المُؤْمِنُ فِي طَاعَةِ اللهِ وَذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ فَهُو لَهُ عِيدٌ.

وَإِذَا كَانَتِ الأُمَمُ وَالشُّعوبُ غَيْرُ المُسْلِمَة تَتَّخِذُ لَهَا أَعْيَاداً تَخْتَرِعُهَا وَتَبْتَدِعُهَا لِمُنَاسَبَاتٍ تَافِهَةٍ أَوْ مَنَاسَبَاتٍ بَاطِلَةٍ كُفْرِيَّةٍ شِرْكِيَّةٍ، فَإِنَّ أَعْيَادَ المُسْلِمينَ إِنَّمَا جَعلَهَا اللهُ لِمُنَاسَبَاتٍ عَظِيمَةٍ، وَبَعْدَ انْقِضَاءِ مَوَاسِمَ جَلِيلَةٍ، فَهِي تَأْتِي بَعْدَ أَدَاءِ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ وَنُزُولِ المَغْفِرَةِ وَالإِنْعَامِ.

فَاحْمُدُوا اللهَ وَاشْكُرُوهُ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج: ٣٤ـ٣٧].

اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، وللهِ الحَمْدُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، وللهِ الحَمْدُ.

الحَمْدُ للهِ مُعيدِ الجُمَعِ وَالأَعْيَادِ، لِيُفِيضَ فِيهَا مِنَ الخَيْرَاتِ عَلى العِبَادِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَدَّخِرُهَا لِيَوم المِعَادِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَقدْوَةً لِلْعَاملينَ، فَبَلَّغَ الرِّسالةَ وَأَدَّى الأَمَانَةَ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ الجِهَادِ. صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلاَةً وَسَلاَمًا دَائِمَيْنِ إِلَى قِيَامِ الأَشْهَادِ..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمَةِ الإِسْلاَمِ الذِي أَكْمَلَهُ لَكُمْ وَأَتَمَّ عَلَيْكُمْ بِهِ النِّعْمَةَ وَرَضِيَه لَكُمْ دِيناً.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: أَنَّ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ قَالَ لأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ لَوْ عَلَيْنَا نَزَلَتْ مَعْشَرَ اليَهُودِ لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَومَ عِيداً، فَقَالَ: أَيّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة: ٣].

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنِّي لأَعْلَمُ اليَومَ الذِي نَزَلَتْ فِيهِ، وَالمَكَان الذِي نَزَلَتْ فِيهِ. نزلت عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُو قَائِمٌ بعَرَفَةَ يَوم جُمُعَةٍ.

عِبَادَ اللهِ: إِذَا تَأَمَّلْنَا مَا تَضَمَّنَتْهُ هٰذِه الآيَةُ العَظِيمَةُ وَاليَومَ الذِي نَزَلَتْ فِيهِ أَدْرَكْنَا عَظَمَةَ مَضْمُونِهَا وَعَظَمَةَ اليَومِ الذِي نَزَلَتْ فِيهِ، وَعَظَمَةَ الأَيام التِي تَلِيهِ، إِنَّهَا تَتَضَمَّنُ امْتِنَانَ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ بِإِكْمَالِ دِينِهِمْ لَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ نَقْصٌ فِي تَشْرِيعَاتِهِ، وَأَحْكَامِهِ، وَلَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ خَلَلٌ فِي نظَامِهِ، وَلَم يَدْخُلِ التَّحْرِيفُ وَالتَّبْدِيلُ وَالزيَادَةُ وَالنَّقْصُ فِي مَصَادِرِهِ التِي يُرْجَعُ إِلَيْهَا لِمَعْرِفَةِ تَفَاصِيلِ أَحْكَامِهِ. وَهِي: الكِتَابُ وَالسُّنةُ، فَقَدْ تَكَفَّلَ اللهُ بِحِفْظِهِمَا فَقَالَ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩].

وَقَالَ ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُم بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي»[1].

فَهُو دِينٌ متكَامِلٌ، وَنِظَامٌ شَامِلٌ لِمَصَالِحِ العِبَادِ، وَصَالِحٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ مَا بَقِيتِ الدُّنْيَا وَمَنْ عَلَيْهَا، وَهُو مَعَ ذَلِكَ مَحْفُوظٌ مِنَ العَبَثِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ. كَامِلٌ فِي أُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ وَفِي مَبَانِيهِ وَمَعَانِيهِ، فِي عِبَادَاتِهِ وَمُعَامَلاَتِهِ، شَامِلٌ لِنظَامِ الأُمَّةِ وَالأَفْرَادِ، كَفِيلٌ بِجَلْبِ المَصَالِحِ، وَدَفْعِ المَفَاسِدِ، وَحِمَايَةِ الحُقُوقِ، وَرَدْعِ المُفْسِدِينَ، وَفَصْلِ الخُصُومَاتِ، وَقَطْعِ المُنَازَعَاتِ، وَتُوْفِيرِ أَسَالِيبِ السِّيَاسَةِ الدَّاخِلِيَّةِ، لاَ يَعْتَرِيهِ نَقْصٌ وَلاَ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ خَلَلٌ.

﴿ لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢].

يَسَعُ العَالَمَ كُلَّهُم العَيْشُ تَحتَ ظِلِّهِ، وَيَشْمَلُهُم بِعَدْلِهِ، شَهِدَ اللهُ لَهُ بِالْكَمَالِ، وَبِأَنَّهُ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا عَلَى المُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُ لاَ يَرْضَى بِدِينٍ سِوَاهُ.

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الإِسْلاَمَ لاَ يَصْلُحُ لِهٰذَا الزَّمَانِ أَوْ شَك فِي صَلاَحِيَّتِهِ، أَوْ قَالَ: إِنَّهُ مُخْتَصٌّ بِعِلاَقَةِ العَبْدِ بِرَبِّهِ، وَأَمَّا شُؤُونُ النَّاسِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَشُؤُونُ السِّيَاسَةِ وَالاقْتِصَادِ وَالحُكْمِ فَإِنَّ الإِسْلامَ لاَ يَتَنَاوَلُهَا، وَإِنَّمَا هِي مَتْرُوكَةٌ لِلْبَشَرِ يَضَعُونَ لَهَا القَوَانِينَ الِتي يَرَوْنَهَا، مَنْ قَالَ هَذَا أَو اعْتَقَدَهُ فَهُو كَافِرٌ مُرْتَدٌّ عَنْ دِينِ الإِسْلاَمِ مُكَذِّبٌ للهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) رواه الترمذيُّ (٣٧٩١) بنحوه وحَسَّنَهُ.

يَجِبُ أَنْ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلاَّ قُتِلَ مُرْتَداً.

عِبَادَ الله: وَإِذَا تَأَمَّلْنَا اليَومَ الذِي نَزَلَتْ فِيهِ هٰذِه الآيَةُ وَهُو يَومُ عَرَفَةَ، وَفِي يَوْمِ الجُمُعَةِ أَدْرَكْنَا شَرَفَ الزَّمَانِ الذِي نَزَلَتْ فِيهِ فَهُو خَيْرُ يَوْم طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ، وَأَدْرَكْنَا عَظَمَةَ هٰذَا اليَومِ الذِي نَحْنُ فِيهِ وَهُو يَومُ النَّحْرِ الذِي يَلِي عَرَفَةَ، وَهُو يَومُ الحَجِّ الأَكْبَرِ، وَقَدْ خَطَبَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هٰذا»؟ قَلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَال: «أَلَيْسَ ذَا الحِجَّةِ؟» قَلْنَا: بَلَىٰ: قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هٰذَا؟» قَلْنَا اللهُ وَرَسُولُه أَعْلَمْ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَال: «أَلَيْسَتِ البَلْدَةَ»، قَلْنَا بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَموالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا فِي شِهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَونَ رَبكُمْ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُم فَاشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ، فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» رَواهُ أَحْمَدُ والبُخَارِيُّ[1]، فَبَيَّنَ أَنْ حُرْمَةَ الدِّمَاءِ وَالأموَالِ كَحُرْمَةِ الشَّهْرِ الحَرَامِ فِي البَلدِ الحَرَامِ.

فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ وَعَظِّمُوا حُرُمَاتِهِ، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بَالحَقِّ، وَلاَتَأكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ، واجْتَنِبُوا الرِّبَا، وَالرِّشْوَةَ، وَالخِيَانَةَ، وَالسَّرِقَةَ، وَالغِشَّ فِي المُعَامَلاَتِ وَالمُقَاوَلاَتِ وَالأَعْمَالِ وَالبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، فَإِنَّ مَنْ غَشَّ المُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مَنْهُمْ، وَحَافِظُوا عَلىٰ الصَّلَواتِ، وَالجُمَعِ وَالجَمَاعَات وَوَقِّرُوا اليَمِينَ بِاللهِ فِي خُصُومَاتِكُمْ. وَتَجَنَّبُوا شَهَادَةَ الزُّورِ فِي بَيِّنَاتِكُمْ، فَإِنَّ شَهَادَةَ الزُّورِ قَرِينَةُ الشرْكِ فِي كِتَابِ اللهِ. قَالَ تَعَالَىٰ:

---

(١) البخاريُّ (١٧٤٢) وغيره.

﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج : ٣٠].

غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَاسْتُرُوا نِسَاءَكُمْ بِالحِجَابِ الضَّافِي مِن الثِّيَابِ، وَامْنَعُوهُنَّ مِنَ الخُرُوجِ مِنَ البُيوتِ إلاَّ لِمَا لاَ بُدَّ مِنْهُ مَعَ التَّسَتُّرِ وَعَدمِ التَبرُّجِ بِالزِّينَةِ. وَمَعَ تَجَنُّبِ مُخَالَطَةِ الرِّجَالِ وَالخُلْوَةِ مَعَ غَيْرِ مَحْرَمِهَا فِي مَكَانٍ خَالٍ أَوْ فِي سَيَّارَةٍ.

وَاحْذَرُوا أَيُّهَا الرِّجَالُ مِنْ إِسْبَالِ المَلاَبِسِ فَإِنَّ الإِسْبَالَ كَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ. وَمَا كَانَ أَسْفَلَ الكَعْبَيْنِ فَهُو فِي النَّارِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦].

اللَّهُمْ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ نَبِينَا مُحَمَّد وَعَلَى أَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَخُصَّ اللَّهُمَّ الخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ: أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلياً، وَسَائِرَ الصَّحَابَةِ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوانِ، وَالتَّابِعينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالمُسْلِمِينَ وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالمُشْرِكِينَ، وَاحْمِ حَوْزَةَ الدِّينِ، وَاجْعَلْ هٰذَا البَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِناً وَسَائِرَ بِلاَدِ المُسْلِمِينَ. اللَّهمَّ أَقِمْ عَلَمَ الجِهَادِ وَاقْمَعْ سَبِيلَ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالرِّيبِ وَالفَسَادِ وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ عَلَى هٰؤُلاءِ العِبَادِ. يَا مَنْ لَهُ الدُّنْيَا والآخِرَةُ وَإِلَيْهِ المَعَادُ.

عِبَادُ اللهُ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٠-٩١].

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ...

استِقْبَالُ شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ

الحَمْدُ للهِ الذِي جَعَلَ لِعِبَادِهِ مَوَاسِمَ لِلْخَيْرَاتِ، يَتَسَابَقُونَ فِيهَا بِأَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ، وَيَتُوبُونَ مِنَ السَّيِّئَاتِ. وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَوَّلُ سَابِقٍ إِلَى الخَيْرَاتِ. صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ كُلُّ أَوْقَاتِهِمْ طَاعَاتٌ. وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ وَاغْتَنِمُوا مَوَاسِمَ الخَيْرِ قَبْلَ فَوَاتِهَا، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ عَنْ زَلَّاتِهَا وَهَفَوَاتِهَا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الفُرَصَ لاَ تَدُومُ، وَأَنَّ الأَعْمَارَ مَحْدُودَةٌ بِأَجَلٍ مَعْلُومٍ، وَسَيَحِلُّ بِكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ وَيَنْزِلُ بِكُمْ ضَيْفٌ كَرِيمٌ.

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

جَعَلَ اللهُ صِيَامَه أَحَدَ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ، وَقِيامَ لَيْلِهِ مِنَ النَّوَافِلِ العِظَامِ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَشَهْرُ الإِحْسَانِ، وَشَهْرُ التلاَوَةِ لِلْقُرْآنِ، وَشَهْرُ الرَّحْمَةِ وَالمَغْفِرَةِ وَالعِتْقِ مِنَ النِّيرَانِ، وَشَهْرُ مُضَاعَفَةِ الحَسَنَاتِ وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، شَهْرٌ يَنْتَصِرُ فِيهِ الحَقُّ عَلَىٰ البَاطِلِ، فَيَتَغَلَّبُ فِيهِ المُؤْمِنُ عَلَى النَّفْسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَيُغَلُّ فِيهِ الشَّيْطَانُ، فَتَزُولُ المُعَوِّقَات عَنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ، فَاسْتَقْبِلُوا رَحِمَكُمُ اللهُ هٰذَا الشَّهْرَ بِمَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الاحْتِرَامِ، وَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ يُبَلِّغَكُمْ إِيَّاهُ، وَيُعِينَكُمْ فِيهِ عَلَى فِعْلِ مَا يُرْضِيهِ، وَيَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ صَالِحَ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ مَنْ بَلَّغَهُ اللهُ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَمَكَّنهُ فِيهِ مِنْ فِعْلِ

الخَيْرَاتِ فَقَدْ مَنَّ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ عَظِيمَةٍ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْرَحَ بِهَا غَايَةَ الفَرَحِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

فَالْفَرَحُ المَحْمُودُ إِنَّمَا يَكُونُ بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، وَهُو الفَرَحُ بِالهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ الذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ وَلاَ سِيمَا فِي مَوَاسِمِ الهُدى والدينِ كهذا الشهر المباركِ، فإن المؤمن يفرحُ بقدُومه ويستبشرُ بحلُولهِ وإدراكهِ لِيَنَالَهُ مِنْ خَيْرِهِ وَيُصِيبَ مِنْ بِرِّهِ وَنَفَحَاتِهِ، وَأَمَّا الفَرَحُ بِحُصُولِ مَطَامِعَ الدُّنْيَا وَملَذَّاتِهَا فَهُو مَذمُومٌ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الرعد: ٢٦].

وَهَذَا الفَرَحُ هُو الذِي لاَ يَحِبُّ اللهُ أَهْلَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

لأَنَّهُ فَرَحٌ بِمَتَاعٍ زَائِلٍ، وَفرَحٌ يَبْعَثُ عَلَىٰ الأَشَرِ وَالبَطَرِ، وَيُلْهِي عَنِ الطَّاعَةِ، وَيُنْسِي الأَخِرَةَ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: إِنَّ أعظَمَ مَا يُتَقَرَّبُ فِيهِ إِلَىٰ اللهِ فِي هٰذَا الشَّهْرِ وَفِي غَيْره هوالمُحَافَظَةُ عَلَى الفَرَائِضِ وَأَدَاءِ الوَاجِبَاتِ، وَتَرْكُ المَعَاصِي وَالمُحَرَّمَاتِ. يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الحدثِ القدسِيِّ: «وما تقرب إليَّ عبدي بمثل ما افترضته عليه»[1] وأعظم فرائضِ اللهِ بَعْدَ الشَّهَادتَيْنِ أَدَاءُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ فِي مَوَاقِيتِهَا فِي بُيوتِ اللهِ مَعَ جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ. فَحَافِظُوا عَلَيْهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ، فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَتَسَاهَلُونَ بِأَدَاءِ هٰذِه الصَّلوَاتِ طُولَ السَّنَةِ، فَإِذَا جَاءَ شَهْرُ رَمَضَانَ اجْتَهَدُوا فِيهِ وَهُم مَضَيِّعُونَ لِلصَّلَوَاتِ الخَمسِ قَبْلَ رَمَضَانَ وَبَعْدَهُ، فَهٰؤُلاءِ

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).

لاَ يَنفعَهُمْ اجْتِهَادُهُمْ فِي رَمَضَانَ، لأَنَّهُمْ مِثْلُ مَنْ يحَاوِلُ الحُصُولَ عَلَىٰ رِبْحٍ وَلَيْسَ مَعَهُ رَأسُ مَالٍ، وَالرِّبْحُ لاَ يَتَحَقَّقُ إِلاَّ بَعْدَ سَلاَمَةِ رَأْسِ المَالِ، كَذَلِكَ الاجْتِهَادُ فِي النَّوَافِلِ أَو الاجْتِهَادُ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ لاَ يَنْفَعُ مَعَ تَضْيِيعِ الفَرَائِضِ، لَكِنْ مَنْ كَانَ مُضَيِّعاً مُفَرِّطاً فِيمَا مَضَىٰ، ثُمَّ تَنَبَّهَ لَمَّا جَاءَ شَهْرُ رَمَضَانَ، فَتَابَ إِلَىٰ اللهِ تَوْبَة صَحِيحَة يَسْتَمِرُّ عَلَيْهَا فِي المُسْتَقْبَلِ طُولَ حَيَاتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ، وَيَكُونُ شَهْرُ رَمَضَانَ سَبَباً لِيَقَظَتِهِ وَمَبْدَأً لِتَوْبَتِهِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ فَرَائِضِ اللهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بَعْدَ الصَّلَواتِ الخَمْسِ صِيَامُ أَيَّامِهِ الذِي جَعَلَهُ اللهُ أَحدَ أَرْكَانِ الإسْلاَمِ، وَمَبَانِيهِ العِظَامِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فَيَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِم بَالِغ عَاقِلٍ مُقِيمٍ يَسْتَطِيعُ الصِّيَامَ أَنْ يَصُومَ هٰذَا الشَّهرَ عِبَادَةً للهِ تَعَالَى، وَطَاعَةً لَهُ، رَجَاءً لِثَوَابِهِ، وَخَوْفاً مِنْ عِقَابِهِ. وَقَدْ حَدَّدَ اللهُ صِيَامَ الشَّهرِ بِمَا بَيْنَ الهِلاَلَيْنِ: هِلاَلَ دُخُولِهِ وَهِلاَلَ خُرُوجِهِ. قَالَ ﷺ: «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ»[1]. وَحَدَد سُبْحَانَهُ الصَّوْمَ اليَومِيَّ بِمَا بَيْنَ طُلُوع الفَجْرِ إِلَىٰ غُرُوبِ الشَّمْسِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وَالصِّيَامُ هُو الإِمْسَاكُ بِنِيَّةٍ عَنِ المُفطِرَاتِ مِنْ طُلُوع الفَجْرِ الثَّانِي إلى غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَيُسَنُّ تَأْخِيرُ السَّحُورِ إِلَى مَا قَبْلَ طُلُوعِ الفَجْرِ وتَعْجِيلُ الإفْطَارِ عِنْدَ تَحَقُّقِ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَيُرْجَعُ فِي وَقْتِ الإمْسَاكِ وَالإفْطَارِ إِمَّا إِلَىٰ رُؤْيَةِ الفَجْرِ

---

(١) رواه البخاريُّ (١٩٠٩)، ومسلمٌ (١٠٨١).

وَالغُرُوبِ إِذَا تَمَكَّنَ الصَّائِمُ مِنْ رُؤْيَتِهِمَا بِنَفْسِهِ، أَوْ خَبَرِ ثِقَةٍ بِذٰلِكَ، أَوْ أَذَانِ المُؤَذِّنِ الذي يَتَقَيَّدُ بالوَقْتِ، فَيُؤَذِّنُ عِنْدَ طُلُوعِ الفَجْرِ وَغُرُوبِ الشَّمْسِ، فَإِنَّ المُؤَذِّنَ مُؤْتَمَنٌ وَمُتَحَمِّلٌ لِمَسْؤُولِيَّةٍ عَظِيمَةٍ، لأَنَّ النَّاسَ يَصُومُونَ وَيُفْطِرُونَ بِأَذَانِهِ، وَيُصَلُّونَ كَذَلِكَ اعْتِمَاداً عَلَيْهِ.

فَاتَّقُوا الله أَيُّهَا المُؤَذِّنُونَ وَرَاقِبُوا الوَقْتَ مراقَبَةً دَقِيقَةً وَلاَ تُؤَذِّنُوا إِلاَّ عِنْدَ دُخُولِ الوَقْتِ، لاَ تَتَقَدَّمُوا عَلَيْهِ وَلاَ تَتَأَخَّرُوا عَنْهُ فَتَغُرُّوا النَّاسَ، وَتَتَحَمَّلُوا آثَامَهُمْ، فَإِنَّ بَعْضَ المُؤَذِّنِينَ لاَ يُبَالِي مَتَىٰ أَذَّنَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَذِّنُ قَبْلَ دُخُولِ الوَقْتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَذِّنُ مَتَأَخِّراً، فَيَصُومُ الناسُ أَوْ يُفْطِرُونَ عَلَى أَذَانِهِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصِّيَامِ وَالإِفْطَارِ، فَيَتَحَمَّلُونَ أَوْزارَ النَّاسِ بِسَبَبِ إِهْمَالِهِمْ.

إِنَّهُ إِذَا تَأَخرَ المُؤَذِّنُ عَلَىٰ الأَذَانِ مَعَ طُلُوعِ الفَجْرِ، فَلاَ يَجوزُ لَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بَعْدَ ذَلِكَ لِئَلاَّ يَغُرَّ النَّاسَ، بَلْ يَكْتَفِي بِأَذَانِ مَنْ حَوْلَهُ مِنَ المَسَاجِدِ، وَلاَ يَجُوزُ لَكُمْ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ أَنْ تَعْتَمِدُوا عَلَى أَذَانِ هٰذَا المُؤَذِّنِ المُتَسَاهِلِ إِذَا تَأَخَّرَ عَنِ المُؤَذِّنِينَ كَثِيراً، لأَنَّهُ أَصْبَحَ غَيْرَ ثِقَةٍ، فَاتَّقُوا الله وَتَنَبَّهُوا لِذَلِكَ. ثُمَّ اعْلَمُوا ـ وَفَّقَكُمُ اللهُ ـ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ المَزَايَا التِي اخْتَصَّ بِهَا هٰذَا الشَّهْرُ المُبَارَكُ صَلاَةَ التَّرَاوِيحِ، فَهِي سُنَّةٌ مَؤَكَدَةٌ لاَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ تَرْكُهَا، وَيُسْتَحَبُّ فِعْلُهَا جَمَاعَةً فِي المَسْجِدِ لأَنَّهَا مِنَ الشَّعَائِرِ الظَّاهِرَةِ. وَقَدْ قَالَ ﷺ: **«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**[1].

وَلَيْسَ لِعَدَدِ رَكعَاتِ التَّرَاويحِ حَدٌّ معَيَّنٌ فَلِلإِمَامِ أَنْ يُصَلِّيَ عِشْرِينَ رَكْعَةً، وَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ سِتّاً وَثَلاَثِينَ رَكْعَةً، وَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ إِحدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً، أَوْ ثَلاَثَ عَشْرَةَ

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١).

رَكْعَةً، فَإِنَّ كُلَّ عَدَدٍ مِنْ هَذِهِ الأَعْدَادِ قَالَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الأَئِمَّةِ، وَالرَّاجِحُ أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُطِيلَ الصَّلاَةَ قَلَّل عَدَدَ الرَّكَعَاتِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَفِّفَ الصَّلاَةَ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ الرَّكَعَاتِ. وَالأَمْرُ فِي هٰذَا وَاسِعٌ. لَكِنْ لاَ يَجُوزُ لِلإِمَامِ أَنْ يُخَفِّفَ صَلاَةَ التَّرَاوِيحِ تَخْفِيفاً مُخِلاً، فَيُسْرِعِ بِالقِرَاءَةِ سُرْعَةً يَسْقُطُ مَعَهَا بَعْضُ الحُرُوفِ أَوْ لاَ يَسْتَفِيدُ مِنْهَا مَنْ وَرَاءَهُ، أَوْ يُخَفِّفَ الرُّكُوعَ وَالسجُودَ بحَيْثُ لاَ يَسْتَطِيعُ مَنْ وَرَاءَهُ أَنْ يَأْتِي بِالتَّسْبِيحِ الوَاجِب، وَلاَ يطْمَئِنُّ الطّمَأْنِينَةَ المَطْلُوبَةَ.

فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا الأَئِمَّة فِي صَلاَتِكُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ فِيمَنْ خَلْفَكُمْ، فَأَتْقِنُوا القِرَاءَةَ، وَأَتْقِنُوا الصَّلاَةَ، وَأَخْلِصُوا عَمَلَكُمْ للهِ.

وَمِمَّا يَجِبُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ الأَئِمَّةِ ـ هَدَاهُمُ اللهُ ـ تَنْتَشِرُ أَصْوَاتُهُمْ فِي الصَّلاةِ خَارِجَ المَسَاجِدِ فِي رمَضَانَ وَغَيْرِهِ، وَذلِكَ بَوَاسِطَةِ مُكَبِّرَاتِ الصَّوْتِ. وَذٰلِكَ لاَ يَجُوزُ لأَنَّهُ يُشَوِّهُ العِبَادَةَ وَيُشَوِّشُ عَلَى مَنْ خَلْفَهُ فَيَجِبُ حَصْرُ الصَّوْتِ دَاخِلَ المَسْجِدِ. وَقَدْ تَسَبَّبَ مِن انْتِشَارِ أَصْوَاتِ المُكْرُوفُونَاتِ بِالصَّلاَةِ خَارِجَ المَسَاجِدِ مَفْسَدٌ أُخْرَىٰ، وَهِي تَأَخُّرُ الكُسَالَىٰ عَنِ الحُضُورِ لِلصَّلاَةِ، خُصُوصاً صلاة الفَجْرِ، فَإِنَّ أَحَدَهُمْ يَبْقَىٰ فِي مَنَامِهِ إِلَىٰ أَنْ يَسْمَعَ قِرَاءَةَ الإِمَامِ، وَحِينَئِذٍ لاَ يُمْكِنُهُ إِدْرَاكُ الصَّلاَةِ. أَوْ إِدْرَاكُ مُعْظَمِهَا، وَلَقَدْ كَثُرَ التَّأَخُّرُ مِنْ إِدْرَاكِ الصَّلاَةِ لِهٰذَا السَّبَبِ فَيَجِبُ مَنْعُهُ.

وَاتَّقُوا اللهَ ـ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ـ وَبَادِرُوا مُبَكِّرِينَ بِالحُضُورِ إِلَىٰ الجُمَعِ وَالجَمَاعَاتِ، لِتَنَالُوا الأُجُورَ وَتَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ وَرِفْعَةَ الدَّرَجَاتِ، وَخُذُوا عَلَى أَيْدِي الكُسَالَىٰ مِنْ أَوْلاَدِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ وَجِيرَانِكُمْ ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القرآن العظيم

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ عَلَىٰ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، أَمَرَ بِاغْتِنَامِ الأَوْقَاتِ قَبْلَ فَوَاتِهَا. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُبَوِّىءُ مَنْ قَالَهَا عَامِلاً بِهَا مِنَ الجَنَّةِ أَعْلَىٰ دَرَجَاتِهَا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَرَ بِمُحَاسَبَةِ النُّفُوسِ عَنْ هفَوَاتِهَا. صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَعَظِّمُوا شَهْرَ رَمَضَانَ كَمَا عَظَّمَهُ اللهُ وَذَلِكَ بِاغْتِنَامِهِ وَالمُحَافَظَةِ عَلَى صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ. وَصِيَانَتِهِ عَنْ تَعَاطِي مَا حَرَّمَ اللهُ، فَإِنَّهُ سَيَكُونُ شَاهِداً لَكُمْ أَوْ عَلَيْكُمْ بِمَا فَعَلْتُمُوه فِيهِ مِنْ حَسنٍ أَوْ قَبِيحٍ، فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَزِيدُ شَرُّهُمْ فِي رَمَضَانَ عَنْ غَيْرِهِ، لأنهم لاَ يَعْرِفُونَ لَهُ حُرْمَةً، وَلاَ يُقدرُونَ لَهُ قِيمَةً، وَلاَ يَخَافُونَ مِمَّا يُسَجَّلُ عَلَيْهِمْ فِيهِ مِنْ مُخَالَفَاتٍ وَآثَامٍ.

فَتَجِدُ أَحَدَهُمْ جِيفَةً فِي النَّهَارِ مُسْتَغْرِقاً فِي نَوْمِهِ لاَ يَهْتَمُّ بِصَلاَةٍ، وَلاَ غَيْرِهَا مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَفِي لَيَالِي رَمَضَانَ يَسْهَرُ عَلَى القِيلِ وَالقَال وَالأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَمُشَاهَدَةِ المُسَلسَلاَتِ وَالتَّمْثِيلِيَاتِ وَاسْتِمَاعِ الأَغَانِي وَالمَزَامِيرِ، أَوْ لَعِبِ الوَرَقِ أَوْ لَعِب القِمَارِ، لاَ يُصَلِّي فِيهِ رَكْعَةً مِنَ النَّوَافِلِ، بَلْ قَدْ يَتْرُكُ صَلاَةَ الفَرِيضَةِ.

وَالبَعْضُ الآخَرُ يَتَسَيَّبُ فِي الشَّوارِعِ لِمُلاَحَقَةِ النِّسَاءِ الَّتِي يَخْرُجْنَ مِنْ بُيوتِهِنَّ فَاتِنَاتٍ مُفْتُونَاتٍ، كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ، مَائِلاَتٍ مُمِيلاَتٍ، قَدْ جَنَّدَهُنَّ الشَّيْطَانُ لِلْفِتْنَةِ، فَهُنَّ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ اللاَّتِي يَصْطَادُ بِهَا مَنْ أَرَادَ اللهُ فِتْنَتَهُ مِنَ الرِّجَالِ، وَأَوْلِيَاءُ أُمُورِ هٰؤُلاءِ النِّسْوَةِ يَقِفُونَ مِنْهُنَّ مُكْتُوفِي الأَيْدِي لاَ يُنْكِرُونَ وَلاَ يَغَارُونَ. عُمْيٌ لاَ يُبْصِرُونَ، بُكْمٌ لاَ يَنْطِقُونَ.

وَالبَعْضُ الآخَرُ مِنَ النَّاسِ يَعْتَبِرُ شَهْر رَمَضَانَ موْسِماً لِلتِّجَارَةِ الدُّنْيَوِيةِ، فَيُمْضِي مُعْظَمَ وَقْتِهِ فِي مَتْجَرِهِ، وَرُبَّمَا لاَ يُحَافِظُ عَلَىٰ صَلاَةِ الفَرِيضَةِ فِي الجَمَاعَةِ فَضْلاً عَنْ صَلاَةِ التَرَاوِيحِ، فَأَيُّ شَيءٍ اكْتَسَبَهُ هٰؤلاءِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سِوىٰ الإفْلاَسِ وَالآثَام، إنَّهَا لَمَّا كَثُرَتْ أَسْبَابُ المَغْفِرَةِ فِي رَمَضَانَ كَانَ الذِي تَفُوتُهُ فِيهِ المَغْفِرَةُ محْرُوماً غَايَةَ الحِرْمَانِ، فَقَدْ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ المِنْبَرَ فَقَالَ: «آمِين. آمِين. آمِين». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ إنكَ صَعَدْتَ المِنْبَرَ، فَقُلْتَ: آمِين. آمِين. آمِين، فَقَال: «إنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمَ أَتَانِي، فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّار، فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِين، فَقُلْت: آمِين» الحَدِيثُ رَواه ابْنُ حِبَّانَ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَعَظِّمُوا شَهْرَ رَمَضَانَ كَمَا عَظَّمَهُ اللهُ وَاغْتَنِمُوه كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ. . . إلخ.

* * *

فِي آخِرِ جُمُعَةٍ مِنْ شَعْبَان
بَيَانُ مَا يَثْبُتُ بِهِ دُخُولُ شَهْرِ رَمَضَان المُبَارَكِ وَخُرُوجُهُ

الحَمْدُ للهِ الذِي جَعلَ الأَهِلَّةَ مَواقِيتَ لِلنَّاسِ، يَعْرِفُونَ بِهَا أَوْقَاتَ عِبَادَاتِهِم وَآجَالَ مُعَامَلاَتِهِمْ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلاَ نَعْبُدُ إلاَّ إِيَّاهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُو عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِير، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولهُ. حَدَّدَ لأُمَّتِهِ بِدَايَةَ الصِّيَامِ وَنِهَايَتِهِ، فَقَالَ: «**صُومُوا لِرُؤْيتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شعْبَانَ ثَلاثِينَ يَوْمَاً**» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمَاً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ وَاشْكُرُوهُ عَلَى تَيْسِيرِهِ ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦].

وَمِنْ تَيْسِيرِ اللهِ وَرَفْعِهِ الحَرَجَ عَنَّا أَنْ حَدَّدَ بِدَايَاتِ مَوَاقِيتِ العِبَادَاتِ وَنِهَايَتَهَا بِعَلاَمَاتٍ وَاضِحَةٍ يَعْرِفُهَا كُلَّ أحدٍ من العَامَّةِ وَالمُتَعَلِّمِينَ.

وَمِنْ ذٰلكَ بدَايَةُ شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ وَنِهَايَتُهُ، قَالَ ﷺ: «**لاَ تَصُومُوا حَتَّى تَرَوا الهِلاَلَ وَلاَ تُفطِرُوا حَتَّى تَروْهُ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا العِدَّةَ ثَلاَثِينَ**»[1]. فَقَدْ بَيَّنَ ﷺ أَنَّهُ يَجِبُ الصِّيَامُ وَالإِفْطَارُ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: رُؤْيَةِ الهِلاَلِ، أَوْ إِكْمَالِ عِدَّةَ الشَّهرِ ثَلاَثِينَ. وَإِذَا رَآهُ وَاحِدٌ مِنَ المُسْلِمِينَ عِنْدَ دُخُولِهِ ثَبَتَتْ بدَايَةُ الشَّهرِ وَلَزِمَ

(١) رواه البخاريُّ (١٩٠٦)، ومسلمٌ (١٠٨٠).

الْمُسْلِمِينَ الصِّيَامُ، فَلَيْسَ مِنْ شُرُطِهِ أَنْ يَرَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الهِلاَلَ (يَعْنِي: هِلاَلَ رَمَضَانَ): فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ؟» فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «يَا بِلاَلُ، أذنْ فِي النَّاسِ أَنْ يَصُومُوا غَداً» رواه أَبُو دَاودَ[١].

وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: تَرَاءَىٰ النَّاسُ الهِلاَل، فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنِّي رَأَيْتُهُ، فَصَامَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ.

وَأَمَّا الشَّهَادَةُ بِخُرُوجِ شَهْرِ رَمَضَانَ فَلاَ بُدَّ فِيهَا مِنْ شَهادَةِ رَجُلَيْنِ، قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيمِ رَحِمَهُ اللهُ، وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ أَمْرُ النَّاسِ بِالصَّوْمِ بِشَهَادَةِ الرَّجُلِ الوَاحِدِ المُسْلِمِ، وَخُرُوجُهمْ مِنْهُ بِشَهَادَةِ اثْنَيْنِ. انْتَهَىٰ. وَذٰلِكَ ـ واللهُ أَعْلَمُ ـ لأَنَّ الدُّخُولَ لاَ تُهْمَةَ فِيهِ، فَقُبِلَ فِيهِ خَبَرَ الوَاحِدِ، وَلأَنَّهُ أَحْوَطُ لِلْعِبَادَةِ، وَأَمَّا الخُرُوجُ فَلوجُودِ التُّهمَةِ فِيهِ بِالرَّغْبَةِ فِي الإِفْطَارِ لَمْ يُقْبَلْ فِيهِ إِلاَّ شَهَادَةُ عَدْلَيْنِ وَاحْتِيَاطٌ لِلعِبَادَةِ، وَلأَنَّ الأَصْلَ بَقَاءُ رَمَضَانَ، وَلاَ يُخْرَجُ عَنْ الأَصْلِ إلاَّ بيقِين.

والأَمْرُ الثَّانِي: مِمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُصَامَ وَيُفْطَرَ بِمُوجِبِهِ إِكْمَالُ الشَّهْرِ ثَلاَثِينَ يَوْماً عِنْدَمَا لاَ يُرىٰ الهِلاَلُ، لأَنَّ الأَصْلَ بَقَاءُ الشَّهْرِ، وَاحْتِياطاً لِلْعِبَادَةِ فِي الخُرُوجِ، وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذٰلِكَ فَإِنَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُصَامُ وَيُفْطَرُ بِغَيْرِ هَاتَيْنِ العَلاَمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ حَدَّدَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لأُمَّتِهِ، كَمَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ يُصَامُ وَيُفْطَرُ بِنَاءً عَلَى خَبَرِ الحَاسِبِ وَخَبَرِ الفَلَكِيينَ، فَقَدْ زَادَ عَلَى مَا شَرَعَهُ اللهُ وَرَسُولُه وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ، زَادَ عَلاَمةً ثَالِثَةً ابْتَدَعَهَا مِنْ عِنْدِهِ «وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»[٢].

---

(١) أبو داود (٢٣٤٠).

(٢) رواه مسلم (٨٦٧) وغيره.

فَإِنَّ هُنَاكَ جَمَاعَةً مِنْ أَدْعِيَاءِ عِلْمِ الحِسَابِ الجَهَلَةِ يُشَوِّشُونَ عَلَىٰ النَّاسِ كُلَّ عَامٍ، وَيُشَكِّكُونَ فِي رُؤْيَةِ الهِلَالِ وَيُغَلِّطُونَ مَنْ رَآهُ وَيَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ إِذَا خَالَفَ تَحرُّصَاتِهِمْ، وَيُرِيدُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ أَنْ يَبْنُوا صَوْمَهُمْ وَفِطْرَهُمْ عَلَى قَوْلِ أَهْلِ الحِسَابِ، لأَنَّهُمْ بِزَعْمِهِمْ أَضْبَطُ، وَفِي هَؤلاءِ يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَه اللهُ: إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ فِي شَهْرِ صَوْمِهِمْ، وَفِي غَيْرِهِ أَيْضاً مِنْهُمْ مَنْ يُصْغِي إِلَىٰ مَا يَقُولُهُ بَعْضُ جُهَّالِ أَهْلِ الحِسَابِ مِنْ أَنْ الهِلَالَ يُرَىٰ أَوْ لاَ يُرَىٰ، وَيَبْنِي عَلَى ذٰلِكَ فِي بَاطِنِهِ، وَإِمَّا فِي بَاطِنِهِ، وَظَاهِرِهِ، حَتَّىٰ بَلَغَنِي أَنَّ مِنَ القُضَاةِ مَنْ كَانَ يَرُدُّ شَهَادَةَ العَدَدِ مِنَ العُدُولِ لِقَولِ الحَاسِبِ الجَاهِلِ الكَاذِبِ أَنَّهُ يُرَىٰ أَوْ لاَ يُرَىٰ، فَيَكُون مِمَّنْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَه ـ إِلَىٰ أَنْ قَالَ:

فَإِنَّنَا نَعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الإِسْلَامِ أَنَّ العَمَلَ فِي رُؤْيَةِ هِلَالِ الصَّوْمِ أَوْ الحَجِّ أَوِ العِدَّةِ أَوْ الإِيلَاءِ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الأَحْكَامِ المُعَلَّقَةِ بِالهِلَالِ بِخَبَرِ الحَاسِبِ أَنَّهُ يُرَىٰ أَوْ لا يُرَىٰ، لاَ يَجُوزُ. وَالنُّصُوصُ المُسْتَفِيضَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بذلك كَثِيرَةٌ، وَقَدْ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَيْهِ وَلاَ يُعْرَفُ فِيهِ خِلَافٌ قَدِيمٌ أَصْلاً، وَلاَ خِلَافٌ حَدِيثٌ. انْتَهَىٰ.

وَقَوْلُ هَؤُلاَءِ الجُهَّالِ يُعْتَبَرُ بِدْعَةً فِي الدِّينِ، لِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِمَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عملاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُو رَدٌّ» وَفِيهِ طَعْنٌ بِالشُّهُودِ العُدُولِ وَوَصْفُهُمْ بِالكَذِبِ وَالزُّورِ، وَفِيهِ بَلْبَلَةٌ لأَفْكَارِ العَوَامِّ، وَتَشْوِيشٌ عَلىٰ المُسْلِمِينَ، وَفِيهِ طَعْنٌ فِي القَضَاةِ وَاتِّهَامُهُمْ بِالتَّسَاهُلِ فِي قَبُولِ شَهَادَةِ الشُّهُودِ، وَفِيهِ إِبْطَالٌ لِحكمِهِمْ بِذٰلِكَ، وَفِيهِ طَعْنٌ فِي ولاَةِ أُمُورِ المُسْلِمِينَ الذِينَ يُنَفِّذُونَ حُكْمَ القُضَاةِ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالصَّوْمِ وَالفِطْرِ بِمُوجبِهِ.

وَهٰذَا الذِي يَقُولُونَهُ مَعَ أَنَّهُ يَتَضَمَّنُ كُلَّ هَذِهِ المَحَاذِيرِ وَأَكْثَرَ مِنْهَا فِيهِ تَعْرِيضٌ

لِصِيَامِ المُسْلِمِينَ وَإِفْطَارِهِمْ لِلْخَطَرِ فَإِنَّ عَمَلَ الحَاسِبِ عرْضَةٌ لِلْخَطَأ، لِأَنَّهُ عَمَلٌ بَشَرِيٌّ، وَلاَ يَخْلُو مِنَ التَّخَرُّص، وَهُو أَيْضاً إِحرَاجٌ وَتَضْيِيقٌ لأَنَّ الحِسَابَ لاَ يَعْرِفُه كُلُّ أَحَدٍ، وَلاَ يَتَوَفَّرُ المُخْتَصُّونَ فِيهِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ لَوْ فَرَضْنَا صِحَّةَ الأَخْذِ بِهِ وَسَلاَمَتَهُ مِنَ الخَطَأ وَهُو فَرْضٌ بَعِيدٌ. وَدِينُنَا مَبْنِيٌّ عَلَىٰ اليُسْرِ وَالسُّهُولَةِ. وَالحَمْدُ للهِ، لاَ تَعْقِيدَ فِيهِ، وَلِذَلِكَ أَحَالَ المُسْلِمينَ فِي فِطْرِهِمْ وَصِيَامِهِمْ عَلَى عَلاَمَةٍ وَاضِحَةٍ يَعْرِفُهَا كُلُّ أَحدٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ، لِلْحَاضِرَةِ وَالبَادِيَةِ، لِلْجَمَاعَاتِ وَالأَفْرَادِ، لِلْمُتَعَلِّمِينَ وَالعَوَامِّ. فَالحَمْدُ للهِ عَلَىٰ التَّيْسِيرِ، فَلاَ تَغْتَرُّوا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ بِمَا يَقُولُه هٰؤُلاَءِ، فَإِنَّهُ شُذُوذٌ وَجَهْلٌ وَشَرْعُ دِينٍ لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ.

صُومُوا مَعَ جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ وَأَفْطِرُوا كَمَ أَمَرَكُم النَّبِي ﷺ بِذلِكَ فِي قَوْلِهِ: «صَوْمُكُمْ يَوْمَ تَصُومُونَ، وَفِطْرُكُمْ يَوْمَ تُفْطِرُونَ» رواه التِّرمِذِيُّ وَغَيْرُهُ[١] وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرِهِ: يَصُومُ ويُفْطِرُ مَعَ الإِمَامِ وَجَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ فِي الصَّحْو وَالغَيْمِ، وقَالَ: يَدُ اللهِ عَلَىٰ الجَمَاعَةِ، وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّ تَبَيَّنَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ رُئِيَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَإِنَّهُمْ يَقْضُونَ اليَوْمَ الذِي أَفْطَرُوهُ وَلاَ حَرَجَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ مَعْذُورُونَ وَمَأْجُورُونَ.

وَأَمَّا لَوْ صَامُوا بِخَبَرِ الحَاسِبِ فَإِنَّهُمْ آثِمُونَ وَلَوْ أَصَابُوا، لأَنَّهم فَعَلُوا غَيْرَ مَا أُمِرُوا بِهِ، ثُمَّ إِنَّ عَمَلَهُمْ بِقَوْلِ الحَاسِبِ قَدْ يُؤَدِّي إِلَىٰ أَنْ يَصُومُوا قَبْلَ وَقْتِ الصِّيَامِ، وَقَدْ نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ تَقَدُّمِ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ.

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «لاَ تَقَدَّمُوا الشَّهْرَ بِصِيَامِ يَوْمٍ وَلاَ يَوْمَيْنِ» رواه أَبُو دَاودَ[٢]، كَمَا أَنَّ عَمَلهُمْ بِذٰلِكَ قَدْ يُؤَدِّي إِلَىٰ أَنْ يُصَامَ يَوْمِ الشَّكِّ، وَهٰذَا يُخَالِفُ

---

(١) الترمذيُّ (٦٩٧).

(٢) رواه البخاريُّ (١٩١٤)، ومسلمٌ (١٠٨٢)، وأبو داود (٢٣٣٥).

قَوْله ﷺ: «فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ الشَّهْرِ ثَلاَثِينَ»[1].

وَقَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الذِي يُشَكُّ فِيهِ فَقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ ﷺ: رَوَاهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَرَوَاهُ البُخَارِيُّ تَعْلِيقاً[2] وَقَدْ يُؤَدِّي العَمَلُ بِقَوْلِ الحَاسِبِ إِلَىٰ التَّأَخُّرِ فِي الصِّيَامِ عَنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ.

قَدْ يَقُولُ بَعْضُ الْمُتَحَذْلِقِينَ: إِنَّ العِلْمَ قَدْ تَطَوَّرَ، وَيَعْنُونَ بِالْعِلْمِ تَقَدُّمَ الصِّنَاعَةِ وَالْمُخْتَرَعَاتِ الحَدِيثَةِ وَالدِّرَاسَاتِ الفَلَكِيَّةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ عِلْمَ الحِسَابِ قَدْ تَطَوَّرَ وَصَارَ بِإِمْكَانِ الحَاسِبِ أَنْ يَعْرِفَ مَا إِذَا كَانَ الهِلاَلُ يُرَىٰ أَوْ لاَ يُرَىٰ. . وَنَقُولُ لِهَؤُلاَءِ أَوْلاً: عِلْمُ الحِسَابِ كَانَ مَوْجُوداً مِنْ قَدِيمٍ، وَلَمْ يُعَوِّلْ عَلَيْهِ الشَّارِعِ، لأَنَّهُ عُرْضَةٌ لِلْخطأ وَالاخْتِلاَفِ، فَأَهْلُ الحِسَابِ لاَ يَتَّفِقُونَ أَبَداً.

ثَانِياً: العِبَادَاتُ تَوْقِيفِيَّةٌ مَدَارُهَا عَلَىٰ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَقَدْ أَمَرَ الشَّارِعُ بِالصَّوْمِ لِرُؤْيَةِ الهِلاَلِ، وَالفِطْرِ لِرُؤْيَتِهِ، وَنَهَىٰ عَنِ الصَّوْمِ وَالإِفْطَارِ بِدُونِ رُؤْيَةِ الهِلاَلِ أَوْ إِكْمَالِ ثَلاَثِينَ تَيْسِيراً عَلَىٰ العِبَادِ وَإِبْعَاداً لَهُمْ عَنِ الشُّكُوكِ وَالأَوْهَامِ عَلَّقَ الحُكْمَ عَلَى شَيْءٍ مَحْسُوسٍ لَيْسَ فِيهِ مَجَالٌ لِلاخْتِلاَفِ.

وَلاَ مَانِعَ مِن اسْتِعْمَالِ الآلاَتِ التِي تُسَاعِدُ عَلَىٰ الرُّؤْيَةِ كَالمَرَاصِدِ وَالمَنَاظِرِ المُكَبِّرَةِ إِذَا تَيَسَّرَ ذَلِكَ بدون تَكَلُّفٍ، وَلَسْنَا مُلْزَمِينَ بِإِيجَادِهَا وَاسْتِعْمَالِهَا، لَكِنْ لَوْ وجدتْ فَلاَ مَانِعَ مِنَ الاسْتِعَانَةِ بِهَا.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ـ وَتَقَيَّدُوا بِمَا شَرَعَه اللهُ لَكُمْ فَإِنَّ فِيهِ الكِفَايَةَ وَالهِدَايَةَ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٩)، ومسلمٌ (١٠٨١)، والترمذي (٦٨٤).

(٢) أبو داود (٢٣٣٤)، والترمذيُّ (٦٨٦) والبخاريُّ تعليقاً «كتاب ٣٠ ـ باب ١١» ورواه أيضاً النسائي وابن ماجة.

مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٩].

بارَكَ الله لي ولكم في القرآن العظيم

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ الذِي أَنعَمَ عَلَيْنَا بِنِعَمِهِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَة أَدَّخِرُها لِلدَّارِ الآخِرَةِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المُؤَيَّدُ بِالْمُعْجِزَاتِ البَاهِرَةِ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مَحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ صَوْمُ يَوْمِ الشَّكِّ، وَهُو يَوْمُ الثَّلاَثِينَ مِنْ شَعْبَانَ إِذْا لَمْ يُرَ هِلاَلُ رَمَضَانَ بِسَبَبِ الغَيْمِ أَوِ القتَرِ، لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِاعْتِبَارِ هٰذَا اليَوْمِ مِنْ شَعْبَانَ، حَيْثُ قَالَ: «**فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاَثِينَ**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ[1]. وَيَجُوزُ صَوْمُ هٰذَا اليَوْمِ تَطَوُّعاً، إِذَا كَانَ عَادَتُهُ صِيَامَ يَوْمِ الإِثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، وَصَادَفَ يَوْمُ الشَّكِّ أَحَدَ هَذَيْنِ اليَوْمَيْنِ، فَإِنَّهُ يَصُومُهُ تَطَوُّعاً عَلَىٰ عَادَتِهِ، وَكَذَا مَنْ عَلَيْهِ قَضَاءٌ مِنْ رَمَضَانَ سَابِقٌ، فَإِنَّهُ يَصُومُ هٰذَا اليَوْمَ عَنْ ذٰلِكَ القَضَاءِ.

لأَنَّ المَمْنُوعَ صِيَامُهُ عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ رَمَضَانَ الجَدِيدِ مِنْ بَابِ الاحْتِيَاطِ أَوْ اعْتِمَاداً

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٩) ومسلم (١٠٨١) والترمذي (٦٨٤).

عَلَىٰ قَوْلِ أَهْلِ الحِسَابِ أَنَّهُ مِنْ رَمَضَانَ، لأَنَّ ذٰلِكَ بِدْعة، وَكُلَّ بَدْعِةٍ ضَلَالَةٌ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ . . . إلخ.

* * *

بَعْضُ أَحْكَامِ الصِّيَامِ

الحَمْدُ للهِ ذِي الفَضْلِ وَالإِنْعَامِ، أَوْجَبَ الصِّيَامَ علَى أُمَّةِ الإِسْلَامِ، وَجَعلَهُ أَحَدَ أَرْكَانِ الدِّينِ العِظَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ وَحدهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ذُو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ مَنْ صَلَّى وَصَامَ وَأَطَاعَ أَمْرَ رَبِّهِ وَاسْتَقامَ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ البَرَرَةِ الكِرَامِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ بُلُوغِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَاسْأَلُوهُ التَّوْفِيقَ وَالإِعَانَةَ عَلَىٰ اغْتِنَامِ أَوْقَاتِهِ بِالطَّاعَةِ، وَأَنْ لاَ يَجْعَلَكُمْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ التَّفْرِيطِ وَالإِضَاعَةِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَفْرَحُ بِطُولِ العُمْرِ لأَجْلِ إِدْرَاكِ مَواسِمِ الخَيْرَاتِ، وَالإِكْثَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ.

وَفِي الحَدِيثِ: «خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ»[1]، وَلاَ يُفْرَحُ بِطُولِ العُمرِ مِنْ أَجْلِ العَيْشِ فِي الدُّنْيَا فَقَطْ، لأَنَّ العَيْش فِي الدُّنْيَا فِي غَيْرِ الطَّاعة يَنْتَهِي سَرِيعاً وَيُعْقِبُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ.

وَأَمَّا العَيْشُ فِي الدُّنْيَا فِي الطَّاعَةِ فَإِنَّهُ يَبْقَىٰ أَثَرُهُ وَيَمْتَدُّ خَيْرُهُ إِلَىٰ مَا لاَ نِهَايَةَ، لأَنَّهُ يَتَّصِلُ بِعَيْشِ الآخِرَةِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ**»، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢٣٣٠) عن عبد الله بن بُسْرٍ رضي الله عنه. وقال: حديثٌ حسن. ورواه غيرهُ أيضاً.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

فَحَيَاةُ المُؤْمِنِ مُمْتَدَّةٌ مُتَوَاصِلَةٌ بِالْخَيْرِ وَالسُّرُورِ فِي دُنْيَاهُ وَفِي قَبْرِهِ وَيَوْمَ نُشُورِهِ. فَفِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا يَتَلَذَّذُ بِالطَّاعَةِ وَيَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ بِذِكْرِ اللهِ، فَيَعِيشُ فِيهَا مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ قَرِيرَ العَيْنِ، وَفِي قَبْرِهِ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَىٰ الجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ طِيبِهَا وَنَعِيمِهَا، وَيُقَالُ لَهُ: نَمْ نَوْمَةَ العَرُوسِ لاَ يُوقِظه إلاَّ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، وَفِي بَعْثِهِ يُبْعَثُ عَلَىٰ أَحْسَنِ حَالٍ، فَيُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً، وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ دَارَ النَّعِيمِ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا لاَ يَمَسُّهُ فِيهَا نَصَبٌ، وَلاَ يَخْشَىٰ مَوْتاً وَلاَ هَمّاً وَلاَ مَرَضاً. ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وَأَمَّا الكَافِرُ فَإِنَّهُ وَإِنْ حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا فَإِنَّهُ يَعِيشُ فِيهَا مَهْمُوماً مَذْمُوماً، وَتَزُولُ عَنْهُ سَرِيعاً، ثُمَّ يَمُوتُ وَيُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَى النَّارِ وَبِئْسَ القَرَارُ. هٰكَذَا عَذَابٌ مُتَوَاصِلٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الرعد: ٣٤].

عِبَادَ اللهِ: وَإِنَّ مَنْ أَعْظَمِ مَا يَمُرُّ فِي عُمرِ المُؤْمِنِ إِدْرَاكَ مَوَاسِمِ الخَيْرِ، الَّتِي مِنْ أَعْظَمِهَا شَهْرُ رَمَضَانَ المُبَارَكِ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ كَسْبٍ فِي حَيَاةِ المُؤْمِنِ، وَفِي حَدِيثِ الثَّلاَثَةِ الذِينَ اسْتُشْهِدَ مِنْهُمُ اثْنَانِ وَبَقِيَ الثَّالِثُ بَعْدَهُمَا، وَمَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، فَرُئِيَ سَابِقاً لَهُمَا، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ ذٰلِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَيْسَ عَاشَ بَعْدَهُمَا، وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا، وَأَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَصَامَه، وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ». فَاحْمَدُوا اللهَ ـ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ـ عَلَى بُلُوغِ هٰذَا الشَّهرِ، وَأَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَاكْتِسَابِ الحَسَنَاتِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ أَعْظَمَ عَمَلٍ شَرَعَهُ اللهُ فِي هٰذَا الشَّهْرِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ المَفْرُوضَةِ هُو الصِّيَام، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ صَوْمَ هٰذَا الشَّهْرِ أَحَدَ أَرْكَانِ الإِسْلام، فَمَنْ جَحدَه فَهُو كَافِرٌ

مُرْتَدٌّ عَنْ دِينِ الإِسْلَامِ، وَمَنْ أَقَرَّ بِوُجُوبِهِ، وَلَمْ يَصُمه تكَاسُلاً فَهُو مُسْتَحِقٌّ لأَعْظَمِ الوَعِيدِ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ التوْبَةُ إِلَى الله وَقَضَاءُ مَا أَفْطَرَ مِنْهُ. وَمَنْ عُلِمَ بِفِطْرِهِ مِنَ المُسْلِمِينَ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُرْفَعَ أَمْرُهُ لِوُلَاةِ الأُمُورِ لِيُأَدِّبُوهُ وَيُلزمُوه بِالصِّيَامِ، وَيَجِبُ الصِّيَامُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ بَالِغ عَاقِلٍ مُقِيمٍ صَحِيحٍ.

وَأَمَّا الصَّغِيرُ الذِي دُونَ البُلُوغِ فَلاَ يَجِبُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ يُؤْمَرُ بِهِ إِذَا كَانَ يُطِيقُه لِيَعْتَادَهُ وَيَتَرَبَّىٰ عَلَيْهِ، ويَكُونَ لَهُ نَافِلَةً وَلِوَلِيِّهِ أَجْرَاً.

وَأَمَّا المُسَافِرُ وَالمَرِيضُ فَيُفْطِرَانِ وَيَقْضِيَانِ مِنْ أَيَّام أُخَر.

وَمَن زَالَ عَقْلُهُ بِجُنُونٍ دَائِمٍ أَوْ كِبَرٍ وَهَرَمٍ، فَلاَ صَوْمَ عَلَيْهِ. وَأَمَّا الكَبِيرُ الذِي يَعْقِلُ وَلَكِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ الصِّيَامَ لِضَعْفِ بَدَنِهِ وَقُوَاهُ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُطْعِمَ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِيناً. وَمِثْلُهُ المَرِيض الذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الصَّوْمَ، وَالمَرَضُ مُسْتَمِرٌّ مَعَهُ دَائِماً فَإِنَّهُ لاَ صَوْمَ عَلَيْهِ، وَيُطْعِمُ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِيناً.

عِبَادَ اللهِ: وَالصَّوْمُ: مَعْنَاهُ الإِمْسَاكُ عَنِ المُفْطِرَاتِ بِنِيَّة مِنْ طُلُوعِ الفَجْرِ الثَّانِي إِلَىٰ غُرُوبِ الشَّمْسِ.

وَالمُفطراتُ هِيَ: الأَكْلُ وَالشُّرْبُ فَمَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ مُتَعَمِّدَاً بَطُلَ صَوْمُهُ وَيَجِبُ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ إِلَىٰ اللهِ وَالإِمْسَاكُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ثُمَّ يَقْضِي مَا أَفْطَرَهُ.

وَمَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِياً فَلاَ حَرَجَ عَلَيْهِ، وَصَوْمُهُ صَحِيحٌ.

وَمِثْلُ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ فِي إِفْسَادِ الصِّيَام ما كَانَ بِمَعْنَاهُمَا، مِثْلُ الإِبَرِ المُغَذِّيَةِ، وَالحُبُوبِ الدِّوائِيَّةِ، وَالإِبَرِ التِي تُحْقَنُ عَنْ طَرِيقِ الوَرِيدِ، لأَنَّ هَذِهِ الأَشْيَاءَ تَدْخُلُ فِي الجِسْمِ وَتُخَالِطُ الدَّمَ أَوْ تُغَذِّي، وَتَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ، وَمِثْلُ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ أَيْضاً: اسْتِعْمَالُ القَطْرَةِ فِي العَيْنِ أَوْ الأَنْفِ أَوِ الأُذُنِ، لأَنَّهَا تَتَسَرَّبُ إِلَىٰ الحَلْقِ وَتَدْخُلُ الجَوْفَ، فَمَنِ اسْتَعْمَلَ القَطْرَةَ مَتَعَمِّدَاً،

وَوَجَدَ طَعْمَهَا فِي حَلْقِهِ فَإِنَّهُ يَفْسُدُ صَوْمُهُ.

فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَبَالِغْ فِي الاسْتِنْشَاقِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ صَائِمَاً»[1]، فَقَدْ نَهَىٰ عَنِ المُبَالَغَةِ فِي اسْتِنْشَاقُ الصَّائِمِ لِئَلاَّ يَصِلَ المَاءُ إِلَىٰ حَلْقِهِ، وَذٰلِكَ يَدُلُّ عَلَى الإِخْلاَلِ بِصِيَامِهِ، وَمِثْلُه القطرةُ لأَنَّها سَائِلٌ وَصَلَ الحلقَ عَمْداً فتفسدُ الصومَ.

وَمِنْ مُفْسِدَاتِ الصَّوْمِ: الجِمَاعُ فَمَنْ جَامَعَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ فَسَدَ صَوْمُهُ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَ إِلَىٰ اللهِ، وَيُمْسِكَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، ثُمَّ يَقْضِي هٰذَا اليَوْمَ الذِي جَامَعَ فِيهِ، وَعَلَيْهِ مَعَ القَضَاءِ الكَفَّارَةُ المُغَلَّظَةُ، وَهِي إِعْتَاقُ رَقَبَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ صَامَ شَهْرِينِ مُتَتَابِعَيْنِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَطْعَمَ سِتِّينَ مِسْكِيناً.

وَعلَىٰ المُسْلِمِ أَنْ يَتَجَنَّبَ كُلّ الوَسَائِلِ التِي قَدْ تُوقِعُهُ فِي هٰذَا المَحْذُورِ، مِنْ نَظَرٍ بِشَهْوَةٍ، أَوْ تَقبيلٍ لِزَوْجَتِهِ بِشَهْوَةٍ، أَوْ لَمْسٍ لَهَا بِشَهْوَةٍ.

وَمِنَ المُفْسِدَاتِ لِلصَّوْمِ: إِنْزَالُ المَنِيِّ بِدُونِ الجِمَاعِ بِسَبَبٍ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ مِنْ نَظَرٍ، أَوْ تَقْبِيلٍ، أَوْ لَمْسٍ، أَو اسْتِمْنَاءٍ بِالْيَدِ، وَهُو مَا يُسَمَّى بِالعَادَةِ السِّرِّيَّةِ.

أَمَّا مَنِ احْتَلَمَ وَهُو نَائِمٌ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ فَأَنْزَلَ، فَإِنَّهُ لاَ يُؤَثِّرُ عَلَى صِيَامِهِ، لأَنَّهُ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ وَإِنَّمَا يَجِبُ عَلَيْهِ الاغْتِسَالُ.

وَمِنْ مُفْسِدَاتِ الصَّوْمِ: اسْتِفْرَاغُ مَا فِي المِعدَةِ عَمْدَاً، وَهُو التَّقَيُّؤُ، لِقَولِهِ ﷺ: «مَن اسْتَقَاءَ فَلْيَقْضِ»[2] أَمَّا مَنْ غَلَبَهُ القَيءُ وَخَرَجَ بدونِ اخْتِيارِهِ فَصِيامُهُ صَحِيحٌ.

وَمِنْ مُفْسِدَاتِ الصَّوْمِ: اسْتِخْرَاجُ الدَّمِ الكَثِيرِ مِنَ البَدَنِ بِحِجَامَةٍ أَوْ فَصْدٍ أَوْ

---

(١) رواه أبو داود، (١٤٢)، والترمذيُّ (٧٨٨) وقال: حسنٌ صحيح عن لقيط بن صبرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه أبو دواد (٢٣٨٠)، والترمذيُّ (٧٢٠). وحَسَّنَهُ.

سَحْبٍ لِلدَّمِ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَفْطَرَ لِصِحَّةِ الحَدِيثِ فِي أَنَّ الحجَامَةَ تُفَطِّرُ الصَّائِمَ.

أَمَّا مَن انْجَرَحَ وَنَزَفَ مِنْهُ دَمٌ كَثِيرٌ، أَوْ خَلَعَ ضِرْساً، فَخَرَجَ مِنْهُ دَمٌ فَلاَ حَرَجَ، وَعلَيْهِ أَنْ يَتْفَلَ الدَّمَ مِنْ فَمِهِ.

وَمِنْ مَوَانِعِ صحَّةِ الصَّوْمِ: الحَيْضُ وَالنِّفَاسُ، فَالحَائِضُ وَالنُّفَسَاءُ تُفْطِرَانِ مَدَّةَ الحَيْضِ وَالنِّفَاسِ وُجُوباً، وَلاَ يَجُوزُ لَهُمَا الصِّيَامُ وَلاَ يَصِحُّ مِنهمَا، وَتَقضِيانِ ما أَفْطَرَتَا فِيهِمَا مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَحَافظُوا عَلَى صِيَامِكُمْ مِنَ المُفْسِدَاتِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ اللَّيْلَ مَجالاً لِتناوُلِ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ أَوْ تَشْتَهُونَهُ مِمَّا أَبَاحَ اللهُ لَكُمْ. أَمَّا النَّهَارُ فَاحْفَظُوهُ بِالصِّيَامِ.

أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَجِيمِ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ عَلَى فَضْلَهِ وَإِحْسَانِهِ. شَرَعَ لَنَا الصِّيَامَ وَالقِيَامَ لِنَنَالَ مِنْهُ الأَجْرَ وَالإِكْرَامَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شرِيكَ لَهُ، المَلِكُ العَلاَّمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَزْكَىٰ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ هُنَاكَ مُفْطِرَاتٍ مَعْنَوِيَّةً إِلَى جَانِبِ الْمُفْطِرَاتِ الْحِسِّيَّةِ، فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ مَعْرِفَتُهَا وَاجْتِنَابُهَا، وَهِيَ:

كُلُّ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ مُحَرَّمٍ في غَيْرِ الصِّيَامِ فَإِنَّهُ يَتَأَكَّدُ تَحْرِيمُهُ وَيَتَضَاعَفُ إِثْمُهُ فِي وَقْتِ الصِّيَامِ، وَذٰلِكَ كَالغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَالشَّتْمِ، وَالسِّبَابِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَالنَّظَرِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللهُ، النَّظَرَ إِلَيْهِ مِنَ النِّسَاءِ، وَالصُّوَرِ الفَاتِنَةِ، وَالأَفْلَامِ الخَلِيعَةِ، وَالاسْتِمَاعَ إِلَى مَا حَرَّمَ اللهُ الاسْتِمَاعَ إِلَيْهِ مِنَ الأَغَانِي وَالمَعَازِفِ وَالمَزَامِيرِ وَسَائِرِ المَعَاصِي، فَإِنَّهَا تُؤَثِّرُ عَلَى الصِّيَامِ وَتُوجِبُ الآثَامَ. فَلَيْسَ الصِّيَامُ مجَرَّدَ تَرْكِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالجُوعِ وَالعَطَشِ. وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ تَرْكُ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللهُ مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ المُحَرَّمَةِ وَالمُؤَثِّمَةِ، يَصُومُ البَطْنُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالفَرْجُ عَنِ الاسْتِمْتَاعِ، وَالنَّظَرُ عَنِ المَرَائِي المُحَرَّمَةِ، وَاللِّسانُ عَنِ الأَلْفَاظِ القَبِيحَةِ.

فَتَرْكُ الطَّعَامِ وَالشَّرابِ لاَ يَكْفِي مَعَ عَدَمِ تَرْكِ هٰذِهِ الأَشْيَاءِ، بَلْ يُصْبِحُ تَعَباً بِلاَ فَائِدَةٍ، وَعَمَلاً بِلاَ أَجْرٍ.

فَاتَّقُوا اللهَ فِي صِيَامِكُمْ وَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ رَبِّكُمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ.

* * *

فِي الحَثِّ عَلَىٰ تَعَلُّمِ القُرْآنِ وَتلَاوَتِهِ وَالعَمَلِ بِه

الحَمْدُ للهِ ذِي الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ، أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنعَمٍ لاَ تُحْصَىٰ، وَأَجَلُّها نِعْمَةُ القُرْآنِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تنْجِي مَنْ نَطَقَ بِهَا وَعَرَفَ مَعْنَاهَا وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا مِنَ النِّيرَانِ، وَيَسْتَحِقُّ بِهَا دُخولَ الجِنَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المُؤَيَّدُ بِمُعْجِزَةِ القُرْآنِ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُم عَلَى طَرِيقِ الإِيمَانِ، وَسَلَّمَ تَسْليماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعْمَةِ الإِيمَانِ، وَخَصَّكُمْ بِهِ مِنْ إِنْزَالِ القُرْآنِ، فَهُو القُرْآنُ العَظِيمُ، وَالذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَالصِّرَاطُ المُسْتقِيمُ. هُو كَلَامُ اللهُ الذِي لاَ يُشْبِهُهُ كَلَامٌ. وَلاَ يأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، تكَفَّلَ اللهُ بحفظِهِ فَلا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ نَقْصٌ وَلاَ زِيَادَةٌ، مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ وَفِي المَصَاحِفِ، مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مُتْلُوٌّ بِالأَلْسُنِ مُيَسَّرٌ لِلتَّعَلُّمِ وَالتَّدبُّرِ.

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر: ١٧].

يَسْتَطِيعُ حِفْظهُ وَاسْتَظْهَارَهُ الصِّغارُ وَالأَعَاجِمُ، لاَ تكِلُّ الأَلْسُنُ مِنْ تِلَاوَتِهِ، وَلاَ تَمَلُّ الأَسْمَاعُ مِنْ حَلَاوَتِهِ ولذتِهِ، وَلاَ يَشْبَعُ العُلَمَاءُ مِنْ تَدَبُّرِهِ وَالتَّفَقُّه فِي مَعَانِيهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ الإِنْسُ وَالجِنُّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ، لأَنَّهُ المُعْجِزَةُ الخَالِدَةُ، وَالحُجَّةُ البَاقِيَةُ. أَمَرَ اللهُ بتلَاوَتِهِ وَتَدَبُّرِهِ وَجَعْلَه مبَارَكاً، فَقَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩].

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ، أَلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1].

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ مِيزَةً وَفَضِيلَةً لِحَمَلَة القُرْآنِ العَامِلِينَ بِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ، قَالَ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ[2].

وَقَالَ ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِ الذِي يَقْرَأُ القُرْآنِ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَل الحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مرٌّ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[3].

فَفِي هَذِهِ النُّصُوصِ حَثٌّ عَلَىٰ تَعلُّمِ القُرْآنِ أَوّلاً، ثُمَّ تِلاَوَتِهِ وَتَدَبُّرِهِ ثَانِياً. ثُمَّ العَمَلِ بِهِ ثَالِثاً. وَقَدِ انْقَسَمَ النَّاسُ مَعَ القُرْآنِ إِلَى أَقْسَامٍ:

فَمِنْهُمْ مَنْ يَتْلُوهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ وَيَهْتَمُّ بِدِرَاسَتِهِ عِلْماً وَعَمَلاً. وَهؤُلاَءِ هُم السُّعَدَاءُ، الذِينَ هُم أَهْلُ القُرْآنِ حقِيقَةً.

وَمِنْهُمْ مِنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَلَمْ يَتَعَلَّمَهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَهؤُلاَءِ قَدْ تَوَعَّدَهُمُ اللهُ بِأَشَدِّ الوَعِيدِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢٩١٢).
(٢) رواه البخاريُّ (٥٠٢٧).
(٣) رواه البخاريُّ (٥٠٢٠)، ومسلمٌ (٧٩٧).

ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤ـ ١٢٦].

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تعلَّمَ القُرْآنَ ولَكِنَّهُ أَهْمَلَ تِلاَوتَه، وَهذَا هَجْرٌ لِلقُرْآنِ، وَحِرْمَانٌ لِلنَّفسِ مِنَ الأَجْرِ العَظِيمِ فِي تِلاَوتِهِ، وَسَبَبٌ لِنِسْيَانِهِ، وَقَدْ يَدخلِ في قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾، فإِنَّ الإعْرَاض عَنْ تِلاوةِ القرآنِ وَتعْرِيضَهُ لِلنِّسْيَانِ خَسَارَةٌ كَبِيرَةٌ، وَسَبَبٌ لِتَسَلُّطِ الشَّيْطانِ عَلَىٰ العَبْدِ، وَسَبَبٌ لِقَسْوَةِ القَلْبِ.

ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَتْلو القُرْآنَ مُجَردَ تِلاوَةٍ مِنْ غَيْرِ تَدبُّرٍ وَلاَ اعْتِبَارٍ، وَهذَا لاَ يَسْتَفِيدُ مِنْ تَلاَوَتِهِ فائِدَةً كَبِيرَةً. وَقَدْ ذَمَّ اللهُ مَنِ اقْتصرَ عَلَىٰ التِّلاَوةِ مِنْ غَيْرِ تفَهُّم، فقَالَ سُبْحَانَهُ فِي اليَهُود: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

أَيْ: يَتلُونَهُ تِلاَوةً مُجَردَةً عَنِ الفَهْمِ. فَيَجِبُ عَلَىٰ المُسْلِمِ عِنْدَ تِلاَوتِهِ لِلقُرْآنِ أَنْ يُحْضِرَ قَلْبَهُ لِتَفَهُّمِهِ عَلَى قَدرِ اسْتِطَاعَتِهِ، وَلا يَكْتَفِي بِمُجَرَّدِ سَرْدِهِ وَخَتْمِهِ مِن غَيْرَ تَفَهُّمٍ وتَأَثُّرٍ.

ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذ تِلاَوَةَ القُرْآنِ حِرْفَةً يَتأَكَّل بِهَا، فَيَقْرَأُهُ فِي المَحَافِلِ وَالمَآتِمِ وَالمَوَالِدِ لأَجْلِ مَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ مِنَ الأُجْرَةِ، وَيَقرَؤُونَهُ عَلَىٰ غَيْرِ الوَجْهِ المَشْرُوعِ فَيُمَطِّطونَهُ وَيلَحِّنُونَهُ بِأَلْحَانِ الأَغَانِي، فهؤلاءِ جمعُوا بَيْنَ عِدَّةِ جرائم.

أَوَّلا: قِرَاءَةُ القُرْآنِ فِي مَوَاطِنِ البِدْعَةِ والمَعْصِيَةِ كَالمَآتِمِ وَالمَوَالِدِ وَبَعْضِ المَحَافِلِ التِي تَشْتَمِلُ عَلَى المُنْكَرَاتِ وَالهَزْلِيَّاتِ.

ثَانِيًا: اتخاذُ تِلاوَةِ القُرْآنِ لِطَلَبِ الدنْيَا. والتِّلاَوَةُ عِبَادَةٌ لاَ يَجُوزُ أَنْ يُقصَد بِهَا الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا يقْصَدُ بِهَا وَجْهَ اللهِ وَطَلَبُ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ.

ثَالِثاً: قِرَاءَةُ القُرْآنِ عَلَى غَيْرِ الوَجْهِ الصَّحِيحِ. بَلْ عَلَىٰ وَجْهِ التَّطرِيبِ وَالأَلْحَانِ المُحَرَّمَةِ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتْلُو القُرْآنَ وَيُحَسِّنُ التِّلَاوَةَ لأَجْلِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، وَهُو لاَ يُؤْمِنُ بِهِ وَهَؤُلاءِ هُمُ المُنَافِقُونَ نِفَاقاً اعْتِقَادِيا الذِينَ قَال فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمَثَلُ المُنَافِقِ الذِي يَقْرَأُ القُرْآن كَمَثَلِ الرَّيْحَانَة رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»[1]. وَقَدْ يَقْرَأُ القُرْآنَ مِنْ أَجْلِ المُجَادَلَةِ بِهِ وَاتِّبَاعِ مُتَشَابِهِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

أَمَّا مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ وَهُو مُؤْمِنٌ بِهِ، وَلَكِنَّهُ بِقَرَاءَتِهِ يُحَسِّنُ صَوْتَهُ يَقْصِدُ ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَيْهِ وَمَدْحَهُمْ لَهُ وَالاجْتِمَاعَ حَوْلَهُ، فَهٰذَا نِفَاقٌ عَمَلِيٌّ وَشِرْكٌ أَصْغَرُ يُبْطِلُ الثَّوَابَ وَيُوجِبُ العِقَابَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [الماعون: ٤ـ٦].

وَإِنْ كَانَ يَقْصِدُ بِذَلِكَ نَفْعَ النَّاسِ بِإِسْمَاعِهِمْ القُرْآنَ فَهُو مُثَابٌ مَأْجُورٌ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ وَجُودَ القُرْآنِ بَيْنَنَا وَتَيْسِيرَ الحُصُولِ عَلَيْهِ لِمَنْ طَلَبَهُ، وَتَوْفِيرَ المَصَاحِفِ فِي المَسَاجِدِ وَالبُيوتِ وَالمَكَاتِبِ، وَإِذَاعَةَ تِلَاوَتِهِ فِي الإِذَاعَاتِ التِي يَسْمَعُهَا مَنْ قَرُبَ وَمَنْ بَعُدَ كَلُّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَىٰ مَنَ وَفَّقَهُ اللهُ لِتَعَلُّمِ كِتَابِ اللهِ وَاسْتِمَاعِهِ وَالعَمَلِ بِهِ. وَمِنْ أَعْظَمِ قِيامِ الحُجَّةِ عَلَى مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ، أَوْ خَالَفَهُ، فَقَدْ قَالَ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]. وَقَال ﷺ: «وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»[2].

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهَ وَاهْتَمُّوا بِكِتَابِ اللهِ تَعَلُّماً وَتَعْلِيماً وَعِلْماً وَعَمَلاً تَكُونُوا

---

(١) رواه البخاري (٥٠٢٠) ومسلم (٧٩٧).

(٢) رواه مسلمٌ (٢٢٣).

مِـنْ أَهْلِهِ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠﴾ [الإسراء: ٩ ـ ١٠].

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، جَعلَ القُرْآنَ نُوراً لِلْمُؤْمِنينَ، وَحُجَّةً عَلَىٰ الكَافِرِينَ وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الأَمِينُ، بَلَّغَ البَلاَغَ المُبِينَ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّـاسُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

عِبَادَ اللهِ: اعْلَمُوا أَن لِكِتَابِ اللهِ حُرْمَةً وَمَكَانَةً عَظِيمَةً تَوجِبُ عَلَى المُسْلِمِ احْتِرَامَهُ وَتَعْظِيمَهُ وَالتَّأَدُّبَ عِنْدَ تِلاَوَتِهِ، وَاسْتِمَاعَهُ بِإِنْصَاتٍ وَخُشُوعٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وَمِنْ تَعْظِيمِ القُرْآنِ أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَمُسَّ المُصْحَفَ إِلاَّ طَاهِرٌ. قَالَ ﷺ: «لاَ يَمَسُّ القُرْآنَ إِلاَّ طَاهِرٌ»[1]. وَمِنْ ذَلِكَ تَحْرِيمُ تِلاَوَتِهِ عَلَىٰ الجُنُبِ، سَوَاءٌ مِنَ المُصْحَفِ أَوْ حِفْظَاً، لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لاَ يَحْجُبُهُ عَنْ قِرَاءَةِ القُرْآنِ شَيءٌ إِلاَّ الجَنَابَةُ،

---

(١) رواه الطبرانيُّ بسندٍ صحيحي (الإرواء: ١٢٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وَكَذَلِكَ الحَائِض وَالنُّفَسَاء لا يجوز لهما قراءة القرآنِ حتى تطهُراً، وقد رخصَ بعضُ العلماءِ للحائِضِ والنفساءِ بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ حِفْظَاً إِذَا خَشِيَتْ نِسْيَانَهُ، وَأَمَّا المُحْدِثُ حَدَثَاً أَصْغَرَ فَيَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ حِفْظَاً.

وَلاَ تَجُوزُ كِتَابَةُ القُرْآنِ عَلَى شَيءٍ يَتَعَرَّضُ لِلإِهَانَةِ كَكِتَابَتِهِ عَلَى السُّتُورِ وَعَلَىٰ الجُدْرَانِ مِنْ أَجْلِ الزَّخْرَفَةِ وَالزِّينَةِ أَوْ كِتَابَتُهُ عَلَىٰ لَوْحَاتٍ تعَلَّقُ، وَهٰذَا كَثُرَ فِعْلُهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ، بَحَيْثُ تكْتَبُ آيَاتٌ عَلَىٰ شَكْلِ زَخَارِف وَبِخُطُوطٍ غَيْرِ عَادِيَةٍ، وَرُبَّمَا تكْتَبُ الآيَةُ عَلَىٰ شكل حيوانٍ أو على شكلِ مصباحٍ كهرُبائِيٍّ، وهذا كلُّهُ منَ العَبَثِ بكتابِ اللهِ وتعريضِهِ للإهانةِ، وفي ذلك ابتذالٌ لهُ، واتخاذُهُ حرفَةٌ للكسبِ والبيعِ والشراءِ، فإن الذين يكتُبونَ هذهِ اللَّوْحَاتِ يَبِيعُونَهَا لِلنَّاسِ وَيَأْكُلُونَ ثَمَنَهَا، وَالذِينَ يَشْتَرُونَهَا يُعَلِّقُونَهَا عَلَىٰ جُدْرَانِهِمْ مِنْ أَجْلِ الزَّخْرَفَةِ وَالزِّينَةِ وَالمَنَاظِرِ الجَميلَةِ وَقَدْ تُعَلَّقُ مَعَ صُور مُحَرَّمَةٍ وَفِي أَمْكِنَةٍ غَيْرِ لاَئِقَةٍ، فَاحْتَرِمُوا كِتَابَ اللهِ وَصُونُوهُ عَنْ هَذَا العَبَثِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَحْرُمُ دُخُولُ الخَلاَءِ بِالمُصْحَفِ أَوْ بِشَيءٍ مِنَ القُرْآنِ كَمَا تَحْرُمُ قِرَاءَةُ شَيءٍ مَنَ القُرْآنِ دَاخِلَ مَحِلِّ قَضَاءِ الحَاجَةِ.

وَمِمَّا يَجْدُرُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ: المَجَلاَّتِ وَالجَرَائِدِ التِي يُكْتَبُ فِيهَا شَيءٌ مِنَ القُرْآنِ فَإِنَّهُ لاَ يَجُوزُ إِلْقَاؤُهَا وَتَعْرِيضُهَا لِلامْتِهَانِ، بَلْ يَجِبُ رَفْعُهَا أَوِ انْتِزَاعُ مَا فِيهَا مِنَ القُرْآنِ قَبْلَ إِلْقَائِهَا وَامْتِهَانِهَا.

* * *

فِي الزَّكَاةِ وَأَحْكَامِهَا

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، جَعَلَ فِي أَمْوالِ الأَغْنِيَاءِ حَقّاً لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ. وَلِلْمَصَارِفِ التِي بِهَا صَلاَحُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلاَ نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ مُخْلِصِينَ مُوحِّدِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الأَمِينُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الزَّكَاةَ هِيَ الرُّكْنُ الثَّالِثُ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ، وَهِيَ المُوالِيَةُ لِلصَّلاَةِ بَيْنَ تِلْكَ الأَرْكَانِ، وَقَرِينَتُهَا فِي الذكْرِ فِي كَثِيرٍ مِنْ آيِ القُرْآنِ. حَيْثُ قَرَنَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ بِالصَّلاَةِ فِي نَيفٍ وَثَلاَثِينَ آيةٍ. مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَهمِّيتِهَا، وَعَظِيمِ مَكَانَتِهَا، وَفِيهَا مَصَالِحُ عَظِيمَةٌ:

أَعْظَمُهَا شُكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ وَامْتِثَالُ أَمْرِهِ بِالإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَ، وَالحُصُولُ عَلَىٰ وَعْدِهِ الكَرِيمِ لِلْمُنْفِقِينَ بِالأَجْرِ.

وَمِنْهَا مُوَاسَاةُ الأَغْنِيَاءِ لإِخْوَانِهِمُ الفُقَرَاءِ فِي سَدِّ حَاجَاتِهِمْ وَدَفْعِ الفَاقَةِ عَنْهُمْ.

وَمِنْهَا تَطْهِيرُ نَفْسِ المُزَكِّي مِنَ البُخْلِ وَالشُّحِّ وَالأَخْلاَقِ الذَّمِيمَةِ، وَجَعْلَهُ فِي صُفُوفِ المُحْسِنينَ الذِينَ يُحِبُّهُم اللهُ وَيُحِبُّهُمُ النَّاسُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣] وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣].

وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: «يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ».

وَمَنْعُ الزَّكَاةِ يُسَبِّبُ أَضْرَاراً عَظِيمَةً، مِنْهَا الحِرْمَانُ مِنْ هَذِه المَصَالِحِ المُتَرَتِّبَةِ عَلَىٰ إِخْرَاجِهَا، وَمِنْهَا تَعْرِيضُ المَالِ لِلتَّلَفِ وَالهَلَاكِ، فَفِي الحَدِيثِ الذِي رَوَاهُ البَزَّارُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «مَا خَالَطَتِ الزَّكَاةُ مَالاً قَطُّ إِلاَّ أَهلَكَتْهُ»[1] وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ وَتَسْمَعُونَ اليَومَ مَا يُصِيبُ الأَموَالَ مِنَ الكَوَارِثِ التِي تُتْلِفُهَا مِنْ حَرِيقٍ، وَغَرَقٍ، وَنَهْبٍ، وَسَلْبٍ، وَخَسَارَةٍ، وَإِفْلَاسٍ، وَمَا يُصِيبُ الثِّمَارَ مِنَ الأَفَاتِ التِي تَقْضِي عَلَيْهَا أَوْ تُنْقِصُهَا نَقْصاً ظَاهِراً. وَهَذَا مِنْ عُقُوبَاتِ مَنْعِ الزَّكَاةِ.

وَمِنْهَا: مَنْعُ القَطْرِ مِنَ السَّمَاءِ الذِي بِهِ حَيَاةُ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ وَنُمُوُّ الأَشْجَارِ وَالثِّمَارِ. وَفِي الحَدِيثِ: «وَمَا مَنَعَ قَوْمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِم إِلاَّ مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ»[2] كَمَا تُشَاهِدُونَ انْحِبَاسَ الأَمْطَارِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ البِلَادِ وَمَا نَتَجَ عَنْ ذَلِكَ مِنَ الأَضْرَارِ العَظِيمَةِ. هَذِهِ عُقُوبَاتٌ عَاجِلَةٌ، وَأَمَا العُقُوبَاتُ الآجِلَةُ فَهِي أَشَدُّ مِنْ ذلِكَ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ۝٣٥﴾ [التوبة: ٣٤ـ٣٥].

وَكُلُّ مَا لا تُؤَدِّيْ زَكَاتُهُ فهُو كَنزٌ يُعَذَّبُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَدُلُّ عَلَىٰ ذلِكَ الحَدِيثُ الصَّحِيحُ عَنِ النَّبِي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّي حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ صُفِحَتْ لَهُ صَفَائحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا مِنْ نَارِ

---

(١) انظره في «المشكاة» (١٧٩٣).

(٢) رواه ابن ماجة (٤٠١٩).

جَهنَّمَ، فَيُكْوَىٰ جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ العِبَادِ، فَيُرَىٰ سَبِيلَهُ إِمَّا إِلىٰ الجَنَّةِ وإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ»[1] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

يَدُلُّ عَلَى ذٰلِكَ الحَدِيثُ الصَّحِيحُ عَنِ النَّبِي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ شُجَاعَاً أَقْرَعَ (أَيْ: ثُعْبَانَاً عَظِيماً كَرِيهَ المَنْظَرِ لَهُ زَبِيبَتَانِ يطوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ (يَعْنِي: شِدْقَيْهِ)، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ»[2].

هَذِهِ عُقُوبَةُ مَانِعِ الزَّكَاةِ فِي الآخِرَةِ قَدْ بَيَّنَهَا اللهُ وَرَسُولُهُ، وَهِي أَنَّ المَالَ غَيْرَ المُزَكَّىٰ يَجْعَلُ صَفَائِحَ تُحْمَىٰ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يكْوَىٰ بِهَا جَبْهَتُهُ وَجَنْبُهُ وَظَهْرُهُ، وَيُجْعَلُ أَيْضاً ثُعْبَاناً عَظِيماً يطَوِّقُ بِهِ عُنُقَهُ وَيُمْسِكُ بِشِدْقَيْهِ وَيَلْدَغُهُ، وَيُفْرِغُ فِيهِ السُّمَّ الكَثِيرَ الذِي يَتَأَلَّمُ مِنْهُ جِسْمُهُ.

وَلَيْسَ هَذَا العَذَابُ يَحْصلُ فِي سَاعَةٍ وَيَنْقَطِعُ، بَلْ يَسْتَمِرُّ خَمْسِينَ أَلْف سَنَةٍ، نَعُوذُ بِاللهِ مِن ذٰلِكَ.

وَمَانِعُ الزَّكَاةِ إِذَا عُرِفَ عَنْهُ ذلِكَ فَإِنَّهُ لاَ يَجُوزُ تَرْكُهُ، بَلْ يَجِبُ الإِنْكَارُ عَلَيْهُ وَنُصْحُهُ. فَإِنْ أَصَرَّ عَلَىٰ مَنْعِهَا وَجَبَ عَلَىٰ وَلِيِّ الأَمْرِ أَنْ يَنْظُرَ فِي شَأْنِهِ فَإِنْ كَانَ جَاحِداً لِوجُوبِهَا وَجَبَ أَنْ يُسْتَتَابَ، فَإِنْ تَابَ وَأَدَّىٰ الزَّكَاةَ، وَإِلاَّ وَجَبَ قَتْلُهُ مُرْتَدّاً عَنْ دِينِ الإِسْلاَمِ.

وَإِنْ كَانَ مُقِراً بِوجُوبِهَا وَلَكِنَّهُ مَنَعَهَا بُخْلاً وَجَبَ تَعْزِيرُهُ وَأَخْذُهَا مِنْهُ قَهْراً،

---

(١) رواه البخاريُّ (٤٥٦٥)، ومسلمٌ (٩٨٧).
(٢) رواه مسلم (٩٨٨).

وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَخذُهَا مِنهُ إلاَّ بِقتَالٍ فَإِنَّهُ يُقَاتَلُ كَمَا قَاتَلَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مَانِعِي الزَّكَاةِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ خَضَعُوا لِدَفْعِهَا وَالْتَزَمُوا بِحُكْمِهَا.

وَاعْلَمُوا ـ عِبَادَ اللهِ ـ أَنَّ الأَمْوالَ التِي تَجبُ فِيهَا الزَّكَاةُ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ:

النَّوعُ الأَوَّلُ: النَّقْدَانِ: الذَّهَبُ وَالفِضَّةُ وَما يَقُومُ مَقَامَهُمَا مِنَ الأَوْرَاقِ النَّقْدِيَّةِ التِي يَتَعَامَلُ بِهَا النَّاسُ اليَوْمَ، سَوَاءٌ سُمِّيَتْ، دَرَاهِمُ أَوْ رِيَالاتٌ أَوْ دَنَانِيرُ أَوْ دُولاَرَات أَوْ غَيْرُ ذلِكَ مِنَ الأَسْمَاءِ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ نِصَابٌ مِنَ الذَّهَبِ أَو الفِضَّةِ أَوْ مَا يُعَادِلُ النِّصَابَ مِنْ تِلْكَ الأَوْرَاقِ النَّقْدِيَّةِ أَوْ أَكْثَرُ مِن النِّصَابِ، وَحَالَ عَلَيْهِ الحَوْلُ فَإِنَّهُ تَجبُ فِيهِ الزَّكَاةُ، وَمِقْدَارُهَا: رُبْعُ العُشْرِ، أَيْ: رِيَالاَنِ وَنِصْفٌ مِنْ كُلِّ مِئَةٍ، سَوَاءٌ ادَّخَرَهَا لِلتِّجَارَةِ، أَوْ لِلنَّفَقَةِ، أَوْ لِلزَّوَاجِ، أَوْ لِشِرَاءِ بَيْتٍ، أَوْ سَيَّارَةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حَوَائِجِهِن وَسَوَاءٌ كَانَتْ هَذِهِ النُّقُودُ لِكَبِيرٍ أَوْ لِصَغِيرٍ أَوْ لِمَجْنُونٍ، فَتَجِبُ الزَّكَاةُ فِي أَمْوَالِ الأَيْتَام وَالقُصَّارِ، وَيُخْرِجُهَا عَنْهُمْ وَلِيُّهُمْ.

وَرِبْحُ الدَّرَاهِمِ حَوْلُهُ حَوْلُهَا، فَيُزَكِّي الرِّبْحَ مَعَ رَأْسِ المَالِ وَلَوْ لَمْ يَمْضِ عَلَىٰ الرِّبْحِ إلاَّ مُدَّةٌ يَسِيرَةٌ أَوْ لَمْ يَمْضِ عَلَيْهِ شَيءٌ.

وَالمُوَظَّفُ الذِي يَدَّخِرُ مِنْ مُرَتَّبِهِ كُلَّ شَهْرٍ مَبْلَغاً، وَالأَحْوَطُ لَهُ وَالأَسْهَلُ عَلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ شَهْراً مِنَ السَّنَةِ كَشَهْرِ رَمَضَانَ وَقْتاً لإِخْرَاجِ زَكَاةِ مَا اجْتَمَعَ لَدَيْهِ مِنَ النُّقُودِ إِلَىٰ مِثْلِ هٰذا الشَّهْرِ مِنَ السَّنَةِ القَادِمَةِ.

وَمَنْ كَانَ لَهُ دُيونٌ فِي ذِمَمِ النَّاسِ سَواءٌ كَانَتْ قُرُوضاً أَوْ أَثْمَانَ مَبِيعَاتٍ مُؤَجَّلَةٍ أَوْ أُجورَاتٍ فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الدُّيونُ عَلَى أُناسٍ مُوسِرِينَ بَاذِلِينَ يَسْتَطِيعُ الحُصُولُ عَلَيْهَا عِنْدَمَا يَطْلُبُهَا مِنْهُمْ فَإِنَّهُ يُزَكِّيهَا إِذَا تَمَّ لَهَا حَوْلٌ مِنْ حِينِ العَقْدِ، سَوَاءٌ قَبَضَهَا مِنهُمْ أَوْ لَمْ يَقبِضْهَا كَمَا يُزَكِّي المَالَ الذِي بِيَدِهِ. وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الدُّيونُ عَلَى مُعْسِرِينَ أَوْ عَلَىٰ مُمَاطِلِينَ، وَلاَ يَدْرِي هَلْ يَحْصُلُ عَلَيْهَا، أَمْ تَذْهَبُ، فَإِنَّهُ يُزَكِّيهَا

إِذَا قَبَضَهَا عَنْ سَنَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ عَلَىٰ الأَصَحِّ. وَإِذَا كَانَ عَلَىٰ الإِنْسَانِ دُيونٌ لِلنَّاسِ وَعِنْدَهُ نُقُودٌ أَوْ عُرُوضُ تِجَارَةٍ فَالأَصَحُّ مِنْ قَوْلِ العُلَمَاءِ أَنَّ الدَّيْنَ لاَ يَمْنَعُ وُجُوبَ الزَّكَاةِ فِيمَا عِنْدَهُ فَيُزَكِّي مَا عِنْدَهُ مِنَ النُّقُودِ وَالعُرُوضِ.

النَّوعُ الثَّانِي: مِنَ الأَمْوَالِ التِي تَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ:

عُرُوضُ التِّجَارَةِ، وَهِي السِّلَعُ المَعْرُوضَةُ لِلْبَيْعِ طلَبَاً لِلرِّبْحِ، كَالأَقْمِشَةِ، وَالسَّيَّارَاتِ، وَالآلِيَّاتِ، وَقِطَعُ الغِيَارِ، وَالأَرَاضِي، وَالعِمَارَاتِ المُعَدَّةِ لِلْبَيْعِ، وَمُحْتَوَيَاتِ البَقَّالاَتِ مِنْ أَنْواعِ الأَطْعِمَةِ، وَالأَشْرِبَةِ، وَالمُعَلَّبَاتِ، وَمُحْتَوَيَاتِ الصَّيْدَلِيَّاتِ مِنَ الأَدْوِيَةِ وَالأَدَوَاتِ الطِّبِّيَةِ، وَأَدَواتِ البِنَاءِ بِأَنْوَاعِهَا، وَمَا تَحْوِيهِ المَكْتَبَاتُ التِّجَارِيَّةُ مِنَ الكُتُبِ وَغَيْرِهَا، فَإِنَّهُ عِنْدَ تَمَامِ الحَوْلِ عَلَيْهَا أَوْ عَلَىٰ ثَمَنِهَا الذِي اشْتُرِيَتْ بِهِ يُقَوِّمهَا ـ أَيْ: يُقَدِّرُ قِيمَتَهَا التِي تُسَاوِيهَا عِنْدَ تَمَامِ الحَوْلِ ـ سَواءٌ كَانَتْ قَدْرَ قِيمَتِهَا التِي اشْتَرَاهَا بِهَا أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ، وَلاَ يُنْظَرُ إِلَىٰ مَا اشْتَرَاهَا بِهِ، وَيُخْرِجُ رُبْعَ العُشْرِ مِنَ القِيمَةِ المُقَدَّرَةِ. وَلاَ يُتْرَكُ شَيْئاً مِمَّا أُعِدَّ لِلْبَيْعِ كَبِيراً كَانَ أَوْ صَغِيراً إِلاَّ وَيُقَدِّرُ قِيمَتَهُ، بِأَنْ يجرِّدَ كُل مَا عِنْدَهُ، وَيُقَوِّمَهُ لإِخْرَاجِ زَكَاتِهِ، وَلاَ زَكَاةَ فِيمَا أُعِدَّ لِلتَّأْجِيرِ مِنَ العِمَارَاتِ وَالسَّيَّاراتِ وَالدَّكَاكِينِ وَالآلِيَّاتِ وَغَيْرِهَا، فَلاَ زَكَاةَ فِي نَفْسِ هَذِهِ الأَشْيَاءِ، وَإِنَّمَا الزَّكَاةُ فِي أُجْرَتِهَا إِذَا حَالَ عَلَيْهَا الحَوْلُ مِنْ حِينِ عَقْدِ الإِجَارَةِ.

وَلاَ زَكَاةَ عَلَىٰ الإِنْسَانِ فِيمَا أَعَدَّهُ لِلاسْتِعْمَالِ كَالمَسْكَنِ وَالمَتْجَرِ، أَي: المَحِلِّ الذِي يَجْلِسُ فِيهِ لِلْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَالسَّيَّارَاتِ التِي يَرْكَبُهَا وَغَيْرَ ذلِكَ مِنْ مُسْتَعْمَلاَتِهِ، وَالذِي عِنْدَهُ مَصْنَعٌ أَوْ وَرْشَةٌ لِلْحِدَادَةِ أَوْ لإِصْلاَحِ السَّيَّارَاتِ، أَوْ عِنْدَهُ مَطْبَعَةٌ، لاَ زَكَاةَ عَلَيْهِ فِي الآلِيَّاتِ التِي يَسْتَخْدِمُهَا لِلْعَمَلِ، وَإِنَّمَا الزَّكَاةُ فِي الغَلَّةِ التِي يَحْصُلُ عَلَيْهَا مِنْ هٰذِهِ الأَشْيَاءِ.

وَالأَسْهُمُ التِي لِلإِنْسَانِ فِي الشَّرِكَاتِ إِنْ كَانَتْ شَرِكَاتِ اسْتِثْمَارٍ كَشَرِكَاتِ

المَصَانِعِ أَوْ شَرِكَاتِ النَّقْلِ وَشَرِكَاتِ الكَهْرَبَاءِ وَالإِسْمِنْتِ، فَهَذِهِ تَجِبُ الزَّكَاةُ فِي غَلَّتِهَا، فَإِذَا حَصَلَ المُسْهِمُ عَلَى شيء من غلَّةِ أسهُمِه في الشركةِ فإنَّهُ يزكِّيه، وأمَّا الأَسهمُ التي له في الأراضي التجاريةِ، فتجب عليهِ زَكَاةُ أَسْهُمِهِ مِنْهَا بِأَنْ يُقَوِّمَ تِلْكَ الأَرَاضِي فِي تَمَامِ حَوْلِهَا ويُخْرِجَ ربْعَ عُشْرِ قِيمَةِ نَصِيبهِ مِنْهَا.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: مِنَ الأَمْوَالِ التِي تَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ:

بِهِيمَةُ الأَنْعَامِ مِنَ الإِبلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ.

وَالنَّوْعُ الرَّابِعُ: الخَارِجُ مِنَ الأَرْضِ.

وَتَفَاصِيل أَحْكَام زَكَاةِ هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ مَبْسُوطَةٌ فِي كُتُبِ الفِقْهِ وَبِإِمْكَانِ مَنِ احْتَاجَ إِلَىٰ شَيءٍ مِنْهَا أَنْ يَسْأَلَ أَهْلَ العِلْمِ، لأَنَّهُ لاَ يَتَّسِعُ هَذَا المَقَامُ لِذِكْرِهَا.

وَاعْلَمُوا ـ رَحِمَكُم اللهُ ـ أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنَ النِّيَّةِ عِنْدَ دَفْعِ الزَّكَاةِ، لأَنَّهَا عِبَادَةٌ، وَالعِبَادَةُ لاَ تَصِحُّ إلاَّ بِنِيَّةٍ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَىٰ»[1] فَيَنْوِي عِنْدَ دَفْعِهَا أَنَّهَا زَكَاةٌ.

وَلَوْ دَفَعَ دَرَاهِمَ وَهُو لَمْ يَنْوِهَا زَكَاةً، ثُمَّ نَوَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمْ تَجْزِ، وَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يُحْصِيَ مَا لَدَيْهِ مِنَ المَالِ الذِي تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ إِحْصَاءً دَقِيقاً لِئَلاَّ يَبْقَىٰ مِنْ مَالِهِ شَيءٌ لَمْ تُخْرَج زَكَاتُهُ، فَيُوجِب ذلِكَ مَحْقَهُ وَتَلَفَهُ.

وَيَجُوزُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يُوَكِّلَ مَنْ يُحْصِي مَالَهُ وَيُخْرِجُ زَكَاتَهُ نِيَابَةً عَنْهُ، وَيَجِبُ عَلَىٰ المُزَكِّي أَنْ يُخْرِجَ الزَّكَاةَ طَيبَةً بِهَا نَفْسُهُ غَيْرَ مُمْتَنٍّ بَهَا، وَلاَ مُسْتَكْثِرٍ لَهَا، وَلاَ كَارِهٍ لإِخْرَاجِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

---

(١) رواه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

وَكَرَاهِيَةُ إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ مِنْ عَلاَمَاتِ النِّفَاقِ، قَالَ تَعَالَىٰ فِي الْمُنَافِقِينَ: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٤].

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَدْعُو عِنْدَ إِخْرَاجِهَا، فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مَغْنَماً، وَلاَ تَجْعَلْهَا مَغْرَماً»، وَيَقُولُ آخِذُهَا: «آجَرَكَ اللهُ فِيمَا أَعْطَيْتَ وَبَارَكَ لَكَ فِيما أَبْقَيْتَ وَجَعَلَهُ لَكِ طَهُوراً».

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ فِي أُمُورِ دِينِكُمْ عَامَةً وَفِي زَكَاةِ أَمْوَالِكُمْ خَاصَّةً.

عِبَادَ الله: وَيَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ الاسْتِكْثَارُ مِنْ صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ أَيْضاً فِي هَذَا الشَّهْرِ الكَرِيمِ، وَالمَوْسِمِ العَظِيمِ، لِحَدِيثِ أَنَسٍ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «صَدَقَةٌ فِي رَمَضَانَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[1].

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْب طَيِّبٍ، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَىٰ اللهِ إلاَّ الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ العَظِيمِ»[2] متفق عليه.

وعن أنسٍ مرفوعاً: «إن الصدقة لتطفىءُ غضب الرَّبِّ، وتدفعُ مِيتةَ السُّوءِ»[3] وَالآيَاتُ وَالأَحَادِيثُ فِي هٰذَا كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ.

وَالصَّدَقَةُ فِي هٰذَا الشَّهْرِ فِيهَا اقْتِدَاءٌ بِالرَّسُولِ ﷺ، فَقَدْ كَانَ يَتَضَاعَفُ جُودُهُ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبهُ وَيَرْضَاهُ، وَأَنْ يَشْمَلَنَا بِعَفوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

---

(١) رواه الترمذيُّ (٦٦٣).
(٢) رواه البخاريُّ (١٤١٠)، ومسلمٌ (١٠١٤).
(٣) رواه الترمذي (٦٦٤) وحسنهُ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٣ ـ ١٠٤].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ. أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ، وَوَعَدَ مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ أَنْ يُيَسِّرَهُ لِلْيُسْرَىٰ، وَتَوَعَّدَ مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، أَنْ يُيَسِّرَهُ لِلْعُسْرَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، له الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَاحِبُ المَقَامِ المَحْمُودِ. وَالحَوْضِ المَوْرُودِ وَالشَّفَاعَةِ العُظْمَىٰ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ بَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُم فِي سَبِيلِ اللهِ وَاسْتَمْسَكُوا مِنَ الإِسْلاَمِ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَىٰ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالىٰ وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا تُخْرِجُونَهُ مِنَ الزَّكَاةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الصَّدَقَاتِ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَمِنْ كَسْبٍ حَلاَلٍ أَنَّهُ يَكُونُ قَرْضاً حَسَناً تُقْرِضُونَهُ رَبَّكُمْ وَتَجِدُونَهُ مُدَّخَراً لَكُمْ وَمُضَاعَفاً أَضْعَافاً كَثِيرَةً، فَهُو الرَّصِيدِ البَاقِي، وَالتَّوْفِيرُ النَّافِعُ وَالاسْتِثْمَارُ المُفِيدُ، مَعَ مَا يُخْلِفُ اللهُ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ نُمُوِّ أَمْوالِكُمْ وَحُلُولِ البَرَكَةِ فِيهَا، فَلاَ تَسْتَكْثِرُوا مَبَالِغَ الزَّكَاةِ التِي تَدْفَعُونَهَا، فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ الذِينَ يَمْلِكُونَ المَلاَيِينَ الكَثِيرَةَ قَدْ يَسْتَكْثِرُونَ زَكَاتَهَا، ولاَ يَنْظُرُونَ إِلَى فَضْلِ اللهِ عَلَيْهِمْ حَيْثُ مَلَّكَهُمْ هٰذِه المَلاَيِينَ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَسْلُبَهَا مِنْهُمْ وَيُحوِّلَهُمْ إِلَى فُقَرَاءَ معْوَزِينَ فِي أَسْرَعِ لَحْظَة، أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ غِرَّةٍ فَيَتْرُكُوهَا لِغَيْرِهِمْ، فَيَكُونُ

عَلَيْهِمْ مَسْؤُولِيَّتُهَا وَلِغَيْرِهِمْ مَنْفَعَتُهَا. ثُمَّ اعْلَموا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ عَيَّنَ مَصَارِفَ لِلزكَاةِ لاَ يَجُوزُ وَلاَ يُجزِىءُ دَفْعُهَا فِي غَيْرِهَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

فَمَنْ كَانَ يَمْلِكُ مَا يَكْفِيهِ وَيَكْفِي مَنْ يَمونُهُمْ لِمُدَّةِ سَنَةٍ، أَوْ لَهُ إِيرَادُ مِنْ رَاتِبٍ أَوْ غَيْرِهِ يَكْفِيهِ فَهُو غَنِي لاَ يَجُوزُ وَلا يُجْزِىءُ صَرْفُ الزَّكَاةِ إِلَيْهِ. وَلاَ يَجُوزُ لَهُ هُو أَنْ يَأْخُذَهَا. وَكَذَا مَنْ كَانَ عَنْدَهُ القُدْرَةُ عَلَىٰ الكَسْبِ الذي يَكْفِيهِ (وَهُنَاكَ فُرَصٌ لِلْكَسْبِ) فَإِنَّهُ لاَ يَجُوزُ وَلاَ يَجْزِىءُ دَفْعُ الزَّكَاةِ إِلَيْهِ وَلاَ يَجُوزُ لَهُ هُو أَخْذُهَا، فَلاَ يَجُوزُ لِلْمُزكِّي أَنْ يَدْفعَ زَكَاتَهُ إِلاَّ لِمَنْ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الزَّكَاةِ، فَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «أَنَّ الزَّكَاةَ لاَ تَحِلُّ لِغَنِيٍّ وَلاَ لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ». رَواه أَبُو دَاودَ والنَّسَائِيُّ[1].

وَكَذَا لاَ يَجُوزُ صَرْفُ الزَّكَاةِ فِي المَشَارِيعِ الخَيْرِيَّةِ كَبِنَاءِ المَسَاجِدِ وَالمَدَارِسِ وَغَيْرِها. وَتُمَوَّلُ هٰذه المَشَارِيعِ مِنْ بَيْتِ المَالِ، أَوْ مِنَ التَّبَرُّعَاتِ، فَالزَّكَاةُ حَقٌّ للهِ شَرَعَهُ لِهٰذِهِ المَصَارِفِ المُعَيَّنَةِ لاَ تَجُوزُ المُحَابَاةُ لِمَنْ لاَ يَسْتَحِقُّهَا، وَلاَ أَنْ يَجلِبَ بِهَا لِنَفْسِهِ نَفْعاً دُنْيَوِياً، أو يَدْفعَ بِهَا عَنْهُ ضَرَراً، وَلاَ أَنْ يَقِيَ بِهَا مَالَهُ بِأَنْ يَجْعَلَهَا بَدَلاً مِنْ حَقٍّ يَجِبُ عَلَيْهِ لأَحَدٍ. وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يَدْفَعَ بِالزَّكَاةِ عَنْهُ مَذَمَّةً، وَلاَ يَجُوزُ دَفْعُهَا إِلَىٰ أُصُولِهِ، وَلاَ إِلَىٰ فُرُوعِهِ، وَلاَ إِلَىٰ زَوْجَتِهِ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِمَّنْ تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَلْيَكُنْ إِخْرَاجُ الزَّكَاةِ وَصَرْفُهَا وَسَائِرُ عِبَادَاتِكُمْ عَلَى مُقْتَضَىٰ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ. . إلخ.

---

(١) أبو داود (١٦٣٥) عن عطاء بن يسار ـ رضي الله عنه ـ.

فِي الحَثِّ عَلَىٰ الاجْتِهَادِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَمَرَ بِالمُسَارَعَةِ إِلَى الخَيْرَاتِ، وَاغْتِنَامِ الأَوْقَاتِ قَبْلَ الفَوَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلٰهِيَّتِهِ وَمَا لَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَوَّلُ سَابِقٍ إِلَىٰ الخَيْرَاتِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي المَنَاقِبِ وَالكَرَامَاتِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاعْتَبِرُوا بِسُرْعَةِ مُرُورِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهَا تُحْسَبُ مِنْ آجَالِكُمْ، وَأَنَّهَا خَزَائِنُ لأَعْمَالِكُمْ. فَأَوْدِعُوا فِيهَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا يَسُرُّكُمْ عِنْدَ الحِسَابِ، يَوْمَ يُقَالُ لِلْمُحْسِنِينَ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

لاَ تُودِعُوا فِيها مَايَسُوؤُكُمْ وَيحْزِنكُمْ يَوْمَ يَقُولُ المُفَرِّطُ وَالمُضَيِّعُ: ﴿يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤].

وَاعْلَمُوا ـ عِبَادَ اللهِ ـ أَنَّكُمُ الآنَ تَعِيشُونَ فِي أَفْضَلِ الأَيَّامِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَان، فَقَدِ اسْتَوفَيْتُمُ العِشْرِينَ الأُوَلَ مِنْهُ، وَهَا أَنْتُمْ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُحْسِناً مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ فَلْيَسْتَمِرَّ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ وَلْيُضَاعِفْ مِن اجْتِهادِهِ فِي هٰذِه العَشْرِ المُبَارَكَةِ لِيَزْدَادَ خَيْراً عَلَىٰ خَيْرٍ، وَلِيَغْنَمَ فَضِيلَةَ هَذِهِ الأَيَّامِ التِي تَمْتَازُ عَلَىٰ الأَيَّامِ السَّابِقَةِ. وَمَنْ كَانَ مُفَرِّطاً فِيمَا مَضَىٰ مِنَ الشَّهْرِ فَلْيَسْتَدْرِكْ بَقِيَّتَهُ، وَلْيَتُبْ إِلَىٰ اللهِ

مِن تَفْرِيطِهِ وَغَفْلَتِهِ، لَعَلَّ اللهُ يَغْفِرُ لَهُ مَا سَلَفَ وَيُوفِّقُهُ فِيمَا بَقِيَ، لأنَّ الأعْمَالَ بِالخواتِيمِ.

عِبَادَ اللهِ: إنَّ هَذَا الشَّهْرِ يَخْتَلِفُ عَنْ غَيْرِهِ من الشُّهُورِ، وَإِنْ كَانَتْ حَيَاةُ المُسْلِمِ كُلُّهَا فرْصَةٌ عَظِيمَةٌ، وَدُرَّةٌ نَفِيسَة لاَ تُقَدَّرُ بِقِيمَة، لَكِنَّ هذَا الشَّهرَ خَصَّهُ اللهُ بِفَضَائِلَ، وَشَرَعَ فِيهِ أَعْمَالاً لاَ تُوجَدُ فِي غَيْرِهِ، فَأَوْجَبَ صِيَامَ نَهَارِهِ، وَجَعَلَهُ أَحدَ أَرْكَانِ الإسْلاَمِ، وَاخْتَصَّ الصَّوْمَ لِنَفْسِهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأَعْمَالِ، فَقَالَ: «الصَومُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» فَخصَّ سُبْحَانَهُ الصِّيَامَ بِمِيزَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ: الأُولَىٰ: إضَافَتُهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ: «الصَّوْمُ لِي»[1]، وَهَذه الإضَافَةُ تَقْتَضِي تَشْرِيفَ الصِّيَام. وَالثَّانِيَةُ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُو الذِي يَتولَّى جَزَاءَ الصَّائِمِ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي عظَم ثَوابِهِ وَكَثْرَتَهِ كَثْرَةً لاَ يَعْلَمُ مقْدَارَهَا إلاَّ اللهُ.

وَشَرَعَ سُبْحَانَهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ القِيَامَ فِي لَيَالِيهِ بِصَلاَةِ التَّرَاويحِ جَمَاعة فِي المَسَاجِدِ، وَأَخْبَرَ ﷺ: «أَنَّ مَنْ قَام مَعَ الإمَامِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيامُ لَيْلَةٍ»[2]، وَ«أَنَّ مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيمَاناً وَاحتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[3] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَهَكَذَا نَرَىٰ أَنْ أَوْقَاتَ هَذَا الشَّهْرِ مَشْغُولَةٌ بِالعِبَادَةِ، فَنَهَارُهُ صِيَامٌ، وَلَيْلُهُ قِيَامٌ، وَذلِكَ لِيجْتَمِعَ لِلْمُؤْمِنِ جِهَادَانِ: جِهَادٌ لِنَفْسِهِ بِالنَّهَارِ عَلَىٰ الصِّيَام، وَجِهَادٌ لَهَا بِاللَّيلِ عَلَىٰ القِيَامِ. وَالجِهَادُ يَحْتَاجُ إِلَىٰ صَبْرٍ، وَلَهَذَا سُمِّي هَذَا الشَّهْر شَهْرُ الصَّبْرِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

فَمَنْ جَمَع بَيْنَ هَذِيْنِ الجِهَادَيْنِ وَصَبَرَ عَلَيْهِمَا وُفِّي أَجْرَهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. أَمَّا

---

(١) رواه مسلم (١١٥١) عن أبي هريرة وأبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ.
(٢) رواه البخاريُّ (٢٠٠٩)، ومسلمٌ (٧٥٩).
(٣) رواه البخاريُّ (١٩٠٤)، ومسلمٌ (١١٥١).

الذِي يَتْرُكُ صَلاَةَ التَّرَاوِيحِ تَكَاسُلاً فَقَدْ عَطَّلَ اللَّيْلَ مِمَّا خُصَّ بِهِ وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى الجِهَادَيْنِ، وَحَرَمَ نَفْسَهُ مِنْ هَذَا الأَجْرِ العَظِيمِ. فَلْيَتَنَبَّهَ لِذَلِكَ أُنَاسٌ لاَ نَرَاهُمْ يُصَلُّونَ التَّرَاوِيحَ طُوَالَ الشَّهْرِ أَوْ فِي أَكْثَرِ اللَّيَالِي، وَإِنْ صَلُّوا فِي بَعْضِ اللَّيَالِي لَمْ يُكْمِلُوا وَيُواصِلُوا فِي بَقِيَّتِهَا حَتَّىٰ يَسْتَوفُوا قِيامَ رَمَضَانَ.

وَشَرَعَ سُبْحَانَهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ المُبَارَكِ الإِكْثَارَ مِنْ تِلاَوَةِ القُرْآنِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فَاخْتِصَاصُ إِنْزَالِهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ يَقْتَضِي اخْتِصَاصَهُ بِفَضْلِ التِّلاَوَةِ فِيهِ، وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخُصُّ هَذَا الشَّهْرَ بمَزِيدٍ مِنْ تِلاَوَةِ القُرْآنِ. فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»: أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ يَلْقَىٰ النَّبِيَّ ﷺ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فَيُدَارِسهُ القُرْآنَ. فَجِبْرِيلُ أَفْضَلُ المَلاَئِكَةِ، وَمُحَمَّدٌ أَفْضَلُ الرُّسُلِ يَتَدَارَسَانِ بَيْنَهُمَا أَفْضَلَ الكُتُبِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الذي هُو أَفْضَلُ الشُّهُورِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَفْضلِيَّةِ التِّلاَوَةِ فِيهِ عَلَىٰ التِّلاَوَةِ فِي غيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ، وَإِنْ كَانَتِ التِّلاَوةُ مَطْلُوبَة فِي كُلِّ وَقْتٍ وَفِيهَا أَجْرٌ عَظِيمٌ، لَكِنْ أَجْرُهَا يَتَضَاعَفُ فِي هَذَا الشَّهْرِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ. كَمَا تَدُلُّ مُدَارَسَةُ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ اسْتِحْبَابِ عَرْضِ الإِنْسَانِ حَفْظَهُ لِلْقُرْآنِ عَلَىٰ مَنْ هُو أَحْفَظُ لَهُ مِنْهُ لِيسْتَفِيدَ مِنْ إِتْقَانِهِ وَقِرَاءَتِهِ.

وَتِلاَوَةُ القُرْآنِ فِي رَمَضَانَ تَشْمَلُ تِلاَوتَهُ فِي صَلاَةِ التَّرَاوِيحِ وَصَلاَةِ التَّهَجُّدِ وَتِلاَوَتُهُ مِنْ غَيْرِ صَلاَةٍ، وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ يُطِيلُونَ القِرَاءَةَ فِي صَلاَةِ التَّهَجُّد، فَكَانَ القَارِىءُ مَنْهُمْ يَقْرَأُ بِالْمِئتينَ فِي الرَّكْعَةِ، حَتَّىٰ كَانُوا يَعْتَمِدُونَ عَلَى العِصِيِّ مِنْ طُولِ القِيَامِ. وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هٰذَا لَيَقْتَنعَ الذِينَ يَنْفِرُونَ مِنْ إِتْمَامِ الصَّلاَةِ وَيَسْتَثْقِلُونَهَا، وَإِذَا كانَ لِلإِمَامِ أَنْ يُرَاعِيَ أَحْوَالَ المَأْمُومِينَ فَلَيْسَ مَعْنَىٰ هَذَا أَنَّهُ يَنْقُرُ الصَّلاَةَ وَيَهُذُّ القِراءَةَ هَذّاً يُخِلُّ بِها، وَإِنَّمَا المُرَادُ التَّوَسُّطُ الذِي يَجْمَعُ بَيْنَ

إتْقَانِ الصَّلَاةِ وَعَدَم المَشَقَّةِ عَلَىٰ المَأْمُومِينَ، مَعَ القِرَاءَةِ المُتقَنَةِ التِي يَسْتَفِيدُ مِنْهَا المَأْمُومُ وَتُؤَثِّرُ عَلَى القُلُوبِ، وَأَنْ تَكُونَ الصَّلَاةُ مُعْتَدِلَةً مُتَسَاوِيَةً مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ إِلَىٰ آخِرِهِ، لأَنَّ بَعْضَ أَئِمَّةِ المَسَاجِدِ يُسْرِعُ فِي القِرَاءَةِ وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ إِلَىٰ أَنْ يَخْتِمَ القُرْآنَ، فَإِذَا خَتَمَهُ تَسَاهَلَ بِالْقِيَامِ فِي بَقِيَّةِ لَيَالِي الشَّهْرِ التِي هَي أَفضَلُ لَيَالِيهِ، والتِي هِي خَتَامُهُ، وَبَعْضُهُمْ يُسَافِرُ فِي هَذِه اللَّيَالِي لِلْعُمْرَةِ وَيَتْرُكُ مَسْجِدَهُ، مَعَ أَنَّ بَقَاءَهُ فِي مَسْجِدِهِ وَإِتْقَانَهُ لِصَلَاتِهِ فِي كُلِّ لَيَالِي الشَّهْرِ أَفضَلُ لَهُ مِنَ العُمْرَةِ، وَلَيْسَ المَقْصُودُ مِنَ التَّرَاوِيحِ وَالتَّهَجُّدِ فِي رَمَضَانَ هُو خَتْمَ القُرْآنِ وَقِرَاءَةَ الدُّعَاءِ المُعَدِّ لِلْخَتْمِ، وَإِنَّمَا المَقْصُودُ شَغْلُ لَيَالِي هٰذَا الشَّهرِ كُلِّهَا بِالقِيَامِ، وَالخَتْمَةُ تَابِعَةٌ وَلَيْسَتْ مَقْصُودَةً، فَلَوْ لَمْ يَخْتِمِ القُرْآنَ مَعَ إِتْقَانِهِ لِلْصَّلَاةِ فِي جَمِيعِ اللَّيَالِي مَعَ النِّيَّةِ الصَّالِحَة فَأَجْرُهُ تَام إِنْ شَاءَ اللهُ، وَلَوْ خَتَمَ القُرْآنَ مَعَ الإِخلَالِ بِالصَّلَاةِ وَالقِرَاءَةِ أَوْ مَعَ تَرْكِ بَقِيَّةِ اللَّيَالِي فَأَجْرُهُ نَاقِصٌ بِحَسَبِ نَقْص العَمَلِ.

وَمِمَّا شَرَعَهُ اللهُ فِي الشَّهرِ المُبَارَكِ زِيَادَةُ الاجْتِهَادِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْهُ.

لِأَنَّهَا لَيَالِي الإِعْتَاقِ مِنَ النَّارِ لِمَنْ اسْتَحَقُّوا دُخُولَ النَّارِ إِذَا تَابُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَاجْتَهَدُو فِي هٰذِهِ اللَّيَالِي بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ.

وَلِأَنَّهَا اللَّيَالِي التِي كَانَ اجْتِهَادُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَزَايَدُ فِيهَا، فَكَانَ يُحْيِيهَا بِالتَّهَجُّدِ وَالقِيَامِ، وَكَانَ يَعْتَكِفُ فِي المَسْجِدِ لِلتَّفَرُّغِ لِلْعِبَادَةِ فِي هَذِهِ اللَّيَالِي وَالأَيَّام. فَفِي الاجْتِهَادِ فِيهَا اقْتِدَاءٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَعَمَلٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وَلأَنَّهَا اللَّيَالِي التِي تُرْجَىٰ فِيهَا لَيْلَةُ القَدْرِ التِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهَا: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

أَي: العَمَلُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ خَيْرٌ مِنَ العَمَلِ فِي أَلْفِ شهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ القَدْرِ.

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيماناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[(١)]. وَقِيَامُهَا إِنَّمَا يَحْصُلُ يَقِيناً بِالقِيَامِ فِي كُلِّ لَيَالِي الشَّهْرِ، وَلاَ سِيمَا لَيَالِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، فَهِي أَرْجَىٰ لِتَحرِّيهَا وَآكَدُ لِمُوافقَتِهَا. فهي لَمْ تُحدَّد فِي لَيْلَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنَ الشَّهرِ، لأَنَّ الله سُبْحَانَهُ أَخفَاها لأَجْلِ أَنْ يَكْثُرَ اجْتِهَادُ العِبَادِ فِي تَحريها وَيَقُومُوا لَيَالِي الشَّهْرِ كُلَّهَا لِطَلَبِهَا فَتَحصُلَ لَهُمْ كَثْرَةُ العَمَلِ وَكَثْرَةُ الأَجْرِ، وَلِيَتَمَيَّزَ المُجِدُّ مِنَ الكَسْلاَنِ.

فَاجْتَهِدُوا ـ رَحِمَكُم اللهُ ـ فِي هَذِه العَشْرِ التِي هِي خِتَامُ الشَّهرِ وَأَيَّامُ الإعتَاقِ مِنَ النَّارِ، كَمَا فِي الحَدِيثِ: «إِنَّهُ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ».

فَالمُسْلِمُ الذِي وَفَّقَهُ اللهُ لِلْعَمَلِ فِي هَذَا الشَّهرِ وَمَرَّتْ عَلَيْهِ مَواسِمُ الرَّحْمَةِ وَالمَغْفِرَةِ وَالعِتْقِ مِنَ النَّارِ، وَقَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَاناً وَاحْتِسَاباً حَرِيٌّ أَنْ يَفُوزَ بِكُلِّ خَيْرَاتِ هَذَا الشَّهْرِ وَنَفَحَاتِهِ فَيَنَالَ الدَّرَجَاتِ العَالِيَةَ، بِمَا أَسْلَفَهُ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ.
وَلَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخُصُّ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رمَضَانَ بِأَعْمَالٍ يَعْمَلُهَا فِيهَا: مِنْهَا إِحْيَاءُ لَيَالِيهَا بِالتَّهَجُّدِ وَالقِيَام. وَمِنْهَا أَنَّهُ كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ لِلصَّلاَةِ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ تُطِيقُ الصَّلاَةَ. وَهَذَا شَيءٌ أَهْمَلَهُ اليَوْمَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَعَ أَهْلِهِمْ وَأَوْلاَدِهِمْ فَيَتْرُكُونَهُمْ يَسْهَرُونَ عَلَى اللَّعِبِ وَاللَّهوِ يَسْرَحُونَ فِي الشَّوَارِعِ أَوْ يَجْلِسُونَ فِي البُيوتِ يُشَاهِدُونَ الأَفْلاَمَ وَالمُسَلْسَلاَتِ، وَيَسْتَمِعُونَ الأَغَانِيَ وَالمَزَامِيرَ طِيلَةَ لَيَالِي رَمَضَانَ، فَلاَ يَسْتَفِيدُونَ مِنهُ إلاَّ الآثَامَ، وَإِذا جَاءَ النَّهَارُ نَامُوا حَتَّى عَنْ أَدَاءِ فَرَائِضِ الصَّلَواتِ، لأَنَّهُمْ تَرَبُّوا عَلىٰ عَدَم احْتِرَام رَمَضَانِ، وَهَذَا نَتِيجَةُ إِهْمَالِ أَوْلِيَائِهِمْ، فَبِئْسَتِ التَّرْبِيَةُ وَبِئْسَتِ الوِلاَيَةُ، وَسَيَسْأَلُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ عَنْ إِهْمَالِ

---

(١) رواه البخاريُّ، (١٩٠١) ومسلمٌ (٧٦٠) وغيرُهما.

رَعِيَّتِهِمْ، وَإِضَاعَةِ مَسْؤُولِيَّتِهِمْ. قَالَ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(١).

وَمِنَ الأَعْمَالِ التِي كَانَ ﷺ يَخُصُّ بِهَا العَشْرَ الأَوَاخِرَ: الاعْتِكَافُ، وَهُوَ لُزُومُ المَسْجِدِ لِلْعِبَادَةِ وَعَدَمُ الخُرُوجِ مِنْهُ إِلاَّ لِحَاجَةٍ ضَرُورِيَّةٍ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ. وَكَانَ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي هَذِهِ العَشْرِ قَطْعَاً لأَشْغَالِهِ، وَتَفْرِيغَاً لِبَالِه، وَتَخَلِّيَاً لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ وَذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ. فَاجْتَهِدُوا ـ رَحِمَكُمْ اللهُ ـ فِي هَذِهِ العَشْرِ التِي هِي خِتَامُ الشَّهْرِ، وَالتِي هِي أَرْجَىٰ مَا يَكُونُ لِمُوافَقَةِ لَيْلَةِ القَدْرِ، وَأَكْثِرُوا مِنَ الجُلُوسِ فِي المَسَاجِدِ لِلذِّكْرِ وَتِلاَوَةِ القُرْآنِ إِذَا لم تَتَمَكَّنُوا مِنَ الاعْتِكَافِ.

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ـ١٣٦].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العظِيم

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ الذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِإِدْرَاكِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَوَفَّقَ مَنْ شاءَ فِيهِ لِنَيْلِ المَغْفِرَةِ وَالرِّضْوَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلٰهِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ الحِسَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. كَانَ كُلُّ دَهْرِهِ رَمَضَانَ.

---

(١) رواه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨١٩).

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسِ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ. عِبَادَ اللهِ: كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يَجْتَهِدُونَ فِي إِتْمَامِ العَمَلِ وَإِكْمَالِهِ وَإِتْقَانِهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ يَهْتَمُّونَ بِقَبُولِهِ وَيَخَافُونَ مِنَ رَدِّهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].

وَبَعْضُ النَّاسِ اليَوْمَ عَلَىٰ عَكْسِ هَذَا فَمِنْهُمْ مَنْ لاَ يُتَمِّمُ العَمَلَ، فَقَدْ رَأَيْنَا مَنْ يَنْشَطُونَ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، وَيَفْتُرُونَ فِي آخِرِهِ، حَتَّى رُبَّمَا يَكْسَلُونَ عَنْ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ، هَؤُلاَءِ لاَ يَسْتَفِيدُونَ مِنْ رَمَضَانَ، وَلا يَتَغَيَّرُ حَالُهُمْ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَهُ مِنَ الإِسَاءَةِ وَالعِصْيَانِ، وَالذِي تَفُوتُه المَغْفِرَةُ فِي رَمَضَانَ يَكُونَ مَحْرُوماً غَايَةَ الحِرْمَانِ. فَقَدْ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ المِنْبَرِ فَقَالَ: «آمِين. آمِين. آمِين» قِيلَ: يَارَسُولَ اللهِ إِنَّكَ صَعَدْتَ المِنْبَرَ فَقُلْتَ آمِين. آمِين. آمِين. فَقَالَ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، فَقَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدُه اللهُ. قُلْ: آمِين. فَقُلْتُ آمِين**».

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْهَرُ اللَّيْلَ عَلَى لَغْوِ الكَلاَمِ أَوْ جَمْعِ الحُطَامِ، وَيَنَامُ النَّهَارَ عَنْ أَدَاءِ الصَّلَواتِ فِي أَوْقَاتِهَا مَعَ الجَمَاعَاتِ، مَعَ الأَمْنِ مِنْ عِقَابِ اللهِ.

فَأَكْثِرُوا ـ عِبَادَ اللهِ ـ مِنَ التَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ فِي هذه الأَيَّامِ، لِتَخْتِمُوا بِذَلِكَ شَهْرَكُم وَتَسْتَدْرِكُوا بِهِ تَقْصِيرَكُمْ، فَإِنَّ الاسْتِغْفَارَ خِتَامُ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كُلِّهَا،

فَتخْتَمُ بِهِ الصَّلاَةُ وَالحَجُّ وَشَهْرُ رَمَضَانَ وَقِيامُ اللَّيْلِ، وَتُخْتَمُ بِهِ المَجَالِسُ، وَاللهُ قَدْ أَمَرَ بِالاسْتِغْفَارِ، وَوَعَدَ المُسْتَغْفِرِينَ بِالمَغْفِرَةِ إِذَا كَانَ اسْتِغْفَارُهُم صَادِقاً وَلَمْ يَكُنِ اسْتِغْفَاراً بِاللِّسَانِ فَقَط.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهَ ـ وَلاَ تَأْمَنُوا العُقُوبَةَ، وَلاَ تَقْنَطُوا مِنَ الرَّحْمَةِ وَاعْتَصِمُوا بِكِتَابِ رَبِّكُمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ. فإن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وَخَيْرَ الهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد ﷺ .. إلخ.

* * *

فِي بَيَانِ مَا يُشرعُ فِي خِتَامِ الشَّهْرِ

الحَمْدُ للهِ الذِي تَتِمُّ بِنِعْمَتِهِ الصَّالِحَاتُ، جَعَلَ لِكُلِّ مَوْجُودٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا زَوَالاً، وَلِكُلِّ مُقِيمٍ انْتِقَالاً، لِيَعْتَبِرَ بِذَلِكَ أَهْلُ الإِيمَانِ، فَيُبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ، مَا دَامُوا فِي زَمَنِ الإِمْهَالِ، وَلاَ يَغْتَرُّوا بِطُولِ الآمَالِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ الكَبِيرُ المُتَعَالُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ القَائِلُ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ»[١]. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وَآلٍ، وَسَلَّم تَسْلِيماً كَثِيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَتَفَكَّرُوا فِي سُرْعَةِ مُرُورِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهَا تَنْقصُ بِمُرُورِهَا أَعْمَارُكُمْ، وَتُطْوَىٰ بِهَا صَحَائِفُ أَعْمَالِكُمْ، فَبَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ انْقِضَاءِ الفُرْصَةِ السَّانِحَةِ.

عِبَادَ اللهِ: كُنْتُمْ بِالأَمْسِ القَرِيبِ تَسْتَقْبِلُونَ شَهْرَ رَمَضَانَ المُبَارَكِ، وَاليَوْمَ تُوَدِّعُونَهُ مُرْتَحِلاً عَنْكُمْ بِمَا أَوْدَعْتُمُوهُ، شَاهِداً عَلَيْكُمْ بِمَا عَمِلْتُمُوهُ، فَهَنِيئاً لِمَنْ كَانَ شَاهِداً لَهُ عِنْدَ اللهِ بِالخَيْرِ، شَافِعاً لَهُ بِدُخُولِ الجَنَّةِ وَالعِتْقِ مِنَ النَّارِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَ شَاهِداً عَلَيْهِ بِسُوءِ صَنِيعِهِ. شَاكِياً إِلَىٰ رَبِّهِ مِنْ تَفْرِيطِهِ فِيهِ وَتَضْيِيعِهِ، فَوَدِّعُوا شَهْرَ الصِّيَامِ وَالقِيَامِ بِخَيْرِ خِتَامٍ، فَإِنَّ الأَعْمَالَ بِالخَوَاتِيمِ. فَمَنْ كَانَ مُحْسِناً فِي شَهْرِهِ فَعَلَيْهِ بِالإِتْمَامِ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئاً فَعَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ فِيمَا بَقِيَ لَهُ مِنَ الأَيَّامِ، فَرُبَّمَا لاَ يَعُودُ عَلَيْهِ رَمَضَانُ بَعْدَ هَذَا العَامِ، فَاخْتِمُوهُ بِخَيْرٍ،

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٩٤٧) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ .

وَاسْتَمِرُّوا عَلَىٰ مُوَاصَلَةِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُؤَدُّونَهَا فِيهِ فِي بَقِيَّةِ الشُّهُورِ. فَإِنَّ رَبَّ الشُّهُورِ وَاحِدٌ، وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيْكُمْ وَشَاهِدٌ. وَقَدْ أَمَرَكُمْ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَهْرَ رَمَضَانَ فَإِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ قَدِ انْقَضَىٰ وَفَاتَ، وَمَن كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ فَلْيَسْتَمِرْ عَلَى عِبَادَتِهِ فِي جَمِيعِ أَيَّامِ الحَيَاةِ. فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَتَعَبَّدُونَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ خَاصَّةً، فَيُحَافِظُونَ فِيهِ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ فِي المَسَاجِدِ، وَيُكْثِرُونَ مِنْ تِلاَوَةِ القُرْآنِ، وَيَتَصَدَّقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، فَإِذَا انْتَهَىٰ رَمَضَان تَكَاسَلُوا عَنِ الطَّاعَةِ، وَرُبَّمَا تَرَكُوا الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ، فَهَدَمُوا مَا بَنُوهُ، وَنَقَضُوا مَا أَبْرَمُوهُ، وَكَأَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ اجْتِهَادَهُمْ فِي رَمَضَانَ يُكَفِّرُ عَنْهُمْ مَا يَجْرِي مِنْهُمْ فِي السَّنَةِ مِنَ القَبَائِحِ وَالمُوبِقَاتِ، وَتَرْكِ الوَاجِبَاتِ، وَفِعْلِ المُحَرَّمَاتِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ تَكْفِيرَ رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ لِلسَّيِّئَاتِ مُقَيَّدٌ بِاجْتِنَابِ الكَبَائِرِ المُوبِقَاتِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إِلَىٰ الجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**»[1].

وَأَيُّ كَبِيرَةٍ بَعْدَ الشِّرْكِ أَعْظَمُ مِنْ إِضَاعَةِ الصَّلاَةِ؟ وَقَدْ صَارَتْ إِضَاعَتُهَا عَادَةً مَأْلُوفَةً عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ.

إِنَّ اجْتِهَادَ هَؤُلاَءِ فِي رَمَضَان لاَ يَنْفَعُهُمْ شَيْئاً عِنْدَ اللهِ إِذَا هُمْ أَتْبَعُوهُ بِالمَعَاصِي مِنْ تَرْكِ الوَاجِبَاتِ وَفِعْلِ المُحَرَّمَاتِ.

وَقَدْ سُئِلَ بَعْضُ السَّلَفِ عَنْ قَوْمٍ يَجْتَهِدُونَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِذَا انْقَضَىٰ

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٣٣)، والترمذيُّ (٢١٤).

ضَيَّعُوا وَأَسَاؤُوا، فَقَالَ: بِئْسَ الْقَوْمُ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ إلاَّ فِي رَمَضَانَ! نَعَمْ، لأن مَنْ عَرَفَ الله خَافَهُ فِي كُلِّ الزَّمَانِ.

وَبَعْضُ النَّاسِ قَدْ يَصُومُ رَمَضَانَ وَيُصَلِّي فِيهِ وَيُظْهِرُ الخَيْرَ وَيَتْرُكُ المَعَاصِي لاَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ المُجَامَلَةِ وَالمُجَارَاةِ لِلمُجْتَمَعِ، لأَنَّهُ يَعْتَبِرُ هٰذَا مِنَ التَّقَالِيدِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَهٰذَا هُو النِّفَاقُ الأَكبَرُ، فَإِنَّ المُنَافِقِينَ كَانُوا يُرَاؤُونَ النَّاسَ فِيمَا يَتَظَاهَرُونَ بِهِ مِنَ العِبَادَةِ.

وَهَذَا يَعْتَبِرُ شَهْرَ رَمَضَانَ سِجْناً زَمَنِياً يَنْتَظِرُ انْقِضَاءَهُ لِيَنْقَضَّ عَلَى المَعَاصِي وَالمُحَرَّمَاتِ، يَفْرَحُ بِانْقِضَاءِ رَمَضَانَ لأَجْلِ الإفْرَاجِ عَنْهُ مِنْ سِجْنِهِ.

رَوَى ابنُ خُزَيْمَةَ فِي «صَحِيحِه» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَظَلَّكُمْ شَهْرُكُم هٰذَا بِمَحْلُوفِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَامَرَّ بِالمُسْلِمِينَ شَهْرٌ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْهُ، وَلاَ مَرَّ بِالمُنَافِقِينَ شَهْرٌ شَرٌّ لَهُمْ مِنْهُ، بِمَحْلُوفِ رَسُولِ الله ﷺ. إِنَّ اللهَ لَيَكْتُبُ أَجْرَهُ وَنَوَافِلَهُ قَبْلَ أَنْ يدخِلَهُ، وَيَكْتُبُ وِزْرَهُ وَشَقَاءَهُ قَبْلَ أَنْ يدخِلَهُ، وَذٰلِكَ أَنَّ المُؤْمِنَ يُعِدُّ فِيهِ القُوتَ وَالنَّفَقَةَ لِلْعِبَادَةِ، وَيُعِدُّ فِيه المُنَافِقُ اتِّبَاعَ غَفَلاتِ المُؤْمِنينَ وَاتِّبَاعَ عورَاتِهِم. فَغُنْمٌ يَغْنَمُهُ المُؤْمِنُ» الحَدِيثُ[1].

وَالمُؤْمِنُ يَفْرَحُ بِانْتِهَاءِ الشَّهرِ لأَنَّهُ اسْتَكْمَلَهُ فِي العِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ، فَهُو يَرْجُو أَجْرَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَالمُنَافِقُ يَفْرَحُ بِانْتِهَاءِ الشَّهْرِ لِيَنْطَلِقَ إِلَىٰ المَعَاصِي وَالشَّهَوَاتِ التِي كَانَ مَسْجُوناً عَنْهَا فِي رَمَضَانَ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ المُؤْمِنَ يَتْبَعُ شَهْرَ رَمَضَانَ بِالاسْتِغْفَارِ وَالتَّكْبِيرِ وَالعِبَادَةِ. وَالمُنَافِقُ يَتْبَعُهُ بِالمَعَاصِي وَاللَّهْوِ وَحَفَلاَتِ الغِنَاءِ وَالمَعَازِفِ وَالطُّبُولِ فَرَحاً بِفِرَاقِهِ.

---

(١) وهو في الترغيب (٢/ ٦٨).

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ شَرَعَ اللهُ لَكُمْ فِي خِتَامِ هٰذَا الشَّهْرِ التَّكْبِيرَ فِي لَيْلَةِ العِيدِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَشَرعَ لَكُمْ صَدَقَةَ الفِطْرِ فَهِي وَاجِبَةٌ عَلَى الكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَىٰ، وَالحُرِّ وَالعَبْدِ، ويُسْتَحَبُّ إِخْرَاجُهَا عَنِ الحَمْلِ فِي البَطْنِ، وَهِي مِنْ غَالِبِ قُوتِ البَلَدِ تَمْراً أَوْ بُرّاً أَوْ شَعِيراً أَوْ زَبِيباً أَوْ أَقِطاً وَمَقْدَارُهَا صَاعٌ عَنْ كُلِّ شَخْصٍ ـ أَيْ: مَا يُعَادلُ ثَلاثَةَ كِيلُوَاتٍ تَقْرِيباً. وَيَجْزِىءُ عَنْ هَذِهِ الخَمْسَةِ كُلُّ حَبٍّ يُقْتَاتُ فِي البَلَدِ: الأرزِ وَالذُّرَةِ وَالدُّخنِ، وَلاَ يَجُوزُ فِيهَا إِخْرَاجُ الدَّرَاهِمِ وَلاَ تُجْزِيءُ، لأَنَّ ذَلِكَ خِلاَفُ السُّنةِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ أَمَرَ بِإِخْرَاجِ الطَّعَامِ وَقَدَّرَه بِالصَّاعِ، فَلاَ بُدَّ مِنَ التَّقَيُّدِ بِأَمرِهِ ﷺ.

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: لاَ يُعْطِي القِيمَةَ، قِيلَ لَهُ: قَوْمٌ يَقُولُونَ: عمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيز كَانَ يَأْخُذُ بِالقِيمَةِ، قَالَ: يَدَعُونَ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَقُولُونَ: قَالَ فُلاَنٌ، فَمَا دَامَ فِي المَسْأَلَةِ قَوْلٌ لِلرَّسُولِ فَلاَ قَوْلَ لأَحَدٍ.

وَيُخْرِجُ الإِنْسَانُ صَدَقَةَ الفِطْرِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَمَّنْ يَقُومُ بِنَفَقَتِهِ، وَمَحَلُّ إِخْرَاجِهَا هُو البَلَدُ الذِي وَافَاهُ تَمَامُ الشَّهرِ وَهُو فِيهِ، وَمَنْ كَانَ فِي بَلَدٍ وَعَائِلَتُهُ فِي بَلَدٍ آخَر فَإِنَّهُ يُخْرِجُ فِطْرَتَهُمْ مَعَ فِطْرَتِهِ فِي البَلَدِ الذِي هُو فِيهِ، وَإِنْ عَمَّدَهُمْ يُخْرِجُونَ عَنْهُ وَعَنْهُمْ فِي بَلَدِهِمْ جَازَ، وَإِنْ أَخْرَجَ عَنْ نَفْسِهِ فِي بَلَدِهِ وَأَخْرَجُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ فِي بَلَدِهِمْ جَازَ.

وَالذِينَ يُعْطونَ صَدَقَةَ الفِطْرِ هُم فُقَرَاءُ البَلَدِ الذِينَ تَحِلُّ لَهُمْ زَكَاةُ المَالِ، سَوَاءٌ كَانُوا مِنْ أَهْلِ البَلَدِ أَوْ مِنَ الفُقَرَاءِ القَادِمينَ عَلَيْهِ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ.

وَلاَ يَجُوزُ نَقْلُ صَدَقَةِ الفطْرِ إِلَىٰ بَلَدٍ آخَرَ بِأَنْ يُرْسِلَهَا إِلَىٰ فُقَرَاءِ بَلَد غَيْرِ بَلَدِهِ،

إلاَّ إذَا لَمْ يُوجَدُ فِي بَلَدِهِ فُقَرَاءُ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَإِنَّهُ يُرْسِلُهَا إِلَىٰ فُقَرَاءِ أَقْرَبِ بَلَدٍ إِلَيْهِ، لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِإِخْرَاجِهَا إِلَىٰ فُقَرَاء البَلَدِ الذِي يَفْطُرُ فِيهِ الصَّائِمُ لَيْلَةَ العِيدِ.

وَقَدْ نَصَّ عَلَىٰ ذَلِكَ فُقَهَاءُ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ: فَقَدْ نَصُّوا ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ أَن عَلَى المُسْلِمِ تَوْزِيعَهَا فِي البَلَدِ الذِي وَجَبَت عَلَيْهِ فِيهِ، فَعَلَى هٰذَا لاَ يَجُوزُ إِرْسَالُهَا إِلَى فُقَرَاءِ الجِهَاتِ الأُخْرَىٰ خَارِجِ المَمْلَكَةِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُسَاعِدَ فُقَرَاءَ البُلْدَانِ الأُخْرَىٰ، فَلْيُسَاعِدْهُمْ بغَيرِ صَدَقَةِ الفِطْرِ، لأَن صَدَقَةَ الفِطْرِ عِبَادَةٌ مُقَيَّدَةٌ بِمَكَانٍ وَزَمَانٍ، لاَ يَجُوزُ إِخْرَاجُهَا عَنْهُمَا، وَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ قَوْماً يَطْلُبُونَ مِنَ النَّاسِ تَقْدِيمَ دَرَاهِمَ لِيُرْسِلُوهَا إِلَى بَلَدٍ آخَرَ لِيَشْتَرِي بِهَا طَعَاماً مِنْ هُنَاكَ، وَيُوَزَّعُ عَلَى الفُقَرَاءِ فِيهِ. وَهٰذَا لاَ يُجْزِىءُ عَنْ صَدَقَةِ الفِطْرِ لأَنْ وَقْتَ إِخرَجِهَا لَيْلَةُ العِيدِ، بَعْدَ ثُبُوتِ الهِلاَلِ إِلَى الخُرُوجِ لِصَلاَةِ العِيدِ فِي البَلَدِ الذِي وَافَاهُ تَمَامُ الشَّهْرِ وَهُو فِيهِ، وَالعِبَادَاتُ تَوْقِيفِيَّة لاَ يَجُوزُ التَّصَرُّفُ فِيهَا حَسْبَ الأَهْوَاءِ وَالآرَاءِ. وَمَنْ فَاتَهُ إِخْرَاجُهَا قَبْلَ صَلاَةِ العِيدِ فَإِنَّهُ يُخرِجُهَا فِي بَقِيَّةِ يَوْمِ العِيدِ، وَمَنْ فَاتَهُ إِخْرَاجُهَا فِي يَوْمِ العِيدِ فَإِنَّهُ يُخْرِجُهَا بَعْدَهُ قَضَاءً، وَيَجُوزُ إِخْرَاجُهَا قَبْلَ العِيدِ بِيوم أَوْ يَوْمَيْنِ وَلاَ بُدَّ أَنْ تُدْفَعَ فِي وَقْتِ الإِخْرَاجِ إِلَى المُسْتَحِقِّ أَوْ إِلَىٰ وَكِيلِهِ، وَلاَ يَكْفِي أَنْ يَجْعَلَهَا أَمَانَةً عِنْدَ شَخْصٍ لَيْسَ وَكِيلاً لِلْمُسْتَحِقِّ.

وَيَجُوزُ لِلْفَقِيرِ أَنْ يُخْرَجَ فِطْرَتَهُ مِمَّا أُعْطِيَ مِنَ الصَّدَقَاتِ، وَيَجُوزُ دَفْعُ صَدَقَةِ الجَمَاعَةِ إِلَى فَقِيرٍ وَاحِدٍ، وَيَجُوزُ دَفْعُ صَدَقَةِ الشَّخْصِ الوَاحِدِ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الفُقَرَاءِ.

والحِكْمَةُ فِي صَدَقَةِ الفِطْرِ أَنَّهَا طُهْرَةٌ لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةٌ لِلمَسَاكِينِ وَشُكْرٌ للهِ تَعَالَىٰ عَلَى إِكْمَالِ الصِّيَامِ، فَأَدُّوهَا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَى الوَجْهِ

المَشْرُوعِ طَيِّبَةً بِهَا نُفُوسُكُمْ مِنَ أَوْسَطِ مَا تُطعِمُونَ أَهْلِيكُمْ.

﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٧ـ٢٦٨].

وَمِنَ الحِكْمَةِ مِنْ مَشْرُوعِيَّةِ صَدَقَةِ الفِطْرِ إِغْنَاءُ الفُقَرَاءِ عَنِ السُّؤَالِ فِي يَوْمِ العِيدِ لِيَفْرَحُوا مَعَ المُسْلِمِينَ، وَيَتَوسَّعُوا بِهَا، وَلِذَلِكَ حُدِّدتْ بِمَا يَكْفِي الفَقِيرَ فِي هٰذَا اليَوْمِ وَهُو الصَّاعُ، وَمِنَ الحِكْمَةِ فِي تَحْدِيدِهَا بِالصَّاعِ أَيْضًا تَيْسِيرُهَا عَلَى المُتَصَدِّقِ حَتَّى لاَ تُثْقِلَه، لأَنَّهُ قَدْ لاَ يَكُونُ عِنْدَهُ سَعَةٌ مِنَ المَالِ، وَهْي وَاجِبَةٌ عَلَى عُمُومِ المُسْلِمِينَ لاَ عَلَى الأَغْنِياءِ فَقَط.

وَلَعَلَّ مِنَ الحِكْمَةِ فِي جَعْلِهَا طَعَاماً لاَ نُقُوداً أَنْ يَكُونَ هٰذَا أَيْسَرَ لِلمُحْتَاجِ، لأنه قَدْ لاَ يَجِدُ فِي يَوْمِ العِيدِ من يبيع الطَّعَامَ، وَلأَنَّ فِي جَعْلِهَا طَعَاماً إِظْهَاراً لَهَا بَيْنَ النَّاسِ، لأَنَّهَا مِنَ الشَّعَائِرِ الظَّاهِرَةِ، وَلَو جُعِلَتْ نُقُوداً لَكانت صدقةً خَفِيَّةً إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الحِكَمِ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاعْتَنُوا بِإِخْرَاجِهَا.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤ـ١٥].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ الذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِإِكْمَالِ شَهْرِ الصِّيَامِ، وَوَفَّقَ مَنْ شَاءَ فِيهِ لِاغْتِنَامِ مَا فِيهِ مِنَ الخَيْرَاتِ العِظَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَهُو ذُو الفَضْلِ وَالإِنْعَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ مَنْ صَلَّى وَصَامَ،

وَعَبَدَ رَبَّهُ وَاسْتَقَامَ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ البَرَرَةِ الكِرَامِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ فِي سَائِرِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، فَإِنَّهُ رَقِيبٌ لاَ يَغِيبُ، قَيُّومٌ لاَ يَنَامُ.

عِبَادَ اللهِ: وَمِمَّا شَرَعَهُ اللهُ لَكُمْ فِي خِتَامِ هٰذا الشَّهْرِ المُبَارَكِ أَدَاءُ صَلاَةِ العِيدِ شُكْراً للهِ تَعَالَىٰ عَلَى فَرِيضَةِ الصِّيَامِ، كَمَا شَرَعَ اللهُ صَلاَةَ عِيدِ الأَضْحَىٰ شُكْراً لَهُ عَلَى أَدَاءِ فَرِيضَةِ الحَجِّ، فَهُمَا عِيدُ أَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ وَكَانَ لأَهْلِهَا يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، قَالَ ﷺ: «قَدْ أَبْدَلَكُمُ اللهُ بِهِمَا خَيْراً مِنْهُمَا: يَوْمَ النَّحْرِ وَيَوْمَ الفِطْرِ»[1]. فَلاَ تَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلَى هَذَيْنِ العِيدَيْنِ بِإِحْدَاثِ أَعْيَادٍ أُخْرَىٰ كَأَعْيَادِ المَوَالِدِ، وَالأَعْيَادِ الوَطَنِيَّةِ وَالقَوْمِيَّةِ، لأَنَّهَا أَعْيَادٌ جَاهِلِيَّةٌ، سَوَاءٌ سُمِّيَتْ أَعْيَاداً، أَوْ ذِكْرَيَاتٍ، أَوْ أَيَّاماً، أَوْ أَسَابِيعَ، أَوْ أَعْوَاماً كَاليَومِ الوَطَنِيِّ، وَعَامِ الطِّفْلِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَسُمِّيَ العِيدُ فِي الإِسْلاَمِ عِيداً لأَنَّهُ يَعُودُ وَيَتَكَرَّرُ كُلَّ عَامٍ بِالفَرَحِ وَالسُّرُورِ بِمَا يَسَّرَ اللهُ قَبْلَهُ مِنْ عِبَادَةِ الصِّيَامِ وَالحَجِّ اللَّذَيْنِ هُمَا رُكْنَانِ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ.

وَلأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ فِيهِمَا عَلَى عِبَادِهِ بِالإِحْسَانِ وَالعِتْقِ مِنَ النِّيرَانِ، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالخُرُوجِ العَامِّ لِصَلاَةِ العِيدِ حَتَّى النِّسَاءُ، فَيُسَنُّ حُضُورُهُنَّ غَيْرَ مُتَطَيِّبَاتٍ وَلاَ لاَبِسَاتٍ لِثِيَابِ زِينَةٍ وَشُهْرَةٍ، وَلاَ يَخْتَلِطْنَ بِالرِّجَالِ، وَالحَائِضُ تَخْرُجُ لِحُضُورِ دَعْوَةِ المُسْلِمِينَ وَتَعْتَزِلُ المُصَلَّى، قَالَتْ أُمُّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

---

(١) أبو داود (١١٣٤).

كُنَّا نُؤْمَرُ أَنْ نَخْرُجَ يَوْمَ العِيدِ حَتَّى تخْرُجَ البِكْرُ مِنْ خِدْرِهَا، وَحَتَّى تَخْرُجَ الحُيَّضُ فِيَكُنَّ خَلْفَ النِّسَاءِ فَيُكَبِّرْنَ بِتَكْبِيرِهِمْ، وَيَدْعُونَ بِدُعَائِهِمْ، يَرْجُونَ ذٰلِكَ اليَوْمَ وَطُهْرَتَهُ.

وَالخُرُوجُ لِصَلاَةِ العِيدِ إِظْهَارٌ لِشَعَائِرِ الإِسْلاَمِ وَعَلَمٌ مِنْ أَعْلاَمِهِ الظَّاهِرَةِ، فَاحْرِصُوا عَلَى حُضورِهَا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ فَإِنَّهَا مِنْ مُكَمِّلاَتِ أَحْكَامِ هٰذَا الشَّهْرِ المُبَارَكِ، وَاحْرِصُوا عَلَى الخُشُوعِ، وَغَضِّ البَصَرِ وَعَدَمِ إِسْبَالِ الثِّيَابِ، وَعَلَى حِفْظِ اللِّسَانِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَحِفْظِ السَّمْعِ مِن اسْتِمَاعِ القِيلِ وَالقَالِ وَالأَغَانِي وَالمَعَازِفِ وَالمَزَامِيرِ، وَلاَ تَحْضُرُوا حَفَلاَتِ السَّمَرِ وَاللَّهوِ وَاللَّعِبِ التِي يُقيمُهَا بَعْضُ الجُهالِ، فَإِنَّ الطَّاعَةَ تُتْبَعُ بِالطَّاعَةِ لاَ بِضِدِّهَا. وَلِهٰذَا شَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ لأُمَّتِهِ اتباعَ صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ بِصَوْمِ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ، فَقَدْ رَوَى الإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنِ النَّبِي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، وَأَتْبَعَهُ بِستٍّ مِنْ شَوَّالٍ، فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ»[1] يَعْنِي: فِي الأَجْرِ وَالثَّوَابِ وَالمُضَاعَفَةِ، لأَنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فَرَمَضَانُ عَنْ عَشْرَةِ أَشْهُرٍ، وَستَّةُ الأَيَّامِ مِنْ شَوَّال عَنْ شَهْرَينِ. وَهٰذِه أَشْهُرُ السَّنَةِ كَأَنَّمَا صَامَهَا المُسْلِمُ كُلَّهَا إِذَا صَامَ رَمضَانَ، وَأَتْبَعَهُ سِتاً مِنْ شَوَّال فَاحْرِصُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَى صِيامِ هٰذِهِ الأَيَّامِ السِّتةِ لِتحْظُوا بِهٰذَا الثَّوَابِ العَظِيمِ.

وَاعْلَمُو أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ. . . إلخ.

* * *

---

(١) رواه مسلمٌ (١١٦٤)، وأبو داود (٢٤٣٣)، والترمذيُ (٧٥٩)، وغيرهم.

فِيمَا يَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ

الحَمْدُ للهِ مُقَدِّرِ المَقْدُورِ وَمُصَرِّفِ الأَيَّامِ وَالشُّهُورِ. وَأَحْمَدُه عَلَى جَزِيلِ نِعَمِهِ، وَهُو الغَفُورُ الشَّكُورُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. لَهُ المُلْكُ وَلهُ الحَمْدُ، وَهُو عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ. وَأَشْهَدُ أَن مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ البَشِيرُ النَّذِيرُ، وَالسِّرَاجُ المُنِيرُ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمَاً كَثِيراً إِلَى يَوْمِ البَعْثِ وَالنُّشُورِ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّها النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ وَتَفَكَرُوا فِي سُرْعَةِ مُرُورِ الأَيَّامِ وَاللَّيَالِي، وَتَذَكَّرُوا بِذٰلِكَ قُرْبَ انْتِقَالِكُمْ مِنْ هٰذِه الدُّنْيَا، فَتَزَوَّدُوا بِصَالِحِ الأَعْمَالِ، حَلَّ بِكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ المُبَارَكُ بَخَيْرَاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ، وَعِشتُمْ جَمِيعَ أَوْقَاتِهِ، ثُمَّ انْتَهَىٰ وَارْتَحَلَ سَرِيعَاً شَاهِداً عِنْدَ رَبِّهِ لِمَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ وَاسْتَفَادَ مِنْ خَيْرِهِ بِالطَّاعَةِ، وَشَاهِداً عَلَى مَنْ تَجَاهَلَ فَضْلَهُ، وَأَسَاءَ فِيهِ بِالإِضَاعَةِ.

فَلْيُحَاسِبْ كُل مِنَّا نَفْسَهُ مَاذَا قَدمَ فِي هٰذَا الشَّهْرِ، فَمَنْ قَدَّمَ فِيهِ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَى ذٰلِكَ، وَلَيَسْأَلْهُ القَبُولَ وَالاسْتِمرَارَ عَلَى الطَّاعَةِ، فِي مُسْتَقْبَلِ حَيَاتِهِ، وَمَنْ كَانَ مُفرِّطاً فِيهِ فَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ، وَلْيَبْدَأْ حَيَاةً جَدِيدَةً يَسْتغِلُّها بِالطَّاعَةِ، بَدَلَ الحَيَاةِ التِي أَضَاعَهَا فِي الغَفْلَةِ وَالإِسَاءَة، لَعَلَّ الله يُكَفِّرُ عَنْهُ مَا مَضَى وَيُوفِّقُهُ فِيمَا بَقِي مِنْ عُمُرِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

وَقَالَ النبيُّ ﷺ : «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا»(١) وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

عِبَادَ اللهِ: إن شَهْرَ رَمَضَانَ كَمَا وَصَفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ»، وذٰلِكَ لأَنَّ النَّاسَ مَعَ هٰذَا الشَّهْرِ لَهُمْ حَالاَتٌ مُخْتَلِفَةٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ وَافَاهُ هٰذَا الشَّهْرُ وَهُو مُسْتَقِيمٌ عَلَى الطَّاعَةِ، مَحَافِظٌ عَلَى صَلاَةِ الجُمَعِ وَالجَمَاعَةِ، مُبْتَعِدٌ عَنِ المَعَاصِي، ثُمَّ اجْتَهَدَ فِي هٰذَا الشَّهْرِ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، فَكَانَ زِيَادَةَ خَيرٍ لَهُ. فَهٰذَا تَنَالُهُ رَحْمَةُ اللهِ لأَنَّهُ مُحْسِنٌ فِي عَمَلِهِ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وَمِنْهُمْ مَنْ وَافَاهُ هَذَا الشَّهْرُ، فَصَامَ نَهَارَهُ، وَقَامَ مَا تَيَسَّرَ مِنْ لَيْلِهِ، وَهُو قَبْلَ ذَلِكَ مُحَافِظٌ عَلَى أَدَاءِ الفَرَائِضِ وَكَثِيرٍ مِنَ الطَّاعَاتِ، لَكِنْ عِنْدَهُ ذُنُوبٌ دُونَ الكَبَائِرِ. فَهٰذَا تَنَالُهُ مَغْفِرَةُ اللهِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ وَرَمَضَان إِلَىٰ رَمَضَانَ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ»(٢).

وَمِنْهُمْ مَنْ وَافَاهُ شَهْرُ رَمَضَانَ وَعِنْدَهُ ذُنُوبٌ كَبَائِرُ، لَكِنَّهَا دُونَ الشِّرْكِ، وَقَدْ اسْتَوْجَبَ بِهَا دُخُولَ النَّارِ، ثُمَّ تَابَ مِنْهَا، وَصَامَ هَذَا الشَّهْرَ، وَقَامَ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ، فَهٰذَا يَنَالُهُ الإِعْتَاقُ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا اسْتَوْجَبَ دُخُولَهَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ وَافَاهُ الشَّهْرُ وَهُو مُقِيمٌ عَلَى المَعَاصِي مِنْ فِعْلِ المُحَرَّمَاتِ، وَتَرْكِ

---

(١) رواه الترمذيُّ (١٩٨٨)، وقال: حسنٌ صحيحٌ. ورواه غيره أيضاً.
(٢) رواه مسلم (٢٣٣) والترمذي (٢١٤).

الوَاجِبَاتِ، وَإِضَاعَةِ الصَّلاَةِ، فَلَمْ يَتَغَيَّرْ حَالُهُ، وَلَمْ يتبْ إِلَىٰ اللهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ. أَوْ تَابَ مِنْهَا تَوْبَةً مُؤَقَّتَةً فِي رَمَضَانَ، وَلَمَّا انْتَهَىٰ عَادَ إِلَيْهَا، فَهٰذَا هُو الخَاسِرُ الذِي خَسِرَ حَيَاتَهُ. وَضَيَّعَ أَوْقَاتَهُ، وَلَمْ يَسْتَفِدْ مِنْ هٰذَا الشَّهْرِ إِلاَّ الذنُوبَ وَالآثَامَ، وَقَدْ قَالَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «وَمَنْ أَدْرَكَهُ شَهْرُ رَمَضَانَ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَه اللهُ، قُلْ: آمِين، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: آمِين» وَالمَحْرُومُ مَنْ حَرَمَهُ اللهُ، وَالشَّقِيُّ مَنْ أَبْعَدَهُ اللهُ.

عباد الله: إن عبادةَ اللهِ واجبةٌ في كل وقتٍ وليس لها نهايةٌ إلاَّ بالموتِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ» الحَدِيثُ(١). وَالمَوْتُ قَرِيبٌ.

وَللهِ عِبَادَاتٌ تُؤَدَّىٰ فِي مَوَاقِيتِهَا يَوْمِياً وَأُسبُوعِياً وَسَنَوِياً وَهَذِه العِبَادَاتُ مِنْهَا مَا هُو أَرْكَانٌ لِلإِسْلاَمِ، وَمِنْهَا مَا هُو مُكَمِّلٌ لَهُ. فَالصَّلَواتُ الخَمْسُ تُؤَدَّىٰ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَهِي الرُّكْنُ الثَّانِي مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، وَهِي عَمُودُ الإِسْلاَمِ، وَالجُمُعَة تُؤَدَّىٰ كُلَّ أُسْبُوعٍ، وَهِي مِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِ الإِسْلاَمِ، يَجْتَمِعُ لَهَا المُسْلِمُونَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ اهْتِماماً بِهَا، وَالزَّكَاةُ قَرِينَةُ الصَّلاَةِ، وَهِي فِي غَيْرِ المُعَشَّرَاتِ تُؤَدَّى كُل سَنَةٍ، وَأَمَّا المُعَشَّرَاتُ فَتُؤَدَّىٰ زَكَاتُهَا عِنْدَ الحُصُولِ عَلَيْهَا. وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ يَجِبُ فِي كُل سَنَةٍ. وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ يَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ

---

(١) رواه مسلم (١٦٣١) وأبو داود (٢٨٨٠) والترمذي (١٣٧٦) والنسائي (٣٦٥١).

المُسْتَطِيعِ في العُمْرِ مَرَّةً. وَكَذَا العُمْرَةُ، وَمَا زَادَ عَلَى المَرَّةِ مِنَ الحجِّ وَالعُمْرَةِ فَهُو تَطَوُّعٌ.

وَإِلَى جَانِبِ هٰذِه العِبَادَاتِ الوَاجِبَةِ عِبَادَاتٌ مُسْتَحَبَّةٌ، مِثْلَ: نَوافِلِ الصَّلَوَاتِ، وَنَوَافِلِ الصَّدَقَاتِ، وَنَوَافِلِ الصِّيَامِ، وَنَوَافِلِ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ. وَهٰذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حَيَاةَ المُسْلِمِ كُلَّهَا عِبَادَةٌ إِمَّا وَاجِبَةٌ وَإِمَّا مُسْتَحَبَّةٌ.

فَالذِي يَظُنُّ أَنَّ العِبَادَةَ مُطْلُوبَةٌ مِنْهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَبَعْدَهُ يُعْفَىٰ مِنَ العِبَادَةِ فَقَدْ ظَنَّ سُوءاً وَجَهلَ حَقَّ الله عَلَيْهِ، وَلَم يَعْرِفْ دِينَهُ، بَلْ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ. حَيْثُ لَمْ يُطِعْهُ إلاَّ فِي رَمَضَانَ، وَلَمْ يَخَفْ مِنْهُ إلاَّ فِي رَمَضَانَ، وَلَمْ يَرْجُ ثَوَابَهُ إلاَّ فِي رَمَضَانَ. إنَّ هَذَا الإِنْسَانَ مَقْطُوعُ الصِّلَةِ بِاللهِ، مَعَ أَنَّهُ لاَ غِنَىٰ لَهُ عَنْهُ طَرفَةَ عَيْنٍ. وَالعَمَلُ مَهْمَا كَانَ إِذَا كَانَ مَقْصُوراً عَلَىٰ شَهْرِ رَمَضَانَ فَهُو عَمَلٌ مردودٌ على صاحبِهِ مهما أتعبَ نفسهُ فيهِ، لأنه عملٌ مبتورٌ لا أصلَ لهُ ولاَ فرعَ، وإنَّما يَنْتَفِعُ بِرَمَضَانَ أَهْلُ الإيمَانِ الذِينَ هُمْ عَلَى الاسْتِقَامَةِ فِي كُلِّ الزَّمَانِ، يَعْلَمُونَ أَنَّ رَب الشُّهُورِ وَاحِدٌ، وَهُو فِي كُلِّ الشُّهُورِ مُطَّلِعٌ عَلَى أَعْمَالِ عِبَادِهِ وَشَاهِدٌ.

وَلَقَدْ بَلَغَ الجَهْلُ بِبَعْضِ المُنْتَسِبِينَ إِلَى الإِسْلَامِ أَنِ اعْتَقَدَ أَنهُ إِذَا صَلَّى الجُمُعةَ كَفَتْهُ عَنِ العِبَادَةِ فِي بَقِيَّةِ الأُسْبُوعِ، فَيُضَيِّعَ الصَلَوَاتِ الخَمْسَ. وَبَعْضُهُمْ يَعْتَقِدُ أَنَّ صِيَامَ رَمَضَانَ وَالتَّعَبُّدَ فِيهِ يَكْفِيهِ عَنِ التَعَبُّدِ فِي بَقِيَّةِ السَّنَةِ، فَيَتْرُكَ الصَّلَواتِ أَحَدَ عَشَرَ شَهْراً، وَيُصَلِّي فِي شَهْرٍ وَاحِدٍ. وَالبَعْضُ الآخَرُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ إِذَا حَجَّ مَرَّةً فِي عُمُرِهِ كَفَّرَ الحَج عَنْهُ مَا مَضَىٰ وَكَفَاهُ عَنِ العَمَلِ في المُسْتَقْبَلِ، وَرُبَّمَا يَسْتَدِلُّ خَطَأً عَلَى ذٰلِكَ بِمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ أَنَّ هَذِهِ العِبَادَاتِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُن، وَلَو اسْتَكْمَلَ الحَدِيثَ وَتَأَمَّلَهُ لَوَجَدَ أَنَّ التَّكْفِيرَ المَذكُورَ فِيهِ مَشْرُوطٌ بِاجْتِنَابِ الكَبَائِرِ، وَاللهُ

تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١].

وَلَيْسَ بَعْدَ الشِّرْكِ أَكْبَرُ مِنْ إِضَاعَةِ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، وَهَؤُلاَءِ قَدْ ضَيَّعُوهَا وَضَيَّعُوا غَيْرَهَا مِنْ أَوَامِرِ الدِّينِ، وَلاَ يُكَفِّرُ ذٰلِكَ عَنْهُمْ إِلاَّ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [مريم: ٥٩ ـ ٦٠].

فَدَلَّتِ الآيَةُ عَلَى أَنْ تَرْكَ الصَّلاَةِ لاَ يُكَفِّرُ إِلاَّ بِالتَّوْبَةِ وَيُشْتَرَطُ لِصِحَّةِ التَّوْبَةِ ثَلاَثَةُ شُرُوطٍ:

أَحَدُهَا: تَرْكُ الذُّنُوبِ تَرْكاً نِهَائِياً، أَمَا مَنْ تَابَ بِلِسَانِهِ وَهُو مُقِيمٌ عَلَى الذُّنُوبِ فَتَوْبَتُهُ غَيْرُ صَحِيحَةٍ وَلاَ مَقْبُولَةٍ.

والثَّانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى مَا حَصَلَ مِنْهُ مِنَ الذُّنُوبِ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ وَيَخْجَلْ مِنَ اللهَ عَلَى مَا حَصَلَ مِنَ المَعَاصِي فَإِنَّ تَوْبَتَهُ غَيْرُ صَحِيحَةٍ.

الثَّالِثُ: وَهٰذَا مُهِمٌّ جِداً، أَنْ يَعْزِمَ عَلَى أَنْ لاَ يَعُودَ إِلَى المَعَاصِي طُوالَ حَيَاتِهِ إِلَى المَمَاتِ.

أَمَّا مَنْ تَابَ مِنَ المَعَاصِي فِي وَقْتٍ مُحَدَّدٍ كَشَهْرِ رَمَضَانَ، وَفِي نِيتِهِ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا فِي وَقْتٍ آخَر، كَبَعْدَ رَمَضَانَ فَتَوْبَتُهُ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ. وَشَهْرُ رَمَضَان خَيْرُ عَوْنٍ لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ تَوْبَةً صَحِيحَةً، لأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ فِيهِ السيطرة على نفسهِ وهواهُ، ويستطيعُ فيها تركَ مألُوفاتِهِ وشهواتِهِ ويستطيعُ فيه فِعْل الطَّاعَاتِ بِسُهُولَةٍ، فَهُو يُسَهِّلُ فِعْلَ الطَّاعَاتِ، وَيُنَبِّهُ ذَوِي الغَفَلاَتِ. وَالمُوفَّقُ فِي هَذَا الشَّهْرِ مَنِ اسْتَفَادَ مِنْ مُرُورِهِ عَلَيْهِ، فَتَعَوَّدَ فِعْلَ الطَّاعَاتِ، وَالابْتِعَادَ عَنِ المَعَاصِي وَالمُحَرَّمَاتِ، وَصَارَ مُنْطَلَقاً لَهُ فِي المُسْتَقْبَلِ فِي الاسْتِمْرَارِ عَلَى مَا اعْتَادَهُ فِيهِ مِنْ فِعْلِ الخَيْرِ.

وَالمَخْذُولُ مَنْ يَعْتَبِرُ شَهْرَ رَمَضَانَ سِجْناً ثَقِيلاً يَسْتَطِيلُ أَيَّامَهُ، وَيَنْتَظِرُ نِهَايَتَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلى العِصْيَانِ، وَطَاعَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ.

فَاتَّقُوا اللهِ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَأَتْبِعُوا شَهْرَ رَمَضَانَ بِالاسْتِمْرَارِ عَلَى الطَّاعَاتِ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ الذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِنِعْمَةِ الإِسْلَامِ، وَلاَ يَزَالُ يُوالِي عَلَى عِبَادِهِ مَوَاسِمَ الفَضْلِ وَالإِنْعَامِ، فَبَعْدَ أَن انْتَهَىٰ شَهْرُ رَمَضَانِ أَعْقَبَهُ بِأَشْهُرِ الحَجِّ إِلَى بَيْتِهِ الحَرَامِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ذُو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَتَابِعُوا فِعْلَ الخَيْرَاتِ بَعْدَ رَمَضَانَ، فَإِنَّ مِنْ عَلاَمَةِ قَبُولِ الحَسَنَةِ فِعْلَ الحَسَنَةِ بَعْدَهَا، وَمَا شَهْرُ رَمَضَانَ إِلاَّ مُنَشِّطٌ عَلَى الخَيْرِ وَمَبْدَأٌ لِلتَّوْبَةِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَنِهَايَةُ العَمَلِ تَكُونُ بِالمَوْتِ لاَ بِخُرُوجِ رَمَضَانَ، وَإِنَّ مِنْ عَلاَمَةِ قَبُولُ التَّوْبَةِ وَالأَعْمَالِ فِي رَمَضَانَ أَنْ يَكُونَ الإِنْسَانُ بَعْدَ رَمَضَانَ أَحْسَنَ حَالاً فِي الطَّاعَةِ عَمَّا قَبْلَ رَمضَانَ، وَمِنْ عَلامَةِ الرَّدِّ وَالخذْلاَنِ أَنْ يَكُونَ الإِنْسَانُ بَعْدَ رَمَضَانَ أَسْوَأَ حَالاً مِمَّا قَبْلَهُ.

فَتَنَبَّهُوا لأَنْفُسِكُمْ رَحِمَكُم اللهُ، وَانْظُرُوا حَالَكُمْ بَعْدَ رَمَضَانَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ بَابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ دَائِماً فِي رَمَضَانَ، وَفِي كُلِّ زَمَانٍ، فَمَنْ فَاتَتْهُ التَّوْبَةُ فِي رَمَضَانَ فَلاَ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، بَلْ يُبَادِرُ بِالتَّوْبَةِ فِي أَيِّ وَقْتٍ كَانَ، فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ. وَيَغْفِرُ الذُّنُوبَ لِمَنْ رَجَعَ إِلَيْهِ وَأَنَابَ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ

أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣ـ٥٥].

حَافِظُوا عَلَى مَا كَسَبْتُمْ فِي رَمَضَانَ مِنَ الحَسَنَاتِ. وَلَا تُفْسِدُوهُ بِالرُّجُوعِ إِلَى المَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ. فَتَهْدِمُوا مَا بَنَيْتُم. وَتُبْطِلُوا مَا قَدَّمْتُم، فَإِنَّ السَّيِّئَاتِ إِذَا كَثُرَتْ أَهْلَكَتْ الإِنْسَانَ، وَرَجَحَتْ بِحَسَنَاتِهِ فِي المِيزَانِ ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: ٩].

وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ.. إلخ.

* * *

أَشْهُرُ الحَجِّ وَفَضَائِلُهَا

الحَمْدُ للهِ عَلَى مَا خَصَّنَا بِهِ مِنَ الفَضْلِ وَالإِكْرَام، فَمَا زَالَ يُوالِي عَلَيْنَا مَوَاسِمَ الخَيْرِ وَالإِنْعَامِ، مَا انْتَهَىٰ شَهْرُ رَمَضَانَ حَتَّى أَعْقَبَهُ بِأَشْهُرِ الحَجِّ إِلَى بَيْتِهِ الحَرَامِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلٰهِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ العِظَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أَفْضَلُ مَنْ صَلَّىٰ وَصَامَ وَوَقَفَ بِالمَشَاعِرِ، وَطَافَ بِالبَيْتِ الحَرَامِ. صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ البَرَرَةِ الكِرَامِ. وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَاشْكُرُوهُ عَلَى مَا شَرَعَ لَكُمْ مِن الشَّرَائِعِ العَظِيمَةِ، وَمَا خَصَّكُمْ بِهِ مِن المَوَاسِمِ الكَرِيمَةِ، التِي تَتَوَالَى عليْكُمْ كُلَّ يَوْمٍ، وَكُلَّ أُسْبُوعٍ، وَكُلَّ عَامٍ، وَهِي شَرَائِعُ تَحْمِلُ لَكُمْ كُلَّ خَيْرٍ، وَتُبْعِدُ عَنْكُمْ كُلَّ شَرٍّ.

فَالصَّلاَةُ تَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ، وَهُو خُشُوعٌ للهِ، وَخُضُوعٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاتِّصَالٌ بِهِ، وَإِقْبَالٌ عَلَيْهِ، وَهِي أَكْبَرُ عَوْنٍ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى القِيَامِ بِأَعْبَاءِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وَالزَّكَاةُ: إِحْسَانٌ وَمُوَاسَاةٌ لِلْفُقَرَاءِ وَالمُعْسِرِينَ، وَتَرْغِيبٌ لِلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُم فِي الدِّينِ. وَإِعَانَةٌ فِي فِكَاكِ الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ، وَطُهْرَةٌ وَتَزْكِيَةٌ لِلنُّفُوسِ وَالأَمْوَالِ، فَهِي مَغْنَمٌ لاَ مَغْرَمٌ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وَهِي تَنْمِيَةٌ لِلْمَالِ، وَسَبَبٌ لإِنْزَالِ البَرَكَةِ فِيهِ وَدَفْعِ الآفَاتِ عَنْهُ. قَالَ ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»(١).

فَالْمُؤْمِنُ يَعْتَبِرُ الزَّكَاةَ مَغْنَماً، لأَنَّهُ وَاثِقٌ بِوَعْدِ اللهِ وَمَحْبُوبَاتِ النَّفْسِ طَاعَةً للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُو مَعَ ذٰلِكَ تَرْبِيَة عَلَى الأَخْلاَقِ الفَاضِلَةِ وَتَرْكٌ لِلأَخْلاَقِ الرَّذِيلَةِ، قَالَ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَب، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ» رواه البخاري(٢).

وَالحَجُّ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، يِنْفَقُ فِيهِ المَالُ، وَيُتْعَبُ فِيهِ البَدَنُ، وَتُتْرَكُ مِنْ أَجْلِهِ الأَوْلاَدُ وَالبِلاَدُ إِجَابَةً لِدَاعِي اللهِ وَتَلْبِيَةً لِنِدَائِهِ عَلَى لِسَانِ خَلِيلِهِ، إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حِيْنَ قَالَ اللهُ لَهُ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٧ ـ ٢٩].

عِبَادَ اللهِ: وَنَحْنُ الآنَ فِي أَشْهُرِ الحَجِّ التِي جَعَلَهَا اللهُ مِيقَاتاً لِلإِحْرَامِ بِهِ وَالتَّلَبُّسِ بِنُسُكِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

يُخْبِرُ تَعَالَىٰ أَنَّ الحَجَّ يَقَعُ فِي أَشْهُرٍ مَعْلُومَاتٍ وَهِي شَوَّالُ وَذُو القَعْدَةِ وَعَشَرَةُ أَيَّامٍ مِنْ ذِي الحجَّةِ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: (مَعْلُومَاتٍ) لأَنَّ النَّاسَ يَعْرِفُونَهَا مِنْ عَهْدِ

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٥٨٨)، والترمذيُّ (٢٠٣٠).
(٢) رواه البخاريُّ (١٩٠٤).

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَالحَجُّ وَقْتُهُ مَعْرُوفٌ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ كَمَا احْتَاجَ الصِّيَامُ وَالصَّلاَةُ إِلَى بَيَانِ مَوَاقِيتِهَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ مَعْنَاهُ: مَنْ أَحْرَمَ بِالحَجِّ فِي هٰذِهِ الأَشْهُرِ سَوَاءٌ فِي أَوَّلِهَا أَوْ فِي وَسَطِهَا أَوْ فِي آخِرِهَا، فَإِنَّ الحَجَّ الذِي يحْرِمُ بِهِ يَصِيرُ فَرْضاً عَلَيْهِ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَدَاؤُهُ بِفِعْلِ مَنَاسَكِهِ وَلَوْ كَانَ نَفْلاً، فَإِنَّ الإِحْرَام بِهِ يُصَيِّرُهُ فَرْضاً عَلَيْهِ لاَ يَجُوزُ لَهُ رَفْضُهُ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾: بَيَانٌ لآدَابِ المُحْرِمِ وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَجَنَّبَهُ حَالَ الإِحْرَامِ، أَيْ: يَجِبُ أَنْ تُعَظِّمُوا الإِحْرَامَ بِالحَجِّ وَتَصونُوهُ عَنْ كُلِّ مَا يُفْسِدُهُ أَوْ يُنْقِصُهُ مِنَ (الرَّفثِ): وَهُو الجَمَاعُ وَمُقَدِّمَاتُهُ الفِعْلِيَّةُ وَالقَوْلِيةُ.

الفُسُوقُ: وَهُو جِمِيع المَعَاصِي، وَمِنْهَا مَحْظُورَاتُ الإِحْرَام.

الجِدَالُ: وَهُو المَحَاورَاتُ وَالمَنَازَعَةُ وَالمُخَاصَمَةُ، لأَنَّ الجِدَالَ يُثِيرُ الشَّرَّ وَيُوقِعُ العَدَاوَةَ وَيشْغِلُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ. وَالمَقْصُودُ مِنَ الحَجِّ الذُّلُّ وَالانْكِسَارُ بَيْنَ يَدَيِّ اللهِ وَعِنْدَ بَيْتِهِ العَتِيقِ وَمَشَاعِرِهِ المُقَدَّسَةِ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللهِ بِالطَّاعَاتِ وَتَرْكِ المَعَاصِي وَالمُحَرَّمَاتِ لِيَكُونَ الحَج مَبْرُوراً.

فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ الحَجَّ المَبْرُورَ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الجَنَّةَ. وَلَمَّا كَانَ التَّقَرُّبُ إِلَى اللهِ تَعَالَىٰ لاَ يَتَحَقَّقُ إِلاَّ بِتَرْكِ المَعَاصِي وَفِعْل الطَّاعَاتِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ بَعْدَ أَنْ نَهَىٰ عَنِ المَعَاصِي فِي الحَجِّ أَمَرَ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾. وَهذَا يَتَضَمَّنُ الحَث عَلَى أَفْعَالِ الخَيْرِ خُصُوصاً فِي أَيَّام الحَجِّ، وَفِي تِلْكَ البِقَاعِ الشَّرِيفَةِ وَالمَشَاعِرِ المُقَدَّسَةِ، وَفِي المَسْجِدِ الحَرَام، فَإِنَّ الحَسَنَاتِ تُضَاعَفُ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا كَمَا ثَبَتَ أَنَّ الصَّلاَةَ الوَاحِدَةَ فِي

المَسْجِدِ الحَرَامِ أَفْضلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَسَاجِدِ، لاَ سِيَّمَا وَقَدِ اجْتَمَعَ لِلْحَاجِّ فِي هٰذَا المَكَانِ وَهَذَا الوَقْتِ شَرَفُ الزَّمَانِ وَشَرَفُ المَكَانَ.

وَمِنَ الجَدَلِ الذِي نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ فِي الحَجِّ مَا كَانَ يَجْرِي بَيْنَ القَبَائِلِ فِي الجَاهِلِيَّةِ فِي مَوْسِمِ الحَجِّ وَفِي أَرْضِ الحَرَمِ مِنَ التَّنَازُعِ وَالتَّفَاخُرِ وَمَدْحِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ حَتَّى حَوَّلُوا الحَجَّ مَنْ عِبَادَةٍ إِلَى نِزَاعٍ وَخِصَامٍ، وَمِنْ تَحْصِيلِ فَضَائِلِ إِلَىٰ تَحْصِيلِ جَرَائِمِ وَآثَامٍ، وَقَدْ وُجِدَ فِي زَمَانِنَا هَذَا مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُحْيِي هٰذِهِ السُّنَّةَ الجَاهِلِيَّةَ، وَالنَّخْوَةَ الشَّيْطَانِيَّةَ. فَيُحَوِّل الحَج إِلَى هِتَافَاتٍ وَمُظَاهَرَاتٍ وَشِعَارَاتٍ، وَرَفْعِ صُورٍ وَوَثَنِيَّاتٍ، وَصَخَبٍ وَلِجَاجٍ وَإِيذَاءٍ وَتَرْوِيعِ لِلْحُجَّاجِ. وَعَدَمِ مُرَاعَاةٍ لِحُرْمَةِ الحَرَمِ وَالإِحْرَامِ، وَحُرْمَةِ تِلْكَ الأَيَّامِ. حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الحَرَمِ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

فَاللَّهُمَّ مَنْ آذَىٰ حَجِيجَكَ وَرَوَّعَ عَبِيدَكَ وَانْتَهَكَ حُرْمَةَ بَيْتِكَ وَأَلْحَدَ فِي حَرَمِكَ بِظُلْمٍ وَفُودِكَ فَأَذِقْهُ مِنْ عَذَابِكَ الأَلِيمِ، الذِي تَوَعَّدْتَ بِهِ كُلَّ مُلْحِدٍ أَثِيمٍ. إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ. وَأَنْتَ مَوْلاَنَا ونِعمَ المَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ. اللَّهُمَّ يَا مُرْسِلَ الطَّيْرَ الأَبَابِيلَ على أَصْحَابِ الفِيلِ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ، حَتَّىٰ جَعَلْتَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ، أَذِقْ كُلَّ مَنْ حَاوَلَ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِم مِنْ عَذَابِكَ الوَبِيلِ، وَأَنْتَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ ـ اللَّهُمَّ آمِين، اللَّهمَ آمِين.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ الذي جَعَلَ الأَوْقَاتِ مَوَاسِمَ لِلطَّاعَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ

وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلهِيَّتِهِ وَمَالَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، حَثَّ عَلَى اغْتِنَامِ مَوَاسِمِ الخَيْرِ قَبْلَ الفَوَاتِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُو اللهَ تَعَالَى. وَاحْفَظُوا أَوْقَاتَكُمْ بِفِعْلِ مَا شَرَعَ فِيهَا مِنَ الطَّاعَاتِ، لِتَجِدُوا ثَوَابَهَا مُدَّخَراً، وَأَجْرَهَا مُوَفَّراً، وَلاَ تَكُونُوا مِمَّنْ ضَيَّعُوا أَوْقَاتَهُمْ، فَيَتَحَسَّرُونَ عِنْدَ مَمَاتِهِم، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ [المؤمنون: ٩٩].

فَيُقَالُ لَهُ: (كَلاَّ) أَيْ: لاَ رُجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا بَعْدَ المَمَاتِ، وَمَا تَتَمَنَّاهُ قَدْ فَاتَ وَهٰكَذَا عِبَادَ اللهِ لاَ يَزَالُ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ يَتَوَالَى، فَمَا أَنِ انْقَضَىٰ شَهْرُ الصِّيَامِ حَتَّى أَعْقَبَتْهُ أَشْهُرُ الحَجِّ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ.

فَكَمَا أَنَّ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَقَامَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ وَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

فَمَا يَمْضِي مِنْ عَمرِ المُؤْمِنِ سَاعَةٌ مِنَ السَّاعَاتِ إِلاَّ وَللهِ فِيهَا وَظِيفَةٌ مِنْ وَظَائِفِ الطَّاعَاتِ، وَكُلُّ وَقْتٍ يخْلِيهِ العَبْدُ مِنْ طَاعَةِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَهُ، وَكُلُّ سَاعَةٍ يَغْفُلُ فِيهَا عَنْ ذِكْرِ اللهِ تَكُونُ عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَسْرَةً وَتِرَةً، وَمَنْ عَمِلَ طَاعَةً مِنَ الطَّاعَاتِ فَعلاَمَةُ قَبولِهَا أَنْ يَصِلَهَا بِطَاعَةٍ أخرَىٰ، وَعَلاَمَةُ رَدِّهَا أَنْ يَتْبَعَهَا بِمَعْصِيَةٍ تَكُونُ عَاقِبَتُهَا خُسْرَاً. وَمَا أَحْسَنَ الحَسَنَةَ بَعْدَ السَّيِّئَةِ تَمْحُوهَا، وَأَحْسَنُ مِنْهَا الحَسَنَةُ بَعْدَ الحَسَنَةِ تَتْلُوهَا، قَالَ الحَسَنُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِعَمَلِ المُؤْمِنِ أَجَلاً دُونَ المَوْتِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩].

وَاحْفَظُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَوْقَاتَكُمْ فِيمَا يَسُرُّكُمْ. وَلاَ تُضَيِّعُوهَا فِيمَا يَضُرُّكُمْ، فَإِنَّ خَيْرَكُمْ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ.

واعلموا أن خير الحديث كتاب اللهِ . . إلخ .

* * *

فِي فَضْلِ شَهْرِ ذِي الحجةِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَتَاحَ لِعبادِهِ مَوَاسِمَ الخَيْرِ وَنَوَّعَهَا لِيَتَزَوَّدُوا مِنْهَا صَالِحَ الأَعْمَالِ، وَيَسْتَدْرِكُوا ما يَحْصُلُ مِنَ الغَفْلَةِ وَالإِهْمَالِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ الكَبِيرُ المُتَعَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وَآلٍ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَاالنَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا فِي دَارِ مَمَرٍّ، وَمَا زِلْتُمْ فِي سَفَرٍ، وَأَنَّ إِلَى رَبِّكُمْ المُسْتَقَرَّ، وَأَنَّهَا تَمُرُّ بِكُمْ مَوَاسِمُ عَظِيمَةٌ تُضَاعَفُ فِيهَا الحَسَنَاتُ وَتُكَفَّرُ فِيهَا السَّيِّئَاتُ، وَمِنْ هَذِهِ المَوَاسِمِ شَهْرُ ذِي الحِجَّةِ، فَقَدْ جَمَعَ اللهُ فِيهِ مَنَ الفَضَائِلِ وَنَوَّعَ فِيهِ مِنَ الطَّاعَاتِ مَا لاَ يَخْفَىٰ إِلاَّ عَلَىٰ أَهْلِ الغَفْلَةِ وَالإِعْرَاضِ. فَفِي أَوَّلِهِ العَشْرُ المُبَارَكَةُ التِي نَوَّهُ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١ـ٢].

فَإِنَّ المَرَادَ بِهَا عَشْرُ ذِي الحِجَّةِ. قَدْ أَقْسَمَ اللهُ بِهَا تَعْظِيماً لِشَأْنِهَا وَتَنْبِيهَا عَلَى فَضْلِهَا. وَرَوَىٰ البُخَارِيُّ منْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنْ هٰذِهِ الأَيَّامِ**». يَعْنِي: أَيَّامَ العَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟، قَالَ: «**وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ رَجُلاً خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذٰلِكَ بِشَيْءٍ**»[1].

فَدَلَّ هٰذَا الحَدِيثُ عَلَى أَنْ العَمَلَ فِي هَذِه الأَيَّامِ العَشْرِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ

---

(١) رواه البخاريُّ (٩٦٩)، وأبو داود (٢٤٣٨) والترمذيُّ (٧٥٧)وغيرهم.

العَمَلِ فِي أَيَّامِ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ، وَأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ إلاَّ جَهَاداً وَاحِداً، وَهُو جِهَادُ مَنْ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيءٍ فَهٰذَا الجِهَادُ بِخُصُوصِهِ يَفْضُلُ عَلَى العَمَلِ فِي هٰذِهِ العَشْرِ. وَأَمَّا بَقِيَّةُ أَنْوَاعِ الجِهَادِ، فَإِنَّ العَمَلَ فِي هٰذِهِ العَشْرِ أَفْضَلُ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْهَا.

وَقَدْ شَرَعَ اللهُ لِعِبَادِهِ صِيَامَ هَذِهِ الأَيَّامِ، مَا عَدَا اليَومَ العَاشِرَ، وَهُو يَوْمُ النَّحْرِ، وَمِمَّا يُشْرَعُ فِي هٰذِهِ الأَيَّامِ الإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَلاَ سِيَّمَا التَّكْبِيرُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

وَهِي أَيَّامُ العَشْرِ عِنْدَ جُمهُورِ العُلَمَاءِ. وَأَمَّا الأَيامُ المَعْدُودَاتُ فَهِي أَيَّامُ التَّشْرِيقِ. فَيُسْتَحَبُّ الإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ فِي هٰذِهِ العَشْرِ المُبَارَكَةِ من التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ، وَأَنْ يُجْهَرَ بِذلِكَ فِي الأَسْوَاقِ. فَقَدْ ذَكَرَ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا كَانَا يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ، فيكبران فَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا[1]، وَهٰذَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ.

فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ لَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ يَقْدِرُ عَلَىٰ الحَجِّ جُعِلَ مَوْسِمُ العَشْرِ مُشْتَرِكاً بَيْنَ الحُجَّاجِ وَغَيْرِهِمْ، فَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الحَجِّ فَإِنَّهُ يَقْدِرُ عَلى أَنْ يَعْمَلَ فِي العَشْرِ عَمَلاً يَفْضُلُ عَلَى الجِهَادِ، وَفِي هٰذِه العَشْرِ المُبَارَكَةِ يَوْم عَرَفَةَ الذِي هُو أَفْضَلُ الأَيَّامِ، رَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِه» مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَفْضَلُ الأَيَّامِ يَوْمُ عَرَفَةَ». وَوَرَدَ أَنَّ صَوْمَهُ يُكَفِّرُ اللهُ بِهِ السَّنَةَ المَاضِيَةَ وَالبَاقِيَه، وَالمُرَادُ بِذَلِكَ تَكْفِيرُ صَغَائِرِ الذُّنُوبِ، فَقَدْ رَوَىٰ أَبُو قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ، فَقَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ

---

(١) «كتاب العيدين» ـ باب فضل العمل في أيام التشريق.

وَالبَاقِيَةَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١]. وَفِي لَفْظٍ: قَالَ ﷺ: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ التِي بَعْدَهُ وَالسَّنَةَ التِي قَبْلَهُ» فَيُسْتَحَبُّ صِيَامُهُ لِغَيْرِ الحَاجِّ. أَمَّا الحَاجُّ فَلاَ يَنْبَغِي أَنْ يَصُومَهُ لأَجْلِ أَنْ يَتَقَوَّىٰ عَلَى الوُقُوفِ وَذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهُو يَوْمُ مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَالعِتْقِ مِنَ النَّارِ، وَالمُبَاهَاةِ بِأَهْلِ المَوْقِفِ، كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبِيداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلاَئِكَةَ»[٢].

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، يَنْزِلُ اللهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثاً غُبْراً حَاجِّينَ جَاؤُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَلَمْ يَرَوا عَذَابِي، فَلَمْ يُرَ أَكْثَرُ عتيقاً مِنَ النَّارِ يَوْمَ عَرَفَةَ».

وَرَوَىٰ مَالِكٌ في «المُوَطَّأ»: أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «مَا رُؤِيَ الشَّيْطَانُ يَوْماً هُو فِيهِ أَصْغَرُ وَلاَ أَدْحَرُ وَلاَ أَغْيظُ مِنْهُ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَمَا ذَاكَ إِلاَّ لِمَا يَرَىٰ مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ، وَتَجَاوزِ اللهِ عَنِ الذُّنُوبِ العِظَامِ».

وَرَوَى التِّرمِذِيُّ: «خَيْرُ الدُّعَاء دُعَاءُ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير»[٣].

وَفِي هٰذَا الشَّهْرِ المُبَارَكِ يَوْمُ النَّحْرِ الذِي هُو يَوْمُ الحَج الأَكْبَرِ، يُكْمِلُ

---

(١) رواه مسلمٌ (١١٦٢).
(٢) رواه مسلمٌ (١٣٤٨).
(٣) رواه الترمذيُّ (٣٥٧٩) وَحَسَّنَهُ.

المُسْلِمُونَ حَجَّهُمْ الذِي هُو الرُّكْنُ الخَامِسُ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ بَعْدَ مَا وَقَفُوا بِعَرَفَةَ، وَأَدَّوا الرُّكْنَ الأَعْظَمَ مِنْ أَرْكَانِ الحَجِّ، وَحَصَلُوا عَلَى العِتْقِ مِنَ النَّارِ، مَنْ حَجَّ وَمَنْ لَمْ يَحُجَّ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَصَارَ اليَوْم الذِي يلِي يَوْمَ عَرَفَةَ عِيداً لأَهْلِ الإِسْلَامِ جَمِيعَاً لاشْتِرَاكِهِمْ فِي العِتْقِ مِنَ النَّارِ. وَشَرَعَ لَهُمْ فِيهِ ذَبْحَ القَرَابِينَ مِنْ هَدْيٍ وَأَضَاحٍ. وَالحُجَّاجُ يَسْتَكْمِلُونَ مَنَاسِكَ حَجِّهِمْ فِي هٰذَا اليَوْمِ المُبَارَكِ مِنَ الرَّمْيِ، وَالحَلْقِ أَوِ التَّقْصِيرِ، وَالطَّوَافِ بِالبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ، وَأَهْلُ الأَمْصَارِ فِي هٰذَا اليَوْمِ يُؤدُّونَ صَلَاةَ العِيدِ لإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ.

وَفِي هٰذَا الشَّهْرِ المُبَارَكِ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ التِي هِي أَيَّامُ مِنَى: رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ نُبَيْشَةَ الهُذَلِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَيَّامُ مِنَى أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ للهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(١)، وَهِي الأَيَّامُ المَعْدُودَاتُ التِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهَا: ﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وَهِي ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِذِكْرِهِ فِي هٰذِه الأَيَّامِ المَعْدُودَاتِ، وَذِكْر اللهِ فِي هٰذِه الأَيَّامِ أَنْوَاعٌ مُتَعَدِّدَةٌ.

ومِنْهَا ذِكْرُ اللهِ عز وَجَلَّ عُقَيْبَ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ بِالتَّكْبِيرِ المُقَيَّدِ فِي أَدْبَارِهَا.

ومِنْهَا: ذِكْرُهُ بِالتَّسْمِيَةِ وَالتَّكْبِيرِ عِنْدَ ذَبْحِ النُّسُكِ.

ومِنْهَا ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الأَكْلِ وَالشُّرْبِ، فَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ للهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ يُسَمِّي اللهَ عِنْدَ بِدَايَةِ أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَيَحْمَدُهُ عِنْدَ نِهَايَتِهِمَا.

وَمِنْهَا ذِكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالتَّكْبِيرِ عِنْدَ رَمْيِ الجِمَارِ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَشَهْرُ ذِي الحَجَّةِ قَدْ تَنَوَّعَتْ فِيهِ الفَضَائِلُ وَالخَيْرَاتُ التِي أَعْظَمُهَا إِيقَاعُ الحَجِّ فيهِ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، وَهُو مِنَ الأَشْهُرِ الحُرم حَرَّمَ اللهُ القِتَالَ فِيهَا لِوقُوعِ الحَجِّ فِيهِ، فَاشْكُرُوا اللهَ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةَ العَظِيمَةِ، وَاغْتَنِمُوا خَيْرَاتِ هَذَا الشَّهرِ، وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الغَافِلِينَ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٨ ـ ٢٠٣].

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، وَأَشْهَدُ أَن لاَ إِلٰهِ إلاَّ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المُصْطَفَىٰ المُخْتَارُ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ البَرَرَةِ الأَطْهَارِ المُهَاجِرِينَ مِنهُم وَالأَنْصَارِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا الله تَعَالَى، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَحْرُمُ صِيَامُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ. قَالَ

ﷺ: «أَيامُ مِنَىٰ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ» رَواهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ[١].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها وَابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالاَ: «لَمْ يُرَخَّصْ فِي أَيامِ التَّشْرِيقِ أَنْ يُصَمْنَ إِلاَّ لِمَنْ لَمْ يَجِد الهَدْيَ» رَاوهُ البُخَارِيُّ[٢].

وَفِي النَّهْيِ عَنْ صِيَامِ هٰذِهِ الأَيَّامِ وَالأَمْرِ بِالأَكْلِ وَالشُّرْبِ فِيهَا حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ، وَذِلِكَ أَنْ اللهَ تَعَالَىٰ لَمَّا عَلِمَ مَا يُلاَقِي الحُجَّاجُ مِنْ مَشَاقِّ السَّفَرِ، وَتَعَبِ الإِحْرَام، وَجِهَادِ النُّفُوسِ عَلَى قَضَاءِ المَنَاسِكِ، شَرَعَ لَهُمُ الاسْتِرَاحَةَ عَقِبَ ذلِكَ بِالإِقَامَةِ بِمِنَى يَوْمَ النَّحْرِ وَثَلاَثَةَ أَيَّامٍ بَعْدَهُ، وَأَمَرَهُمْ بِالأَكْلِ فِيهَا مِنْ لُحُومِ نُسُكِهِمْ، فَهُمْ فِي ضِيَافَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُشَارِكُهُمْ أَهْلُ الأَمْصَارِ غَيْرُ الحُجَّاجِ فِي ذَلِكَ، لأَنَّهُمْ شَارَكُوهُمْ فِي العَمَلِ فِي صِيَامِ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ، وَفِي الذِّكْرِ، وَالاجْتِهَادِ فِي العِبَادَاتِ وَشَارَكُوهُمْ فِي التَّقَرُّبِ إِلى اللهِ بِذَبْحِ الأضاحِي، فَاشْتَرَكَ الجَمِيعُ بِالعِيدِ، وَالأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالرَّاحَةِ، فَصَارَ المُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ فِي ضِيَافَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ..

وَفِي هَذِهِ الأَيَّامِ يَأْكُلُونَ مِنْ رِزْقِهِ وَيَشْكُرُونَهُ عَلَى فَضْلِهِ. ونُهُوا عَنْ صِيَامِ هٰذِهِ الأَيَّامِ مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ.

فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ.. إلخ.

* * *

(١) رواه مسلمٌ (١١٤٢).
(٢) رواه البخاريُّ (١١٩٧).

فِي بَيَانِ عَظَمةِ البَيْتِ الحَرَامِ

الحَمْدُ للهِ الذِي جَعَلَ بَيْتَهُ الحَرَامَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنَاً، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُنْجِي مَنْ نَطَقَ بِهَا وَحَقَّقَ مَدْلُولَهَا مَبْنَىً وَمَعْنىً، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ عُرِجَ بِهِ فَوْقَ السَّمٰواتِ العُلَىٰ. ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم: ٩].

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ نُجُومِ الهُدَىٰ وَمَصَابِيحِ الدُّجَىٰ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمَاً كَثِيرَاً فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى..

أما بعد:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ التِي لاَ تُحْصَىٰ، وَمِنْ أَعْظَمِهَا أَنْ جَعَلَ لَكُمْ هٰذَا البَيْتَ الشَّرِيفَ، وَهٰذَا الحَرَمَ المنِيفَ، يَتَّجِه المُسْلِمُونَ إِلَيْهِ فِي صَلَوَاتِهِمْ مِنْ جَمِيعِ أَقْطَارِ الأَرْضِ، وَيَفِدُونَ إِلَيْهِ حَاجِّينَ وَمُعْتَمِرِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٨].

فَيَلْتَقونَ حَوْلَهُ وَيَتَعَارَفُونَ عِنْدَهُ، فَتَتَآلَفُ قُلُوبُهُمْ وَيَتَعَاونُونَ عَلَى تَحْصِيلِ مَصَالِحِهِمْ وَحَلِّ مَشَاكِلِهِمْ، وَتَظْهَرُ قُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَوَحْدَةُ المُسْلِمِينَ، وَيُرْفَعُ شِعَارُ الدِّينِ، وَتَزُولُ كُلُّ الفَوَارِقُ المُصْطَنَعَةُ إِلاَّ فَارِقَ التَّقْوَىٰ، وَتَسْقُطُ كُلُّ الشِّعَارَاتِ البَشَرِيَّةِ وَالشَّرَائِعِ الجَاهِلِيَّةِ، وَلاَ يَبْقَىٰ إِلاَّ شِعَارُ الدِّينِ، وَشَرِيعَةُ رَبِّ العَالَمِينَ وَتَبْطُلُ كُلُّ الاعْتِقَادَاتُ الشِّرْكِيَّةُ، وَلاَ يَبْقَىٰ إِلاَّ العَقِيدَةُ الحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمِ إِمَامِ المِلَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ.

فَإِنَّ هٰذَا البَيْت أُسِّسَ عَلَى التَّوْحِيدِ حِينَ أَمَرَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ بِبِنَائِهِ،

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: ٢٦].

فَمَنْ حَاوَلَ أَنْ يَجْلِبَ الوَثَنِيَّةَ إِلَى هٰذَا البَيْتِ، وَيُقِيمَهَا حَوْلَهُ، أَزَالَهُ اللهُ مِنَ الوجُودِ، وَأَذَاقَهُ العَذَابَ الأَلِيمَ، كَمَا فَعَلَ بِعَمْرو بن لُحَيّ الخُزَاعِيِّ الذِي رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ يَجُرُّ قصبَه فِي النَّارِ جَزَاءً لَهُ عَلَى مَا أَحْدَثَ مِنْ تَغْيِيرِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ وَتَسْيِيبِ السَّوَائِبِ لِلأَصْنَامِ، وَكَمَا فَعَلَ بِقُرَيْشٍ عَلَى يَدِ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الإِسْلَامِ وَصَحَابَتِهِ الكِرَامِ، حِيْنَ فَتَحُوا مَكَّةَ وَمَحَوْا مَا فِيهَا وَحَوْلَهَا مِنَ الأَصْنَامِ.

وَمَنْ أَرَادَ بِهٰذَا البَيْتِ وَقَاصِدِيهِ وَالمُتَعَبِّدِينَ فِيهِ سوءًا، أَذَابَه اللهُ بِالعَذَابِ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ فِي المَاءِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

وَلَمَّا أَرَادَ أَبْرَهَةُ مَلِكُ الحَبَشَةِ هَدْمَ هٰذَا البَيْتِ وَصَرْفَ النَّاسِ عَنْهُ وَجَهَّزَ لِذٰلِكَ جَيْشاً هَائِلاً، وَفِيهِ فِيلٌ عَظِيمٌ لِيَهْدم بِهِ الكَعْبَةَ بِأَنْ يَجْعَلَ السَّلَاسِلَ فِي أَرْكَانِهَا وَيَرْبُطَهَا فِي عُنقِ الفِيلِ لِيَجُرَّهَا وَيُلْقِي جُدْرَانَهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَكَانَ لاَ يَمُرُّ فِي طَرِيقِهِ بِقَبِيلَةٍ مِنْ قَبَائِلِ العَرَبِ إِلاَّ دَهَمَهَا، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى الحَرَمِ فَخَرجَ أَهْلُ مَكَّةَ إِلَى رُؤُوسِ الجِبَالِ خَوْفاً مِنْهُ، وَلَمَّا تَهَيَّأَ الجَيْشُ لِدُخُولِ مَكَّة وَهَيَّؤُوا الفِيلَ وَوَجَّهُوهُ نَحوهَا بَرَكَ، فَضَرَبُوهُ لِيقُومَ فَأَبَىٰ، وَإِذَا وَجَّهُوهُ إِلَى غَيْرِ مَكَّةَ قَامَ يُهَرْوِلُ. وَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ طَيْراً مِنَ البَحْرِ أَمْثَالَ الخَطَاطِيفِ معَ كل طائِرٍ منها ثلاثةُ أحجارٍ، حجرٌ في منقارِهِ. وحجرانِ في رِجْلَيْهِ أمثالِ الحُمُّصِ

وَالعَدَسِ. فَحَلَّقَتْ فَوْقَهُمْ وَرَمَتْهُمْ بِتِلْكَ الحِجَارَةِ فَهَلَكُوا، وَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذٰلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ١ـ٥].

وَالمَعْنَىٰ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَهْلَكَهُم وَدَمَّرَهُمْ فَأَصْبَحُوا مُلْقَيْنَ عَلَى الأَرْضِ كَعَصْف مَأْكُولٍ، وَهُو التِّبْنُ الذِي أَكَلَتْهُ البَهَائِمُ وَرَاثَتْهُ، وَفِي هَذَا أَعْظَمُ عِبْرَةٍ وَأَكْبَرُ زَاجِرٍ لِمَنْ يُرِيدُ هَذَا البَيْتَ بِسُوءٍ أَنَّ اللهَ يُهْلِكُهُ وَيَجْعَلُهُ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ.

وَهَذَا البَيْتُ الشَّرِيفُ لَهُ خَصائصُ عَظِيمَةٌ مِنْهَا:

أَنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦ـ٩٧].

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ أَوَّلُ المَسَاجِدِ فِي الأَرْضِ، فَهُو قَبْلَ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَهٰذَا مِنْ أَعْظَمِ الآيَاتِ البَيِّنَاتِ فِيهِ، حَيْثُ تَعَاقَبَتْ عَلَيْهِ آلافُ السِّنِينَ، وَهُو بَاقٍ كَمَا وَضَعَهُ اللهُ مَنَارَةً للتَّوحِيدِ وَمَثَابَةً لِلنَّاسِ، مَعَ حِرْصِ الكُفَّارِ عَلَى إِزَالَتِهِ وَالقَضَاءِ عَلَيْهِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ، وَمَعَ هٰذَا بَقِيَ يَتَحَدَّىٰ كُلَّ عدو، وَلِهٰذَا سَمَّاهُ اللهُ بِالبَيْتِ العَتِيقِ. قِيلَ: سُمِّيَ عَتِيقاً لأَنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ، وَقِيلَ لأَنَّ الله أَعْتَقَهُ مِنَ الجَبَابِرَةِ، فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ جَبَّارٌ قَطُّ، وَقِيلَ: لأَنَّهُ أُعْتِقَ يَوْمَ الغرَقِ زَمانَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَأَنَّه مَبارَكٌ، أَيْ: ذُو بَرَكَةٍ لِمَا جَعَلَ اللهُ فِي حَجِّهِ وَالطَّوَافِ بِهِ مِنَ الأَجْرِ وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، وَأَنَّهُ تضاعفُ فِيهِ الحَسَنَاتُ، وَالبَرَكَةُ: كَثْرَةُ الخَيْرِ.

﴿ وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ إِلَيْهِ اتِّجَاهُهُمْ فِي صَلاَتِهِمْ، وَتَعَبُّدَاتُهُمْ، فَالمُؤْمِنُونَ يَأْتُونَ حُجَّاجاً وَعُمَّاراً، فَتَحْصُلُ لَهُمْ بِذَلِكَ أَنْوَاعُ الهِدَايَةِ مِنْ مَعْرِفَةِ الحَقِّ وَصَلاَحِ العَقِيدَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَلِهٰذَا يَقُولُ أَحَدُ المُسْتَشْرِقِينَ لأَصْحَابِهِ لَمَّا اجْتَمَعُوا لِيُخَطِّطُوا لإِضْلاَلِ المُسْلِمِينَ، قَالَ لَهُمْ: لاَ تَطْمَعُوا فِي إِضْلاَلِهِمْ مَا بَقِيَ لَهُمْ هٰذَا المُصْحَفُ وَهٰذِهِ الكَعْبَةُ.

وقولهُ تعالىٰ: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ يعني: دلالاتٍ واضحاتٍ على التوحيدِ، منَ الرُّكنِ والمقامِ، والصفا والمروةِ والمشاعرِ كلها.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾.

يَعنِي: أَنَّ اللهَ جَعَلَ حَوْلَ هٰذَا البَيْتِ حَرَماً إِذَا دَخَلَهُ الخَائِفُ يَأْمَنُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ حَتَّىٰ فِي وَقْتِ الجَاهِلِيَّةِ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَىٰ قَاتِلَ أَبِيهِ، فَلاَ يَمَسُّهُ بِسُوءٍ حَتَى يَخْرُجَ مِنْ هٰذَا الحَرَمِ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

حَتَّى إِنَّ الصَّيْدَ فِيهِ لاَ يُقْتَلُ وَلاَ يُنَفَّرُ مِنْ أَوْكَارِهِ وَلاَ يُقْطَعُ شَجَرُهُ وَلاَ يُقلعُ حَشِيشُهُ.

وَمِنْ خَصَائِصِ هَذَا البَيْتِ:

أَنَّهُ لاَ يُشْرَعُ الطَّوَافُ بِغَيْرِهِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فَلاَ يُشْرعُ أَنْ يُطَافَ بِالقُبُورِ وَالأَضْرِحَةِ وَلاَ بِالأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ، فَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ يُشْرَعُ الطَّوَافُ بِغَيْرِ البَيْتِ فَهُو كَافِرٌ لأَنَّه اعْتَقَدَ مَا لَمْ يشرِّعْهُ اللهُ وَلاَ رَسُولُهُ.

وَمِنْ خَصَائِصِ هٰذَا البَيْتِ:

أَنَّ اللهَ أَوْجَبَ عَلَى الأُمَّةِ كُلِّهَا حَجَّهُ كُلَّ عَامٍ، وَأَوْجَبَ عَلَى الأَفْرَادِ حَجَّهُ مَرَّةً فِي العُمْرِ مَعَ الاسْتِطَاعَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ

سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧].

فَحَجُّهُ عَلَىٰ المَجْمُوعِ فَرْضُ كِفَايَةٍ كُلَّ عَامٍ، وَحَجُّهُ عَلَى الأَفْرَادِ فَرْضُ عَيْنٍ مَرَّةً فِي العُمْرِ مَعَ الاسْتِطَاعَةِ.

وَإِنَّمَا شَرَعَ اللهُ لِلنَّاسِ الحَجَّ إِلَى بَيْتِهِ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ، لاَ لِحَاجَةٍ بِهِ إِلَىٰ الحُجَّاجِ كَمَا يَحْتَاجُ المَخْلُوقُ إِلَى مَنْ يَقْصِدُهُ وَيُعَظِّمُهُ.

وَقَدِ افْتَتَحَ اللهُ سُبْحَانَهُ بَيَانَ شَرْعِيَّةِ حَجِّ هٰذَا البَيْتِ بِذِكْرِ مَحَاسِنِهِ لِيُرَغِّبَ النَّاسَ فِي قَصْدِهِ وَالإِتْيَانِ إِلَيْهِ، وَلِهٰذَا أَقْبَلَتْ قُلُوبُ العِبَادِ إِلَيْهِ حُبّاً وَشَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِ، وَلِهٰذَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

أَيْ: يَثُوبُونَ إِلَيْهِ وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ كُلَّ عَامٍ مِنْ جَمِيعِ الأَقْطَارِ، وَلاَ يَقْضُونَ فِيهِ وَطَراً، بَلْ كُلَّمَا ازْدَادُوا لَهُ زِيَارَةً ازْدَادُوا اشْتِيَاقاً إِلَيْهِ.

وَقَدْ حَكَمَ اللهُ بِكُفْرِ مَنْ تَرَكَ الحَجَّ وَهُو يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٧].

فَمَنْ تَرَكَهُ جَاحِداً لِوُجُوبِهِ فَلاَ شَكَّ فِي كُفْرِهِ، وَهٰذَا بِإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ، وَمَنْ تَرَكَهُ تَكَاسُلاً أُجْبِرَ عَلَيْهِ، وَإِنْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَحُجَّ أُخْرِجَ مِنْ تَرِكَتِهِ قَدْرُ مَا يُحَجُّ بِهِ عَنْهُ.

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلاَ يضرّهُ مَات يهُودِياً أَوْ نَصْرَانِياً، وَذَلِكَ بِأَنْ اللهَ قَالَ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

رَواه ابنُ جَرِيرٍ: وَقَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنهُ: مَنْ أَطَاقَ الحَجَّ فَلَمْ يَحُجَّ فَسَوَاءٌ عَلَيْهِ مَاتَ يَهُودِياً أَوْ نَصْرَانِياً.

وَقَالَ أَيْضاً رَضِيَ اللهُ عَنهُ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَبْعَثَ رِجَالاً إِلى هَذِه الأَمْصَارِ فَيَنْظُرُوا إِلَىٰ كُلِّ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ جِدةٌ فَلَمْ يَحُجَّ فَيَضْرِبُوا عَلَيْهِمُ الجِزْيَةَ، مَا هُمْ بِمُسْلِمِينَ، مَا هُمْ بِمُسْلِمِينَ.

فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ بُقْعَةٌ يَجِبُ عَلَى قَادِرٍ السَّعْيُ إِلَيْهَا، وَلاَ بَيْتٌ يُشْرَعُ الطَّوافُ حَوْلَهُ إلاَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ وَالبَيْتَ العَتِيقَ، فَأَفْضَلُ بِقَاعِ الأَرْضِ هُو المَسْجِدُ الحَرَامُ، وَأَفْضَلُ بَيْتٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ هُو الكَعْبَةُ المُشَرَّفَةُ.

وَقَالَ ﷺ فِي مَكَّة: «وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ لَمَا خَرَجْتُ» قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ[1].

فَالْحَمْدُ للهِ الذِي جَعَلَ لِلْمُسْلِمينَ هٰذَا البَيْتَ العظِيمَ الذِي تَقرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ وَتُحَطُّ بِزِيَارَتِهِ وَالطَّوافِ بِهِ وَالصَّلاَةِ عِنْدَهُ أَوْزَارُهُمْ. قَالَ ﷺ «مَنْ أَتَىٰ هٰذَا البَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجعَ كَيَوم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[2]. فَاشْكُرُوا اللهَ - أَيُّهَا المُسْلِمُونَ - عَلَى نِعْمَتِهِ، وَاسْأَلُوهُ أَنْ يَعمَّكُمْ بِوَاسِعِ رَحْمَتِهِ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ

---

(١) وابنُ ماجة (٣١٠٨) وغيرهما.

(٢) رواه مسلمٌ (١٣٥٠)، ورواه البخاريُّ بلفظ «من حج..».

وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٢٦ ـ ٣١].

بارَكَ الله لي ولكم في القرآنِ العظيمِ

الخطْبَة الثَّانِيَة في فضل مسجد رسول الله ﷺ وحرم المدينة.

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، فَضلَ مَسْجِدَ رَسُولِهِ المُصْطَفَىٰ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِله إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَاحِبُ الحَوْضِ المَورودِ وَالشَّفَاعَةِ العُظْمَىٰ. صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذينَ تَمَسَّكُوا مِنَ الإِسْلاَمِ بِالعُرْوَةِ الوثْقَىٰ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا الله تَعَالَىٰ، وَاعْلَمُو أَنَّ زِيَارَةَ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ لِلصَّلاَةِ فِيهِ مَشْرُوعَةٌ، وَفِيهَا فَضْلٌ عَظِيمٌ، فَهُو أَحَدُ المَسَاجِدِ الثَّلاَثَةِ التِي يُسَافَرُ إِلَيْهِ لِلصَّلاَةِ فِيهَا. وَالصَّلاَةُ فِي المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَسَاجِدِ الحَرَامَ، كَمَا ثَبَتَ بِذٰلِكَ الحَدِيثُ عَنِ النَّبِي ﷺ، فَيُصَلِّي فِيهِ الزَّائِرُ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غيْرِ تَحْدِيدٍ.

وَزِيَارَتُهُ تُشْرَعُ فِي كُلِّ وَقْتٍ قَبْلَ الحَجِّ وَبَعْدَهُ، وَلاَ عِلاَقَةَ لَهَا بِالحَجِّ، وَإِنَّمَا هِي عِبَادَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ غَيْرُ مُؤَقَّتَة بوَقْتٍ معَيَّنٍ، وَلَيْسَ في المَدِينَةِ مَسْجِدٌ يُزارُ لِلصَّلاَةِ فِيهِ إلاَّ مَسْجِدُ قُبَاء، فتُسْتَحَبُّ زِيَارَتُهُ لِلصَّلاَةِ فِيهِ لِمَنْ كَانَ فِي المَدِينَةِ أَوْ قَدِمَ إِلَيْهَا.

وَقَدْ حَرَّمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَة كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَكَّةَ. وَحَرَمُهَا مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الجَنُوبِ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَىٰ ثَوْرٍ، وَهُمَا جَبَلاَنِ مَعْرُوفَان،

وَمِنَ الشَّرْقِ إِلَى الغَرْبِ مَا بَيْنَ الحَرَّتَيْنِ الشَّرْقِيَّةِ وَالغَرْبِيَّةِ، فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً: «المَدِينَةُ حَرامٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَىٰ ثَوْرٍ مِنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثاً أَوْ آوَىٰ مُحْدِثاً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ والمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفاً وَلا عَدْلاً»[1].

وَرَوَىٰ الإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ: «حَرَامٌ مَا بَيْنَ حَرَّتَيْهَا» فَيَحْرُمُ قَتْلُ صَيْدِ حَرَمِهَا، وَيَحْرُمُ قَطْعُ شَجَرِهِ، وَلاَ جَزَاءَ فِيمَا حُرِّمَ مِنْ صَيْدِهَا وَشَجَرِهَا، وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا حَرَمٌ، غَيْرُ هٰذِينِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ: حَرَمُ مَكَّةَ وَحَرَمُ المَدِينَةِ، فَعَظِّمُوا هَذَيْنِ الحَرَمَيْنِ وَاعْرِفُوا أَحْكَامَهُمَا، وَمَا يَحْرُمُ فِيهِمَا حَتَّىٰ تَجْتَنِبُوهُ.

واعْلَمُوا أَنَّ مَنْ زَارَ مَسْجِدَ الرَّسُولِ ﷺ فَإِنَّهُ يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَى صَاحِبَيْهِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. فَيَأْتِي قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ وَيَقِفُ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ قَلِيلاً مِنْ مَقَامِ سَلاَمِهِ عَلى النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ ذِراعٍ عَنْ يَمِينِهِ، وَيَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيق، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ نَحْو ذِرَاعٍ عَنْ يَمِينِهِ أَيْضاً، وَيَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا عُمَرُ الفَارُوقُ.

وَإِنْ زَارَ مَقْبَرَةَ البَقِيعِ وَقُبُورَ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ أُحُدٍ، وَسَلَّمَ عَلَى الأَمْوَاتِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَدَعَا لَهُمْ فَحَسَنٌ..

ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّ زِيَارَةَ القُبُورِ تُسْتَحَبُّ لِلرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، فَالنِّسَاءُ لاَ تَجُوزُ لَهُنَّ زِيَارَةُ القُبُورِ، لاَ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ وَلاَ غَيْرِهِ، لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَعَنَ زَوَّارَاتِ القُبُورِ..

إِن خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ... إلخ.

---

(١) رواه البخاريُّ (١٨٧٠)، ومسلمٌ (١٣٧٠).

فِي بَيَانِ مَزَايَا الحَجِّ وَشُرُوطِهِ وَوجُوبِهِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ شَرَعَ لِعِبَادِهِ حَجَّ بَيْتِهِ الحَرَامِ. لِيُكَفِّرَ عَنْهُم الذُّنُوبَ وَالآثَامَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَنفِي جَمِيعَ الشِّرْكِ وَالأَوْهَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْده وَرَسُولُهُ خَيْرُ الأَنَامِ. صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصحْبِهِ البَرَرَةِ الكِرَامِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. . .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ كَمَا أَمَرَكُمْ بِتَقْوَاهُ، وَحَدِيثُنَا إِلَيْكُم فِي هٰذِهِ الخُطْبَةِ سَيَكُونَ عَنْ مَزَايَا الحَج فِي الإِسْلاَمِ، وَأَحْكَامِهِ العِظَامِ، سَائِلِينَ اللهَ لَنَا وَلكُمُ التَّوْفِيقَ لِلْعِلْمِ النَّافِعِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ وَالقَبُولِ.

فَالحَجُّ هُو أَحَدُ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ وَمَبَانِيهِ العِظَامِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

أَيْ: للهِ عَلَى النَّاسِ فَرْضٌ وَاجِبٌ، وَهُو حَجُّ البَيْتِ، لأَنَّ كَلِمَة (عَلَى) لِلإِيجَابِ، وَقَدْ أَتْبَعَهُ بِقَولِهِ جَلَّ وَعلاَ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

فسَمَّىٰ تَعَالَىٰ تَارِكَهُ كَافِراً، وَهٰذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى وجُوبِهِ وَآكَدِيَّتِهِ، فَمَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ وَجُوبَهُ فَهُو كَافِرٌ بِالإِجْمَاعِ، وَقَالَ تَعَالَىٰ لِخَلِيلِهِ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ وَصَحَّحَهُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً: «مَنْ مَلَكَ زَاداً

وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللهِ وَلَمْ يَحُجَّ فَلاَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً»[(١)].

وَقَالَ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»[(٢)]. وَالمُرَادُ بِالسَّبِيلِ تَوَفُّرُ الزَّادِ وَوَسِيلَةِ النقْلِ التِي تُوصِلُهُ إِلَى البَيْتِ وَيَرْجِعُ بِهَا إِلَى أَهْلِهِ، مَعَ تَوفِيرِ مَا يَكْفِي أَهْلَهُ إِلى أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ سَدَادِ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدُّيونِ.

وَالحِكْمَةُ فِي مَشْرُوعِيَّةِ الحَجِّ هِي كَمَا بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [الحج: ٢٨] إلي قوله: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝٢٩ ﴾ [الحج: ٢٩].

فَالمَنْفَعَةُ مِنَ الحَجِّ لِلْعِبَادِ، وَلاَ تَرْجِعُ إِلَى اللهِ تَعَالَىٰ، لأَنَّهُ ﴿ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٧ ﴾ [آل عمران: ٩٧].

فَلَيْسَ بِهِ حَاجَةٌ إِلى الحُجَّاجِ كَمَا يَحْتَاجُ المَخْلُوقُ إِلَى مَنْ يَقْصِدُهُ وَيُعَظِّمُهُ، بَلِ العِبَادُ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ فَهُمْ يَفِدُونَ إِلَيْهِ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ.

وَالحِكْمَةُ فِي تَأْخِيرِ فَرْضِيَّةِ الحَجِّ عَنِ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ، لأَنَّ الصَّلاَةَ عِمَادُ الدِّينِ وَلِتِكْرُّرِهَا فِي اليَوْمِ واللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ الزَّكَاةِ لِكَوْنِهَا قَرِينَةً لَهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ المَوَاضِعِ، ثُمَّ الصَّوْمُ لِتَكَرُّرِه كُلَّ سَنَةٍ، وَقَدْ فُرِضَ الحَجُّ فِي الإِسْلاَم سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الهِجْرَةِ كَمَا هُو قَوْلُ الجُمْهُورِ، وَلَمْ يَحُجَّ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ حِجَّةً وَاحِدَةً هِي حِجَّةُ الوَدَاعِ. وَكَانَتْ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ الهِجْرَةِ، وَاعْتَمَرَ ﷺ أَرْبَعَ

---

(١) رواه الترمذيُّ (٨١٢).

(٢) رواه البخاري (٨) ومسلم (١٦) والترمذي (١٨١٦) رواه أيضاً أحمد والنسائي.

عُمَرٍ.

وَالمَقْصُودُ مِنَ الحَج وَالعُمْرَةِ عِبَادَةُ اللهِ فِي البِقَاعِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِعِبَادَتِهِ فِيهَا. قَالَ ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ رَمْيُ الجِمَارِ وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ لإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ»[1].

وَالحَجُّ فَرْضٌ بِإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ وَرُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ، وَهُوَ فَرْضٌ فِي العُمْرِ مَرَّةً وَاحِدَةً عَلَى المُسْتَطِيعِ، وَفَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَى المُسْلِمِينَ كُلَّ عَامٍ، وَمَا زَادَ عَلَى حَجِّ الفَرِيضَةِ فِي حَقِّ أَفْرَادِ المُسْلِمِينَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ.

وأَمَّا العُمْرَةُ فَوَاجِبَةٌ عَلَى قَوْلِ كَثِيرٍ مِنَ العُلَمَاءِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﷺ لَمَّا سُئِلَ: هَلْ عَلَى النِّسَاءِ مِنْ جِهَادٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لاَ قِتَالَ فِيهِ: الحَجُّ وَالعُمْرَةُ». رَواه أَحْمَدُ وابْنُ مَاجَه بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ[2].

وَإِذَا ثَبَتَ وُجُوبُ العُمْرَةِ عَلَى النِّسَاءِ فَالرِّجَالُ أَوْلَى، وَقَالَ ﷺ لِلَّذِي سَأَلَهُ: «إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ لاَ يَسْتَطِيعُ الحَجَّ وَالعُمْرَةَ وَلاَ الظَّعْنَ، فَقَالَ: «حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ». رَواه الخَمْسَةُ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ[3].

فَيَجِبُ الحَجُّ وَالعُمْرَةُ عَلَى المُسْلِمِ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي العُمْرِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «الحَجُّ مَرَّةٌ فَمَنْ زَادَ فَهُو تَطَوُّعٌ». رَواهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُم الحَجّ فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ؟ فَقَالَ: «لَو قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ»[4].

وَيَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يُبَادِرَ بِأَدَاءِ الحَجِّ الوَاجِبِ مَعَ الإِمْكَانِ، وَيَأْثَمُ إِنْ

---

(١) الترمذيُّ (٩٠٢). وقال: حسنٌ صحيح. وكذا رواه غيرُه.
(٢) ابنُ ماجة (٢٩٠١).
(٣) الترمذيُّ (٩٣٠) وابنُ ماجة (٢٩٠٨) وغيرهما.
(٤) رواه مسلمٌ (١٣٣٧).

أَخَّرَهُ بِلاَ عُذْرٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «تَعَجَّلُوا إِلَى الحَجِّ (يَعْنِي الفَرِيضَةَ) فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاَ يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ». رَواه أَحْمَدُ[1].

وَإِنَّمَا يَجِبُ الحَج بِشُرُوطٍ خَمْسَةٍ: الإِسْلاَمِ، وَالعَقْلِ، وَالبُلُوغِ، وَالحُرِّيَّةِ، وَالاسْتِطَاعَةِ، فَمَنْ تَوَفَّرَتْ فِيهِ هٰذِهِ الشُّرُوطُ وَجَبَ عَلَيْهِ المُبَادَرَةُ بِأَدَاءِ الحَجِّ.

وَيَصِحّ فِعْلُ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ مِنَ الصَّبِيِّ نَفْلاً، لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا «إن امْرَأَة رَفَعَتْ إِلَى النبي ﷺ صَبِيّاً، فَقَالَتْ: أَلِهٰذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[2]. وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ العِلْمِ عَلَى أَنَّ الصَّبِيَّ إِذَا حَجَّ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ فَعَلَيْهِ الحَج إِذَا بَلَغَ وَاسْتَطَاعَ، وَلاَ تُجْزِئُهُ تِلْكَ الحَجَّةُ عَنْ حَجَّةِ الإِسْلاَمِ، وَكَذَا عُمْرَتُهُ. وَإِنْ كَانَ الصَّبِيُّ دُونَ التَّمْيِيزِ عَقَدَ عَنْهُ الإحرامَ وَلِيُّهُ بِأَنْ يَنْوِيَهُ عَنْهُ، وَيُجنبهُ المَحْظُورَاتِ وَيَطُوفَ وَيَسْعَىٰ بِهِ مَحْمُولاً وَيَسْتَصْحِبهُ فِي عَرَفَةَ وَمُزْدَلِفَةَ وَمِنَى، وَيَرْمِي عَنْهُ الجَمَرَاتِ، وَإِن كَانَ الصَّبِيُّ مُمَيِّزاً نَوَىٰ الإِحْرَامَ بِنَفْسِهِ بِإِذْنِ وَلِيِّهِ وَيُؤَدِّي مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مَنْ مَنَاسِكِ الحَجِّ، وَمَا عَجَزَ عَنْهُ يَفْعَلُهُ عَنْهُ وَلِيُّهُ، كرَمْي الجَمَرَاتِ، وَيُطَافُ وَيُسْعَىٰ بِهِ رَاكِباً أَوْ مَحْمُولاً إِنْ عَجَزَ عَنِ المَشْيِ، وَكُلُّ مَا أَمْكَنَ الصَّغِيرَ فِعْلُهُ مُمَيِّزاً كَانَ أَوْ دُونَهُ بِنَفْسِهِ كَالوقُوفِ وَالمَبِيتِ، لَزِمَهُ فِعْلُهُ، بِمَعْنَىٰ، أَنَّهُ لاَ يَصِحُّ أَنْ يُفْعَلَ عَنْهُ، لِعَدَمِ الحَاجَةِ لِذٰلِكَ. وَيَجْتَنِبُ فِي حَجِّهِ مَا يَجْتَنِبُ الكَبِيرُ مِنَ المَحْظُورَاتِ.

وَالقَادِرُ عَلَى الحَجِّ هُو الذِي يَتَمَكَّنُ مِنْ أَدَائِهِ جِسْمِياً وَمَادِّياً بِأَنْ يُمْكِنَهُ الرُّكُوبُ، وَيَتَحَمَّلَ السَّفَرَ، وَيَجِدَ مِنَ المَالِ بُلْغَتَهُ التِي تَكْفِيهِ ذهَاباً وَإِيَاباً. وَيَجد أَيْضاً مَا يَكْفِي أَوْلاَدَهُ وَمَنْ تَلْزَمُهُ نفقَتُهُمْ إِلَى أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِمْ، وَلاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذلِكَ

---

(١) وكذا ابنُ ماجة (٢٨٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٢) رواه مسلمٌ (١٣٣٦).

بَعْدَ قَضَاءِ الدُّيونِ وَالحُقُوقِ التِي عَلَيْهِ، وبِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ طَرِيقَهُ إِلَى الحَجِّ آمِناً عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَإِنْ قَدَرَ بِمَالِهِ دُونَ جِسْمَهُ بِأَنْ كَانَ كَبِيراً هَرِماً أَوْ مَرِيضاً مَرَضاً مُزْمِناً لاَ يُرْجَىٰ بُرْؤُه لَزِمَهُ أَنْ يُقِيمَ مَنْ يَحُجُّ عَنْهُ وَيَعْتَمِر، حَجَّةَ وَعُمْرَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ بَلَدِهِ، أَوْ مِنَ البَلَدِ الذِي أَيْسَرَ فِيهِ. لِمَا رَاوهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إِنَّ امْرَأَة مِنْ خَثْعَم قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبِي أَدْرَكَتْهُ فَرِيضَةُ اللهِ فِي الحَجِّ شَيْخاً كَبِيراً لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: «حُجِّي عَنْهُ» مُتَّفَق عَلَيْهِ[1].

وَيُشْتَرَطُ فِي النَّائِبِ عَنْ غَيْرِهِ فِي الحَجِّ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَجَّ عَنْ نَفْسِهِ حَجَّةَ الإِسْلاَمِ. لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ، قَالَ: «حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟» قَال: لاَ. قَالَ: «حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ» إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ وَصَحَّحَهُ البَيْهَقِيُّ.

وَحَجُّ النَّفلِ تَجوزُ النِّيَابَةُ فِيهِ عَنِ القَادِرِ وَغَيْرِهِ، وَيُعْطَىٰ النَّائِبُ مِنَ المَالِ مَا يَكْفِيهِ مِنْ تَكَالِيفِ السَّفَرِ ذهَاباً وَإِيَاباً، وَلاَ تَجُوزُ الإِجَارَةُ عَلَى الحَجِّ، وَلاَ أَنْ يَتَّخَذَ ذَرِيعَةً لِكَسْبِ المَالِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَقْصُودَ النَّائِبِ نَفْعَ أَخِيهِ المُسْلِمِ المَنُوبِ عَنهُ، وَأَنْ يَحُجَّ بَيْتَ اللهِ الحَرَام، وَيَزُورَ تِلْكَ المَشَاعِرِ العِظَام، فَيَكُونَ حَجُّهُ للهِ لاَ لأَجْلِ الدُّنْيَا، فَإِنْ حَجَّ لِقَصْدِ المَالِ فَحَجُّهُ غَيْرُ صَحِيحٍ وَلاَ يُجْزِىءُ عَنْ مُسْتَنِيبِه.

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَبَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ.

* * *

---

(١) رواه البخاريُّ (١٥١٣)، ومسلمٌ (١٣٣٤).

فِي الاسْتِعْدَادِ لِلْحَجِّ

الحَمْدُ للهِ الذِي شَرَعَ لِعِبَادِهِ حَجَّ بَيْتِهِ الحَرَامِ، وَجَعَلَ ذٰلِكَ أَحَدَ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، هُوَ اللهُ الذِي لاَ إِلٰه إِلاَّ هُو المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لِيُبَيِّنَ لأُمَّتِهِ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الأَئِمَّةِ الأَعْلاَمِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمَاً كَثِيرَاً . .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا الله تَعَالَىٰ، وَاعْبُدُوه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين، كَمَا أَمرَكُمْ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ المُبِينِ.

عِبَادَ اللهِ: فِي هٰذِه الأَيَّامِ المُبَارَكَةِ يَسْتَعِدُّ المُسْلِمُونَ لِلسَّفَرِ لِحَجِّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ مِنْهُمُ المُتَنَفِّلُ بِحَجِّهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَدِّي بِهِ فَرِيضَةَ الإِسْلاَمِ، وَلاَ شَك أَنَّ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِعْدَادٍ بِمَا يَلْزَمُ لَهُ مَالِيّاً وبدنيا وَنِيَّةً وَقَصْدَاً. فَيَحْتَاجُ إِلَى اسْتِعْدَادٍ بِالنَّفَقَةِ الكَافِيَةِ التِي يَسْتَغْنِي بِهَا عَنِ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فَأَمَرَ سُبْحَانَهُ بِالتَّزَوُّدِ، وَهُو أَخذ الزَّادِ الكَافِي لِسَفَرِهِ ذهَابَاً وَإِيَابَاً وَتَوْفِيرِ المَرْكُوبِ المُنَاسِبِ الذِي يَحْمِلُه فِي سَفَرِهِ وَيُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللهِ تَعَالَى، ثُمَّ يَرَدُّهُ إِلَى وَطَنِهِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وَالسَّبِيلُ الذِي اشْتَرَطَ اللهُ اسْتِطَاعَتَهُ: هُو الزَّاد، وَالمَرْكُوبُ المُنَاسِبُ فِي كُلِّ

وَقْتٍ بِحَسَبِهِ. وَلَمَّا كَانَ أُنَاسٌ يَحُجُّونَ بِلاَ زَادٍ وَيُصْبِحُونَ عَالَةً عَلَى الحُجَّاجِ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ، نَهَاهُمُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ وَأَمَرَهُمْ بِالتَّزَوُّدِ بِمَا يُغْنِيهِمْ عَنِ النَّاسِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

وَلَمَّا كَانَ أُنَاسٌ يَظُنُّونَ أَنَّ الاتِّجَارَ وَالتَّكَسُّبَ فِي مَوْسِمِ الحَجِّ لاَ يَجُوزُ لِلْحُجَّاجِ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٨].

بَيَّنَ سُبْحَانَهُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ الكَرِيمَتَيْنِ أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ أَخْذِ زَادَيْنِ: زَادِ السَّفَرِ لِلدُّنْيَا، وَذَلِكَ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ الكَافِيَيْنِ إِلى نِهَايَةِ الرحْلِةِ، وَزَادِ السَّفَرِ لِلآخِرَةِ وَذَلِكَ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ وَالابْتِعَادِ عَنِ المَعَاصِي، ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ مزَاوَلَةَ التِّجَارَةِ وَالاكْتِسَابَ وَطَلَبَ الرِّزْقِ الحَلاَلِ لاَ يَتَعَارَضُ مَعَ العِبَادَةِ إِذَا لَمْ يَطْغَ عَلَى وَقْتِها وَلَمْ يَشْغَلْ عَنْهَا.

كَمَا أَنَّ ذلِكَ لاَ يَتَنَافَى مَعَ التَّوَكُّلِ، ثُمَّ لاَ بُدَّ لِمَنْ يُرِيدُ الحَجَّ أَنْ يُوَفِّرَ لأَهْلِ بَيْتِهِ مَا يَكْفِيهِمْ مِنَ النَّفَقَةِ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَتْرُكَهُمْ بِدُونِ نَفَقَةٍ أَوْ يُنْقِصَ مِنْ نَفَقَتِهِمْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُوفِّرَ مَا يَكْفِي لِحَجِّهِ، فإنه فِي هَذِهِ الحَالَةِ آثِمٌ لاَ مَأْجُورٌ. قَالَ ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ» رواه النَّسَائِيُّ[1].

كَمَا أَن عَلَى مَنْ يُرِيدُ الحَج أَنْ يُسَدِّدَ الدُّيونَ التِي عَلَيْهِ أَوْ يُوفِّرَ لَهَا مَا يُسَدِّدُهَا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مِنَ المَالِ مَا يَكْفِي لِنَفَقَةِ الحَجِّ وَسَدَادَ الدَّيْنِ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ سَدَادَ الدَّينِ، وَلاَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَحُجَّ فِي هٰذِهِ الحَالَةِ.

---

(١) رواه أيضاً أبو داود (١٦٩٢)، وبنحوه مسلمٌ (٩٩٦).

كَمَا أَنَّ عَلَى الحَاجِّ أَنْ يُنْفِقَ فِي حَجِّهِ مِنَ الكَسْبِ الحَلاَلِ، لِيَكُونَ حَجُّهُ مَبْرُوراً وَذَنْبُهُ مَغْفُوراً. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا خَرَجَ الحَاجُّ حَاجّاً بِنَفَقَةٍ طَيِّبَةٍ وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الغَرْزِ، فَنَادَىٰ: لَبَّيْكَ اللَّهُم لَبَّيْكَ، نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، زَادُكَ حَلاَل وَرَاحِلَتُكَ حَلاَلٌ، وَحَجُّكَ مَبْرُورٌ غَيْرُ مَأْزُورٍ. وَإِذَا خَرَجَ بِالنَّفَقَةِ الخَبِيثَةِ فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الغَرْزِ، فَنَادَىٰ: لَبَّيْكَ نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لاَ لَبَّيْكَ وَلاَ سَعْدَيْكَ، زَادُكَ حَرَامٌ وَنَفَقَتُكَ حَرَامٌ، وَحَجُّكَ مَأْزُورٌ غَيْرُ مَبْرُورٍ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ[(١)].

وَالنَّفَقَةُ فِي الحَجِّ إِذَا كَانَتْ مِنْ كَسْبِ حَلاَلٍ تَدْخُلُ فِي النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

دَلَّتْ هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ عَلَى أَنَّ النَّفَقَةَ فِي الحَجِّ مِنَ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ حَيْثُ قُرِنَ ذِكْرُ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ بِذِكْرِ الإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ قَدْ جَعَلَ بَعِيرَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأَرَادَتِ امْرَأَتُهُ أَنْ تَحُجَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «حُجِّي عَلَيْهِ، فَإِنَّ الحَجَّ فِي سَبِيلِ اللهِ». رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ وَغَيْرُهُمْ.

وَلِهَذَا ذَهَبَ بَعْضُ العُلَمَاءِ وَهُو رِوَايَةٌ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ. إِلَى أَنَّ الحَاجَّ يُعْطَىٰ مِنَ الزَّكَاةِ، لأَنَّ مِنْ جُمْلَةِ مَصَارِفِهَا (فِي سَبِيلِ اللهِ) وَالحَجُّ دَاخِلٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيُعْطَىٰ مِنَ الزَّكَاةِ مَنْ لَمْ يَحُجَّ مَا يَحُجُّ بِهِ.

وَيَجِبُ عَلَى مَنْ يُرِيدُ الحَجَّ أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللهِ مِنْ سَائِرِ الذُّنُوبِ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَهُ مَظَالِمُ لِلنَّاسِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا إِلَيْهِمْ وَيَطْلُبَ مُسَامَحَتَهُم، لِيَسْتَقْبِلَ حَجَّهُ

---

(١) انظره في الضعيفة (٢٥٤٢).

بِالتَّوْبَةِ وَالتَّخلُّصِ مِنَ المَظَالِمِ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الذُّنُوبَ وَالمَعَاصِي وَأَنْ يُحَافِظَ عَلَى أَدَاءِ الصَّلَواتِ وسَائِرِ الوَاجِبَاتِ، وَهٰذَا أَمر يَجِبُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَيَاتِهِ وَفِي جَمِيعِ حَالاَتِهِ، لَكِنَّ الحَاجَّ يَتَأَكَدُ فِي حَقِّهِ ذٰلِكَ لأَنَّهُ فِي عِبَادَةٍ عَظِيمَةٍ، فَلا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ وَهُو مُتَلبِّسٌ بِالذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي أَوْ يَفْعَلَ الذُّنُوبَ وَالمَعَاصِيَ أَثْنَاءَ الحَجِّ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وَثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ حَجَّ هٰذا البَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَومِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[١]. فَمَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ بِالحَجِّ وَدُخُولُ الجَنَّةِ مُرَتَّبٌ عَلَى كَوْنِ الحَجِّ مَبْرُوراً. وَإِنَّمَا يَكُون الحَج مَبْرُوراً بِاجْتِمَاعِ أَمْرَيْنِ فِيهِ.

أَحَدُهُمَا: الإِتْيَانُ فِيهِ بِأَعْمَالِ البِرِّ وَمِنْهَا الإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ بِالبِرِّ وَالصِّلَةِ وَحُسْنِ الخُلُقِ، وَلَمَّا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ البِرِّ، قَالَ: «حُسْنُ الخُلُقِ»[٢] وَهٰذَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الحَجِّ كَثِيراً، بِحَيْثُ يُعَامَلُ النَّاس بِالإِحْسَانِ بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ سَوَاءٌ كَانُوا مِنْ رِفْقَتِهِ فِي السَّفَرِ أَوْ مِنْ سَائِرِ الحُجَّاجِ الذِينَ يَلْتَقِي بِهِمْ فِي الحَجِّ وَالمَشَاعِرِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَ السَّفَرُ سَفَراً لإِسْفَارِهِ عَنْ أَخْلاَقِ الرِّجَالِ.

وَفِي «مُسْنَد الإِمَام أَحْمَدَ» عَنْ جَابِر بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إلاَّ الجَنَّة» قَالُوا: وَمَابِرُّ الحَج يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِطعَامُ الطَّعَامِ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ»[٣].

---

(١) رواه البخاريُّ (١٥٢١)، ومسلمٌ (١٣٥٠)، وابنُ ماجة (٢٨٨٩).

(٢) رواه مسلمٌ (٢٥٥٣)، والترمذيُّ (٢٣٩٠).

(٣) الجزء الأول منه في «صحيح الجامع» (٣١٧٠)، وذكر أنه رواه أحمد عن جابر رضي اللهُ عنهما والطبرانيُّ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

وَسُئِلَ سَعِيدُ بنُ جُبَيرٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : أَيُّ الحَاجِّ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «منْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَكَفَّ لِسَانَهُ».

وَفِي مَرَاسِيلِ خَالِدِ بنِ مَعْدَانٍ، عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «مَا يَصْنَعُ مَنْ يَؤُمُّ هٰذَا البَيْتَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ خِصَالٌ ثَلَاثَةٌ: وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ، وَحِلْمٌ يَضْبِطُ بِهِ جَهْلَهُ، وَحُسْنُ صَحَابَةٍ لِمَنْ يَصْحَبُ. وَإِلاَّ فَلَا حَاجَةَ للهِ بِحَجِّهِ».

فَهٰذِهِ الثَّلَاثَةُ يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي الأَسْفَارِ، خُصُوصاً فِي سَفَرِ الحَجِّ، فَمَنْ كَمَّلَهَا فَقَدْ كَمَّلَ حَجَّهُ. وَفِي الجُمْلَةِ: فَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ وَأَصْبَرُهُمْ عَلَى أَذَىٰ النَّاسِ، كَمَا وَصَفَ اللهُ المُتَّقِينَ بِذٰلِكَ، فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

الأَمْرُ الثاني: وَهُو مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ البِرِّ فِي الحَجِّ: كَثْرَةُ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِذِكْرِهِ فِي إِقَامَةِ مَنَاسِكِ الحَجِّ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ خُصُوصاً فِي حَالِ الإِحْرَامِ بِالتلْبِيَةِ وَالتَّكْبِيرِ، فَمَا تَزَوَّدَ حَاجٌّ وَلاَ غَيْرُهُ بِأَفْضَلَ مِنْ زَادِ التَّقْوَىٰ، فَإِنَّ التَّقْوَىٰ تَجْمَعُ خِصَالَ الخَيْرِ كُلَّهَا.

وَيَجِبُ عَلَى الحَاجِّ أَنْ يُخْلِصَ النِّيَّةَ للهِ فِي حَجِّهِ بِأَنْ لاَ يَقْصِدَ بِهِ رِيَاءً وَلاَ سُمْعَةً وَلاَ طَمَعاً مِنْ مَطَامِعِ الدُّنْيَا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وَإِتْمَامُ الحَجِّ الإِتْيَانُ بِمَنَاسِكِهِ عَلَى الوَجْهِ المَشْرُوعِ، وَقَوْلُهُ: ﴿لِلَّهِ﴾ يَعنِي: إِخْلَاصَ النِّيةِ فِيهِ للهِ وَحْدهُ وَتَخْلِيصَ أَفْعَالِهِ مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ وَالأَصْغَرِ، فَلَا يَكُونُ فِيهِ رِيَاءٌ وَلاَ سُمْعَةٌ وَلاَ فَخْرٌ وَلاَ خُيَلَاءُ وَلاَ مُبَاهَاةٌ، وَيَتَوَاضَعُ فِي حَجِّهِ، فَقَدْ حَجَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ وَقَطِيفَةٍ مَا تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِم، وَقَالَ: اللَّهُمْ اجْعَلْهَا

حَجَّةً لاَ رِيَاءَ فِيهَا وَلاَ سُمْعَة.

وَيَنْبَغِي لِلْحَاجِّ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى المَشقَّةِ، وَلاَ يُرَفِّهُ نَفْسَهُ فِي الحَجِّ، فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ فِي هٰذَا الزَّمَانِ يُكْثِرُ مِنَ الأُبَّهَةِ وَأَخْذِ الكَمَالِيَّاتِ الكَثِيرَةِ مِنَ السَّيَّارَاتِ وَالأَثَاثِ وَالخِيَامِ التِي يُضَايِقُ بِهَا الحُجَّاجَ، وَبَعْضُ النَّاسِ لاَ يَنْزِلُ في مِنَى أَيَّامَ التَّشْرِيقِ، وَإِنَّمَا يَنْزِلُ فِي شُقَقٍ مَفْرُوشَةٍ وَمُبَرَّدَةٍ خَارِجَ مِنَى، وَقَدْ يَحْتَج بِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ مَكَاناً فِي مِنى.

وَالواجِبُ عَلَى الحَاجِّ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ مَكَانٍ يَنْزِلُ فِيهِ مِنْ مِنَى، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ بَعْدَ البَحْثِ، فَإِنَّهُ يَنْزِلُ قَرِيباً مِنْهَا مَعَ الحُجَّاجِ وَلاَ يَنْصِبُ خِيامَهُ بَعِيداً عَنْهَا بَلْ يَنْصِبُ خِيَامَهَ معَ الحُجَّاجِ مَهْمَا أَمْكَنَهُ القُرْبُ مِنْ مِنَى، لأَنَّ هٰذَا مُنْتَهَىٰ اسْتِطَاعَتِهِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

وَعَلَى الحَاجِّ قَبْلَ أَنْ يُسَافِرَ لِلْحَجِّ أَنْ يَكْتُبَ مَا لَهُ وَما عَلَيْهِ مِنَ الدُّيونِ وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الوَدَائِعِ وَالأَمَانَاتِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَوْ قُدِّرَ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ شَيءٌ فِي سَفَرِهِ مِنْ مَوْتٍ أَوْ عَائِقٍ يَمْنَعُهُ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى وَطَنِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ وَثَّقَ هَذِهِ الحُقُوقَ وَبَيَّنَهَا، فَيَضْمَنُ بِذٰلِكَ وصُولَهَا إِلَى أَهْلِهَا وَتَبْرَأُ ذِمَّتَهُ مِنْهَا.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاسْتَعِدُّوا لِلْحَجِّ بِمَا يَلِيقُ وَأَدوهُ عَلَى الوَجْهِ المَشْرُوعِ. وَأَكْمِلُوا مَنَاسِكَهُ، وَأَخْلِصُوا النِّيَّةَ فِيهِ للهِ مَعَ الخُشُوعِ وَالسَّكِينَةِ وَالتَّوَاضُعِ فِيهِ للهِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى إِخْوَانِكُم الحُجّاجِ وَعَدَمِ أَذِيتِهِم، وَمُضَايَقَتِهِم، وَاصْبِرُوا عَلَى مَشَاقِّهِ وَمَا يَنَالُكُمْ فِيهِ مِنَ التَّعَبِ، فَإِنَّهُ مِنَ الجِهَادِ.

وَالجِهَادُ لاَ بُدَّ فِيهِ مِنْ مِشقَّةٍ وَتَعَبٍ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ

﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٧﴾ [البقرة: ١٩٧].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَوْجَبَ عَلَى عِبَادِهِ حَجَّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُو فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهُ عَلَيْهِ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وَحَافِظُوا عَلَى دِينِكُمْ مِنْ جَمِيعِ جَوانِبِهِ وَلاَ تَكُونُوا مِمَّنْ يَهْتَمُّ بِجَانِبٍ مِنْهُ، وَيُهْمِلُ الجَوَانِبَ الأُخْرَىٰ، فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَهْتَمُّ بِالْحَجِّ وَالعُمْرَةِ وَيُضَيِّعُ بَقِيَّةَ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ، فَلاَ يَهْتَمُّ بِإِصْلاَحِ العَقِيدَةِ التِي هِي أَسَاسُ الدِّينِ، فَتَرَاهُ يَدْعُو المَوْتَىٰ وَيَتَقَرَّبُ إِلَيهِمْ بِأَنْوَاعِ العِبَادَاتِ، أَوْ لاَ يَهْتَمُّ بِالصَّلاَةِ التِي هِي عَمُودُ الإِسْلاَمِ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ بِاللهِ وَخُرُوجٌ مِنَ الدِّينِ، وَلاَ يَهْتَمُّ بِأَدَاءِ الزَّكَاةِ التِي هِي قَرِينَةُ الصَّلاَةِ، وَثَالِثَةُ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ، وَلاَ يَصُومُ رَمَضَانَ، الذِي جَعَلَ اللهُ صَوْمَهُ فَرِيضَةً عَلَى أَهْلِ الإِيمَانِ، وَهٰذَا لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ حَجٌّ وَلاَ عُمْرَةٌ مَا دَامَ مُضَيِّعاً لأَرْكَانِ الإِسْلاَمِ أَوْ بَعْضِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٨٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأٓخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٨٦﴾ [البقرة: ٨٥ـ٨٦].

فَلَيْسَ الدِّينُ هُو الحَجَّ فَقَطْ، وَإِنَّمَا الحَجُّ جُزْءٌ مِنَ الدِّين وَرُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِه،

وَقَبْلَهُ أَرْكَانٌ آكَدُ مِنْهُ لاَ يَصِحُّ فِعْلُهُ، وَلاَ يُقْبَلُ إلاَّ بَعْدَ أَدَائِهَا، فَمَنْ كَانَ مُضَيِّعاً لِشَيْءٍ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ وَهُو يُرِيدُ أَنْ يَحُجَّ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللهِ تَوْبَةً صَحِيحَةً وَيُؤَدِّي مَا تَرَكَ، وَيُحَافِظُ عَلَى أَدَائِهِ، ثُمَّ يَحُجُّ بَعْدَ ذَلِكَ، لَعَلَّ اللهَ يَقْبَلُ وَيَتَقَبَّلُ مِنْهُ حَجَّهُ وَسَائِرَ عِبَادَاتِهِ، ثُمَّ يَسْتَمِرُّ عَلَى التَّوْبَةِ، وَيَسْتَقِيمُ عَلَى الدِّينِ وَالطَّاعَةِ، وَيَتَجَنَّبُ المَعَاصِي فِي بَقِيَّةِ حَيَاتِهِ وَمُسْتَقْبَلِ أَيَّامِهِ، فَإِنَّ الأَعْمَالَ بِالخَوَاتِيمِ وَبَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ مَا لَمْ يَحْضُرُ الأَجَلُ وَالأَجَلُ مُنْتَظَرٌ حُضُورُهُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، وَلاَ يَدْرِي أَحدٌ مَتَى تحين وَفَاتُهُ ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان: ٣٤].

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ وَبَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ، وَحَافِظُوا عَلَى الطَّاعَةِ، وَاعلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله . . إلخ.

* * *

بَيَانُ صِفَةِ الحَجِّ

الحَمْدُ للهِ الذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهُ وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً، وَأَمَرَ بِطَاعَتِهِ وَالاقْتِدَاءِ بِهِ، فَقَالَ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَلاَ إِلهَ مَعَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ مَنْ أَطَاعَهُ وَاتَّبَعَهُ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ وَاقْتَدُوا بِرَسُولِهِ فِي جَمِيعِ عِبَادَاتِكُمْ وَطَاعَاتِكُمْ حَتَّى تَكُونَ صَحِيحَةً مَقْبُولَةً عِنْدَ اللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَمِنْ ذٰلِكَ الاقْتِدَاءُ بِالرَّسُولِ ﷺ فِي مَنَاسِكِ الحَجِّ، فَقَدْ حَجَّ ﷺ وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَقْتَدُوا بِهِ وَيَفْعَلُوا مِثْلَ مَا يَفْعَلُ، فَقَالَ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»[1]، أَيْ: تَعَلَّمُوا مِنِّي كَيْفَ تَحُجُّونَ وَتُؤَدُّونَ المَنَاسِكَ، وَذٰلِكَ بِأَنْ تَفْعَلُوا مِثْلَ مَا أَفْعَلُ، وَهٰذَا كَلامٌ جَامِعٌ اسْتَدَلَّ بِهِ أَهْلُ العِلْمِ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ جَمِيعِ مَا فَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَما قَالَهُ فِي حَجِّهِ وجُوباً فِي الوَاجِبَاتِ وَمُسْتَحَبّاً فِي المُسْتَحَبَّاتِ، وَقَدْ لَخَّصَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابنُ تَيْمِيةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ صِفَةَ حَجِّهِ ﷺ، فَقَالَ:

---

(١) رواه مسلمٌ (١٢٩٧) بلفظ «لتأخذوا» ولم أجده بلفظ «خذوا».

وَقَدْ ثَبَتَ بِالنَّقْلِ المُتَوَاتِرِ عَنْدَ الخَاصةِ مِنْ عُلَمَاءِ الحَدِيثِ مِنْ وجُوه كَثِيرَةٍ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَغيرِهِمَا أَنَّه ﷺ لمَّا حجَّ حَجَّةَ الوَدَاع أَحْرَمَ هُو وَالمُسْلِمُونَ مِنْ ذِي الحُلَيْفَةَ، فَقَالَ: «مَنْ شَاءَ أَنْ يُهِلَّ بِعُمَرَةٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُهِلَّ بِحَجَّةٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُهِلَّ بِعُمْرَةٍ وَحَجَّةٍ فَلْيَفْعَلْ»(١). فَلَمَّا قَدمُوا وَطَافُوا بِالبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ أَمَرَ جَمِيعَ المُسْلِمِينَ الذِينَ حَجُّوا مَعَهُ أَنْ يَحِلُّوا مِنْ إِحْرَامِهِم، وَيَجْعَلُوهَا عُمْرَةً إِلاَّ مَنْ سَاقَ الهَدْيَ فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ، فَرَاجَعَهُ بَعْضُهُم فِي ذَلِكَ، فَغَضِبَ، وَقَالَ: «انْظُرُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوهُ». وَكَانَ ﷺ قَدْ سَاقَ الهَدْيَ، فَلَمْ يَحِلَّ مِنْ إِحْرَامِهِ.

وَلَمَّا رَأَىٰ كَرَاهَةَ بَعْضِهِمْ لِلإِحْلاَلِ، قَالَ: «لَو اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمَا سُقْتُ الهَدْيَ وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، وَلَوْلاَ أَنْ مَعِيَ الهَدْيَ لأَحْلَلْتُ»(٢).

وَقَالَ أَيضاً: «إِنِّي لَبَّدْتُ رَأْسِي، وَقَلَّدْتُ هَدْيِي، فَلاَ أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَرَ».

فَحلَّ المُسْلِمُونَ جَمِيعُهُم إِلاَّ النَّفَرُ الذِين سَاقُوا الهدْيَ، مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ، وَطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْم التَّرْوِيَةِ أَحْرَمَ المُحِلونَ بِالحَجِّ وُهُمْ ذَاهِبُونَ إِلى مِنًى، فَبَاتَ بِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَة بِمِنَىٰ، وَصَلَّى بِهِم الظُّهْرَ وَالعَصْرَ وَالمَغْرِبَ وَالعِشَاءِ وَالفَجْرَ، ثُمَّ سَارَ بِهِم إِلى نَمِرَةَ عَلَى طَرِيقِ ضبٍّ.

وَنَمِرةُ خَارِجَة عَنْ عَرَفَةَ مِنْ يَمَانِيهَا وَغرْبِيهَا، لَيْسَتْ مِنَ الحَرَمِ وَلاَ مِنْ عَرَفَةَ، فَنُصِبَتْ لَهُ القُبَّة بنَمِرَةَ، وَهُنَاكَ كَانَ يَنْزِلُ خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَهُ. وَبِهَا الأَسْوَاقُ وَقَضَاءُ الحَاجَةِ وَالأَكْلُ وَنَحْو ذَلِكَ، فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ رَكِبَ هُو وَمَنْ

---

(١) رواه البخاريُّ (١٠٨٥)، ومسلمٌ (١٢٤٠).

(٢) رواه البخاريُّ (١٧٨٥)، ومسلمٌ (١٢١٦).

رَكِبَ مَعَهُ وَسَارَ المُسْلِمُونَ إِلَى المُصَلَّى بِبَطنِ عرنَةَ حَيْثُ قَدْ بُنِيَ المَسْجِدُ، وَلَيْسَ هُو مِنَ الحَرَمِ وَلاَ مِنْ عَرَفَةَ، وَإِنَّما هُو بَرْزَخٌ بَيْنَ المَشْعَرَيْنِ، الحَلاَلِ وَالحَرَامِ هُنَاكَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَوْقِفِ نَحْوُ مِيلٍ.

فَخَطَبَ بِهِمْ خُطْبَةَ الحَجِّ عَلَى رَاحِلتِهِ وَكَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّىٰ بِهِم الظُّهرَ وَالعَصْرَ مَقصُورَتَيْنِ مَجْمُوعَتَيْنِ، ثُمَّ سَارَ وَالمُسْلِمُونَ مَعُه إِلَى المَوْقِفِ عِنْدَ الجَبَلِ المَعْرُوفِ بِجَبَلِ الرَّحْمَةِ، وَاسْمُهُ إِلاَلٌ عَلَى وَزْنِ هِلاَلٍ، وَهُو الذِي تُسَمِّيهِ العامَّةُ عَرَفَةَ، فَلَم يَزَلْ هُو وَالمُسْلِمُونَ فِي الذِّكْرِ والدُّعَاءِ إِلى أَنْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَدَفَعَ بِهِمْ إِلَى مُزْدَلِفَةَ، فَصَلَّىٰ المَغْرِبَ وَالعِشَاءَ بَعْدَ مَغِيبِ الشَّفَقِ قَبْلَ حَطِّ الرِّحَالِ حيث نَزَلُوا بِمزْدَلِفَةَ، وَبَاتَ بِهَا حَتَّىٰ طَلَعَ الفَجْرُ، فَصَلَّىٰ بِالمُسْلِمِينَ الفَجْرَ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا مُغْلِساً بِهَا زِيَادَةً عَلَى كُلِّ يَوْمٍ، ثُمَّ وَقفَ عِنْدَ قزَحٍ، وَهُو جَبَلُ مُزْدلِفَةَ التِي يُسَمَّىٰ المَشْعَرُ الحَرَامُ، وَإِنْ كَانَتْ مُزْدَلِفَةُ كُلُّهَا هِي المَشْعَرَ الحَرَام المَذْكُور فِي القُرْآنِ. فَلَمْ يَزَل واقفاً بالمسلمين إلى أن أسفرَ جداً. ثم دفع بهم حتى قدم مِنَى، فاستفتحها برمي جمرةِ العَقَبَةِ، ثُمَّ رَجعَ إِلَى مَنْزِلِهِ بِمِنَىٰ، فَحَلَقَ رَأْسَهُ، ثُمَّ نَحَرَ ثَلاَثاً وَسِتينَ بَدَنَةً مِنَ الذِي سَاقَهُ وَأَمَرَ عَلِياً بَنَحْرِ البَاقِي، وَكانَ مِئَةَ بَدَنَةٍ، ثُمَّ أَفَاضَ إِلَى مَكَّةَ فطَافَ طَوَافَ الإِفَاضَةِ.

وَكَانَ قَدْ عَجَّلَ ضَعَفَةَ أَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ مُزْدَلِفَةَ قَبْلَ طُلُوعِ الفَجْرِ، فَرَمَوا الجَمْرَةَ بلَيْلٍ، ثُمَّ أَقَامَ بالمُسْلِمِينَ أَيَّامَ مِنَى الثَّلاَثَ، يُصَلِّي بِهم الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ مَقْصُورَةً غَيْرَ مَجْمُوعَةً يَرْمِي كُلَّ يَوْمِ الجَمَرَاتِ الثَّلاَثَ بَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ يَفْتَتِحُ بالجَمْرَةِ الأُولَىٰ، وَهِي الصغْرَىٰ، وَهِي الدُّنْيَا إِلَى مِنَى، وَالقُصْوَىٰ مِنْ مَكَّةَ، وَيَخْتَتِمُ بِجَمَرَةِ العَقَبَةِ، وَيَقِفُ بَيْنَ الجَمْرَتَيْنِ الأولَىٰ وَالثَّانِيَةِ، وَبَيْنَ الثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ وقُوفاً طَوِيلاً بقَدْرِ قِراءة سُورَةِ البَقَرَةِ يَذْكُرُ الله وَيَدْعُو، فَإِنَّ المَوَاقِفَ ثَلاَثٌ:

عَرَفَة، وَمُزْدَلِفَة، وَمِنَى. ثُمَّ أَفَاضَ آخِرَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بَعْدَ رَمْيِ الجَمَرَاتِ هُو وَالمُسْلِمُونَ، فَنَزَلَ بِالمُحَصَّبِ عِنْدَ خَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ، فَبَاتَ هُو والمُسْلِمُونَ فِي لَيْلَةِ الأَرْبَعَاءِ.

وَبَعَثَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ عَائِشَةَ مَعَ أَخِيهَا عَبْدِ الرَّحْمٰنِ تَعْتَمِرَ مِنَ التَّنْعِيمِ، وَهُو أَقْرَبُ أَطْرَافِ الحَرَمِ إِلَى مَكَّةَ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ المَدِينَةِ، وَقَدْ بُنِيَ بَعْدَهُ هُنَاكَ مَسْجِدٌ سَمَّاهُ مَسْجِدَ عَائِشَةَ، لأَنَّهُ لَمْ يَعْتَمِرْ بَعْدَ الحَجِّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدٌ قَطُّ إلاَّ عَائِشَةُ، لأَجْلِ أَنَّهَا كانَ قَدْ حَاضَتْ لَمَّا قَدِمَتْ، وَكَانَتْ مُعْتَمِرَةً، فَلَمْ تطُفْ قَبْلَ الوقُوفِ بِالْبَيْتِ وَلاَ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: **«اقْضِ مَا يَقْضِي الحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لاَ تَطُوفِي بِالبَيْتِ وَلاَ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ»**. ثُمَّ وَدَّعَ البَيْتَ هُو وَالمُسْلِمُونَ وَرَجَعَ إِلَى المَدِينَةِ، وَلَمْ يَقُمْ بَعْدَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَلاَ اعْتَمَرَ أَحَدٌ قَطُّ عَلَى عَهْدِهِ عُمْرَةً يَخْرُجُ فِيهَا مِنَ الحَرَمِ إِلَى الحِلِّ إلاَّ عائِشَةُ وَحْدَهَا، فَأَخَذَ فُقَهَاءُ الحَدِيثِ كَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِ بِسُنَّتِهِ فِي ذٰلِكَ كُلِّهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ مَنْ قَدْ يُخَالِفُ بَعْضَ ذٰلِكَ بِتَأْوِيلٍ تَخْفَىٰ عَلَيْهِ فِيهِ السُّنَّةُ.

انْتَهَىٰ كَلاَمُهُ رَحِمَهُ اللهُ وَهُو خُلاَصَةٌ جَيِّدَةٌ لِصِفَةِ حَجِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ أُمِرْنَا بِالاقْتِدَاءِ بِهِ فِي هٰذَا وَغَيْرِهِ، فَلْنَفْعَلْ مِثْلَ مَا فَعَلَ حَتَّى تَكُونَ أَعْمَالُنَا فِي حَجِّنَا وَعُمْرَتِنَا وَجَمِيعِ أُمُورِ دِينِنَا صَحِيحَةً مَقْبُولَةً عِنْدَ اللهِ تَعَالَى:

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة :

الحَمْدُ للهِ الذِي تَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِدِينِ الإِسْلاَمِ، وَبِبِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ :

أَيُّهَا النَّاسُ : اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاشْكُرُوهُ حَيْثُ بَيَّنَ لَكمْ دِينكُمْ وَأَتَمَّ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَاسْأَلُوا اللهَ الثَّبَاتَ عَلَيْهِ.

عِبَادَ اللهِ : اعْلَمُوا أَنَّ أَعْمَالَ الحَجِّ تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلاَثِةِ أَقْسَامٍ :

القِسْمُ الأَولُ: أَرْكَانٌ لاَ يَصِحُّ الحَجُّ أَوْ لاَ يَتِمُّ إِلاَّ بِهَا : وَهِي (الإِحْرَامُ، وَالوقُوفُ بِعَرَفَةَ، وَطَوَافُ الإِفَاضَةِ، وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ).

القِسْمُ الثَّانِي : وَاجِبَاتٌ، وَهِي : (الإِحْرَامُ مِنَ المِيقَاتِ المُعْتَبَرِ لَهُ، وَالوقُوفُ بِعَرَفَةَ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ لِمَنْ وَقَفَ نَهَاراً، وَالمَبِيتُ بِمُزْدلِفَةَ إِلى نِصْفِ اللَّيْلِ لِمَنْ وَافَاهَا قَبْلَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، وَرَمْيُ الجِمَارِ، وَالحَلْقُ، أَو التَّقْصِيرُ، وَالمَبِيتُ بِمِنَى لَيَالِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَطَوَافُ الوَدَاعِ عَلَى غَيْرِ الحَائِضِ وَالنفَسَاءِ).

القِسْمُ الثَّالِثُ: مُسْتَحَبَّاتٌ، وَهِي : مَا عَدَا هٰذِهِ الأَرْكَانِ وَالوَاجِبَاتِ مِنْ أَعْمَالِ الحَجِّ (كَالإِحْرَامِ بِالحَجِّ فِي اليَوْمِ الثَّامِنِ، وَالخُرُوجِ إِلَى مِنَى فِي هَذَا اليَوْمِ، وَالمَبِيتِ بِهَا لَيْلَةَ التَّاسِعِ وَأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ فِيهَا كُلِّ صَلاَةٍ فِي وَقْتِهَا مَعَ قَصْرِ الصَّلاَةِ الرُّبَاعِيَّةِ، وَالنُّزُولِ بنَمِرَةَ قَبْلَ الوقُوفِ، وَالدُّعَاءِ فِي عَرَفَةَ وَقْتَ الوقُوفِ، وَفِي مُزْدَلِفَةَ بَعْدَ صَلاَةِ الفَجْرِ وَالبَقَاءِ فِي مِنَى فِي النَّهَارِ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ، وَطَوَافِ القُدُومِ فِي حَقِّ القَارِنِ وَالمُفْرِدِ).

وَمنْ تَرَكَ رُكْناً مِنْ أَرْكَانِ الحَجِّ فَإِنْ كَانَ الإِحْرَامَ أَوْ الوقُوفَ بِعَرَفَةَ لَمْ يَصِحَّ

حَجُّهُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرهُمَا لَمْ يَتِمَّ الحَجُّ إِلاَّ بِهِ. وَمَنْ تَرَكَ وَاجِباً فَعَلَيْهِ دَمٌ، وَمَنْ تَرَكَ سُنَّةً فَلاَ شَيءَ عَلَيْهِ. فَاحْرِصُوا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ عَلَى إِتْمَامِ حَجِّكُمْ عَلَى وِفْقِ مَا شَرَعَهُ اللهُ وَبَيَّنَهُ رَسُولُ اللهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ . . . إلخ.

* * *

تَوحِيد العِبَادَةِ مِنْ خِلاَلِ مَناسِكِ الحَجِّ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، خَلَقَ الخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ وَأَمَرَهُمْ بِتَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ إِلَى جَمِيعِ بَرِيَّتِهِ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ سَارُوا عَلَى نَهْجِهِ وَتَمَسَّكُوا بِسُنَّتِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتقوا الله تعالى وَاعْلَمُوا أَنَّهُ خَلَقَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَبِذَلِكَ أَمرَ اللهُ جَمِيعَ الخَلْقِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ـ٢٢].

وَالعِبَادَةُ لاَ تَكُونُ عِبَادَةً إِلاَّ مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاَةَ لاَ تَكُونُ صَلاَةً إِلاَّ مَعَ الطَّهَارَةِ، فَكَمَا أَنْ المَتَطَهِّرَ إِذَا أَحْدَثَ بَطَلَتْ طَهَارَتُهُ، فَكَذَلِكَ العَابِدُ إِذَا أَشْرَكَ بَطَلَتْ عِبَادَتُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ لأَشْرَفِ الخَلْقِ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

فَالشِرْكُ لاَ يَصِحُّ مَعَهُ عَمَلٌ وَلاَ تُقْبَلُ مَعَهُ عِبَادَةٌ، وَلِهَذَا كَثِيراً مَا يَأْتِي الأَمْرُ بِالعِبَادَةِ مَقْرُوناً بِالنَّهْي عَنِ الشِّرْكِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [النساء: ٣٦] وكلُّ نبي يقول لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ

إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ اللهَ شَرَعَ لَنَا حَجَّ بَيْتِهِ العَتِيقِ، فَلْنَتَدَبَّرْ مَا فِي هَذَا الحَجِّ مِنْ مَظَاهِرِ التَّوْحِيدِ وَالابْتِعَادِ عَنِ الشِّرْكِ، حَتَّىٰ يَكُونَ ذٰلِكَ دَرْساً عَمَلِيّاً نَتَرَسَّمهُ فِي كُلِّ عِبَادَاتِنَا.

ونَحْنُ إِذَا تَدَبَّرْنَا تَأْسِيسَ هٰذَا البَيْتِ وَجَدْنَاهُ قَدْ أُسِّسَ عَلَى التَّوْحِيدِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝﴾ [البقرة: ١٢٥].

فَأَمَرَهُمَا الله بِتَطْهِيرِ البَيْتِ مِنْ سَائِرِ النَّجَاسَاتِ، وَأَعْظَمُهُ الشِّرْكُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

إِذاً فَهٰذَا البَيْتُ أُسِّسَ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَيَجِبُ أَنْ يَبْقَى عَلَى التَّوْحِيدِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، لاَ يَجُوزُ أَنْ يُسْمَحَ لِمُشْرِكٍ بِالوصُولِ إِلَيْهِ وَلاَ بِمُزَاوَلَتِهِ شِرْكَهُ حَوْلَهُ، وَلِهٰذَا لَمَّا فَتَحَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ المُشَرَّفَةَ دَخلَ المَسْجِدَ الحَرَامَ وَفَوْقَ الكَعْبَةِ وَحَوْلَهَا ثَلاثُ مِئَةٍ وَسِتُّونَ صَنَماً، فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِالقَضِيبِ، وَيَقُولُ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

فَجَعَلَتِ الأَصْنَامُ تَتَهَاوَىٰ عَلَى وُجُوهِهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا ﷺ فَأُخْرِجَتْ مِنَ المَسْجِدِ وَأُحْرِقَتْ، ثُمَّ دَخَلَ ﷺ الكَعْبَةَ وَأَزَالَ مَا رُسِمَ عَلَى جُدْرَانِهَا مِنَ الصُّوَرِ، وَكُلُّ ذٰلِكَ عَمَلاً بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

لِأَنَّ هٰذَا البَيْتَ قِبْلَةُ المُسْلِمِينَ، وَإِلَيْهِ حَجُّهُمْ وَعُمْرَتُهُمْ، وَهُو مُلْتَقَىٰ قُلُوبِهِمْ

وَأَبْدَانِهِمْ، يَأْتُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، فَيَجِبُ أَنْ يكون مَصْدَرَ التَّوْحِيدِ وَمَنْبَعَ العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَتَعَاقُبِ الأَجْيَالِ، وَيَجِبُ أَنْ يُبْعَدَ عَنْهُ كُلُّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْذِرَ فِي أَرْضِهِ بُذُورَ الشِّرْكِ، أَوْ يُمَارِسَ حَوْلَهُ إِقَامَةَ البِدَعِ وَالخُرَافَاتِ، حَتَّى يَظَلَّ مَصْدَراً صَافِياً لِلإِخْلَاصِ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَإِفْرَادِهِ بِالعِبَادَةِ، وَإِحْيَاءِ سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَالدَّعْوَةِ إِلَى ذَلِكَ.

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِأَدَاءِ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ خَالِصَيْنِ لَه، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ حَجٍّ وَعُمْرَةٍ لاَ يَتَوَفَّرُ فِيهِمَا تَوْحِيدُ العِبَادَةِ، فَلَيْسَا بِمَقْبُولَيْنِ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

عِبَادَ اللهِ: وَمِنْ مَظَاهِرِ تَوْحِيدِ العِبَادَاتِ فِي الحَجِّ: رَفْعُ الأَصْوَاتِ بَعْدَ الإِحْرَامِ بِالتَّلْبِيَةِ للهِ وَنَفْيِ الشَّرِيكِ عَنْه وَإِعْلَانُ انْفِرَادِهِ بِالحَمْدِ وَالنِّعْمَةِ وَالمُلْكِ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمْ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ»، يُرَدِّدُهَا الحَجَّاجُ بَيْنَ كُلِّ فَتْرَةٍ وَأُخْرَىٰ حَتَّى يَشْرَعُوا فِي التحَلُّلِ مِنَ الإِحْرَامِ.

وَمِنْ مَظَاهِرِ تَوحِيدِ العِبَادَةِ فِي الحَجِّ أَنْ أَعْظَمَ الذِّكْرِ الذي يُقَالُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ: «لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ» كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ»[1].

فَهٰذَا إِعْلَانٌ فِي هٰذَا المَجْمَعِ العَظِيمِ وَفِي هَذَا اليَوْمِ المُبَارَكِ لِتَوْحِيدِ العِبَادَةِ

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٩) وحسنه.

بِالنُّطْقِ بِهٰذِهِ الكَلِمَةِ وَتِكْرَارِهَا لأَجْلِ أَنْ يَسْتَشْعِرَ الحَاجُّ مَدْلُولَهَا وَيعْمَلَ بِمُقْتَضَاهَا، فَيُؤَدِّي أَعْمَالَ حَجِّهِ خَالِصَةً للهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جَمِيعِ شَوَائِبِ الشِّرْكِ.

وَمِنْ مَظَاهِرِ تَوْحِيدِ العِبَادَةِ فِي الحَجِّ: أَنَّ اللهَ أَمرَ بِالطَّوَافِ بِبَيْتِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الطَّوَافَ خَاصٌّ بِهٰذَا البَيْتِ، فَلاَ يَجُوزُ الطَّوَافُ بِبَيْتٍ غَيْرِهِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لاَ بِالأَضْرِحَةِ، وَلاَ بِالأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ، وَمِنْ هُنَا يَعْلَم الحَاجُّ أَنَّ كُلَّ طَوَافٍ بَغَيْرِ البَيْتِ العَتِيقِ فَهُو بَاطِلٌ، وَلَيْسَ عِبَادَةً للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّمَا هُو عِبَادَةٌ لِمَنْ شَرَعَه وَأَمَرَ بِهِ مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ.

وَمِنْ مَظَاهِرِ تَوْحِيدِ العِبَادَةِ فِي الطَّوافِ بِالبَيْتِ العَتِيقِ: أَنْ الطَّائِفَ حَينَ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ اليَمَانِيَّ وَالحَجَرَ الأَسْوَدَ يُكَبِّرُ اللهُ مُعْتَقِداً أَنَّهُ يَسْتلِمُهما لأَنَّهُمَا مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، فَهُو يَسْتَلِمُهمَا طَاعَةً للهِ وَاقْتِدَاءً بِرَسُولِه ﷺ، وَلِهٰذَا قَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ حِينَمَا اسْتَلَمَ الحَجَرَ وَقَبَّلَه: وَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَنْفَعُ وَلاَ تَضُرُّ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ.

وَمِنْ هُنَا يَعْلَمُ المُسْلِمُ أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ التَّمَسُّحُ بِشَيءٍ منَ الأَبنِيَةِ وَالأَحْجَارِ إِلاَّ بِالرُّكْنِ اليَمَانِيِّ وَالحَجِرِ الأَسوَدِ، لأَنَّهُمَا مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، فَلاَ يُتَمَسَّحُ بِالأَضْرِحَةِ وَلاَ بَغَيْرِهَا لأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِشَرْعِ اللهِ، وَلأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ.

وَمِنْ مَظَاهِرِ تَوْحِيدِ العِبَادَةِ فِي الحَجِّ أَنَّ الحَاجَّ حِينَمَا يَفْرُغُ مِن الطَّوَافِ وَيُصَلِّي الرَّكْعَتَيْنِ فَإِنَّهُ يَقْرَأُ فِي الأُولَى بَعْدَ الفَاتِحَةِ سُورَةَ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ يَقْرَأُ سُورَةَ الإِخْلاَصِ، لِمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ هَاتَانِ السُّورَتَانِ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ.

فَفِي السُّورَةِ الأُولَى البَرَاءَةُ مِنْ دِينِ المُشْرِكِينَ وَإِفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ.

وَفِي السُّورَةِ الثَّانِيَةِ إِفْرَادُ اللهُ بِصِفَاتِ الكَمَالِ، وَتَنْزِيهُهُ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ، وَبِذٰلِكَ يعْرِفُ العَبْدُ رَبَّهُ وَيُخْلِصُ لَهُ العِبَادَةَ وَيَتَبَرَّأُ مِنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ مِنْ خِلاَلِ هٰذَا الدَّرْسِ العَمَلِيِّ العَظِيمِ.

وَمِنْ مَظَاهِرِ تَوْحِيدِ العِبَادَةِ فِي السَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ أَنَّ العَبْد يَسْعَىٰ بَيْنَهُمَا امْتِثَالاً لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨].

وَمِنْ ذِلكَ يَتَعَلَّمُ المُسْلِمُ أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ السَّعْيُ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنَ الأَرْضِ إِلاَّ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ لأَنَّهُمَا مِنْ شَعَائِرِ الله وَأَنَّ السَّعْيَ بَيْنَهُمَا إِنَّمَا هُو بِأَمْرِ اللهِ، فَكُلُّ سَعْيٍ فِي غَيْرِهِمَا فَلَيْسَ عِبَادَةً للهِ لأَنهُ سَعْيٌ بِغَيْرِ أَمْرِ اللهِ وَبِغَيْرِ شَعَائِرِهِ.

وَمِنْ مَظَاهِرِ تَوْحِيدِ العِبَادَةِ فِي الحَجِّ مَا شَرَعَهُ اللهُ فِي يَوْمِ العِيدِ وَأَيَّامِ التَّشْرِيقِ مِنْ ذِكْرِهِ وَحْدَهُ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وَذِكْرُ اللهِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ يَتَجَلَّىٰ فِي الأَعْمَالِ العَظِيمَةِ التِي تُؤدَّى فِي أَيَّامِ مِنَى مِنْ رَمْيِ الجِمَارِ، وَذَبْحِ الهَدْيِ، وَأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ فِي هَذَا المَشْعَرِ المُبَارَكِ وَالأَيَّامِ المُبَارَكَةِ، كُلُّ هٰذِهِ الأَعْمَالِ ذِكْرٌ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وفَرَمْيُ الجِمَارِ ذِكْرٌ للهِ، وَلِهٰذَا يَقُولُ المُسْلِمُ عِنْدَ رَمي كُلِّ حَصَاةٍ: (اللهُ أَكْبَرُ)، وَذَبْحُ الهَدْيِ ذِكْرٌ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ ﴾ [الحج: ٣٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٦ـ٣٧].

وَمِنْ هُنَا يَتعلَّمُ المُسْلِمُ أنَّ الذَّبحَ عِبَادَةٌ لا يَجوزُ صَرْفُهَا لِغَيْرِ اللهِ، فلا يَجوزُ أنْ يَذْبحَ لِقَبْرٍ ولاَ لولِي ولاَ لِجنِّيٍّ أوْ أيِّ مَخْلُوق، لأنَّ الذَّبحَ عِبادَةٌ، وَصَرْفُ العِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ.

وَمِنْ مَظاهِرِ تَوْحِيدِ العِبَادَةِ فِي الحَجِّ: أَن الله أَمَرَ بِذِكْرِهِ أَثْناءَ أَدَاءِ مَنَاسِكِهِ وَبَعْدَ الفَرَاغِ مِنْهُ، وَنَهَىٰ عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهِ مَنَ الرُّؤسَاءِ وَالعُظَمَاءِ الأحْيَاءِ وَالأمْوَاتِ، وَعن المُفَاخَرَةِ فِي الأَحْسَابِ وَالأنْسَابِ، فَقَالَ تَعالَىٰ: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٨ـ٢٠٣].

إنَّ الحجَّ لَيْسَ مَجرَّدَ رِحْلَةٍ اسْتِطْلاَعِيَّةٍ، أَوْ مُتْعَةٍ تَرْفِيهيَّةٍ، أَوْ مُجرَّدَ مَظَاهِرَ وَشِعَارَاتٍ وَلَكِنَّهُ دُرُوسٌ وَعِبَرٌ، وَتَعْلِيمٌ عَمليٌّ لِلْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَنَبْذٌ لِلْعَقَائِدِ الجَاهِلِيَّةِ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ فِي أَدَاءِ حَجِّكُمْ وَسَائِرِ عِبَادَتِكُمْ بِأَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لِوَجْهِ

اللهِ، وَصَوَاباً عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَكُونَ حَجُّكُمْ مَبْرُوراً، فَإِنَّ الحَجَّ المَبْرُورَ لَيْسَ لَهُ جَزَاء إلاَّ الجَنَّة.

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، شَرَعَ لِعِبَادِهِ مَا يُصْلِحُهُمْ وَيُصْلِحُ دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، ولِيُّ المُؤْمِنِينَ وَمَوْلاَهُمْ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَخْشَىٰ الخَلْقِ للهِ وَأَتْقَاهُمْ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ مَنْ أَحَبَّهُمْ وَتَوَلاَّهُمْ. وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ يَا مَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بَحَجِّ بَيْتِهِ العَتِيقِ، وَتَعَلَّمْتُمْ مِنْ مَنَاسِكِهِ العَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ، وَأَدْرَكْتُمْ عَلَيْهِ أَوْ مَا كَانَ عَلَيْهِ غَيْرُكُمْ مِنْ أَهْلِ بِلاَدِكُمْ مِنْ أَخْطَاءٍ تُخَالِفُ هٰذِهِ العَقِيدَةَ. عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْعَوا فِي تصحيح هذه الأخطاءِ، فإنّكم مسؤولون عن ذلك أمامَ الله تعالى، ، فإنَّ اللهَ حملَ العالم مَسْؤُولِيَّةَ تَعْلِيمِ الجَاهِلَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فَإِيَّاكُمْ وَالمُجَامَلَةَ فِيمَا يُغْضِبُ الله، وَالمُدَاهَنَةَ فِي دِينِ اللهِ.

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فَالمُؤْمِنُ يَسْعَىٰ فِي إِصْلاَحِ نَفْسِهِ، ثُمَّ فِي إِصْلاَحِ غَيْرِهِ، قَالَ ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ

أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[١].

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاهْتَمُّوا بِدِينِكُمْ عُمُوماً وَبِعَقِيدَتِكُمْ خُصُوصاً، فَإِنَّها الأَصْلُ وَالأَسَاسُ، فَإِنَّ الدِّينَ يَنْبَنِي عَلَىٰ أَصْلَيْنِ:

الأَصْلُ الأَولُ: الإِخْلَاصُ للهِ فِي العِبَادَةِ.

والأَصْلُ الثاني: المُتَابَعَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ. وَهٰذَانِ الأَصْلَانِ إِنَّمَا يُعْرَفَانِ مِنْ تَدَبُّرِ الكِتَابِ وَالسُّنةِ وَاتِّبَاعِهِمَا، فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ.. إلخ.

* * *

(١) رواه البخاريُّ (١٣)، ومسلمٌ (٤٥).

فِي مَشْرُوعِيَّةِ الهِجْرَةِ وَأَنْوَاعِهَا
بِمُنَاسَبَةِ بِدَايَةِ العَامِ الهِجْرِيِّ

الحَمْدُ للهِ ذِي الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ، شَرَعَ لِعِبَادِهِ هِجْرَةَ القُلُوبِ، وَهَجْرَةَ الأَبْدَانِ، وَجَعَلَ هَاتَيْنِ الهِجْرَتَيْنِ بَاقِيَتَيْنِ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلٰهِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الحِسَانِ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى سَائِرِ الأديانِ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا الله تَعَالَىٰ، وَلْيَكُنْ لَكُمْ في سِيرَةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ أُسْوَةٍ، وَذٰلِكَ بِتَرَسُّم خُطَاهُ وَالسَّيْرِ عَلَى نَهْجِهِ وَالاقْتِدَاءِ بِهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَخْلاَقِهِ كَمَا أَمَرَكُم اللهُ بذلكَ، فَقَالَ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فِي هٰذِه الأَيَّامِ يُكْثِرُ النَّاسُ مِنَ التَّحَدُّثِ عَنْ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي الخُطبِ وَالمُحَاضَرَاتِ وَوَسَائِلِ الإِعْلاَمِ، وَلاَ يَعْدُو حَدِيثُهُمْ فِي الغَالِبِ أَنْ يَكُونَ قَصَصاً تَارِيخِياً يَمْلَؤُونَ بِهِ الفَرَاغَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ، ثُمَّ يُتْرَكُ وَيُنْسَىٰ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَثَرٌ فِي النُّفُوسِ أَوْ قَدوةٌ فِي الأَعْمَالِ وَالأَخْلاَقِ، بَلْ لاَ يَعْدُو أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ عَادَةً سَنَوِيَّةً تُرَدَّدُ عَلَى الأَلْسِنَةِ دُونَ فِقْهٍ لمَعنَىٰ الهِجْرَةِ وَعَملٍ بِمَدْلُولِهَا.

إِنَّ الهِجْرَةَ مَعْنَاهَا لُغَةً: مَفَارَقَةُ الإِنْسَانِ غَيْرَهُ بِبدَنِه أَوْ بِلِسَانِهِ أَوْ بِقَلْبِه. وَمَعْنَاهَا شَرْعاً: مُفَارقَةُ بِلاَدِ الكُفْرِ أَوْ مُفَارقَةُ الأَشْرَارِ، أَوْ مُفَارَقَةُ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ

وَالخِصَالِ المَذْمُومَة، وَهِيَ مِنْ مِلَّةِ إبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].

أَيْ: مُهاجِرٌ مِنْ أَرْضِ الكُفْرِ إلى أرْضِ الإيمَانِ، وَقَدْ هَاجَرَ عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلَامُ بِبَعْضِ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى الشَّامِ حَيْثُ البِلَادُ المُقَدَّسَةُ وَالمَسْجِدُ الأَقْصَىٰ، وَبِالْبَعْضِ الآخَرِ إِلَى بِلَادِ الحِجَازِ حَيْثُ البَلَدُ الحَرَامُ وَالبَيْتُ العَتِيق كَمَا جَاءَ فِي دُعَائِهِ لِرَبِّهِ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وَالهِجْرَةُ في شَرِيعَةِ مَحَمَّدٍ ﷺ حَيْثُ أَمرَ أَصْحَابَهُ بِالهِجْرَةِ إِلَى الحَبَشَةِ لَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الأَذَىٰ مِنَ الكُفَّارِ فِي مَكَّةَ، فَخَرَجُوا إِلَى أَرْضِ الحَبَشَةِ مَرَّتَيْنِ فِرَاراً بِدِينِهِمْ، وَبَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَكَّةَ يَدْعُو إِلَى اللهِ، وَيُلاقِي مِنَ النَّاسِ أَشَدَّ الأَذَىٰ، وَهُو يَقُولُ: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠].

فَأَذِنَ اللهُ لَهُ بِالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ وَأَذِنَ ﷺ لأَصْحَابِهِ بِالهِجْرَةِ إِلَيْهَا، فَبَادَرُوا إِلَى ذٰلِكَ فِرَاراً بِدِينِهِمْ وَقَدْ تَرَكُوا دِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً، وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ بِذلِكَ وَمَدَحَهُمْ وَوَعَدَهُمْ جَزِيلَ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَصَارَتِ الهِجْرَةُ قَرِينَةَ الجِهَادِ في كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَارَ المُهَاجِرُونَ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ حَيْثُ فَرُّوا بِدِينِهِمْ، وَتَرَكُوا أَعَزَّ مَا يَمْلِكُونَ مِنَ الدِّيَارِ وَالأَمْوالِ وَالأَقَارِبِ وَالعَشِيرَةِ، وَبَاعُوا ذٰلِكَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ وَفِي سَبِيلِهِ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، وَصَارَ ذٰلِكَ شَرِيعَةً ثَابِتَةً إِلَى أن تَقُومَ السَّاعَةُ، فَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «لاَ تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلاَ تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَخْرُجَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ إِظْهَارَ دِينِهِ فِي بَلَدٍ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْهَا إِلَى

بَلَدٍ يَسْتَطِيعُ فِيهِ إِظْهَارَ دِينِهِ، وَإِظْهَارُ الدِّينِ مَعْنَاه: القِيَامُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ وَإِعْلَانُ البَرَاءَةِ مِنَ الكُفَّارِ وَالمُشْرِكِينَ، وَبَيَانُ بُطْلَانِ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ مَعْنَى إِظْهَارُ الدِّينِ هُو تَمْكِينَهُ مِنَ القِيَامِ بِالشَّعَائِرِ التَّعَبُّدِيَّةِ فَقَطْ دُونَ القِيَامِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ وَمُعَادَاةِ الكُفَّارِ وَإِعْلَانِ البَرَاءَةِ مِنْهُمْ وَمِنْ دِينِهِمْ وَبَيَانِ بُطْلَانِ مَا هُمْ عَلَيْهِ.

وَقَدْ تَوَعَّدَ اللهُ مَنْ قَدَرَ عَلَى الهِجْرَةِ فَلَمْ يُهَاجِرْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

فَهَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِمَنْ تَرَكَ الهِجْرَةَ بِدُونَ عُذْرٍ، وَهٰذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ أَقَامَ بَيْنَ ظَهْرَانِيِّ المُشْرِكِينَ، وَهُو قَادِرٌ عَلَى الهِجْرَةِ، وَلَيْسَ مُتَمَكِّناً مِنْ إِقَامَةِ الدِّينِ. فَهُو ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُرْتَكِبٌ حَرَاماً بِالإِجْمَاعِ وَبِنَصِّ هٰذِهِ الآيَةِ، حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أَيْ: بِتَرْكِ الهِجْرَةِ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ، أَيْ: لِمَ مَكَثْتُمْ هَا هُنَا وَتَرَكْتُمْ الهِجْرَةَ: ﴿ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، أَيْ: لاَ نَقْدِرُ عَلَى الخُرُوجِ مِنَ البَلَدِ وَلاَ الذَّهَابِ فِي الأَرْض، وَهَذَا اعْتِذَارٌ مِنْهُمْ غَيْرُ صَحِيحٍ، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْدِرُونَ عَلَى الهِجْرَةِ فَتَرَكُوهَا، وَلِهٰذَا قَالَتْ لَهُمُ المَلاَئِكَةُ تَوْبِيخاً لَهُمْ: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ﴾ .

فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ إِظْهَارَ دِينِهِ فِي بَلَدٍ وَجَبَ عَلَيْهِ الخُرُوجُ إِلَى بَلَدٍ يَسْتَطِيعُ فِيهَا ذَلِكَ، فَإِنَّ بِلاَدَ اللهِ وَاسِعَةٌ وَلاَ تَخْلُو مِنْ بِلادٍ صَالِحَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [النساء: ١٠٠].

أَيْ: يَجِدُ مَكَاناً يَتَحَصَّنُ فِيهِ مِنْ أَذَى الكُفَّارِ، وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ يُعَوِّضُهُ اللهُ

بِهِمَا عَمَّا تَرَكَ فِي بَلَدِهِ مِنَ المَالِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[النحل: ٤١ـ٤٢].

عِبَادَ اللهِ: وَمِنْ أَنْواعِ الهِجْرَةِ هَجْرُ المَعَاصِي مِنَ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ وَسَائِرِ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ وَالخِصَالِ الذَّمِيمَةِ وَالأَخْلاَقِ الوَخِيمَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر: ٥] الرجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَالبَرَاءَةُ مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ**»(١) أَيْ: تَرَكَ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ مِنَ الأَعْمَالِ، وَالأَخْلاَقِ، وَالأَقْوَالِ، وَالمَآكِلِ المُحَرَّمَةِ، وَالمَشَارِبِ، وَالنَّظَرِ المُحرَّمِ وَالسَّمَاعِ المُحَرَّمِ، كُلُّ هٰذِهِ الأُمُورِ يَجِبُ هَجْرُهَا وَالابْتِعَادُ عَنْهَا.

وَمِنْ أَنْوَاعِ الهِجْرَةِ هَجْرُ العُصَاةِ مِنَ الكُفَّارِ وَالمُشْرِكِينَ وَالمُنَافِقِينَ والفُسَّاقِ، وَذٰلِكَ بِالابْتِعَادِ عَنْهُمْ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [المزمل: ١٠].

أَيْ: اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُهُ مَنْ كَذَّبَكَ مِنْ سُفَهَاءِ قَوْمِكَ ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ أَيْ: اتْرُكْهُمْ تَرْكًا لاَ عِتَابَ مَعَهُ.

وَمِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الهِجْرَةِ هِجْرَةُ القُلُوبِ إِلَى اللهِ تَعَالَىٰ بِإِخْلاَصِ العِبَادَةِ لَهُ فِي السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ حَتَّى لاَ يَقْصِدَ المُؤْمِن بِقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ إِلاَّ وَجْهَ اللهِ، وَلاَ يُحِبُّ إِلاَّ اللهَ وَمَنْ يُحِبُّه اللهُ، وَكَذٰلِكَ الهِجْرَةُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِاتِّبَاعِهِ وَتَقْدِيمِ طَاعَتِهِ وَالعَمَلِ

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢٦٢٩)، وَغَيرُهُ.

بِمَا جَاءَ بِهِ.

وَبِالجُمْلَةِ فَهٰذِهِ الهَجْرَةُ هِجْرَةٌ إِلَى الكِتَابِ وَالسُّنةِ مِنَ الشِّرْكِيَّاتِ وَالبِدَعِ وَالخُرَافَاتِ وَالمَقَالاَتِ وَالمَذَاهِبِ المُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَتَبَيَّنَ مِن هٰذَا أَن الهَجْرَةَ أَنْوَاعٌ هِي:

هَجْرُ أَمْكِنَةِ الكُفْرِ.. وَهَجْرُ الأَشْخَاصِ الضَّالِّينَ. وَهَجْرُ الأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ البَاطِلَةِ.. وَهَجْرُ المَذَاهِبِ وَالأَقْوَالِ وَالآرَاءِ المُخَالِفَةِ لِلكِتَابِ وَالسُّنةِ..

فَلَيْسَ المَقْصُودُ التَحَدُّثُ عَنِ الهِجْرَةِ بِأسْلُوبٍ قَصَصِيٍّ وَسَرْدٍ تَارِيخِيٍّ، أَوْ أَنْ تُقَامَ لِمُنَاسَبَتِهَا طُقُوسٌ وَاحْتِفَالاَتٌ، ثُمَّ تُنْسَىٰ وَلاَ يَكُونُ لَهَا أَثَرٌ فِي النُّفُوسِ أَوْ تَأْثِيرٌ فِي السُّلُوكِ، فَإِنَّ كَثِيراً مِمَّنْ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الهِجْرَةِ عَلَى رَأْسِ السَّنَةِ لاَ يَفْقَهُونَ مَعْنَاهَا وَلاَ يَعْمَلُونَ بِمُقْتَضَاهَا، بَلْ يُخَالِفُونَهَا فِي سُلُوكِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ فَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ هِجْرَةِ الرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ وَتَرْكِهِمْ أَوْطَانَ الكُفْرِ إِلَى وَطَنِ الإِيمَانِ وَهُمْ مُقِيمُونَ فِي بِلاَدِ الكُفَّارِ، أَوْ يُسَافِرُونَ إِلَيْهَا لِقَضَاءِ الإِجَازَةِ أَوْ لِلنُّزْهَةِ، أَوْ لِقَضَاءِ شَهْرِ العَسَلِ كَمَا يُسَمُّونَهُ بَعْدَ الزَّوَاجِ.

يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الهِجْرَةِ وَهُم لاَ يَهْجُرُونَ عِبَادَةَ القُبُورِ وَالأَضْرِحَةِ، بَلْ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونَ اللهِ كَمَا تُعْبَدُ الأَصْنَامُ أَوْ أَشَدَّ، يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الهِجْرَةِ وَهُمْ لاَ يَهْجُرُونَ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَالفَاسِقِينَ، بَلْ يَتَّخِذُونَهُمْ أَصْدِقَاءَ وَأَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْلِبُ الكُفَّارَ إِلَى بِلاَدِ المُسْلِمِينَ وَيُسَكِّنُهُم بَيْنَ أَظْهُرِهِم وَيُمَكِّنُهُم مِنَ الدُّخُولِ فِي البُيُوتِ وَتَرْبِيَةِ الأَوْلاَدِ وَالخَلْوَةِ بِالمَحَارِمِ وَيَأْتَمِنُونَهُمْ عَلَى الأَسْرَارِ، فَأَيْنَ هَجْرُ الأَشْرَارِ؟!

يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الهِجْرَةِ وَهُم لاَ يَهْجُرُونَ المَعَاصِيَ وَالأَخْلاَقِ الرَّذِيلَةِ،

فَـلاَ يَهْجُـرُونَ الأَغَـانِـيَ المَـاجِنَـةَ وَالمَـزَامِيـرَ الفَـاتِنَـةَ، وَالأَفْـلاَمَ الخَلِيعَـةَ، وَالمُسَلْسَلاَتِ الهَابِطَة.

يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الهِجْرَةِ وَهُم لاَ يَهْجُرُونَ عَادَاتِ الكُفَّارِ وَتَقَالِيدِهِمْ، بَلْ يَتَشَبَّهُونَ بِهِمْ فِي حَلْقِ اللِّحَىٰ وَإِطَالَةِ الشَّوَارِبِ وَسُفُورِ النِّسَاءِ وَغَيرِ ذَٰلِكَ مِنْ عَوَائِدِ الكُفَّارِ المَذْمُومَةِ، فَأَيْنَ هِي مَعَانِي الهِجْرَةِ وَأَنْوَاعُهَا مِنْ تَصَرُّفَاتِ هَؤُلاَءِ؟

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاقْتَبِسُوا مِنَ الهِجْرَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَحْدَاثِ السِّيرَةِ النَّبوِيَّةِ دُرُوساً تَنْهَجُونَهَا في حَيَاتِكُمْ، وَلاَ يَكُنْ تَحَدُّثُكُمْ عَنِ الهِجْرَةِ مُجَرَّدَ أَقْوَالٍ عَلَى الأَلْسِنَةِ أَوْ حِبْرٍ عَلَى الأَوْرَاقِ..

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةَ مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَم النَّبِيينَ، فَلا نَبِيَّ بَعْدَهُ. صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الهِجْرَةَ مِنْ أَعْظَمِ مَقَامَاتِ الدِّينِ. بِهَا يُفَارِقُ المُسْلِمُ الكَافِرَ فِي وَطَنِهِ وَفِي عَقِيدَتِهِ وَفي أَخْلاقِهِ، وَبِهَا يَحْصُلُ اعْتِزَازُ المُسْلِمِ بِدِينِهِ وَفِي شَخْصِيَّتِهِ، وَبِهَا يَحْصُلُ الوَلاَءُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالبَرَاءَةُ مِنَ

الكَافِرِينَ. وَقَدْ كَانَتْ هِجْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ حَدَثاً عَظِيماً فَرَّقَ اللهُ بِهِ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ، وَجَعلَهَا مَبْدَأً لإعْزَازِ دِينِهِ وَنَصْرِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَميزَةً تَميَّزَ بهَا المُهَاجِرُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ، فَكَانَ المُهَاجِرُونَ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ وَأَسْبَقَهِمْ ذِكْراً فِي القُرْآنِ الكَرِيم.

وَقَدْ جَعَلَ صَحَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الهِجْرَةَ مَبْدَأً لِتَارِيخِهِمْ، فَصَارُوا يُؤَرِّخُونَ بِهَا، وَذٰلِكَ أَنَّ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اسْتَشَارَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي المَبْدَأ الذِي يُؤَرِّخُونَ بِهِ خطَابَاتِهِمْ وَمُعَامَلاَتِهِمْ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ التَّارِيخُ بِهِجْرةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي»[1].

فَلاَ يَجُوزُ لِلمُسْلِمِينَ اسْتِعْمَالُ التَّارِيخ المِيلاَدِيِّ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ تَوَارِيخَ الكُفَّار تَشَبُّهَا بِالكُفَّارِ وَمُشَارَكَةٌ لَهُمْ فِي طُقُوسِهِمْ وَأَعْيَادِهِمْ، وَقَدْ نُهِينَا عَنِ التَّشَبُّهِ بِهِمْ، وَاللهُ قَدْ أَغْنَانَا وَأَعَزَّنَا بِالإسْلاَمِ فَلْنَعْتَزَّ بِهِ وَبِتَارِيخِهِ وَلْنَتَمَسَّك بِكِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِينَا، فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الهَدْي هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٍ. . . إلخ.

* * *

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧).

في بيان الرِّبَا وحُكْمِهِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَحَلَّ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا، لمَا فِيهِ مِنَ االأَضْرَارِ البَالِغَةِ وَالأَخْطَارِ المُدَمِّرَةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحدهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُولُه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٨].

فَاحْذَرُوا فِتْنَةَ المَالِ، فَإِنَّهَا خَطِيرَةٌ، وَنَحْنُ نَخُصُّ فِي هَذِهِ الخُطْبَةِ التَّحدُّثَ عَنْ مَوْضُوعٍ مِنْ أَخطَرِ المَوَاضِيعِ المَالِيَّةِ، أَلاَ وَهُو مَوْضُوعُ الرِّبَا الذِي أَجمَعَتِ الشَّرَائِعُ عَلَى تَحْرِيمِه، وَتَوعَّدَ اللهُ المُتَعَامِلَ بِهِ بِأَشَدِّ الوَعِيدِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

فَأَخبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الذِينَ يَتَعَامَلُونَ بِالرِّبَا ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ أَيْ: مِنْ قُبُورِهِمْ عِنْدَ البَعْثَ ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ أَيْ: إلاَّ كَمَا يَقُومُ المَصْرُوعُ بِالجُنُونِ فِي حَالِ صَرَعِهِ، وَذَلِكَ لَتَضَخُّمِ بطُونِهِم بِسَبَبِ أَكْلِهِمُ الرِّبَا فِي الدُّنْيَا.

كَمَا تَوَعَّدَ اللهُ سُبْحَانَهُ الذِي يَعُودُ إِلَى أَكْلِ الرِّبَا بَعْدَ مَعْرِفَةِ تَحْرِيمِهِ بِأَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ الخَالِدِينَ فِيهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

كَمَا أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يَمْحَقُ بَرَكَةَ الرِّبَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

أَيْ: يَمْحَقُ بَرَكَةَ المَالِ الذِي خَالطَهُ الرِّبَا، فَمَهْمَا كَثُرَتْ أَمْوالُ المُرَابِي وَتَضَخَّمَتْ ثَرْوتُهُ فَهِي مَمْحُوقَةُ البَرَكَةِ لاَ خَيْرَ فِيهَا، وَإِنَّمَا هِي وَبَالٌ عَلَى صَاحِبهَا تَعَبٌ فِي الدُّنْيَا وَعَذَابٌ فِي الآخِرَةِ، لاَ يَسْتَفِيدُ مِنْهَا، وَقَدْ وَصَفَ اللهُ المُرَابِي بِأَنَّهُ كَفَّارٌ أَثِيمٌ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

فَأَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لاَ يُحِبُّ المَرَابِي، وَحِرْمَانُهُ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ يَسْتَلْزِمُ أَنَّ الله يُبْغِضُهُ وَيَمْقُتُهُ. وَتَسْمِيَتُهُ كَفَّاراً، أَيْ: مُبَالِغاً فِي كُفْرِ النِّعْمَةِ، وَهُو الكُفْرُ الذِي لاَ يُخْرِجُ عنِ المِلَّةِ فَهُو كَفَّارٌ لِنِعْمَةِ اللهِ، لأَنَّهُ لاَ يَرْحَمُ العَاجِزَ وَلاَ يُسَاعِدُ الفَقِيرَ، وَلاَ يُنْظِرُ المُعْسِرَ. أَو المُرَادُ: أَنَّه كَفَّارٌ الكُفْرَ المُخْرِجَ مِنَ المِلَّةِ إِذَا كَانَ يَسْتَحِلُّ الرِّبَا. وَقَدْ وَصَفَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ بِأَنَّهُ أَثِيمٌ، أَيْ: مُبَالِغٌ فِي الإِثْم مُنْغَمِسٌ فِي الأَضْرَارِ المَادِّيَّةِ وَالخُلُقِيَّةِ، وَقَدْ أَعْلَنَ اللهُ الحَرْبَ مِنْهُ وَمِنْ رَسُولِهِ عَلَى المُرَابِي، لأَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ وَلِرَسُولِهِ إِنْ لَمْ يَتْرُكِ الرِّبَا، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ ظَالِمٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩].

وَإِلَى جَانِبِ هَذِهِ الزَّوَاجِرِ القُرْآنِيَّةِ مِنَ التَّعَامُلِ بِالرِّبَا، جَاءَتْ زَواجِرُ فِي سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ فَقَدْ عَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الكَبَائِرِ المُوبِقَةِ، أَي: المُهْلِكَةِ، وَلَعَنَ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَكَاتِبَهُ، كَمَا أَخْبَرَ ﷺ أَنَّ دِرْهَماً وَاحِداً مِنَ الرِّبَا أَشَدُّ مِنْ

ثَلاَثٍ وَثَلاَثِين زَنية فِي الإسْلاَمِ، أَوْ سِتٌّ وَثَلاَثِينَ زَنيةً، عَلَى مَا فِي الزِّنَىٰ مِنْ شَنَاعَةٍ.

وَأَخْبَرَ أَنَّ الرِّبَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَاباً أَدْنَاهَا مِثْلُ إِتْيَانِ الرَّجُلِ أُمَّهُ. قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ وَتَحْرِيمُ الرِّبَا أَشَدُّ مِنْ تَحْرِيمِ المَيْسِرِ، وَهُو القُمَارُ، لأَنَّ المُرَابِي قَدْ أَخَذَا فَضْلاً مُحَقَّقَاً مِنْ مُحْتَاجٍ، المُقَامِرُ قَدْ يَحْصُلُ لهُ فَضْلٌ، وَقَدْ لاَ يَحْصُلُ لهُ. فَالرِّبَا ظُلْمٌ مُحَقَّقٌ لأن فِيهِ تَسْلِيطَ الغَنِيِّ عَلَى الفَقِيرِ بِخِلَافِ القُمَارِ، فَإِنَّهُ قَدْ يَأْخُذُ فِيهِ الفَقِيرُ مِنَ الغَنِيِّ، وَقَدْ يَكُونُ المُتَقَامِرَانِ مُتَسَاوِيَيْنِ فِي الغِنَىٰ وَالفَقْرِ فَهُو وَإِنْ كَانَ أَكْلاً لِلْمَالِ بِالبَاطِلِ وَهُو مُحَرَّمٌ فَلَيْسَ فِيهِ مِنْ ظُلْمِ المُحْتَاجِ وَضَرَرِهِ مَا فِي الرِّبَا.

وَأَكْلُ الرِّبَا مِنْ صِفَاتِ اليَهُودِ التِي اسْتَحَقُّوا عَلَيْهَا اللَّعنَةَ الخَالِدَةَ وَالمُتَواصِلَةَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٠ ـ ١٦١].

وَالحِكْمَة فِي تَحْرِيمِ الرِّبَا أَنَّ فِيهِ أَكْلاً لأَموَالِ النَّاسِ بِغَيْرِ حقٍّ، لأَنَّ المُرَابِي يَأْخُذُ مِنْهُمُ الرِّبَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَفِيدُوا شَيْئَاً فِي مُقَابِلِهِ، فِيهِ إِضْرَارٌ بِالفُقَرَاءِ وَالمُحْتَاجِينَ بَيْنَ النَّاسِ وَسَدٌّ لِبَابِ القَرْضِ الحَسَنِ، وَفَتْحٌ لِبَابِ القَرْضِ بِالفَائِدَةِ التِي تُثْقِلُ الغَنِيَّ وَالفَقِيرَ، وَفِيهِ تَعْطِيلٌ لِلمَكَاسِبِ وَالتِّجَارَاتِ وَالحِرَفِ وَالصِّنَاعَاتِ التِي لاَ تَنْتَظِمُ مَصَالِحُ العَالَمِ إلاَّ بِهَا، لأَنَّ المُرَابِي إِذَا تَحَصَّلَ عَلَى زِيَادَةِ مَالِهِ بِوَاسِطَةِ الرِّبَا بِدُونَ تَعَبٍ، فَلَنْ يَلْتَمِسَ طُرُقَاً أُخرَىٰ لِلْكَسْبِ الشَّاقِّ مَا دَامَ أَنَّ مَالَهُ يَزِيدُ تِلْقَائِيَاً فِي ذِمَّةِ المَدِينِ.

وَاللهُ تَعَالَىٰ جَعلَ طَرِيقَ تَعَامُلِ النَّاسِ فِي مَعَايِشِهِمْ قَائِماً عَلَى أَنْ تَكُونَ

اسْتِفَادَةُ كُلٍّ وَاحِدٍ مِنَ الآخَرِ مُقَابِلَ عَمَلٍ يَقُومُ بِهِ لَهُ، أَوْ عَيْنٍ يَدْفَعُهَا إِلَيْهِ، وَالرِّبَا خَالٍ مِنْ ذلِكَ، لأَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ إِعْطَاءِ المَالِ مُضَاعَفاً مِنْ طَرَفٍ لآخَرَ بِدُونِ مُقَابَلَةٍ مِنْ عَيْنٍ وَلاَ عَمَلٍ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: بَعْدَمَا سَمِعْتُمْ شِدَّةَ تَحْرِيمِ الرِّبَا وَالوَعِيدِ عَلَيْهِ أَظُنُّكُمْ تَسْأَلُونَ مَا هُو الرِّبَا؟

فَاعْلَمُوا أَنَّ الرِّبَا فِي اللُّغَةِ: مَعْنَاهُ الزِّيَادَة، وَفِي الشَّرْعِ: زِيَادَةٌ فِي أَمْوَالٍ مَخْصُوصَةٍ، وَيَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَينَ: رِبَا النَّسِيئَةِ وَرِبَا الفَضْلِ، وَرِبَا النَّسِيئَةِ مَأْخُوذٌ مِنَ النَّسَأ، وَهُو التَّأْخِيرُ، وَهُو نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: قَلْبُ الدَّينِ عَلَى العُسْرِ، وَهٰذَا هُو أَصْلُ الرِّبَا فِي الجَاهِلِيَّةِ: أَنَّ الرَّجُلَ يَكُونَ لَهُ عَلَى الرَّجُلِ المَالُ المُؤَجَّلُ، فَإِذَا حَلَّ الأَجَلُ قَالَ لَهُ: أَتَقْضِي أَمْ تُرْبِي؟ فَإِنْ وَفَّاهُ وَإِلاَّ زَادَ هٰذَا فِي الأَجَلِ، وَزَادَ هٰذَا في المَالِ فَيَتَضَاعَفُ المَالُ فِي ذِمَّةِ المَدِينِ، فَحَرَّمَ اللهُ ذلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

فَإِذَا حَلَّ الدَّينُ وكَانَ المَدِينُ مُعْسِراً لَمْ يَجُزْ أَنْ يُقْلَبَ الدينُ عَلَيْهِ، بَلْ يَجِبُ إِنْظَارُهُ وَإِنْ كَانَ مُوسِراً كَانَ عَلَيْهِ الوَفَاءُ فَلاَ حَاجَةَ إِلَى زِيَادَةِ الدَّينِ مَعَ يَسَارِ المَدِينِ، وَلاَ مَعَ إِعْسَارِهِ، وَلاَ يَحِلُّ لِلدَّائِنِ إِلاَّ رَأْسُ مَالِهِ فِي ذِمَّةِ المدِينِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: مِنْ رِبَا النَّسِيئَةِ: مَا كَانَ فِي بَيْعِ كُلِّ جِنْسَيْنِ اتَّفَقَا فِي عِلَّةِ رِبَا الفَضْلِ مَعَ تَأْخِيرِ قَبْضِهِمَا أَوْ قَبْضِ أَحَدِهِمَا، كَبَيْعِ الذَّهبِ بِالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ بِالفِضَّةِ، وَالبُرِّ بِالبُرِّ، وَالشَّعِيرِ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرِ بِالتَّمْرِ، وَالمِلْحِ بِالمِلْحِ مُؤَجَّلاً، وَكَذَا بَيْعُ جِنْسٍ بِجِنْسٍ آخَرَ مِنْ هٰذِهِ الأَجْنَاسِ مُؤَجَّلاً، وَمَا شَارَكَ هَذِهِ الأَشْيَاءَ فِي العِلَّةِ يَجْرِي مَجْرَاهَا.

وَالقِسْمُ الثَّانِي: رِبَا الفَضْلِ، وَهُو عِبَارَةٌ عَنِ الزِّيَادَةِ فِي أَحدِ العِوَضَيْنِ إِذَا بِيعَ بِجِنْسِهِ حَالاً، وَقَدْ نَصَّ الشَّارِعُ عَلَى تَحْرِيمِهِ فِي سِتَّةِ أَشْياء هِي: (الذَّهَبُ، وَالفِضَّةُ، وَالبُرُّ وَالشَّعِيرُ، وَالتَّمْرُ، وَالمِلْحُ)، فَإِذَا بِيعَ أَحَدُ هٰذِهِ الأَشْيَاءِ بِجِنْسِهِ حُرِّمَ التَّفَاضُلُ بَيْنَهُمَا قَوْلاً وَاحِداً، لِحَدِيثِ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً: «الذَّهَبُ بِالذَّهبِ وَالفِضَّةُ بِالفِضَّةِ، وَالبُرُّ بِالبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالمِلْحُ بِالمِلْحِ، مِثْلاً بمثل يَداً بِيَدٍ» رَواه الإِمَامُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ[1].

فَدَلَّ الحَدِيثُ عَلَى تَحْرِيمِ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ مِنْ مَضْرُوبٍ، وَغَيْرِ مَضْرُوبٍ، وَجَيِّدٍ وَرديءٍ، وَمِنْ بَيْعِ الفِضَّةِ بِالفِضَّةِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا كَذلكَ إِلاَّ مِثْلاً بِمِثْلٍ يَداً بِيَدٍ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، وَعَنْ بَيْعِ البُرِّ بالبُرِّ، وَالشعِيرِ بِالشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ بِالتَّمْرِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ، وَالمِلْحِ بِالمِلْحِ إِلاَّ مُتَسَاوِيَةً: مِثْلاً بِمِثْل سَوَاء بسواء يَداً بِيَد وَيُقَاسُ عَلَى هٰذِهِ الأَشْيَاءِ السِّتَّةِ مَا شَارَكَهَا فِي العِلةِ فَيَحْرُمُ فِيهِ التَّفَاضُلُ عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ العِلْمِ إِلاَّ أَنَّهُم اخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِ العِلَّةِ.

وَالصَّحِيحُ أَنَّ العِلةِ فِي النَّقْدَيْنِ الثَّمَنِيَّةُ، فَيُقَاسُ عَلَيْهَا كُلُّ مَا جُعِلَ أَثمَاناً أَيْ: نُقُوداً كَالأَوْرَاقِ النَّقْدِيَّةِ المُسْتَعْمَلَةِ فِي هٰذِهِ الأَزْمِنَةِ فَيَحْرُمُ فِيهَا التَّفَاضُلُ إِذَا بِيعَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ مَعَ اتِّحَادِ الجِنْسِ.

وَالصَّحِيحُ أَنَّ العِلَّةَ فِي بَقِيَّةِ الأَصْنَافِ السِّتةِ: البُرِّ وَالشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ وَالمِلْحِ، هِي الكَيْلُ أَو الوَزْنُ مَعَ كَوْنِهَا مَطْعُومَةً، فَيَتَعَدَّىٰ الحُكْمُ إِلَىٰ مَا شَارَكَهَا فِي تِلْكَ العِلَّةِ مِمَّا يُكَالُ أَوْ يُوزَنُ، وَهُو مِمَّا يُطعَمُ، فَيَحْرُمُ فِيهِ رِبَا التَّفَاضُلِ.

فَعَلَى هٰذَا كُلُّ مَا شَارَكَ هٰذِهِ الأَشْيَاءَ السِّتَّةَ المَنْصُوصَ عَلَيْهَا فِي تَحَقُّقِ العِلَّةِ

---

(١) رواه مسلمٌ (١٥٨٧).

فِيهِ بِأَنْ يَكُونَ كَيْلاً مَطْعُوماً أَوْ مَوزُوناً مَطْعُوماً، أَوْ تَحَقَّقَتْ فِيهِ عِلَّةُ الثَّمَنِيَّةِ بِأَنْ كَانَ مِنَ النُّقُودِ فَإِنَّهُ يَدْخُلُهُ الرِّبَا، فَإِنِ انْضَافَ إِلَىٰ العِلَّةِ اتِّحَادُ الجِنْسِ كَبَيْعِ بُرٍّ بِبُرٍّ حَرُمَ فِيهِ التَّفَاضُلُ وَالتَّأْجِيلُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالفِضَّةُ بِالفِضَّةِ، وَالبُرُّ بِالبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بالشعير، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالمِلْحُ بِالمِلْحِ مِثْلاً بِمِثْلٍ يَداً بِيَدٍ»[١].

وَإِن اتَّحَدَتِ العِلَّة مَعَ اخْتِلاَفِ الجِنْسِ كَالبُرِّ بِالشَّعِيرِ حُرِّمَ التَّأْجِيلُ، وَجَازَ فِيهِ التَّفَاضُلُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هٰذِهِ الأَشْيَاءُ فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَداً بِيَدٍ» رَواهُ مُسْلمٌ وَأَبُو دَاودَ[٢]، وَمَعَنَى قَوْلِهِ: (يَداً بِيَدٍ)، أَيْ: حَالاً مَقْبُوضاً فِي المُجْلِسِ قَبْلَ افْتِرَاقِ أَحَدِهِمَا عَنِ الآخَرِ.

وَإِن اخْتَلَفَتِ العِلَّة وَالجِنْسُ جَازَ الأَمْرَانِ: التَّفَاضُلُ وَالتَّأْجِيلُ، كَالذهَبِ بِالبُرِّ، وَالشَّعِيرِ بِالفِضَّةِ، ثُمَّ لِنَعْلَمْ أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ بَيْعُ مَكِيلٍ بِجِنْسِهِ إِلاَّ كَيْلاً، وَلاَ مُوْزُونٍ بِجِنْسِهِ إِلاَّ وَزْناً، لِقَوْلِهِ ﷺ: «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَزْناً بِوَزْنٍ، وَالفِضَّةُ بالفضة وَزْناً بِوَزْنٍ، وَالبُرُّ بِالبُرِّ كَيْلاً بِكَيْلٍ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ كَيْلاً بِكَيْلٍ»[٣]. وَلأَنَّ مَا خُولِفَ فِيهِ معْيَارُهُ الشَّرْعِيُّ لاَ يَتَحَقَّقُ فِيهِ بِالتَّسَاوِي، وَكَذَلِكَ لاَ يَجُوزُ بَيْعُ مَكِيلٍ بِجِنْسِهِ جزَافاً، وَلاَ بَيْعُ مَوزُونٍ بِجِنْسِهِ جَزَافاً، لِعَدَمِ العِلْمِ بِالتَّسَاوِي، وَالجَهْلُ بِالتَّسَاوِي كَالعِلْمِ بِالتَّفَاضُلِ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهٰذَا البَابِ: مَا يُسَمَّى بِالصَّرْفِ، وَهُو بَيْعُ نَقْدٍ بِنَقْدٍ، سَوَاءٌ اتَّحَدَ الجِنْسُ أَو اخْتَلَفَ، وَسَوَاءٌ كَانَ النَّقْدُ مِنَ الذَّهَبِ أَو الفِضَّةِ أَوْ مِنَ الأَوْرَاقِ النَّقْدِيَّةِ المتَعَامَلِ بِهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ، فَإِنَّهَا تَأْخُذُ حُكْمَ الذَّهَبِ

---

(١) رواه مسلمٌ (١٥٨٧).

(٢) رواه مسلمٌ (١٥٨٧)، وأبو داود (٣٣٥٠).

(٣) رواه مسلمٌ (١٥٨٧).

وَالفِضَّةِ لاشْتِرَاكِهَا مَعَهَا فِي عِلَّةِ الرِّبَا وَهِي الثَّمَنِيَّة، فَإِذَا بِيعَ نَقْدٌ بِجِنْسِهِ كَذَهَبٍ بِذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ بِفِضَّةٍ أَوْ وَرَقٍ نَقْدِيٍّ بِجِنْسِهِ كَدُولاَرٍ بِمِثْلِهِ، أَوْ دَرَاهِمَ وَرَقِيَّةٍ أَجْنَبِيَّةٍ أَوْ سُعُودِيَّةٍ بِمِثْلِهَا وَجَبَ حِينَئِذٍ التَّسَاوِي فِي المِقْدَارِ وَالتَّقَابضِ فِي المَجْلِسِ، وَإِن بِيعَ نَقْدٌ بِنَقْدٍ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ كَدَرَاهِمَ سُعُودِيَّةٍ وَرَقِيَّةٍ بِدُولارَاتٍ أَمْرِيكِيَّةٍ مَثَلاً، وَكَذَهَبٍ بِفِضَّةٍ وَجَبَ حِينَئِذٍ شَيءٌ وَاحِدٌ وَهُو الحُلُولُ وَالتَّقَابُضُ فِي المَجْلِسِ، وَجَازَ التَّفَاضُلُ فِي المِقْدَارِ. وَكَذَا إِذَا بِيعَ حُلِيٌّ مِنَ الذَّهَبِ بِدَرَاهِمَ فِضَّةٍ أَوْ بِوَرَقٍ نَقْدِيٍّ وَجَبَ الحُلُولُ وَالتَّقَابضُ فِي المَجْلِسِ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: إِنَّ خَطَرَ الرِّبَا عَظِيمٌ وَلاَ يُمْكِنُ التَّحَرُّزُ مِنْهُ إِلاَّ بِمَعْرِفَةِ أَحْكَامِهِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مَعْرِفَتَهَا بِنَفْسِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ أَهْلَ العِلْمِ عَنْهَا، وَلاَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْدِمَ عَلَىٰ مَعَامَلَةٍ أَوْ يُسْهِمَ فِي شَرِكَةٍ أَوْ مُؤَسَّسَةٍ إِلاَّ بَعْدَ تَأَكُّدِهِ مِنْ خُلُوِّهَا مِنَ الرِّبَا، لِيَسْلَمَ بِذَلِكَ دِينُهُ وَيَنْجُوَ مِنْ عَذَابِ اللهِ الذِي تَوَعَّدَ بِهِ المُرَابِينَ، وَلاَ يَجُوزُ تَقْلِيدُ النَّاسِ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ بَصِيرَةٍ، خُصُوصاً فِي وَقْتِنَا هٰذَا الذِي كَثُرَ فِيهِ عَدَمُ المُبَالاَةِ بَنَوْعِيَّةِ المَكَاسِبِ، وَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ أَنَّهُ آخِرَ الزَّمَانِ يَكْثُرُ اسْتِعْمَالُ الرِّبَا، وَمَنْ لَمْ يَأْكُلْهُ نَالَهُ مِنْ غُبَارِهِ.

نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَالسَّلاَمَةَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٨١].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، جَعَلَ فِي الحَلَالِ غُنْيَةً عنِ الحَرَامِ وَبَيَّنَ لِعِبَادِهِ تَفَاصِيلَ الأَحْكَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ المَلِكُ القُدّوسُ السَّلاَمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَيْرُ الأَنَامِ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ البَرَرَةِ الكِرَامِ . .

أَمَّا بَعْدُ :

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاجْتَنِبُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ إِلَيْكُمْ فِي هٰذِه الخُطْبَةِ عَن بَيَانِ أَنْوَاعٍ مِن المُعَامَلاَتِ الرِّبَوِيَّةِ الوَاقِعَةِ بَيْنَ النَّاسِ اليَوْمَ، لِيَتَجَنَّبَهَا المُسْلِمُ، وَيَحْذَرَ مِنْهَا خَوْفاً مِن عَذَاب اللهِ تَعَالَىٰ، وَابتِعَاداً عَنِ المَكْسَبِ الخَبِيثِ الذِي يَكُونُ وَبَالاً عَلى صَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا والآخرَةِ، فَأَحَدُ هٰذِه المُعَامَلاتِ الرِّبَوِيَّةِ وَأَشَدُّهَا هُو قَلْبُ الدَّيْنِ عَلَى المُعْسِرِ، إِذَاحلَّ، وَلَمْ يَكُنْ عندَهُ سَدَادٌ أَوْ عِندَهُ سَدَادٌ وَلاَ يُرِيدُ التَّسْدِيدَ، زِيدَ عَلَيْهِ الدَّيْنُ بِكِمِّيَاتٍ وَنِسْبَةٍ مُعَيَّنَةٍ حَسْبَ التَّأْخِيرِ، وَهَذَا هُو رِبَا الجَاهِلِيَّةِ، وَهُو حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٨٠].

فَفِي هٰذِه الآيَةِ الكَرِيمَةِ جُمْلَةُ تَهْدِيدَاتٍ عَنْ تَعَاطِي هٰذا النَّوعِ مِنَ الرِّبَا :

أَوَّلاً : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ نَادَىٰ عِبَادَهُ بِاسْمِ الإِيمانِ ﴿يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا﴾، وَقَالَ :

﴿إِنْ كُنْتُمْ مؤْمِنِينَ﴾، فَدَلَّ عَلَى أَنْ تَعَاطِيَ هٰذَا النَّوعِ لاَ يَلِيقُ بِالمُؤْمِنِ.

ثَانِيًا: قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّقُوا اللهَ﴾، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الذِي يَتَعَاطَىٰ هٰذَا النَّوْعَ مِنَ الرِّبَا لاَ يَتَّقِي اللهَ وَلاَ يَخَافُهُ.

ثَالِثًا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰٓا﴾، أَي: اتْرُكُوا، وَهٰذَا أَمْرٌ بِتَرْكِ الرِّبَا، وَالأَمْرُ يُفِيدُ الوُجُوبَ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ يَتَعَاطَى الرِّبَا قَدْ عَصَىٰ أَمْرَ اللهِ.

رَابِعًا: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَنَ الحَرْبَ عَلَى مَنْ لاَ يَتْرُكُ التَّعَامُلَ بِالرِّبَا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾، أَي: لَمْ تَتْرُكُوا الرِّبَا ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، أَيْ: اعْلَمُوا أَنَّكُمْ تُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ فَهُو مَهْزُومٌ وَلاَ بُدَّ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤].

خَامِسًا: تَسْمِيَةُ المُرَابِي ظَالِمًا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٩] كُلُّ هَذِهِ التَّهْدِيدَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ صَدَرَتْ عَلَى تَعَاطِي المُعَامَلاَتِ الرِّبَوِيَّةِ.

وَمِنَ المُعَامَلاَتِ الرِّبَوِيَّةِ القَرْضُ بِالفَائِدَةِ؛ بِأَنْ يُقْرِضَهُ شَيْئًا بِشَرْطِ أَنْ يُوفِّيَهُ أَكْثَرَ مِنْهُ، أَوْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ مَبْلَغًا مِنَ المَالِ عَلَى أَنْ يُوَفِّيَهُ أَكْثَرَ مِنْهُ بِنِسْبَةٍ مُعيَّنَةٍ، كَمَا هُو العَمَلُ فِي البُنُوكِ، وَهُو رِبًا صَرِيحٌ.

فَالبُنُوكُ تَقُومُ بعَقْدِ صَفَقَاتِ القُرُوضِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ذَوِي الحَاجَاتِ وَأَرْبَابِ التِّجَارَاتِ وَأَصْحَابِ المَصَانِعِ وَالحِرَفِ المُخْتَلِفَةِ، فَتَدْفَعُ لِهٰؤُلاَءِ مَبَالِغَ مِنَ المَالِ نَظِيرَ فَائِدَةٍ مُحَدَّدَةٍ بِنِسْبَةٍ مِئَوِيَّةٍ، وَتَزْدَادُ هٰذِه النِّسْبَةُ فِيْ حَالَةِ التَّأَخُّرِ عَنِ السَّدَادِ فِي المَوْعِدِ المُحَدَّدِ، فَيَجْتَمِعُ فِي ذٰلِكَ الرِّبَا بِنَوعَيْهِ: رِبَا الفَضْلِ وَرِبَا النَّسِيئَةِ.

وَمِنَ المُعَامَلاَتِ الرِّبَوِيَّةِ مَا يَجْرِي فِي البُنُوكِ مِنْ إِيدَاعٍ بِالفَائِدَةِ، وَهِي

الوَدَائِعُ الثَّابِتَةُ إِلَى أَجَلٍ يَتَصَرَّفُ فِيهَا البَنْكُ إِلَى تَمَامِهِ، وَيَدْفَعُ لِصَاحِبِهَا فَائِدَةً ثَابِتَةً مُعَيَّنَةً فِي المِئَةِ عَشَرَةً أَوْ خَمْسَةً.

وَمِن المُعَامَلاَتِ الرِّبَوِيَّةِ: بَيْعُ العِينَةِ، وَهُو أَنْ يَبِيعَ سِلْعَةً بِثَمَنٍ مُؤَجَّلٍ عَلَى شَخْصٍ، ثُمَّ يَعُودُ وَيَشْتَرِيهَا مِنْهُ بِثَمَنٍ حَالّ أَقَلَّ مَنَ الثَّمَنِ المُؤَجَّلِ، وَسُمِّيَتْ هَذِهِ المُعَامَلَةُ بَيْع العِينَةِ لأَنَّ مُشْتَرِيَ السِّلْعَةِ إِلَى أَجَلٍ يَأْخُذُ بدَلَهَا عَيْنًا، أَيْ: نَقْدًا حَاضِرًا، وَالبَيْعُ بِهٰذِهِ الصُّورَةِ إِنَّمَا هُو حِيلَةٌ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى الرِّبَا، وَقَدْ جَاءَ النَّهْيُ عَنْ هَذِهِ المُعَامَلَةِ فِي أَحَادِيث وَآثَارٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ ـ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تُرَاجِعُوا دِينكُمْ» رَواهُ أَبُو دَاودَ[1]. وقَالَ ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَسْتَحِلُّونَ الرِّبَا بِالبَيْعِ».

أَمَّا إِذا اشْتَرَى السِّلْعَةَ إِلَى أَجَلٍ، ثُمَّ بَاعَها عَلَى غَيْرِ مَنْ بَاعَهَا عليه لِيَنْتَفِعَ بِثَمَنِهَا، فَهٰذِهِ تُسَمَّىٰ مَسْأَلَة التَّوَرُّقِ، وَهِي جَائِزَةٌ عِنْدَ الجُمْهُورِ، وَيُسَمِّيهَا بَعْضُ العَامَّةِ بِالدينَةِ أَوْ الغَائِبَةِ، وَلاَ بَأْسَ بِهَا إِنْ شَاءَ اللهُ لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهَا، لَكِنْ بِشَرْطِ أَلا يَبِيعَ السِّلْعَةَ الَّتِي اسْتَدَانَهَا عَلَى مَنِ اسْتَدَانَهَا مِنْهُ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: احذَرُوا مِنْ دُخولِ الرِّبَا فِي مُعَامَلاَتِكُمْ وَاخْتِلاَطِهِ بِأَمْوَالِكُمْ، فَإِنَّ أَكْلَ الرِّبَا وَتَعَاطِيَهُ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ وَمَا ظَهَرَ الرِّبَا وَالزِّنَىٰ فِي قَوْمٍ إلاَّ ظَهَرَ فِيهِم الفَقْرُ وَالأَمْرَاضُ المُسْتَعْصِيَةُ، وَظُلْمُ السُّلْطَانِ وَحُلُولُ الكَوَارِثِ وَالإِفلاَسِ.

وَالرِّبَا يُهْلِك الأَموالَ وَيَمْحَقُ البَرَكَاتِ. وَلَقَدْ شَدَّدَ اللهُ الوَعِيدَ عَلَى أَكْلِ الرِّبَا

---

(١) رواه أبو داود (٣٤٦٢).

وَجعَلَ أَكْلَهُ مِنْ أفْحَشِ الخَبَائِثِ وَأَكْبَرَ الكَبَائِرِ، وَبَيَّنَ عُقُوبَةَ المَرَابِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ مُحَارِبٌ للهِ وَلِرَسُولِهِ، فَعُقُوبَتُهُ فِي الدنيَا أَنَّهُ يَمْحَقُ بَرَكَةَ المَالِ وَيُعَرِّضُهُ لِلتَّلَفِ وَالزَّوَالِ. فَكَمْ تَسْمَعُونَ مِنْ تَلَفِ الأَمْوَالِ العَظِيمَةِ بِالحَرِيقِ والغَرَقِ وَالفَيَضَانِ، فَيُصْبِحُ أَهْلُهَا فُقَرَاءَ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِنْ بَقِيَتْ هٰذِهِ الأَمْوالُ الرِّبَوِيَّةُ بِأَيْدِي أَصْحَابِهَا فَهِي مَمْحُوقَةُ البَرَكَةِ، لاَ يَنْتَفِعُونَ مِنْهَا بِشَيءٍ، إِنَّمَا يُقَاسُونَ أَتْعَابَهَا، وَيَتَحَمَّلُونَ حِسَابَهَا، وَيُصْلَوْنَ عَذَابَهَا.

وَالمُرَابِي مُبْغَضٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ يَأْخُذُ وَلاَ يُعْطِي، يَجْمَعُ وَيَمْنَعُ، لاَ يُنْفِقُ وَلاَ يَتَصَدَّقُ، شَحِيحٌ جَشِعٌ جَمُوعٌ مَنُوعٌ، تَنْفِرُ مِنْهُ القُلُوبُ، وَيَنْبذُهُ المُجْتَمَعُ، وَهَذِهِ عُقُوبَةٌ عَاجِلَةٌ، وَعُقُوبَتُهُ الآجِلَةُ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ، كَما بَيَّنَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ. وَمَا ذَاكَ إِلاَّ لِأَنَّ الرِّبَا مَكْسَبٌ خَبِيثٌ، وَسُحتٌ ضَارٌّ، وَكَابُوسٌ ثَقِيلٌ عَلَى المُجْتَمَعَاتِ البَشَرِيَّةِ.

وَمِنْ أَنْوَاعِ الرِّبَا صَرْفُ العُمْلاَتِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ مِنْ غَيْرِ تَقَابُضٍ فِي المَجْلِسِ، وَكَذَا بَيْعُ الحُلِيِّ مِنَ الذَّهَبِ أَوِ الفِضَّةِ بِجِنْسِهِ مَعَ الزِّيَادَةِ فِي أَحَدِ العِوَضَيْنِ: كَأَنْ يَبِيعَ الحُلِيَّ مِنَ الذَّهَبِ بِحُلِيٍّ مِنَ الذَّهَبِ مَعَ زِيَادَةٍ، بِسَبَبِ أَنَّ أَحَدَ الحُلِيينِ أَحْسَنُ مِنَ الآخَرِ نَوْعًا أَوْ صَنْعَةً، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبِيعَ حُلِيًّا رَدِيءَ النَّوْعِ أَو الصَّنْعِ بِحُلِيٍّ مِنْ جِنْسِهِ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَالطَّرِيقُ الصَّحِيحُ أَنْ يَبِيعَ الحُلِيَّ الذِي لاَ يَرْغَبُهُ بِدَرَاهِمَ أَوْ غَيْرِها وَيَقْبِضَ الثَّمَنَ، ثُمَّ يَشْتَرِيَ بِهِ النَّوْعَ الذِي يُرِيدُهُ مِنَ الحُلِيِّ الجَيِّدِ، أَمَّا إِذَا بَاعَ الحُلِيَّ بِغَيْرِ جِنْسِهِ كَأَنْ بَاعَ حُلِيَّ ذَهَبٍ بِحُلِيِّ فِضَّةٍ أَوْ بِدَرَاهِم فِضَّةٍ أَوْ دَرَاهِم وَرَقِيَّةٍ، فَلاَ بَأْسَ بِالزِّيَادَةِ، لَكِنْ بِشَرْطِ التَّقَابُضِ فِي المَجْلِسِ.

وَبَعْضُ النَّاسِ يَقَعُ فِي هٰذَا المَحْذُورِ بِحَيْثُ يَشْتَرِي الحُلِيَّ مِنَ الذَّهَبِ أَوِ الفِضَّةِ بِدَرَاهِمَ وَلاَ يُسَدِّدُ القِيمَةَ فِي المَجْلِسِ أَوْ لاَ يُسَدِّدُهَا كَامِلَةً، وَإِنَّمَا يُسَدِّدُهَا

أَوْ يُسَدِّدُ بِقِيمَتِهَا مُتَأَخِّرًا، وَهٰذَا رِبًا صَرِيحٌ. وَكَذَا لاَ يَجُوزُ بَيْعُ النَّوْعِ الجَيِّدِ مِنَ التَّمْرِ أَوِ البُرِّ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الأَصْنَافِ الرِّبَوِيَّةِ بِنَوْعٍ رَدِيءٍ مِنْ جِنْسِهِ أَكْثَرَ مِنْهُ، كَأَنْ يَبِيعَ الصَّاعَ مِنَ الجَيِّدِ بِصَاعَيْنِ مِنَ الرَّدِيءِ، فَإِنَّ هٰذَا هُوَ الرِّبَا، وَالطَّرِيقُ الصَّحِيحُ أَنْ يَبِيعَ الرَّدِيءَ بِدَرَاهِمَ، ثُمَّ يَشْتَرِيَ بِالدَّرَاهِمِ مِنَ الجَيِّدِ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاحْذَرُوا التَّعَامُلَ بِالرِّبَا بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ، فَإِنَّ خَطَرَهُ عَظِيمٌ وَعَاقِبَتَهُ وَخِيمَةٌ. أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، جَعَلَ الخَيْرَ وَالبَرَكَةَ فِي الكَسْبِ الحَلاَلِ. وَأَمَرَ بِالاسْتِعَانَةِ بِهِ عَلَى صَالِحِ الأَعْمَالِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ الكَبِيرُ المُتَعَالُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلاَةً وَسَلاَمًا يَتَكَرَّرَانِ بِتَكْرَارِ الغُدُوِّ وَالآصَالِ..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاعْلَمُوا أَنَّ ضَرَرَ الرِّبَا وَإِثْمَهُ لاَ يَقْتَصِرَانِ عَلَى آخِذِهِ فَقَطْ، بَلْ يَسْتَوِي فِي ذٰلِكَ الآخِذُ لَهُ وَالمُعْطِي لَهُ، وَالمُعِينُ عَلَى أَخْذِهِ. فَقَدْ لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَهُ، فَاللَّعْنَةُ شَمِلَت الأَرْبَعَةَ لِتَعَاوُنِهِمْ عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ، فَالذِي يَقْتَرِضُ بِالفَائِدَةِ وَيَدْفَعُهَا مَلْعُونٌ، وَالذِي يُقْرِضُ بِهَا وَيَأْخُذُهَا مَلْعُونٌ، وَالكَاتِبُ الذِي يَكْتُبُ عُقُودَ الرِّبَا مَلْعُونٌ، وَكَذَلِكَ المُوَظَّفُ الذِي يَشْتَغِلُ بِالبُنُوكِ وَالمُؤَسَّسَاتِ الرِّبَوِيَّةِ تَشْمَلُهُ اللَّعْنَةُ وَالإِثْمُ.

وَالجَمِيعُ مُحَارِبُونَ للهِ وَلِرَسُولِهِ.

فَقَدْ أَعْلَنَ اللهُ الحَرْبَ مِنْهُ وَمِنْ رَسُولِهِ عَلَى المُرَابِينَ، وَمَنْ حَارَبَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ فَهُو مَهْزُومٌ، أَرَأَيْتُمْ ـ وَللهِ المَثَلُ الأَعْلَىٰ ـ لَوْ أَنَّ دَوْلَةً قَوِيَّةً تَمْلِكُ مُخْتَلفَ الأَسْلِحَةِ الفَتَّاكَةِ أَعْلَنَتِ الحَرْبَ عَلَى دَوْلَةٍ ضَعِيفَةٍ لاَ تَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ السَّلاَحِ مَاذَا سَيَكُونُ مِنَ الدَّوْلَةِ الضَّعِيفَةِ المُهَدَّدةِ مِنَ الخَوْفِ وَالقَلَقِ وَعَدَمِ الاسْتِقْرَارِ، فَإِذَا كَانَ هٰذَا الخَوْفُ مِنَ المَخْلُوقِ، فَكَيْفَ الخَوْفُ مِنَ الخَالِقِ العَظِيمِ الذِي لاَ يُعْجِزُه شَيْءٌ، والذِي لَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ التي لاَ يَعْلَمُهَا إلاَّ هُو؟ فَقَدْ يُسَلِّطُ عَلَى المَرَابِينَ أَنْوَاعًا مِنْ جُنُودِهِ التِي يَرَوْنَهَا أَو لاَ يَرَوْنَهَا:

لَقَدْ يُسَلِّطُ العِبَادَ بَعْضهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَيُلْهِمُهُمُ اخْتِرَاعَ الأَسْلِحَةِ الفَتَّاكَةِ المُدمِّرَةِ التي تُهَدِّدُ البَشَرِيَّةَ بِالفَنَاءِ وَالدَّمَارِ، كَمَا هُو الوَاقِعُ اليَوْمَ، حَتَّى إِنَّ مُخْتَرِعِي تِلْكَ الأَسْلِحَةِ وَمُمْتَلِكِيهَا يَخَافُونَ مِنْهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِم.

وَقَدْ يُسَلِّطُ اللهُ الأَمْرَاضَ الفَتَّاكَةَ التي لَمْ يُعثَرْ لَهَا عَلَى عِلاَجٍ، فَتَأْكُلُ المُجْتَمَعَاتِ، كَما هُو الوَاقِعُ الآنَ مِنْ حَدُوثِ هٰذِه الأَمْرَاضِ التي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلاَفِنَا الذِينَ مَضَوْا.

وَقَدْ يُسَلِّطُ اللهُ الجَرَادَ وَالبَعُوضَ وَالحَشَرَاتِ، فَتَأْكُلُ المَحَاصِيلَ، وَتُقْلِقُ رَاحَةَ السُّكَّانِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ مُدَافَعَتَهَا بِأَيِّ وَسِيلَةٍ.

وقد يسلطُ الله الجبابرةَ والأحزابَ على الشعوبِ فتسلبُ أموالَها وتقلقُ أمنَها وتسومُها سَوءَ العذاب.

وَقَدْ يُسَلِّطُ اللهُ عَلَى الأَمْوَالِ مَا يُتْلِفُهَا مِنَ الكَوَارِثِ كَالفَيَضَانَاتِ وَالغَرَقِ

وَالحَرَائِقِ وَكَسَادِ الأَسْعَارِ وَغَيْرِ ذلِكَ مِنْ أَنْواعِ النَّقْصِ.

وَقَدْ يُعَاقِبُ اللهُ النَّاسَ بِانْحِبَاسِ الأَمْطَارِ، وَغوْرِ الآبَارِ، وَقِلَّةِ المِيَاهِ أَوِ انْعِدَامِهَا، فَيَنْشَأُ عَنْ ذلِكَ هَلاَكُ الزُّرُوعِ وَالأَشْجَارِ وَالمَرَاعِي، وَغَلاَءُ الأَسْعَارِ، وَغَيْرُ ذلِكَ مِنَ الأَضْرَارِ.

وَجُنُودُ الله التِي يُسَلِّطُها عَلَى مَنْ حَارَبَهُ كَثِيرَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ لاَ يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام: ٦٥].

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - وَاحْذَرُوا مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ.

* * *

فِي تَحْرِيمِ أَذِيَّةِ المُسْلِمِينَ فِي مَرَافِقِهِم

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَمَرَ بِالإِحْسَانِ وَالتَّعَاونِ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَىٰ، وَنَهَىٰ عَنِ الإِسَاءَةِ وَالأَذَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ جَاءَ بِالحَقِّ وَالهُدَىٰ، وَأَمَرَ بِبَذْلِ النَّدَى وَكَفِّ الأَذَىٰ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالذينَ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِمْ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاحْذَرُوا أَذِيَّةَ المُسْلِمِينَ فِي طُرُقَاتِهِمْ وَجَمِيعِ مُرْتَفَقَاتِهِم. فَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ إِمَاطَةَ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ، وَأَسْبَابِ دُخُولِ الجِنَانِ، وَأَنَّهَا مِنْ أَنْوَاعِ الصَّدَقَةِ وَالإِحْسَانِ، وَأَنَّ وَضْعَ الأَذَىٰ فِي الطَّرِيقِ مِنْ أَعْظَمِ الإِسَاءَةِ وَالعِصْيَانِ، وَمِنْ أَسْبَابِ اللَّعْنَةِ وَالخِذْلاَنِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ سَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاَهَا قَوْلُ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»** رَواه البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا[1].

وَالأَذَىٰ: كُلُّ مَا يُؤْذِي المَارَّ؛ كَالحَجَرِ، وَالشَّوْكَةِ، وَالعَظْمِ، وَالنَّجَاسَةِ، وَالحَدِيدِ، وَالزُّجَاجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَإِمَاطَتُهُ: تَنْحِيَتُهُ وَإِزَالَتُهُ.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَىٰ يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ**

---

(١) رواه البخاري (٦١١٧) ومسلم (٣٧) وغيرهما.

فِي مَسَاوِىءِ أَعْمَالِهَا النُّخَامَةَ تَكُونُ فِي المَسْجِدِ لاَ تُدْفَنُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ سُلاَمَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ شَمسٌ تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ. وَبِكُلِّ خُطوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ». رَواهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[(٢)].

وَالسُّلاَمَىٰ: هِي العِظَامُ الدَّقِيقَةُ، وَالمَفَاصِلُ الَّتِي فِي جِسْمِ الإِنْسَانِ، وَمَعْنَىٰ الحَدِيثِ: أَنَّ تَرْكِيبَةَ هٰذِهِ العِظَامِ وَسَلاَمَتَهَا مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ، فَيَحْتَاجُ كُلُّ عَظْمٍ مِنْهَا إِلَى صَدَقَةٍ يَتَصَدَّقُ ابْنُ آدَمَ عَنْهُ بِهَا، لِيَكُونَ ذٰلِكَ شُكْرًا لِهٰذِهِ النِّعْمَةِ.

وَمِنْ أَنْوَاعِ هَذِهِ الصَّدَقَةِ إِزَالَةُ الأَذَىٰ عَنْ طُرُقَاتِ المُسْلِمِينَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ فَأَخَذَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ»، رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[(٣)].

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي المُسْلِمِينَ».

وَكَمَا جَاءَ التَّرْغِيبُ فِي إِزَالَةِ الأَذَىٰ عَنْ طُرُقَاتِ المُسْلِمِينَ مِنْ أَجْلِ سَلاَمَةِ المَارَّةِ، فَقَدْ جَاءَ الوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِي حَقِّ مَنْ يُلْقِي الأَذَىٰ فِي الطُّرُقَاتِ، وَيُؤْذِي المَارَّةَ وَيُعَرْقِلُ السَّيْرَ فِي الطَّرِيقِ.

رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) رواه مسلمٌ (٥٥٣).

(٢) رواه البخاريُّ (٢٧٠٧)، ومسلمٌ (١٠٠٩).

(٣) رواه البخاريُّ (٦٥٢)، ومسلمٌ (١٩١٤).

ﷺ: «اتَّقُوا اللاَّعِنَيْنِ: الذِي يَتَخَلَّىٰ فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ ظِلِّهِم»[1] وَمَعْنَاه: النَّهْيُ عَنْ قَضَاءِ الحَاجَةِ فِي الطَّرِيقِ الذِي يَسْلُكُهُ النَّاسُ، أَوْ فِي الظِّلِّ الذِي يَجْلِسُونَ فِيهِ، وَأَنَّ مَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ فَهُو مُسْتَحِقٌّ لِلَّعْنَةِ وَالعُقُوبَةِ، لأَنَّهُ يُؤْذِي النَّاسَ بِذٰلِكَ وَيُنَجِّسُهُمْ أَوْ يَحْرِمُهُم المُرُورَ فِي الطَّرِيقِ وَالجُلُوسَ فِي الظِّلِّ، وَهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى ذَلِكَ، فَيَدْعُونَ عَلَيْهِ بِاللَّعْنَةِ.

وَقَدْ تَسَاهَلَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ اليَوْمَ فِي هٰذَا الأَمْرِ، فَصَارُوا لاَ يُبَالُونَ بِأَذِيَّةِ النَّاسِ فِي طُرُقَاتِهِمْ وَأَمْكِنَةِ جُلُوسِهِمْ وَاسْتِرَاحَاتِهِمْ، يَحْفِرُونَ الحُفَرَ فِي الطَّرِيقِ وَيَطْرَحُونَ القِمَامَةَ، وَيُلْقُونَ الأَحْجَارَ، وَالحَدِيدَ، وَقِطَعَ الزُّجَاجِ، وَيُرسِلُونَ المِيَاهَ، وَيُوقِفُونَ السَّيَّارَاتِ فِي الطُّرُقَاتِ وَلَو كَانَ فِي ذَلِكَ أَذِيَّةُ النَّاسِ وَسَدُّ الطَّرِيقِ وَعَرْقَلَةُ السَّيْرِ، وَتَعْرِيضُ المَارَّةِ لِلْخَطَرِ، وَنَسُوا أَوْ تَنَاسَوْا مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الوَعِيدِ وَالإِثْمِ، وَلاَ تَجِدُ مَنْ يَحْتَسِبُ الأَجْرَ فَيُزِيلُ هٰذَا الأَذَىٰ أَوْ يَتَسَبَّبُ فِي إِزَالَتِهِ بِمُرَاجَعَةِ المَسْؤولِينَ عَنْ ذٰلِكَ. وَإِذَا كَانَ هُنَاكَ ظِلٌّ حَوْلَ الطُّرُقِ العَامَّةِ الطَّوِيلَةِ مِنْ شَجَرٍ أَوْ كَبَارِي يَسْتَرِيحُ فِيهَا المُسَافِرُونَ، جَاءَ مَنْ يُفْسِدُ ذَلِكَ عَلَيْهِم بِوَضْعِ القَاذُورَاتِ وَالأَوْسَاخِ فِيهَا، أَو التَّبَوُّلِ وَالتَّغَوُّطِ، أَوْ تَفْرِيغِ زَيْتِ السَّيَّارَةِ، أَوْ ذَبْحِ الأَغْنَامِ، وَتَرْكِ الدَّمِ وَالفَرْثِ وَالعِظَامِ ومُخَلَّفَاتِ الطَّعَامِ، أَوْ غَيْرِ ذلِكَ مِمَّا يُفْسِدُ الظِّلَّ عَلَىٰ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ!! أَيْنَ الإِيمَانُ؟ أَيْنَ الإِنْسَانِيَّةُ؟ أَيْنَ الشِّيمَةُ وَالمُرُوءَةُ؟ أَيْنَ خَوْف اللهِ؟ مِنْ هَؤُلاَءِ المُسْتَهْتِرِينَ بِحُرُمَاتِ المُسْلِمِينَ وَحُقُوقِهِمْ وَمُرْتَفَقَاتِهِمْ؟ مَاذَا سَيَكُونُ شعُورُ المُسْلِمِ إِذَا سُدَّ الطَّرِيقُ فِي وَجهِهِ أَوْ مُلِىءَ بِالأَوْسَاخِ وَالوَحْلِ، أَوْ مُلِىءَ بِالأَحْجَارِ وَالحَدِيدِ وَقِطَعِ الزُّجَاجِ وَالعُلَبِ

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٦٩).

«وَالكَرَاتِينِ» الفَارِغَةِ، أَوْ عُمِّقَتْ فِيهِ الحُفَرُ، أَوْ دُنِّسَ بِالأَنْجَاسِ وَالرَّوَائِحِ الكَرِيهَةِ؟!!

وَمَاذَا سَيَكُونُ شُعُورُ المُسْلِمِ إِذَا أَجْهَدَهُ السَّيْرُ فِي السَّفَرِ وَمَسَّهُ حَرُّ الشَّمْسِ وَالسَّمُومِ فَأَوَى إِلَى ظِلٍّ ليستريح فيه، وعندما يصلُ إليه يجدُه مليئًا بالقاذوراتِ والروائح الكريهة وَالمَنَاظِرِ البَشِعَةِ؟، مَاذَا سَيَكُونُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الغَضَبِ؟ وَمَاذَا سَيَقُولُ بِلِسَانِهِ فِي حَقِّ مَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ مِنَ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ؟ وَهُو مُسْتَحِقٌّ لِذٰلِكَ بِقَبِيحِ فِعْلِهِ وَإِسَاءَتِهِ إِلَى إِخْوَانِهِ المُسْلِمِينَ؟!

فَاتَّقُوا اللهَ، يَا مَنْ تُؤْذُونَ النَّاسَ فِي طُرُقَاتِهِمْ وأمكنةِ استراحاتِهم، كُفُّوا أذاكم واحترموا حقَّ إخوانِكم، واتقوا دعواتِ المظلومين؛ فإنها ليس بينها وبين اللهِ حجابٌ

ومن أذيةِ المسلمين في طرقاتهم مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ السُّفَهَاءِ مِنْ وُقُوفِهِمْ بِالسَّيَّارَاتِ فِي وَسَطِ الشَّوَارِعِ بَعْضُهُمْ إِلَى جَانِبِ بَعْضٍ يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَمَازَحُونَ وَيَحْجِزُونَ الطَّرِيقَ عَلَى المَارَّةِ وَيُعَرِّضُونَ النَّاسَ لِلخَطَرِ. وَهٰذَا مُنْكَرٌ ظَاهِرٌ يَجِبُ إِنْكَارُهُ وَتَأْدِيبُ مَنْ فَعَلَهُ.

وَمِنْ ذٰلِكَ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُهُم مِنْ تَرْوِيعِ النَّاسِ وَإِزْعَاجِهِمْ بِالعَبَثِ بِالسَّيَّارَاتِ، بِمَا يُسَمُّونَهُ «بِالتَّفْحِيطِ»، وَهُو فِي الحَقِيقَةِ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ السُّخفِ وَالتَّخَلُّفِ العَقْلِيِّ وَالتَّخَلُّفِ الحَضَارِيِّ وَكُفْرَانٌ لِلنِّعْمَةِ.

وَمِنْ ذٰلِكَ الطَّيْشُ فِي قِيَادَةِ السَّيَّارَاتِ، وَالتَّهَوُّرُ فِي السُّرْعَةِ، وَإِزْعَاجُ النَّاسِ بِأَصْوَاتِ أَبْوَاقِ السَّيَّارَاتِ، خُصُوصًا عِنْدَمَا يَسْمَعُونَ بِانْتِصَارِ فَرِيقٍ رِيَاضِيٍّ عَلَى فَرِيقٍ آخَرَ حَسْبَ تَعْبِيرِهِم، وَهُو فِي الحَقِيقَةِ لَيْسَ بِانْتِصَارٍ، وَإِنَّمَا هُو خَسَارٌ وَهُبُوطٌ وَتَأَخُّرٌ؛ لأنَّ الانْتِصَارَ الحَقِيقِيَّ هُو التَّقَدُّمُ وَالظَّفَرُ بِمَا يَنْفَعُ الأُمَّةَ وَيَزِيدُ فِي

قُوَّتِهَا وَمَا فِيهِ رِفْعَةُ دِينِهَا.

وَمِنْ أَذِيَّةِ المُسْلِمِينَ فِي طُرُقَاتِهِم وَتَعْرِيضِهِم لِلخَطرِ أَنْ يَتَوَلَّىٰ قِيَادَةَ السَّيَّارَاتِ بَعْضُ مَنْ لاَ يُحْسِنُونَ القِيَادَةَ، أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ السَّيْطَرَةَ عَلَيْهَا لِصغَرِ أَسْنَانِهِمْ مِنَ الأَطْفَالِ، فَيُعَرِّضُونَ أَنْفُسَهَمْ وَيُعَرِّضُونَ غَيْرَهُمْ لِلْخَطَرِ. فَيَجِبُ عَلَى وُلاَةِ الأُمُورِ وَعَلَى أَوْلِيَاءِ الصِّغَارِ مَنْعُهُم مِنْ قِيَادَةِ السَّيَّارَاتِ إِشْفَاقًا عَلَيْهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الخَطَرِ، وَيَجِبُ التَّعَاونُ مَعَ وُلاَةِ الأُمُورِ فِي دَرْءِ هٰذَا الخَطَرُ عَنِ المُسْلِمِينَ.

وَمِنْ أَذِيَّةِ المُسْلِمِينَ الجُلُوسُ عَلَى الطرُقَاتِ لِمَا فِي ذٰلِكَ مِنَ الاطِّلاَعِ عَلَى شُؤُونِهِم الخَاصَّةِ التِي لاَ يُحِبُّونَ الاطِّلاَعَ عَلَيْهَا، وَلِمَا فِي ذلِكَ مِنَ النَّظَرِ إِلَى مَا لاَ يَجُوزُ النَّظَرُ إِلَيْهِ مِنَ النِّسَاءِ وَغَيْرِ ذلِكَ مِنَ المَحاذِيرِ، وَأَشَدُّهَا عَدَمُ القِيامِ بِالوَاجِبِ نَحْوَ المَارَّةِ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِذَا أَبَيْتُم إِلاَّ المَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**» قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَال: «**غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١]. فَدَلَّ هٰذَا الحَدِيثُ عَلَى مَنْعِ الجُلُوسِ فِي الطَّرِيقِ إِلاَّ لِمَنْ قَامَ بِحَقِّهِ مِنْ هٰذِهِ الأُمُورِ.

وَأَمَّا مَنْ جَلَسَ لِلتَّفَرُّجِ، وَلَمْ يَقُمْ بِمَا أَرْشَدَ إِلَيْهِ ﷺ مِنْ هٰذِهِ الأُمُورِ فَهُو آثِمٌ، وَيَجِبُ عَلَى وُلاَةِ الأُمُورِ مَنْعُهُ مِنْ ذلِكَ، خُصُوصًا مَنْ يَحْصُلُ مِنْهُم فِعْلُ المُنْكَرِ،

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٤٦٥)، ومسلمٌ (٢١٢١).

كَالذِينَ يُغَازِلُونَ النِّسَاءَ، وَيُلاَحِقُونَهُنَّ بَقصْدِ الفَسَادِ.

وَمِنْ أَذِيَّةِ المُسْلِمِينَ تَحْوِيلُ الشَّوَارعِ إِلَىٰ مَلاَعِبَ لِلْكُرَةِ، مِمَّا يَتَسَبَّبُ بِكَثْرَةِ الصَّخَبِ وَالتَّجَمُّعَاتِ حَوْلَهَا مِمَّا يُؤْذِي المَارَّةَ وَأَصْحَابَ البُيُوتِ، وَرُبَّمَا يَتَسَبَّبُ عَنْهُ أَضْرَارٌ كَثِيرَةٌ وَتَجَمُّعَاتٌ مَشْبُوهَةٌ.

وَمِنْ أَذِيَّةِ المُسْلِمِينَ فِي الطَّرِيقِ مُخَالَفَةُ بَعْضِ سَائِقِي السَّيَّارَاتِ لأَنْظِمَةِ المُرُورِ وَأُصُولِ القِيَادَةِ كَالتَّهَوُّرِ فِي السُّرْعَةِ، وَعَدَمِ التِزَامِ خَطِّ السَّيْرِ، وَقَطْعِ إِشَارَةِ الوقُوفِ أَو الوُقُوفِ فِي الأَمْكِنَةِ التِي يُمْنَعُ الوقُوفُ فِيهَا، أَوْ قِيَادَةِ السَّيَّارَةِ وَهُو فِي حَالَةٍ لاَ يَتَمَكَّنُ مِنْ ضَبْطِ القِيَادَةِ كَمَا يَنْبَغِي، كَمَنْ يُغَالِبُهُ النُّعاسُ، وَجَمِيعِ هٰذِهِ الأَحْوَالِ تُعَرِّضُ الإِنْسَانَ وَتُعَرِّضُ غَيْرهُ لِلْخَطَرِ، فَيَجِبُ تَلافِيهَا وَالحذَرُ مِنْهَا.

فَكَمْ نَجَمَ عَنْ هَذِهِ الأَحْوَالِ مِنْ حَوَادِثَ ذَهَبَتْ فِيهَا أَنْفُسٌ كَثِيرَةٌ مُحْتَرَمَةٌ، أَوْ تَعَطَّلَتْ فِيهَا أَعْضَاءٌ، وَتَعَيَّبَتْ فِيهَا أَجْسَامٌ، وَتَعَطَّلَتْ فِيهَا حَوَاسٌ، وَكُلُّ ذٰلِكَ رَاجِعٌ إِلَى تَفْرِيطِ السَّائِقِينَ، أَوْ تَهَوُّرِهِم، أَوْ جَهْلِهِم بِأُصُولِ القِيَادَةِ، أَوْ تَهَاوِنِهِم بِأَرْوَاحِ النَّاسِ.

إِنَّ مَسْؤُولِيَّةَ هٰذِهِ الحَوَادِثِ وَمَا يَنْجُمُ عَنْهَا مِنَ الأَضْرَارِ مِنْ تَلفِ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ يَتَحَمَّلُهَا هَؤُلاَءِ السَّائِقُونَ، وَمَنْ يمكِّنُهُمْ مِنْ قِيَادَةِ السَّيَّارَاتِ وَهُم لاَ يُحْسِنُونَهَا.

إِنَّ السَّيَّارَاتِ بِمَثَابَةِ الأَسْلِحَةِ الفَتَّاكَةِ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَتَوَلاَّهَا إِلاَّ مَنْ يُحْسِنُ اسْتِعْمَالَهَا وَالتَّصرُّفَ فِيهَا، وَيَجِبُ الحَذَرُ مِنَ التَّلاَعُبِ بِهَا وَالتَّسَاهُلِ فِي شَأْنِهَا.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ فِي أَنْفسِكُمْ وَفِي إِخْوَانِكُمْ، وَاحْتَرِمُوا حُقُوقَ المُسْلِمِينَ، وَاجْتَنِبُوا أَذيَّتَهُم وَالإِضْرَارَ بِهِم.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ ذِي الفَضْلِ وَالإِنْعَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، ذو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المَبْعُوثُ بِالهُدَىٰ وَدِينِ الإِسْلاَمِ، عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا الله تَعَالَىٰ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يُحْدِثَ فِي طَرِيقِ المُسْلِمِينَ مَا يَضُرُّ بِهِمْ وَإِنْ كَانَ هُو يَنْتَفِعُ بِذٰلِكَ، فَلاَ يَجُوزُ لأَصْحَابِ البِنَايَاتِ وَقْتَ البِنَاءِ وَضْعُ مَوَاد البِنَاءِ فِي الطَّرِيقِ، وَلاَ حَفْرُ الحُفَرِ وَإِقَامَةُ الحَوَاجِزِ التِي تَمْنَعُ المَارَّةَ أَوْ يَشُقُّ عَلَيْهِم تَجَاوزُهَا، وَلاَ يَجُوزُ لأَصْحَابِ البُيُوتِ وَضْعُ الخَزَّانَاتِ البَارِزَةِ لِلمَاءِ أَو الغَازِ، أَوْ تَرْكِيبُ أَجْهِزَةِ التَّكْيِيفِ إِذَا كَانَتْ تَأْخُذُ جُزْءًا مِنَ الطَّرِيقِ، وَتُضَايِقُ المَارَّةَ بِالاصْطِدَامِ بِهَا أَوْ تَتَسَرَّبُ مِنْهَا المِيَاهُ عَلَى الطَّرِيقِ، وَلاَ يَجُوزُ إِرْسَالُ مَاءِ الغَسِيلِ مِنَ البُيُوتِ إِلَى الشَّوَارِعِ، وَلاَ عَمَلُ الدَّرَجِ لِلْمَدَاخِلِ، أَوْ بِنَاءُ الدكاتِ التِي يُجْلَسُ عَلَيْهَا، أَوْ عَمَلُ الرّوشنِ المعْتَرِضِ أَو الجَانِبِيِّ، إِذَا كَانَتْ هذِهِ الأَشْيَاءُ تُضَيِّقُ الشَّوَارِعَ، وَتَضُرُّ بِالمَارَّةِ، وَلاَ يَجُوزُ رَبْطُ الدَّوَابِّ وَإِيقَافُ السَّيَّارَاتِ فِي الشَّوَارِعِ، إِذَا كَانَ فِي ذٰلِكَ احْتِجَازٌ لِشَيءٍ مِنَ الطريق وإيذاء للمارة، وكذا لايجوز من باب أولى تركُ الدوابِّ تعترضُ في الشوارع أو في طُرُقِ السَّيَّارَاتِ العَامَّةِ فِي الصَّحرَاءِ، لمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذٰلِكَ مِنْ

تَعْرِيضِ النَّاسِ لِلْخَطَرِ بِالاصْطِدَامِ بِهَا، وَكَمْ حَصَلَ مِنْ جَرَّاءِ ذٰلِكَ مِنْ كَوَارِثَ مُرَوِّعَةٍ.

وَلاَ يَجُوزُ غَرْسُ الأَشْجَارِ وَغَرْزُ المَوَاسِيرِ وَالقُضْبَانِ فِي الشَّوَارِعِ وَالطُّرقَاتِ؛ لأَنَّهَا مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، فَلاَ يَجُوزُ لأَحدٍ الاسْتِئْثَارُ بِهَا؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذٰلِكَ مِنَ الإِضْرَارِ بِالنَّاسِ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ـ وَكُفُّوا أَذَاكُمْ عَنِ الطُّرُقَاتِ تَسْلَمُوا مِنَ العِقَابِ، وَأَمِيطُوا عَنْهَا الأَذىٰ الحَاصِلَ مِنْ غَيْرِكُمْ تَفُوزُوا بِالثَّوَابِ.

وَاعْلَمُو أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ . . . إلخ.

* * *

بِمناسبَةِ تأخُّرِ نُزولِ المَطَرِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، يَبْتَلِي عِبَادَهُ بِالشَّدَائِدِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الخَلْقِ أَجْمَعِينَ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الأَكْرَمِينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَاحْذَرُوا عِقَابَه وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ، وَتُوبُوا مِنْ ذُنُوبِكُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ لاَ يغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَى يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّكُمْ فِي هَذَا العَامِ تَشْكُونَ مِن امْتِنَاعِ المَطَرِ الذِي بِهِ حَيَاتُكُمْ وَحَيَاةُ مَوَاشِيكُمْ وَزُرُوعِكُمْ وَأَشْجَارِكُمْ، فَتَذَكَّرُوا أَنَّهُ مَا حُبِسَ عَنْكُمْ إِلاَّ بِذُنُوبِكُمْ، وأَنَّ اللهَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ عِنْدَ انْحِبَاسِ المَطَرِ بالاسْتِغْفَارِ مِنَ الذُّنُوبِ التِي هِيَ السَّبَبُ فِي مَنْعِهِ؛ فَقَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢] وَقَالَ تَعَالَى: عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلاَم: ﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢].

وَقَدْ شَرَعَ لَنَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ صَلاَةَ الاسْتِسْقَاءِ عِنْدَ انْحِبَاسِ الأَمْطَارِ، لِيَرْجِعَ النَّاسُ إِلَى رَبِّهِمْ وَيَتُوبُوا مِنْ ذُنُوبِهِم.

وَلَيْسَ الاسْتِغْفَارُ مجَرَّدَ لَفْظٍ يُرَدَّدُ عَلَى اللِّسَانِ، ولَيستْ صَلاَةُ الاسْتِسْقَاءِ مجَرَّدَ عَادَةٍ تُفْعَلُ فِي الأَوْطَانِ، وَإِنَّمَا هُمَا تَوْبَةٌ وَنَدَمٌ، وَعِبَادَةٌ وَخُضُوعٌ لِرَبِّ العَالَمِينَ، وَتَحَوُّلٌ مِنْ حَالَةِ فَسَادٍ إِلَى حَالَةِ صَلاَحٍ، فَلاَ بُدَّ أَنْ تَكُونَ حَالُ المُسْلِمِينَ بَعْدَ صَلاَةِ الاسْتِسْقَاءِ أَحْسَنَ مِنْ حَالِهِمْ قَبْلَهَا، إِذَا كَانُوا صَادِقِينَ فِي تَوْبَتِهِمْ وَمُعْتَرِفِينَ بِذُنُوبِهِمْ، لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي دُعَاءِ الاسْتِسْقَاءِ فَلاَ يحُطُّهُمَا إلاَّ وقد نَشَأَ السَّحَابُ، وَسَالَتِ الأَوْدِيَةُ وَالشِّعَابُ؛ لأَنَّهُ صَادِقٌ مَعَ رَبِّهِ، وَكَذٰلِكَ خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ، وَصَحَابَتُهُ الأَكْرَمُونَ، كَانُوا يَسْتَسْقُونَ فَيُسْقَوْنَ، وَيَسْأَلُونَ فيُعْطَوْنَ، لِصِدْقِهِمْ مَعَ اللهِ فِي تَوْبَتِهِمْ وَرَغْبَتِهِمْ إِلَى اللهِ فِي دُعَائِهِم.

اسْتَسْقَى النَّبِيُّ ﷺ فِي بَعْض غَزَواتِهِ لَمَّا سَبَقَهُ المُشْرِكُونَ إِلَى المَاءِ، فَأَصَابَ المُسْلِمِينَ العَطَشُ، فَشَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُ المُنَافِقِينَ: لَوْ كَانَ نَبِيًا لاسْتَسْقَىٰ لِقَومِهِ كَمَا اسْتَسْقَىٰ مُوسَى لِقَوْمِهِ، فَبَلَغَ ذٰلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فقَالَ: «**أَوْ قَدْ قَالُوهَا، عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَسْقِيكُمْ**» ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ وَدَعَا، فَمَا رَد يَدَيْهِ مِنْ دُعَائِهِ حَتَّىٰ أَظَلَّهُم السَّحَابُ، وَأمْطِرُوا، فَأَنْعَمَ السَّيْلُ الوَادِيَ، فَشَرِبَ النَّاسُ وَارْتَوَوْا.

وَلَمَّا شَكا المُسْلِمُونَ فِي المَدِينَةِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قُحُوطَ المَطَرِ، خَرَجَ فَصَلَّىٰ بِهِم، ثُمَّ دَعَا اللهَ تَعَالَىٰ، فَأَنْشَأَ اللهُ سَحَابَةً، فَرَعَدتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتىٰ سَالَتِ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأىٰ سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ، فَقَالَ: «**أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ وَأَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**».

وَعَنْ أَنسِ بنِ مَالِكٍ ـ رضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَجُلاً دَخلَ المَسْجِدَ يَوْمَ الجُمُعَةِ مِنْ

بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ القَضَاءِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يا رسُولَ اللهِ، هَلكَتِ الأَمْوالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُغِيثُنَا، قَالَ: فَرفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا» قَالَ أَنَسٌ: فَلاَ وَاللهِ مَا نَرَىٰ فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلا قَزَعَةٍ وَما بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلاَ دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِه سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ. قَالَ: فَلاَ وَاللهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمسَ سَبْتًا، أَيْ: أُسبُوعاً، قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذلكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُمْسِكُهَا عَنَّا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَال: «اللَّهُمَّ حَوالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا. اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»، فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ.

فَقَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الحَالِ بِالاسْتِسْقَاءِ وَالاسْتِصحَاءِ. كَذٰلِكَ هُو سُبْحَانه قَرِيبٌ مُجِيبٌ، يَسْتَجِيبُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا دَعَوْه صَادِقِينَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أَمَّا إِذَا دَعَوْهُ بِأَلْسِنَةٍ كَاذِبَةٍ وَقُلُوبٍ غَافِلَةٍ وَأَفْعَالٍ فَاسِدَةٍ، وَهُم مُصِرُّونَ على الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي لاَ يُغَيِّرونَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ شَيْئًا، فَهؤُلاَءِ لاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ دُعَاءٌ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: أَنْتُمْ تَسْتَبْطِئُونَ نُزُولَ الغَيْثِ وأَنَا أَسْتَبْطِيء نزُولَ الحجَارَةِ مِنَ السَّمَاءِ. وَلِذَلِكَ تَرَوْنَ النَّاسِ اليَوْمَ يَسْتَغِيثُونَ وَيَسْتَغِيثُونَ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ، لاَ لِقِلَّةٍ فِي خَزَائِنِ اللهِ، وَلَكِنْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، أَمَا تَرَوْنَ الصَّلاَةَ قَدْ أُضِيعَتْ؟ أَمَا تَرَوْنَ المُحَرَّمَاتِ قَدِ انْتُهِكَتْ؟ أَمَا تَرَوْنَ جَانِبَ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَنِ

المُنْكَرِ قَدْ خَفَّ؟ أَما تَرَوْنَ الأَمَانَاتِ قَدْ ضُيِّعَتْ؟ أَما تروْنَ المُعَامَلاَتِ قَدْ فَسَدَتْ؟ أَما تَرَوْنَ الرِّبَا قَدْ فَشَا وَانْتَشَرَ؟ أَما تَرَوْنَ المَعَازِفَ وَالمَزَامِيرَ قَدْ عَلَتْ أَصْوَاتُهَا فِي البُيوتِ وَالأَسْوَاقِ؟ أَمَا تَرَوْنَ الغيرَةَ قَدْ ذَهَبَتْ؟ أَما تَرَونَ المَسَاجِدَ قَدْ هُجِرَتْ؟ فَلاَ يَرْتَادُهَا إلاَّ القَلِيلُ، أَمَّا تَرَوْنَ الآبَاءَ قَدْ أَهْمَلُوا أَوْلاَدَهُمْ وَالأَوْلاَدَ عَقُّوا آبَاءَهُم؟! هَلْ غَيَّرنا مِنْ هٰذِهِ الأُمُورِ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ نَسْتَسْقِيَ، حَتَّى يُغَيِّرَ اللهُ ما بِنَا؟!

لاَ نَقُولُ: إِنَّ هٰذِه الأَوْصَافَ السيئَةَ عَمَّتْ جَمِيعَ المُسْلِمِينَ، فَهُنَاكَ مِنْ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ مَنْ هُمْ سَالِمُونَ مِنْهَا فِي أَنْفُسِهِمْ، لَكِنَّهُمْ لاَ يحَاوِلُونَ إِصْلاَحَ غَيْرِهِمْ، وَلاَ يَقُومُونَ بِوَاجِبِ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَنِ المُنْكَرِ حَسْبَ اسْتِطَاعَتِهِمْ، وَالعُقُوبَةُ إِذَا نَزَلَتْ عَمَّتِ الجَمِيعِ؛ عَمَّتِ العَاصِينَ لِمَعْصِيَتِهِمْ، وَالصَّالِحِينَ بِسُكُوتِهِمْ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٥].

وَعَنْ ثَوْبَان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ» رَواه النَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، وَابْنُ حبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ».

وَعَنْ أَبِي الأَحْوَصِ قَالَ: قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥] فَقَالَ: كَادَ الجُعلُ يُعذَّبُ فِي جُحْرِهِ بِذَنْبِ ابْنِ آدمَ. رَواه الحَاكِمُ، وَقَالَ: صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَجَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩].

إِنَّ الحَشَرَاتِ تَلْعَنُ عُصَاةَ بَنِي آدمَ، وَتَقُولُ: إِنَّمَا مُنِعْنَا القَطْر بِسَبَبِهِم.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأعراف: ١٣٠].

أَيْ: أَصَابَهُم اللهُ بِالجَدْبِ وَالقَحْطِ، وَأَصَابَ ثِمَارَهَم وَغَلاَّتِهِمْ بالآفَاتِ، وَالعَاهَات، ليتَّعِظُوا بِذٰلِكَ وَيَتُوبُوا.

وَهَا هِي سُنَّةُ الله لاَ تَتَبَدَّلُ في عَالَمِنَا المُعَاصِرِ، فَكَمْ أَصَابَهمْ مِن احْتِبَاسِ الأمْطَارِ، وَاجْتِيَاحِ الثِّمَارِ وَالأَمْرَاضِ وَالمَجَاعَاتِ، فَهلْ غَيَّرُوا مِنْ حَالِهِم، أَوْ أَصْلَحُوا مَا فَسَدَ مِنْ أَعْمَالِهِم؟ هَل تَذَكَّرُوا ذُنُوبَهُم، فَأَصْلَحُوا عُيُوبَهُم؟. إنَّ الكَثِيرَ وَالكَثِيرَ فِي غَفْلَةٍ مَعْرِضُونَ، وَنَخْشَىٰ أَنْ يُصِيبَنَا مَا أَصَابَ الأَوَّلِينَ.

إنَّ فِي تَصْرِيفِ الأَمْطَارِ، بِإِنْزَالِهَا فِي بَعْضِ الأَقْطَارِ، وَحَبْسِهَا عَنْ بَعْضِ الدِّيَارِ، لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصارِ، وَعِظَةً لِلْعُصَاةِ وَالفُجَّارِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ [الفرقان: ٤٨ـ٥٠].

وَإِنَّ القَادِرَ عَلَى مَنْعِ نُزُولِ الأمْطَارِ، قَادِرٌ عَلَىٰ تَغْوِيرِ المِيَاهِ منَ الآبَارِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ مُخَوِّفًا عِبَادَهُ مِنْ ذٰلِك: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ [الملك: ٣٠]. وقال تعالى ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ [الكهف: ٤١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢]. أي: لاتقدرون على حفظه في الآبار، والغدائر والعيون، بل نحن الحافظون له فيها؛ ليكون ذخيرة لكم عند الحاجة إليه. وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٨]. أَيْ: كَمَا قَدَرْنَا عَلى إِنْزَالِهِ فَنَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى سَحْبِهِ منْ مَخَازِنِهِ فِي الأرْضِ وَتَغْوِيرِهِ فِي أَعْمَاقِهَا، فَلاَ تَسْتَطِيعُونَ الحُصُولَ عَلَيْهِ مَهْمَا بَذَلْتُمْ فِي طَلَبِهِ وَالبَحْثِ عَنْهُ: حَتَّى يَهْلِكَ النَّاسُ بِالعَطَشِ، وَتَهْلِكَ مَوَاشِيهِمْ وَحُرُوثُهُمْ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاحْذَرُوا مِنْ هٰذِه التَّهْدِيدَاتِ، وَتُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَادْعُوهُ أَنْ يغِيثَكُمْ وَيَسْقِيَكُمْ، فَإِنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، يُجِيبُ مَنْ دَعَاهُ، وَلاَ يُخَيِّبُ مَنْ رَجَاهُ.

وَإِيَّاكُمْ وَقَسْوَةَ القُلُوبِ عِنْدَ نُزُولِ المَصَائِبِ، فَإِنَّهَا سَبَبُ الهَلاَكِ وَالدَّمَارِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٢ ـ ٤٥].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ الذِي لَهُ مَا فِي السَّمَواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُو الحَكِيمُ الخَبِيرُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ البَشِيرُ النَّذِيرُ، صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَالذِينَ هُمْ فِي الحُرُوبِ أُسُودٌ وَفِي الظُّلَمِ بدُورٌ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ البَعْثِ وَالنُّشُورِ..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مهمَا بَلَغَ العَبْدُ مِنَ الذُّنُوبِ والمَعَاصِي، فَإِنَّهُ لاَ يَجُوزُ لَهُ القُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَتَرْكُ التَّوْبَةِ؛ فَإِنَّ القُنُوطَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ كُفرٌ وَضَلاَلٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف: ٨٧] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا

ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر: ٥٦]. وَقَالَ تَعالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن﴾ [الزمر: ٥٣ ـ ٥٤].

فتوبُوا إِلَى اللهِ، وَاسْأَلُوه أَنْ يُغِيثَكُمْ، وَأَحْيُوا سُنَّة نَبِيِّكُمْ بِإِقَامَةِ صَلاةِ الاسْتِسْقَاءِ، فَإِنَّهَا مِنْ آكَدِ السُّنَنِ، فِرُّوا إِلَى اللهِ، وَاخْرُجُوا إِلَى مُصَلاَّكُمْ مُتَوَاضِعِينَ مُتَخَشِّعِينَ مُظْهِرِينَ لِفَقْرِكُمْ وَحَاجَتِكُمْ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهمَا فِي وَصْفِ خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ للاسْتِسْقَاءِ قَالَ: خَرَجَ النَّبيُّ ﷺ مُتَوَاضِعًا مُتَبَذِّلاً مُتَخَشِّعًا مُتَرَسِّلاً مُتَضَرِّعًا، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَمَا يُصَلِّي العِيدَ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا.. إلخ.

* * *

التَّذْكِيرُ بِمَا حَصَلَ فِي بَعْضِ البِلَادِ مِنْ حَوَادِثِ الفَيَضَانَاتِ

الحَمْدُ للهِ الذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُو الحَكِيمُ الخَبِيرُ، يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَهُو الرَّحِيمُ الغَفُورُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ البَشِيرُ النَّذِيرُ وَالسِّرَاجُ المُنِيرُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَتَفَكَّرُوا فِيمَا يَجْرِي مِنَ الحَوَادِثِ وَمَا فِيهَا مِنَ العِبَرِ، وَتَذَكَّرُوا، فَإِنَّ العَاقِلَ مَنْ تَذَكَّرَ وَاعْتَبَرَ، وَلاَ يَكُنْ حَظُّكُمْ مِنْهَا مُرُورهَا عَلَى الآذَانِ دُونَ أَنْ تَنْفُذَ إِلَى القُلُوبِ، لاَ بُدَّ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ مَا جَرَى فِي بَعْضِ الدُّولِ مِنْ كَثْرَةِ السُّيولِ التِي تَسَبَّبَتْ فِي هَلاَكِ كَثِيرٍ مِنَ الأَنْفُسِ، وَتَلَفِ الكَثِيرِ مِنَ الأَمْوالِ، والممتلكاتِ، وخراب الكثيرِ من المدن والقرى، حتى أصبح أهلُها بملا مأوى ولا مالٍ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا يَلْبَسُونَ وَيَفْتَرِشُونَ، وَلاَ مَا يَأْكُلونَ وَيَشْرَبُونَ، وَقَدْ عَجَزَتِ الإِمْدَادَاتُ وَالمُسَاعَدَاتُ الدَّوْلِيَّةُ وَمُنَظَّمَاتُ الإِغَاثَةِ أَنْ تَسُدَّ حَاجَتَهُمْ، وَكُلَّمَا اتَّجَهَتِ المُسَاعَدَات إِلَى بَلَدٍ أُصِيبَ البَلَدُ الآخَرُ بِأَشَد مِمَّا أُصِيبَ بِهِ البَلَدُ الأَوَّلُ، كَوَارِثُ يُنْسِي بَعْضُهَا بعضاً وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ.

أَلَمْ يَكُنْ هٰذَا مُذَكِّرًا بِمَا جَرَىٰ للأممِ السابقةِ مما قصَّه اللهُ علينا في القرآنِ

العظيمِ؛ لنعتبرَ به ونتعظ؟! ألم يكن مذكِّرًا بما جرى لِقَوْمِ نُوحٍ مِنَ الغَرَقِ بِالطُّوفَانِ الذي عَمَّ الأَرْضَ وَعَلاَ قِمَمَ الجِبَالِ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُ إِلاَّ نُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَأَصْحَابُ السَّفِينَةِ؟ أَلَمْ يَكُنْ مُذَكِّراً بِمَا جَرَى لِعَادٍ الذِينَ أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذَّارِيَات: ٤٢].

أَلَمْ يَكُنْ مُذَكِّرًا بِمَا جَرَى لِفِرْعَونَ وَجُنودِهِ حَيْثُ أَغْرَقَهُم اللهُ فِي البَحْرِ عَنْ آخِرِهِمْ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ؟ أَلَمْ يَكُنْ مُذَكِّرًا بِمَا جَرَى لِسَبَإٍ مُلُوكِ اليَمَنِ وَأَهْلِهَا الذِينَ كَانُوا فِي نِعْمَةٍ عَظِيمَةٍ فِي بِلاَدِهِمْ مِن اتِّسَاعِ أَرْزَاقِهِم وَوَفْرَةِ زُرُوعِهِم وَثِمَارِهِم وَجَمَالِ بِلاَدِهِم، وَلَمَّا بَعَثَ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ تَأمُرُهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّهِم وَيَشْكُرُوا لَهُ، وَيُفْرِدُوهُ بِالعِبَادَةِ وَيَتْرُكُوا عِبَادَةَ غَيْرِهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْدَادِ، أَعْرَضُوا عَمَّا أُمِرُوا بِهِ وَكَفَرُوا نِعْمَةَ اللهِ، فَعَاقَبَهُم اللهُ بِإِرْسَالِ سَيْلِ العَرِمِ؛ أَي: السَّدّ الذِي انْهَارَ، فَاجْتَاحَ المَاءُ بِلاَدَهُم، وَاجْتَثَّ زُروعَهُم وَأَشْجَارَهُم، وَأَغرَقَ دِيَارَهُمْ، وَدَكَّ حُصُونَهُم، وَأَتْلف أَمْوَالَهُم وَمَحَاصِيلَهُم، فَذَلُّوا بَعْدَ عِزَّةٍ، وَضَعُفُوا بَعْدَ قُوَّةٍ، وَتَفَرَّقُوا بَعْدَ اجْتِمَاعٍ وَأُلْفَةٍ، وَخَافُوا بَعْدَ أَمْنٍ وَمَنَعَةٍ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي قِصَّتِهِم: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥ ـ ١٧].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: فَهَذَا الذِي صَارَ أَمْرُ الجَنَّتَيْنِ إِلَيْهِ بَعْدَ الثِّمَارِ النَّضِيجَةِ، وَالمَنَاظِرِ الحَسَنَةِ، وَالظِّلاَلِ العَمِيقَةِ، وَالأَنْهَارِ الجَارِيَةِ، تَبَدَّلَتْ إِلَى الأَرَاكِ وَالطَّرفَاءِ وَالسِّدْرِ ذِي الشَّوْكِ الكَثِيرِ والثَّمَرِ القَلِيلِ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ

وَشِرْكِهِمْ بِاللهِ وَتَكْذِيبِهِمِ الحَقَ وَعدُولِهِم عَنْهُ إِلَى البَاطِلِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ١٧﴾ [سبأ: ١٧].

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: جَزَاءُ المَعْصِيَةِ: الوَهنُ فِي العِبَادَةِ، وَالضِّيقُ فِي المَعِيشَةِ، وَالتَّعَسُّرُ فِي اللَّذَّةِ. قِيلَ: وَمَا التَّعَسُّرُ فِي اللَّذَّةِ؟ قَالَ: لاَ يُصَادِفُ لَذَّةَ حَلاَلاً إِلاَّ جَاءَهُ مَنْ يُنَغِّصُهُ إِيَّاهَا.

والحَاصِلُ يَا عِبَادَ اللهِ: أَنَّنَا إِذَا تَفَكَّرْنَا فِيمَا يَجْرِي مِنَ الحَوَادِثِ وَرَبَطْنَاهَا بِمَثِيلاَتِهَا مِمَّا ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ، نَجِدُ أَنَّ سُنَّةَ اللهِ لاَ تَتَغَيَّرُ، كَمَا قَال تَعَالَىٰ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٢﴾ [الأحزاب: ٦٢].

يَجِبُ عَلَيْنَا نَحْوَ هَذِهِ الحَوَادِثِ وَالكَوَارِثِ عِدَّةُ أُمُورٍ:

الأَوَّلُ: أَنْ نَسْتَدِلَّ بِهَا عَلَى قُدْرَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَشِدَّةِ عُقُوبَتِهِ لِلْعُصَاةِ وَالمُذْنِبِينَ، فَنَخْشَىٰ أَنْ يُصِيبنا مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ، فَنَتُوبَ إِلَى اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ ذُنُوبِنَا. لَكِنْ معَ الأَسَفِ الشَّدِيدِ البَعْضُ مِنَّا يَعْتَبِرُ هَذِه الحَوَادِثَ مِنَ الأُمُورِ العَادِيَّةِ، وَيُفَسِّرُهَا بِأَنَّهَا حَوَادِثُ طَبِيعِيَّةٌ وَظَوَاهِرُ كَوْنِيَّةٌ، فَلا يَكُونُ لَهَا وَقْعٌ فِي نَفْسِهِ وَلاَ تَأْثِيرٌ فِي قَلْبِهِ، وَلاَ تَغْيِيرٌ فِي سُلُوكِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ١٠٥﴾ [يوسف: ١٠٥].

إِنَّ نِسْبَةَ هَذِهِ الحَوَادِثِ إِلَى الطَّبِيعَةِ وَالظَّوَاهِرِ الكَوْنِيَّةِ أَوِ الحَرَكَاتِ الفَلَكِيَّةِ كُفْرٌ بِاللهِ تَعَالَىٰ، فَقَدْ رَوَى الإِمَامَانِ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ - رَحِمَهُمَا اللهُ - عَنْ زَيْدِ بنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاءٍ - أَيْ: مَطَرٍ - كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ**

بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمتِهِ، فَذَاكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكوكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ»(١).

فَفِي هَذَا الحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ إِنْزَالَ المَطَرِ وَحُدُوثَ الحَوَادِثِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هُو الذِي خَلَقَهَا وَقَدَّرَهَا، فَمَنْ نَسَبَ ذلكَ إِلَى اللهِ فَقَدْ آمَنَ بِاللهِ وَشَكَرَ نِعْمَتَهُ، وَمَنْ نَسَبَهَا إِلَى غيرِ اللهِ فَقَدْ كَفرَ بِاللهِ وَلَمْ يَشْكُرْ نِعْمَتَهُ.

وَهَذَا الكُفْرُ فِيهِ تَفْصِيلٌ: فَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ الكَوَاكِبَ وَالطَّوَالِعَ وَالحَرَكَاتِ الفَلَكِيَّةَ وَالظَّوَاهِرَ الكَوْنِيَّةَ هِي التِي تَتَصَرَّفُ فِي نُزُولِ المَطَرِ أَو انْحِبَاسِهِ، فَهَذَا كُفْرٌ أَكْبَر، وَهُو قَوْلُ أَهْلِ الطَّبِيعَةِ الذِين لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ.

وَأَمَّا إِنْ كَانَ لاَ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِهَذه الأَشْيَاءِ تَأْثِيرًا فِي نُزُولِ المَطَرِ وَانْحِبَاسِهِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى اللهِ، وَلَكِنَّهُ أَضَافَ حُدُوثَ هَذِهِ الأَشْيَاءِ إِلَيْهَا مِنْ إِضَافَةِ الشَّيءِ إِلَى سَبَبِهِ، فَهَذَا كُفْرٌ أَصْغرُ؛ لأَنَّهُ نَسَبَ أَفْعَالَ اللهِ إِلَى غَيْرِه.

وَالوَاجِبُ نِسْبَةُ نُزُولِ المَطَرِ وَجَمِيعِ النِّعَمِ أَو النِّقَمِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: ٦٨ ـ ٧٠]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور: ٤٣].

الأَمْرُ الثَّانِي: يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّ هَذِه الحَوَادِثَ تَجْرِي مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ

---

(١) رواه البخاري (٨٤٦)، ومسلم(٧١).

وَتَعَالَىٰ لِيُنبهَ بِهَا العِبَادَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١].

الأَمْرُ الثَّالِثُ: يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُسَاعِدَ إِخْوَانَنَا المُسْلِمينَ الذينَ أُصِيبُوا بِهذِهِ المَصَائِبِ، فَنُرْسِلَ لهُمُ المَعُونَاتِ التِي تُخَفِّفُ عَنْهُمْ مُصَابهُمْ، فَبَادِرُوا ـ رَحِمَكُم اللهُ ـ بِمُسَاعَدَتِهِمْ فَإِنَّهَا فرصَةٌ لِذَوِي الإِحْسَانِ أَنْ يُقَدِّمُوا لأَنْفُسِهِم مَا يَجِدُونَهُ عِنْدَ اللهِ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا.

الأَمْرُ الرَّابِعُ: يَجِبُ عَلَى عُمُومِ المُسْلِمِينَ أَنْ يَتَّعِظُوا وَيَعْتَبِرُوا بِهذِهِ الحَوَادِثِ المُرَوِّعَةِ، وَيَتُوبُوا مِنْ ذُنُوبِهِم، وَيَشْكُرُوا اللهَ عَلَى نِعَمِهِ العَظِيمَةِ بِالاعْتِرَافِ بِهَا بَاطِنًا، وَالتَّحَدُّثِ بِهَا ظَاهِرًا، وَصَرْفِهَا فِي طَاعَةِ اللهِ، وَأَلا يُسْرِفُوا فِي اسْتِعْمَالِهَا، وَيُبَذِّرُوا فِي إِنْفَاقِهَا؛ وقال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف: ٣١] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٦ ـ ٢٧].

فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ لَمَّا أَفَاضَ اللهُ عَلَيْهِمُ المَالَ وَأَعْطَاهُم الثرْوَةَ أَسْرَفُوا فِي الإِنْفَاقِ عَلَى الحَفلاَتِ وَالوَلاَئمِ فِي الزَّوَاجَاتِ وَالمُنَاسَبَاتِ، فَأَكْثَرُوا مِنْ أَنْوَاعِ الأَطْعِمَةِ وَاللُّحُومِ وَالفَوَاكِهِ التِي يَذْهَبُ غَالِبُهَا هَدرًا، لأَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَيْهَا أَقْوَامًا لَيْسُوا بِحَاجَةٍ إِلَيْهَا، فَلاَ يَتَنَاولونَ مِنْهَا إلاَّ القَلِيلَ، وَتَبْقَى هَذِه الأَطْعِمَةُ وَاللُّحُومُ كَمَا هِي، ثُمَّ يَكُون مَصِيرُهَا الإِهْدَارَ وَالوَضْعَ مَعَ القِمَامَةِ.

فَاتَّقُوا اللهَ يَا منْ تَعْمَلُونَ هَذَا العَمَلَ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ عَنْ كُلِّ حَبَّةٍ تهْدرُونَهَا، وَعَنْ كُلِّ دِرْهَمٍ تُنْفِقُونَهُ في غَيْرِ مُوجِبٍ، وَتَذَكَّرُوا حَالَتَكُمْ قَبْلَ سِنِينَ وَأَنْتُمْ لاَ تَجِدُونَ مَا تَأكُلونَ، وَلا تسْتَقِرُّونَ فِي بِلاَدِكُم، بَلْ تُسَافِرُونَ إِلَى البِلاَدِ

الأُخرَى لِلْبَحْثِ عَنِ العَمَلِ الذي تَعِيشُونَ مِنْهُ. وَاليَوْمَ قَدْ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الخَيْرِ وَأَسْدَىٰ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّعَمِ المُتَنَوِّعَةِ، فَاشْكُرُوا اللهَ عَلَى ذَلِكَ وَتَذَكَّرُوا أَنَّ هُنَاكَ أَكْبَادًا جَائِعَة، وهُنَاكَ أَرَامِلُ وَأَيْتَامٌ، وَهُنَاكَ شُيُوخٌ وَعَجَائِزُ، قَدْ أُصِيبَتْ بِلاَدُهُم بِالحُرُوبِ وَالزَّلاَزِلِ وَالفَيَضَانَاتِ، فَأَصْبَحُوا بِلاَ مَالٍ وَلاَ بُيوتٍ وَلاَ طَعَامٍ وَلاَ كُسْوَةٍ، فَاعْتَبِرُوا بِحَالِهِمْ وَفَقْرِهِم وَحَاجَتِهِم، وَاخْشَوْا أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، وَارْحَمُوهُم يَرْحَمْكُمُ اللهُ «ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧﴾ [البلد: ١١ ـ ١٧].

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ الذِي جَعَلَ فِيمَا تَجْرِي بِهِ الأَقْدارُ عِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المُصْطَفَى المُخْتَارُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ البَرَرَةِ الأَطْهَارِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاحْذَرُوا عِقَابَهُ، فَقَدْ كَان النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ المَطَرِ: «اللَّهُمَّ سُقْيَا رَحْمَةٍ لاَ سُقْيَا عَذَابٍ وَلا بَلاَءٍ وَلاَ هَدمٍ وَلا غَرَقٍ»(١)، وَيَقُولُ إِذَا كَثُرَ المَطَرُ وَخِيفَ مِنْهُ الضَّرَرُ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»(٢).

---

(١) رواه البخاريُّ (١٠١٤).

(٢) رواه البخاريُّ (١٠١٤).

وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: إِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ﷺ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا أَمْطَرَتْ سُرِّيَ عَنهُ، فَعَرَفَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ، فَسَأَلَتْهُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمِ عَادٍ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤][(١)].

وَهَذِهِ النُّصُوصُ تَدُلُّ عَلَى أَنْ المَطَرَ قَدْ يَجْعَلُهُ اللهُ عَذَابًا يُهْلِكُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيُدَمِّرُ بِهِ مَا يَشَاءُ مِنَ المُدُنِ وَالمَزَارِعِ، وَقَدْ يَجْعَلُهُ اللهُ رَحْمَةً يُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى قَدْرَةِ اللهِ الذِي يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ [الفرقان: ٤٨ ـ ٥٠].

وَهَذَا الذِي حَصَلَ هَذِهِ الأَيَّام فِي بَعْضِ البِلَادِ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا مِمَّا يُوجِبُ عَلَيْنَا الاعْتِبَارَ وَالاتِّعَاظَ وَالتَّوْبَةَ إِلَى اللهِ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ؛ لِئَلَّا يَحِلَّ بِنَا مِثْلُ مَا حَلَّ بِهِم، فَإِنَّ المَعَاصِي تُوجِبُ زَوالَ النِّعَمِ وَنُزُولَ النِّقَمِ وَخَرَابَ الدِّيَارِ، فَقَدْ كَانَتْ بَعْضُ البِلَاد المُجَاوِرَةِ زهْرَةَ الحَيَاةِ كَمَا تَعْلَمُونَ، فِيهَا مِنْ رَغَدِ العَيْشِ وَجَمَالِ المَنْظَرِ وَوَفْرَةِ المَالِ مَا جَعَلَها أَحْسَنَ بِلَادِ العَالَمِ، وَصَارَ النَّاسُ يَتَوَافَدونَ إِلَيْهَا للنُّزْهِةِ وَالمَصِيفِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ بِهَا عُقُوبَتَهُ وَأَزَالَ مَا فِيهَا مِنْ مُتَعِ الحَيَاةِ، وَسَلَّطَ أَهْلَهَا عَلَى أَنْفُسِهِم، فصارُوا يَتَقَاتَلُونَ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، وَانْقَسَمُوا شِيَعًا وَأَحْزَابًا، وَهَلَكَ مِنْهُمُ الكَثِيرُ وَشرِّدَ الكَثِيرُ أَلَيْسَ فِي هَذَا لَنَا عِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ، أَمَا نَخْشَىٰ أَنْ يُصِيبَنَا مِثْلُ مَا أَصَابَهُم ؟!.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٦)، ومسلم (٨٩٩).

وَنَحْنُ ـ كَمَا لاَ يَخْفَىٰ عَلَى الجَمِيعِ ـ تَسَاهَلْنَا فِي دِينِنَا، وَأَهْمَلْنَا جَانِبَ الأَمْرِ بالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ حَتَّىٰ فِي بُيوتِنَا، تَكَاسَلْنَا عَنْ أَدَاءِ الصَّلاَةِ، تَعَامَلَ الكَثِيرُ مِنَّا بِالرِّبَا وَالرشوَةِ وَالغِشِّ، كَثُرَ التَّزْوِيرُ وَالفُجُورُ فِي الخُصُومَاتِ، تَبَرَّجَ كَثِيرٌ مِنَ النِّسَاءِ بالزِّينَةِ وَخَرَجْنَ إِلَى الأَسْوَاقِ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ، اسْتَقدَمَ الكَثِيرُ مِنَّا رِجَالاً وَنِسَاءً أجانبَ، وأدخلُوهم بيوتَهم، وخلَطوهم مع عوائلهم ومحارِمِهم باسمِ سائقين وَخِدِّيمِينَ وَخِدِّيمَاتٍ، ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُ المَزَامِيرِ وَالأَغَانِي فِي كَثِيرٍ مِنَ البُيُوتِ وَالمَحِلاتِ، وَعُرِضَتْ فِيهَا أَفْلاَمُ الفِيدْيُو الخَلِيعَةُ وَالمُسَلْسَلاَتُ الهَابِطَةُ.

كُلُّ هَذَا وَأَكْثَرُ مِنْهُ يَحْدُثُ فِي بِلاَدِنَا، وَكَثِيرٍ مِنْ بُيوتِنَا، وَلاَ نُنْكِرُ، وَلاَ نَغَارُ وَلاَ نَخَافُ أَنْ يَحِلَّ بِنَا مَا حَلَّ بِغَيْرِنَا مِنَ العُقُوبَاتِ!.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَتُوبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَدْرِكُوا الأَمْرَ قَبْلَ فَوَاتِهِ، فَإِنَّنَا عَلَى خَطَرٍ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ.. إلخ.

* * *

فِي الحَثِّ عَلَى الزَّواجِ وَتَسْهِيلِه

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، خَلَقَ بِقُدْرَتِهِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَىٰ، وَشَرعَ الزَّوَاجَ لِهَدَفٍ أَسْمَىٰ وَغَايَةٍ عُظْمَىٰ، أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ التِي لاَ تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أُسْرِيَ بِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجَدَ الحَرَامِ إلى المَسْجِد الأَقْصَىٰ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَواتِ العُلاَ، فَرَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَىٰ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ جَاهَدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَتَمَسَّكُوا بِالعُرْوَةِ الوُثْقَىٰ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شَرَعَ الزَّوَاجَ لِمَصَالِحَ عَظِيمَةٍ.

مِنْهَا: أَنَّهُ يَصُونُ النَّظَرَ عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى مَا لاَ يَحِلُّ لَهُ، وَيُحَصِّنُ الفَرْجَ وَيَحْفَظُهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابَ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»**[1].

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَبْعَثُ الطَّمَأْنِينَةَ فِي النَّفْسِ، وَيَحْصُلُ بِهِ الاسْتِقْرَارُ وَالأُنْسُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

وَمِنْهَا: أَنَّهُ سَبَبٌ لِحُصُولِ الذُّرِّيَّةِ الصَّالِحَة التِي يَنْفَعُ اللهُ بِهَا الزَّوْجَيْنِ، وَيَنْفَعُ

(١) رواه البخاريُّ (١٩٠٥)، ومسلمٌ (١٤٠٠).

بِهَا مُجْتَمَعَ المُسْلِمِينَ؛ قَالَ ﷺ: «تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُم الأُمَمَ» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ وَالنَّسَائِيُّ وَالحَاكِمُ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَقَالَ: صَحِيحُ الإِسْنَادِ[1].

وَمِنْ مَصَالِحِ الزَّوَاجِ: قِيَامُ الزَّوْجِ بِكَفَالَةِ المَرْأَةِ وَنفقَتِهَا، وَتَوْفِيرِ الرَّاحَةِ لَهَا وَصِيَانَتِهَا وَرِفْعَتِهَا عَنِ التَّبَذُّلِ وَالامْتِهَانِ فِي طَلَبِ مُؤونَتِهَا، وَإِعْزَازِهَا مِنَ الذِّلَّةِ وَالعُنُوسَةِ وَالكَسَادِ فِي بَيْتِ أَهْلِهَا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢].

وَالأَيَامَىٰ: جَمْعُ «أَيِّمٍ»؛ وَهُو مَنْ لاَ زَوْجَ لَهُ مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ.

عِبَادَ اللهِ: لَمَّا كَانَ الزَّوَاجُ بِهذِهِ الأَهمِّيَّةِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَفِيهِ هَذِهِ الفَوَائِدُ العَظِيمَةُ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى المُسْلِمين أَنْ يَهْتَمُّوا بِشَأْنِهِ، وَيُسَهلُوا طَرِيقَهُ، وَيَتَعَاونُوا عَلَى تَحْقِيقِهِ، وَيَمْنَعُوا مَنْ يُرِيدُ تَعْويقَهُ مِنَ العَابِثِينَ وَالسُّفَهَاءِ وَالمُخَذِّلِينَ الذِينَ يفسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ، فَإِنَّ هُنَاكَ مَنْ إِذَا سَمِعُوا بِخِطْبَةِ رَجُلٍ لامْرَأَةٍ حَاوَلُوا حِرْمَانِه مِنْهَا، وَهُنَاكَ مَنْ يُرِيدُونَ أَنْ يستغلوا الزواج لمصالحهم الخاصة ويخضعوه لرغباتهم الهابطة الدنيئة؛ فمن الناس من لاَ همَّ لَهُمْ إلاَّ الإِفْسَادُ وَالوقُوفُ فِي سَبِيلِ كُلِّ إِصْلاَحٍ، وَتَنْفِيذ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الغِلِّ وَالحَسَدِ لأَهْلِ الخَيْرِ وَالصَّلاَحِ، وَمِنْ أَجْلِ إِيقَافِ هَؤلاَءِ عِنْدَ حَدِّهِم، وَعَدَم تَمْكِينِهم مِنْ كَيْدِهِم وَمَكْرِهم، وَلِيأْخُذَ الزَّوَاجُ طَرِيقَهُ المَشْرُوعَ ـ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَمْرَ التَّزْوِيجِ بِيَدِ الرِّجَالِ الرَّاشِدِينَ، وَالأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، هٰذَا خِطَابٌ لِلرِّجَالِ العُقَلاَءِ، كَمَا خَاطَبَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «إِذَا

---

(١) أبو داود (٢٠٥٠).

أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوه، إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ» رَواهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ[1].

وَمِنَ العَرَاقِيلِ التِي وُضِعَتْ فِي طَرِيقِ الزَّوَاجِ: التَّكَالِيفُ البَاهِظَةُ مِن ارْتِفَاعِ المُهُورِ، وَالمُبَاهَاة فِي إِقَامَةِ الحَفَلاتِ، وَاسْتئجَار أَفْخَمِ القُصُورِ، مِمَّا لاَ مُبَرِّرَ لَهُ إِلاَّ إِرْضَاءُ النِّسَاءِ وَالسُّفَهَاءِ، وَمُجَارَاةُ المُبَذِّرِينَ وَالسُّخَفَاءِ ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٧].

فَيجبُ عَلَى المُسْلِمِينَ القَضَاءُ عَلَى هَذِهِ العَادَاتِ السَّيِّئَةِ، وَالعَمَلُ بِسنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي تَيْسِيرِ مُؤْنَةِ الزَّوَاجِ وَتَخْفِيفِ المُهُورِ.

قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لاَ تَغْلُوا فِي صُدُقِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمة فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقوىً فِي الآخِرَةِ، كَانَ أَوْلاكُمْ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ؛ مَا أَصْدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ، وَلاَ أُصْدِقَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ، أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً. رَواهُ الخَمْسَةُ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ[2].

وَاثْنَتَا عَشْرَةَ أوقِيَّةً تُسَاوِي مِئَةً وَعِشْرِينَ رِيَالاً سُعُودِيًّا بِالرِّيَالِ الذِي هُو مِنَ الفِضَّةِ، أَيْنَ هَذَا المَبْلَغُ مِنْ مَبالِغِ المُهُورِ التِي تَعْلَمُونَهَا اليَوْمَ؟.

وَلَقَدِ اسْتَنْكَرَ النَّبِيُّ ﷺ المُغالاَةَ فِي المُهُورِ، كَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ: «عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَ؟» قَالَ: عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ، فَقَالَ لَهُ: «عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ؟ كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الجَبَلِ» قَالَ العُلَمَاءُ: أَنْكَرَ عَلَيْهِ ﷺ هَذَا المَبْلَغ لأَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا، فَالفَقِيرُ يُكْرَهُ لَهُ تَحَمُّلُ الصَّدَاقِ الكَثِيرِ، بَلْ يَحْرُمُ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَتَوَصَّلْ إِلَيْهِ إِلاَّ بِمَسْأَلَةٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الوجُوهِ المُحَرَّمَةِ.

---

(١) رواه ابنُ ماجه (١٩٦٧).

(٢) رواه أبو داود (٢١٠٦).

وَالغَنِيُّ يُكْرَهُ لَهُ دَفْعُ المَبْلَغِ الكَثِيرِ فِي الصَّدَاقِ إِذَا كَانَ مِنْ بَابِ المُبَاهَاةِ؛ لأَنَّهُ يَسُنُّ سُنَّةً سَيِّئَةً لِغَيْرِهِ.

وَأَمَّا الوَلِيمَةُ بِمُنَاسَبَةِ الزَّوَاجِ فَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ؛ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ لَمَّا تَزَوَّجَ: «أَوْلِمْ لو بِشَاةٍ»[1] وهِيَ عَلَى قَدْرِ حَالِ الزَّوْجِ، فَلاَ يَنْبَغِي تَرْكُهَا، ولايَجُوزُ المُبَالَغَةُ فِي حَفْلِ الزَّوَاجِ بِاسْتِئْجَارِ القُصُورِ الفَخْمَةِ. وَيَحْرُمُ أَنْ يَشْتَمِلَ الحَفْلُ عَلَى مُنْكَرَاتٍ كَاخْتِلاَطِ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ، أَوْ يَكُونَ فِيهِ أَصْوَاتُ مُطْرِبِينَ وَمَزَامِيرُ وَتَصْوِيرٌ وَسُفُورٌ، وَلاَ يَجُوزُ لِلمُسْلِمِ أَنْ يَحْضُرَ حَفْلاً فِيهِ مِثْلُ هَذِهِ المُنْكَرَاتِ إِلاَّ إِذَا كَانَ يَقْدِرُ عَلَى إِزَالَتِهَا.

عِبَادَ اللهِ: وَمِنْ مُعَوِّقَاتِ الزَّوَاجِ مَا يَتَعَلَّلُ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الفَتَيَاتِ أَوْ أَوْلِيَاؤُهُنَّ مِنْ أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ تُكْمِلَ الفَتَاةُ دِرَاسَتَهَا الجَامِعِيَّةِ، حَتَّى فَوَّتَ ذَلِكَ عَلَى الكَثِيرِ مِنْهُنَّ زَهْرَةَ عُمْرِهَا، وَصَرَفَ عَنْهَا الخُطَّابَ الأَكْفَاءَ، مَعَ أَنَّ الدِّرَاسَةَ لَيْسَتْ ضَرُورِيَّةً، بَيْنَمَا الزَّوَاجُ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ لَهَا، ثُمَّ مَاذَا إِذَا حَصَلَت البِنْتُ عَلَى أَعْلَى الشَّهَادَاتِ الدِّارَسِيَّةِ وَفَاتَهَا الزَّوَاجُ المنَاسِبُ فِي الوَقْتِ المَنَاسِبِ؟! إِنَّهَا تَخْسَرُ حَيَاتَها الزَّوْجِيَّةَ التِي لاَ تَعْوِيضَ لَهَا؛ لأَنَّ سَعَادَةَ المَرْأَةِ في حُصُولِ الزَّوْجِ الصَّالِحِ، لاَ فِي حُصُولِهَا عَلَى المُؤَهِّلِ الدِّرَاسِيِّ؛ لأَنَّها تَسْتَغْنِي عَنِ الدِّرَاسَةِ وَلاَ تَسْتَغْنِي عَنِ الزَّوْجِ.

فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ فِي بَنَاتِكُم، لاَ تُضَيِّعُوا عَلَيْهِنَّ فُرْصَةَ الزَّوَاجِ المُبَكِّرِ مِنْ أَجْلِ الدِّرَاسَةِ، وَحَتَّى لَوْ رَغِبَتْ هِيَ عَنِ الزَّوَاجِ مِنْ أَجْلِ الدِّرَاسَةِ، فَإِنَّهَا قَاصِرَةُ النَّظَرِ، فَيَجِبُ عَلَى وَلِيِّهَا أَنْ يَأْخُذَ عَلَى يَدِهَا وَأَنْ يُؤَثِّرَ عَلَيْهَا فِي اخْتِيَارِ

---

(١) رواه مالك في الموطأ، وأحمد والشيخان، وأصحاب السنن الأربعة، عن عبد الرحمن ابن عوف ، رضي الله عنه. انظر «صحيح الجامع» (٢٥٥٦).

الزَّوَاجِ عَلَى الدِّرَاسَةِ، وَيُبَيِّنَ لَهَا الأَخْطارَ الَّتِي تَتَرَتَّبُ عَلَى تَفْوِيتِهِ وَتَأْخِيرِهِ، وَأَنَّ الدِّرَاسَةَ لاَ تُعَوِّضُ ما يَفُوتُ عَلَيْهَا مِنْ مَصَالِحِ الزَّوَاجِ.

وَالأَخْطَرُ مِنْ ذلِكَ أَنَّ بَعْضَ الفَتَيَاتِ قَدْ تَكُونُ مُوَظَّفَةً فَتَتْرُكُ الزَّوَاجَ أَوْ لاَ تَحْرِصُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ البَقَاءِ فِي وَظِيفَتِهَا، وَقَدْ يَكُونُ بَعْضُ الأَوْلِيَاءِ لاَ يُرِيدُ أَنْ تَتَزَوَّجَ مَوْلِيَّتُهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي الوَظِيفَةِ وَيَسْتَفِيدَ مِنْ مُرَتَّبِهَا، غَيْرَ مُبَالٍ بِمَا تَتَعَرَّضُ لَهُ مِنَ الفِتْنَةِ وَمَا يُفَوِّتُ عَلَيْهَا مِنَ المَصَالِحِ العَظِيمَةِ فِي تَرْكِ الزَّوَاجِ، أَلَيْسَ هَذَا العَضْلَ الذِي نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ وَحَرَّمَهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ؟! بَلَىٰ واللهِ هُو ذَاكَ.

فَإِنَّ العَضْلَ أَنْ يَمْنَعَ الوَلِيُّ تَزْوِيجَ مَوْلِيَّتَهُ مِنْ خَاطِبٍ كُفُؤٍ رَضِيَتْهُ مِنْ أَجْلِ مَصْلَحَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ، قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابنُ تَيْمِيةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ إِذَا خَطبَهَا كُفُؤٌ وَآخرُ وَآخرُ، فَمَنَعَ، صَارَ ذَلِكَ كَبِيرَةً يَمْنَعُ الولاَيَةَ؛ لأَنَّه إِضْرَارٌ وَفِسْقٌ.

وَقَدْ ذَكَرَ العُلَمَاءُ ـ رَحِمَهُم اللهُ ـ أَنَّهُ إِذَا عَضَلَ الوَلِيُّ الأَقْرَبُ، فَإِنَّ الولاَيَةَ تَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى الوَلِيِّ الأَبْعَدِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلِيٌّ غَيْرُ العَاضِلِ، أَوْ كَانَ لَهَا أَوْلِيَاءُ وَرَفَضُوا تَزْوِيجَهَا، فَإِنَّ السُّلْطَانَ يَتَوَلَّىٰ تَزْوِيجَهَا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَإِنِ اشْتَجَرُوا فَإِنَّ السُّلْطَانَ وَلِي مَنْ لاَ وَلِيَّ لَهُ**»[1] أَيْ: إِذَا امْتَنَعَ الأَوْلِيَاءُ مِنْ تَزْوِيجِ مَوْلِيَّتِهِمْ مِنْ كُفُؤٍ رَضِيَتْهُ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ يُزَوِّجُهَا بِهِ، سَوَاءٌ كَانَ العَضْلُ مِنْ أَجْلِ بُغْضِ الوَلِيِّ لِلخَاطِبِ، أَوْ كَانَ مِنْ أَجْلِ المَطْمَعِ فِي مُرَتَّبِ مَوْلِيَّتِهِ الموَظَّفَةِ أَوْ غَيْرِ ذلِكَ مِنَ المَقَاصِدِ السَّيِّئَةِ.

أَمَّا مَنْعُ تَزْوِيجِهَا مِمَّنْ رَضِيَتْ بِهِ وَهُو لَيْسَ كُفُؤًا لَهَا، فَهَذَا مَنْعٌ بِحَقٍّ وَلَيْسَ عَضْلاً؛ لأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ مَصْلَحَتِهَا وَدَفْعِ العَارِ عَنْ أُسْرَتِهَا.

---

(١) أبو داود (٢٠٨٣)، والترمذيّ (١١٠٢)، وابن ماجه (١٨٧٩) وغيرهم.

فَاتَّقِي اللهَ ـ أَيَّتُهَا الفَتَاةُ المُسْلِمَةُ ـ لاَ تَتْرُكِي الزَّوَاجَ مِنْ أَجْلِ الدِّرَاسَةِ أَوْ مِنْ أَجْلِ الوَظِيفَةِ؛ فَإِنَّكِ سَتَنْدَمِينَ وَتَخْسَرِينَ خَسَارَةً لاَ تُعَوِّضُهَا الدِّرَاسَةُ وَلاَ الوَظِيفَةُ؛ فَإِنَّ الزَّوَاجَ لاَ عِوَضَ لَهُ.

وَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا الأَوْلِيَاءُ لاَ تَمْتَنِعُوا مِنْ تَزْوِيجِ مَوْلِيَّاتِكُمْ مِنْ أَجْلِ أَهْوَائِكُم وَرَغَبَاتِكُم الشَّخْصِيَّةِ، أَوْ مِنْ أَجْلِ أَطْمَاعِكُم الدَّنِيئَةِ، أَوْ عَدَمِ مُبَالاَتِكُمْ، فَإِنَّهُنَّ أَمَانَاتٌ فِي أَعْنَاقِكُمْ، وَقَدِ اسْتَرْعَاكُمُ اللهُ عَلَيْهِنَّ: «وَكُلُّ رَاعٍ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». وَرُبَّمَا يُسَبِّبُ مَنْعُ تَزْوِيجِ الفَتَيَاتِ أَوْ تَأْخِيرُهُ عَارًا أَوْ خِزْيًا لاَ تَغْسِلُهُ مِيَاهُ البِحَارِ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاهْتَمُّوا بِهٰذَا الأَمْرِ غَايَةَ الاهْتِمَامِ، فَإِنَّهُ جَدِيرٌ بِذَلِكَ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ـ٣].

وَلاَ يَكُنْ هَمُّكُمُ الطَّمَعَ فِي المُهُورِ، أَو المُبَاهَاةَ وَالمُفَاخَرَةَ فِي المَظَاهِرِ مَعَ نِسْيَانِ العَوَاقِبِ، وَاعْتَبِرُوا بِالمُجْتَمَعَاتِ الَّتِي اشْتَغَلَتْ نِسَاؤُها بِالدِّرَاسَاتِ وَالوَظَائِفِ وَعَطَّلَتِ الزَّوَاجَ أَو قَلَّلَت الاهْتِمَامَ بِهِ، مَاذَا حَصلَ فِيهَا مِنْ فَسَادِ الأَخْلاَقِ وَانْتِهَاكِ الأَعْرَاضِ وَتَفَكُّكِ الأُسَرِ وَفَسَادِ التَّرْبِيَةِ وَخِوَاءِ البُيوتِ مِنَ الزَّوْجَاتِ الصَّالِحَاتِ؟ حَتَّى صَارَتِ النِّسَاءُ كَالرِّجَالِ: رَبَّات أَعْمَالٍ، لاَ رَبَّات بُيوتٍ وَلاَ مُرَبِّيَات أَطْفَالٍ، بُيوتُهُنَّ كَبُيوتِ العُزَّابِ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِها، وَالسَّعِيدُ مَنْ وعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ لَمْ تَنْفَعْهُ المَوَاعِظُ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٣٢﴾ [النور: ٣٢].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ كُلُّهُ يَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، مَنْ أَطَاعَهُ دَخلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ البَرَرَةِ الأَطْهَارِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ: وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ مُعَوِّقَاتِ الزَّواجِ وَأَعْظَمِ العَضْلِ وَأَشَدِّ الظُّلْمِ لِلنِّسَاءِ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ القَبَائِلِ مِنْ تَحْجِيرِ المَرْأَةِ عَلَى ابْنِ عَمِّهَا أَوْ قَرِيبِهَا، وَلاَ يُزوِّجُهَا إلاَّ بِهِ، وَلَوْ كَانَتْ لاَ تُرِيدُهُ، وَإِذَا تَزَوَّجَتْ مِنْ غَيْرِ ابْنِ عَمِّهَا بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَتَنَازُلِهِ عَنْ حَقِّهِ الذِي يَزْعُمُهُ فَإِنَّهُ يُهَدِّدُ بِالانْتِقَامِ، وَهَذِهِ عَادَةٌ جَاهِلِيَّةٌ وَظُلْمٌ عَظِيمٌ يَجِبُ مَنْعُهُ وَالقَضَاءُ عَلَيْهِ، وَهَذَا التَّحْجِيرُ البَاطِلُ شَبِيهٌ بِمَا كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَفْعَلُونَهُ فِي النِّسَاءِ، فَقَدْ كَانُوا إِذَا مَاتَ المَيِّتُ وَلَه زَوْجَةٌ وَرِثَهَا قَرِيبُهُ كَمَا يَرِثُ مَالَهُ، فَإِنْ شَاءَ تزوَّجَهَا وَإِنْ شَاءَ زَوَّجَهَا مِنْ غَيْرِهِ، وَأَخَذَ مَهرهَا، وَإِنْ شَاءَ اسْتَبْقَاهَا حَتَّى تُعْطِيَهُ مَا يَطْلُبُ مِنْهَا مِنْ مَالٍ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ [النساء: ١٩].

فَأَبْطَلَ اللهُ العَادَةَ الجَاهِلِيَّةَ وَرَفَعَ الظُّلْمَ عَنِ المَرْأَةِ وَأَعْطَاهَا الحَقَّ فِي اخْتِيَارِ الزَّوْجِ الذِي يَصْلُحُ لَهَا، وَجَعَلَهَا أَحَقَّ بِنَفْسِهَا، فَهَؤُلاَءِ الذِينَ يَحْجُرُونَ عَلَى النِّسَاءِ اليَوْمَ يرِيدُونَ أَنْ يُعِيدُوا سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ فِي الإِسْلاَمِ.

فَيَجِبُ علَيهِمُ التَّوْبَةُ إِلَى اللهِ وَتَرْكُ هَذِهِ العَادَةِ القَبِيحَةِ، وَمَنْ لَمْ يَتْرُكهَا وَجَبَ

عَلَى وَلِيِّ أَمْرِ المُسْلِمِينَ مَنْعُهُ مِنْهَا وَرَدْعُهُ بِالعُقُوبَةِ الصَّارِمَةِ.

فَاتَّقُوا اللهَ يَا مَعْشَرَ الأَوْلِيَاءِ فِي بَنَاتِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ، وَمَنْ هُنَّ تَحْتَ ولاَيَتِكُمْ مِنَ النِّسَاءِ فِي المُبَادَرَةِ بتَزْوِيجِهِنَّ وَاغتِنَامِ الزَّوْجِ الصَّالِحِ فِي دِينِهِ وَخُلُقِهِ، دُونَ نَظَرٍ إِلَى المَظَاهِرِ البَرَّاقَةِ وَالاعْتِبَارَاتِ الزَّائِفَةِ؛ عَمَلاً بِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ»[1].

وَمِنَ الظُّلْمِ العَظِيمِ لِلنِّسَاءِ وَعَرْقَلَةِ طَرِيقِ الزَّوَاجِ عَلَيْهِنَّ: أَنْ يَمتَنِعَ الوَلِيُّ مِنْ تَزْوِيجِ مَوْلِيَّتِهِ؛ إلاَّ بِشَرْطِ أَنْ يُزَوِّجَهُ الآخَرُ مَوْلِيَّتَهُ؛ وَهُو مَا يُسَمَّىٰ عِنْدَ العَامَّةِ بِالبَدَلِ، وَيُسَمَّىٰ فِي الشَّرْعِ نِكَاحُ الشِّغَارِ. فَإِنْ لَمْ يُسَمَّ فِيهِ مَهْرٌ لَهُمَا، وَجُعِلَتِ المَرْأَةُ فِي مُقَابِلِ المَرْأَةِ، فَهُو نِكَاحٌ بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلْمِ، وَإِنْ سُمِّي فِيهِ مهرٌ فقد اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي صِحَّتِهِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ بَاطِلٌ؛ لأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ نَهَىٰ عَنْ ذَلِكَ وَحَذَّرَ مِنْهُ؛ فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ عَنِ الشِّغَارِ[2]. وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ نَهَىٰ عَنِ الشِّغَارِ، وَقَالَ: «الشِّغَارُ: أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ وَأُزَوِّجُكَ ابْنَتِي، أَوْ زَوِّجنِي أُخْتَكَ وأُزَوِّجُكَ أُخْتِي»[3]. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمُ: «لاَ شغَارَ فِي الإِسْلامِ»[4]؛ لأَنَّ الشِّغَارَ يُفْضِي إِلَى إِجْبَارِ النِّسَاءِ عَلَى نِكَاحِ مَنْ لاَ يَرْغَبْنَ فِيهِ إِيثَارًا لِمَصْلَحَةِ الأَوْلِيَاءِ عَلَى مَصْلَحَةِ النِّسَاءِ، وَلأَنَّهُ يُفْضِي إِلَى حِرْمَانِ المَرْأَةِ مِنْ مَهْرِ مِثْلِهَا، وَلأَنَّهُ يَفْضِي إِلَى النِّزَاعِ وَالخُصُومَاتِ بَعْدَ الزَّوَاجِ؛ لأَنَّهُ لَوْ حَصَلَ

---

(١) رواه ابن ماجه (١٩٦٧).

(٢) رواه البخاريُّ (٥١١٢)، ومسلمٌ (١٤١٥).

(٣) رواه مسلمٌ (١٤١٥).

(٤) رواه ابنُ ماجه (١٨٨٥) عن أنسٍ، رضي الله عنه.

اخْتِلَافٌ بَيْنَ إِحْدَاهُنَّ مَعَ زَوْجِهَا أَثَّرَ عَلَى الأُخْرَىٰ مَعَ زَوْجِهَا وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بينَهُمَا اخْتِلَافٌ ؛ لأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مَرْهُونَةٌ بِالأُخْرَىٰ .

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ ـ وَانْتَهُوا عَمَّا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ . . إلخ .

* * *

في أحوالِ الإنسان في هذه الدنيا

الحَمْدُ للهِ الذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عملاً وَهُو العَزِيزُ الغَفُورُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ البشِيرُ النَّذِيرُ، وَالسِّرَاجُ المُنِيرُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ وَعَدَهُمْ اللهُ بِالمَغْفِرَةِ وَالأَجْرِ الكَبِيرِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، واعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَا خُلِقْتُمْ عَبَثًا، وَلَمْ تُتْرَكُوا سُدًىٰ، خَلَقَكُمْ اللهُ لِعِبَادَتِهِ، وَأَمَرَكُمْ بِتَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَأَوْجَدَكُمْ فِي هٰذِهِ الدَّارِ، وَأعْطَاكُمُ الأَعْمَارَ، وَسَخَّرَ لَكُم اللَّيْلَ وَالنَّهارَ، وَأَمَدَّكُمْ بِنَعَمِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ، لِتَسْتَعِينُوا بِذٰلِكَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْكُمْ رَسُولَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ كِتَابَهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ مَا يَجِبُ وَمَا يَحْرُمُ، وَمَا يَنْفَعُ وَمَا يَضُرُّ، وَمَا أَنْتُمْ قَادِمُونَ عَلَيْهِ مِنَ الأَخْطَارِ وَالأَهْوَالِ، لِتَأْخُذُوا حِذْرَكُمْ وَتَسْتَعِدّوا لِمَا أَمَامَكُم. جَعَلَ هٰذِهِ الدُّنْيَا دَارَ عَمَلٍ، وَالآخِرَةَ دَارَ جَزاءٍ، وَحَذَّرَكُمْ مِنَ الاغْتِرَارِ بِهٰذِه الدُّنْيَا وَالانْشِغَالِ بِهَا عَنِ الآخِرَةِ؛ لأَنَّ الدُّنْيَا مَمَرٌّ، وَالآخِرَة هِي المَقَرُّ، وَإِذا لَمْ تَسِرْ أَيُّهَا العَبْدُ إِلَى اللهِ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَتَطْلُبِ الوصُولَ إِلَى جَنَّتِهِ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِكَ وَأَنْتَ لاَ تَدْرِي، وَعَمَّا قَرِيبٍ تَصِلُ إِلَى نِهَايَتِكَ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا، وَتَقُولُ: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾ [المنافقون: ١٠ـ١١].

ابْن آدَمَ: إِنَّكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا تَتَقَلَّبُ بَيْنَ أَحْوَالٍ ثَلاثٍ:

نِعَمٌ تَتَوَالَى مِنَ اللهِ عَلَيْكَ تَحْتَاجُ إِلَى شُكرٍ، وَالشُّكرُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَرْكَانٍ ثَلَاثَةٍ: الاعْتِرَافِ بِنِعَمِ اللهِ بَاطِنًا، وَالتَّحَدُّثِ بِهَا ظَاهِرًا، وَتَصْرِيفِهَا فِي طَاعَةِ مُولِيهَا. فَلَا يَتِمُّ الشُّكْرُ إِلاَّ بِهٰذِهِ الأَرْكَانِ، وَلاَ تَسْتَقِرُّ النِّعَمُ إِلاَّ بِالشُّكْرَانِ.

الحَالُ الثَّانِي: مِمَّا يَجْرِي عَلَى العَبْدِ فِي الدُّنْيَا مِنْ مِحَنٍ وَابْتِلَاءَاتٍ مِنَ اللهِ يَبْتَلِيهِ بِهَا، فَيَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ التَّسَخُّطِ بِالمَقْدُورِ، وَحَبْسُ اللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَىٰ إِلَى الخَلْقِ، وَحَبْسُ الأَعْضَاءِ عَنْ أَفْعَالِ الجَزَعِ، كَلَطْمِ الخُدُودِ وَشَقِّ الجُيوبِ، وَنَتْفِ الشَّعْرِ، وَأَفْعَالِ الجَاهِلِيَّةِ. وَمَدَارُ الصَّبْرِ عَلَى هٰذِهِ الأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ فَمَنْ وَفَّاهَا وفِّي أَجْرَ الصَّابِرِينَ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠ ﴾ [الزمر: ١٠].

وَاللهُ سُبْحَانَهُ لاَ يَبْتَلِي العَبْدَ المُؤْمِنَ لِيُهلِكَهُ، وَإِنَّمَا يَبْتَلِيهِ لِيَمْتَحِنَ صَبْرَه وَعُبُودِيَّتَهُ للهِ، فَإِذَا صَبَرَ صَارَتِ المِحْنَةُ فِي حَقِّهِ مِنْحَةً، وَاسْتَحَالَتِ البَلِيَّةُ فِي حَقِّهِ عَطِيَّةً، وَصَارَ مِنْ عِبَادَ اللهِ المُخْلِصِينَ الذين لَيْسَ لِعَدُوِّهِم سُلْطَانٌ عَلَيْهِم، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ لإِبْلِيسَ: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٢٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠ ﴾ [النحل: ٩٩ـ١٠٠].

الحَالُ الثَّالِثُ: ابْتِلاَؤُهُ بِالهوَىٰ وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ، فَالشَّيْطَانُ العَدُوُّ الأَكْبَرُ، وَهُو ذِئْبُ الإِنْسَانِ وَعَدُوُّهُ، وَإِنَّمَا يَغْتَالُهُ وَيَظْفَرُ بِهِ إِذَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَشَهْوَتَهُ، وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَتَحَ لِعَبْدِهِ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، فَإِذَا تَابَ إِلَى اللهِ تَوْبَةً صَحِيحَةً تَابَ اللهُ عَلَيْهِ وَخَلَّصَهُ مِنْ عَدُوِّهِ وَرَدَّ كَيْدَهُ عَنْهُ. وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ بَابَ التَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالانْكِسَارِ وَالاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَدُعَائِهِ

وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِمَا أَمْكَنَ مِنَ الحَسَنَاتِ، وَأَرَاهُ عُيوبَ نَفْسِهِ وَسِعَةَ فَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ، وَإِحْسَانه إِلَيْهِ وَرَحْمَته بِهِ. فَرُؤْيَةُ عُيوبِ النَّفْسِ تُوجِبُ الحَيَاءَ مِنَ اللهِ وَالذّل بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالخَوْفَ مِنْهُ، وَرُؤْيَةُ فَضْلِ اللهِ تُوجِبُ مَحَبَّتَهُ وَالطَّمَعَ بِمَا عِنْدَهُ، فَيَكُونُ بَيْنَ الخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَيَكُونُ مِنَ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الإِنْسَانَ إِذَا طَالَعَ عُيوبَ نَفْسِهِ عَرَفَ قَدْرَهَا وَاحْتَقَرَهَا؛ فَلَا يَدْخُلُهُ عُجْبٌ وَلاَ كِبْرٌ، وَإِذَا نَظَرَ فِي فَضْلِ رَبِّهِ عَلَيْهِ أَحَبَّهُ وَعَظَّمَهُ، وَأَوَّلُ مَرَاتِب تَعْظِيمِ اللهِ سُبْحَانَهُ تَعْظِيمُ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَذَلِكَ بِفِعْلِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكِ مَا نَهَى عَنْهُ مِنَ المَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيةَ رَحِمَهُ اللهُ: تَعْظِيمُ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ ألا يُعَارِضَا بِتَرَخُّصٍ جَافٍ. وَلاَ بِتَشَدُّدٍ غَالٍ، وَلاَ يُحْمَلاَ عَلَى عِلَّةٍ تُوهِنُ الانْقِيَادَ.

وَقَدْ وَضَّحَ ابْنُ القَيِّمِ كَلَامَ شَيْخِهِ هَذَا فَقَالَ: وَمَعْنَىٰ كَلَامِهِ: أَنَّ أَوَّلَ مَرَاتِب تَعْظِيمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ تَعْظِيمُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ؛ وَذَلِكَ لأَنَّ المُؤْمِنَ يَعْرِفُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرِسَالَتِهِ التِي أَرسَلَ بِهَا رَسُولَهُ ﷺ إِلَى كَافَّةِ النَّاسِ، وَمُقْتَضَاهَا الانْقِيادُ لأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِتَعْظِيمِ أَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاتِّبَاعِهِ، وَتَعْظِيمِ نَهْيِهِ وَاجْتِنَابِهِ، فَيَكُونُ تَعْظِيمُ المُؤْمِنِ لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَنَهْيِهِ دَالاً عَلَى تَعْظِيمِهِ لِصَاحِبِ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَيَكُونُ بِحَسْبِ هَذا التَّعْظِيمِ مِنَ الأَبْرَارِ المَشْهُودِ لَهُم بِالإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ وَصِحَّةِ العَقِيدَةِ وَالبَرَاءَةِ مِنَ النِّفَاقِ الأَكْبَرِ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَتَعَاطَىٰ فِعْلَ الأَمْرِ لِنَظَرِ الخَلْقِ وَطَلَبِ المَنْزِلَةِ وَالجَاهِ عِنْدَهُم، وَيَتَّقِي المَنَاهِي خَشْيَةَ سُقُوطِهِ مِنْ أَعْيُنِهِم وَخَشْيَةَ العُقُوبَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ مِنَ الحُدُودِ التِي رَتَّبهَا الشَّارِعُ عَلَى المَنَاهِي. فَلَيْسَ فِعْلهُ وَتَرْكُهُ صَادِرًا عنْ تَعْظِيمِ الأَمْر وَالنَّهْيِ وَلاَ تَعْظِيمِ الآمِرِ وَالنَّاهِي، فَعَلَامَةُ التَّعْظِيمِ لِلأَوَامِرِ رِعَايَةُ أَوْقَاتِهَا وَحُدُودِهَا، وَالتَّفْتِيشُ عَلَى

أَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَكَمَالِهَا، وَالحِرْصُ عَلَى فِعْلِهَا فِي أَوْقَاتِهَا، وَالمُسَارَعَةُ إِلَيْهَا عِنْدَ وجُوبِهَا، وَالحُزْنُ وَالكَآبَةُ وَالأَسَفُ عِنْدَ فَوْتِ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِهَا كَمَنْ يَحْزَنُ عَلَى فَوْتِ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ تُقُبِّلَتْ صَلاَتُهُ مُنْفَرِدًا فَإِنَّهُ قَدْ فَاتَهُ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ ضِعْفًا، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً يُعَانِي البَيْعَ وَالشِّرَاءَ يَفُوتُه سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا لأَكَلَ يَدَيْهِ نَدَمًا وَأَسَفًا، فَكَيْفَ وَكُلُّ ضِعْفٍ مِمَّا تُضَاعَف بِهِ صَلاَةُ الجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ وَأَلْفِ أَلْفٍ وَمَا شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ، فإِذَا فَوَّتَ العَبْدُ عَلَيْهِ هٰذَا الرِّبْحَ وَهُو بَارِدُ القَلْبِ فَارِغٌ مِنْ هَذِهِ المُصِيبَةِ غَيْرُ مُرْتَاعٍ لَهَا، فَهٰذَا مِنْ عَدَمِ تَعْظِيمِ أَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي قَلْبِهِ. وَكَذلِكَ إِذَا فَاتَهُ أَوَّلُ الوَقْتِ الذِي هُو رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ، أَوْ فَاتَهُ الصَّفُّ الأَوَّلَ الذِي يُصَلِّي اللهُ وَمَلاَئِكَتُهُ عَلَى مَيَامِنِهِ، وَلَوْ يَعْلَمُ العَبْدُ فَضِيلَتَهُ لَجَاهَدَ عَلَيْهِ وَلَكَانَتْ قُرْعَة، وَكَذَلِكَ الجَمْعُ الكَثِيرُ الذِي تُضَاعَفُ الصَّلاَةِ بِكَثْرَتِهِ وَكُلَّمَا كَثُرَ الجَمْعُ كَانَ أَحَبَّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكُلَّمَا بَعُدَتِ الخُطا إِلى المَسْجِدِ كَانَتْ خُطْوَةٌ تَحُطُّ خَطِيئَةً وَأُخرَىٰ تَرْفَعُ دَرَجَةً. وَكذلِكَ فَوْتُ الخُشُوعِ فِي الصَّلاَةِ وَحُضُورِ القَلْبِ فِيهَا بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذِي هُو رُوحُهَا وَلُبُّها، فَصَلاَةٌ بِلاَ خُشُوعٍ وَلاَ حُضُورِ قَلْبٍ كَبَدَنٍ مَيِّتٍ لاَ رُوحَ فِيهِ، أَفَلاَ يَسْتَحِي العَبْدُ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ عَبْدًا مَيِّتًا أَوْ جَارِيةً مَيِّتَةً، فَمَا ظَنُّ هَذَا العَبْدِ أَنْ تَقَعَ تِلْكَ الهَدِيَّةُ مِمَّنْ قَصَدَهُ بِهَا مِنْ مَلِكٍ أَوْ أَمِيرٍ أَوْ غَيْرِهِ؟! فَهٰكَذَا سَوَاءً الصَّلاَةُ الخَالِيَةُ عَنِ الخُشُوعِ وَالحُضُورِ وَجَمْعِ الهِمَّةِ عَلَى اللهِ تَعَالَىٰ فِيهَا، فَهِي بِمَنْزِلَةِ هٰذَا العَبْدِ أَو الأَمَةِ المَيِّتَيْنِ اللَّذَيْنِ يُرَادُ إِهْدَاءُ أَحَدِهِمَا إِلَى بَعْضِ المُلُوكِ، وَلِهٰذَا لاَ يَقْبَلُهَا اللهُ تَعَالَىٰ مِنْهُ، وَإِنْ أَسْقَطَتِ الفَرْضَ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْعَبْدَ مِنْ صَلاَتِهِ إِلاَّ مَا عَقَلَ مِنْهَا، كَمَا فِي السُّنَنِ وَالمُسْنَدِ وَغَيْرِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلاَّ نِصْفُهَا إِلاَّ ثُلُثُهَا إِلاَّ رُبُعُهَا إِلاَّ خُمُسُها حَتَّى بَلَغَ:**

عُشْرهَا»[1].

وَمُحْبِطَاتُ الأعْمَالِ وَمُفْسِدَاتُهَا أكثَرُ مِنْ أنْ تُحْصَرَ، وَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي العَمَلِ، إنَّمَا الشَّأْنُ فِي حِفظِ العَمَلِ مِمَّا يُفْسِدُهُ وَيُحْبِطُهُ، فَالرِّيَاءُ وَإنْ دَقَّ مُحْبِطٌ لِلْعَمَلِ، وَكَوْنُ العَمَلِ غَيْرَ مُقَيدٍ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ مُحْبِطٌ لَهُ أَيْضاً؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُو رَدٌّ»[2] أَيْ: مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ غَيْرُ مَقْبُولٍ عِنْدَ اللهِ تَعالَى. وَالمَنُّ بِالعَمَلِ عَلَى اللهِ مُفْسِدٌ لَهُ؛ قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات: ١٧].

والمَنُّ بِالصَّدَقَةِ وَالمَعْرُوفِ وَالبرِّ وَالإحْسَانِ مُفْسِدٌ لَهَا. قَالَ تَعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وَقَدْ تحْبَطُ أَعْمَالُ الإنْسَانِ وَهُو لاَ يَشْعُرُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الحجرات: ٢].

حَذَّرَ المُؤْمِنِينَ مِنْ حُبُوطِ أَعْمَالِهِمْ بِالجَهْرِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا يَجْهَرُ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ بِذٰلِكَ، وَلَيْسَ ذٰلِكَ بِرِدَّةٍ، بَلْ مَعْصِيَةٌ تُحبِطُ العَمَلَ وَصاحِبُهَا لاَ يَشْعُرُ بِهَا.

وَقَدْ يَتَسَاهَلُ الإنْسَانُ بِالشَّيءِ مِنَ المَعَاصِي وَهُو خَطِيرٌ وَإِثْمُهُ كَبِيرٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [النور: ١٥].

---

(١) رواه أبو داود (٧٩٦).

(٢) رواه مسلم (١٧١٨).

وَفِي الحَدِيثِ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّ لَهَا عِنْدَ اللهِ طَالِبًا»[١]، وَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ فِي أَعْيُنِكُمْ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ[٢].

عِبَادَ اللهِ: وَمِنْ عَلاَمَاتِ تَعْظِيمِ حُرُمَاتِ اللهِ وَمَنَاهِيهِ أَنْ يَكْرَهَ المُؤْمِنُ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ مِنَ المَعَاصِي المُحرمَاتِ، وَأَنْ يَكْرَهَ العُصَاة وَيَبْتَعِدَ عَنْهُم، وَيَبْتَعِدَ عَنِ الأَسْبَابِ التِي تُوقِعُ فِي المَعَاصِي، فَيَغُضَّ بَصَرَهُ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ، وَيَصُونَ سَمْعَهُ عَمَّا لاَ يَجُوزُ الاسْتِمَاعُ إِلَيْهِ مِنَ المَعَازِفِ وَالمَزَامِيرِ وَالأَغَانِي وَالغِيبَةِ وَ النَّمِيمَةِ وَالكَذِبِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَيَصُونَ لِسَانَهُ عَنْ ذٰلِكَ، وَأَنْ يَغْضَبَ إِذَا انْتُهِكَتْ مَحَارِمُ اللهِ فَيَأْمُرَ بِالمَعْرُوفِ؛ وَيَنْهَىٰ عَنِ المُنْكَرِ، وَيَقُومَ بِالنَّصِيحَةِ لأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِم، وَأَلاَّ يَتَّبِعَ الرُّخَصَ وَالتَّسَاهُلَ فِي الدِّينِ، وَلاَ يَتَشَدَّدَ فِيهِ إِلَى حَدٍّ يُخْرِجُهُ عَنِ الاعْتِدَالِ وَالاسْتِقَامَةِ؛ لأَنَّ مَنْ تَتَبَّعَ الرُّخَصَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهَا كَانَ مُتَسَاهِلاً، وَمَنْ تَشَدَّدَ فِي أُمُورِ الدِّينِ كَانَ جَافِيًا، وَدِينُ اللهِ بَيْنَ الغَالِي وَالجَافِي، وَمَا أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَمْرٍ إِلاَّ وَللشَّيْطَانِ فِيهِ نَزْعَتَانِ: إِمَّا تَقْصِيرٌ وَتَفْرِيطٌ، وَإِمَّا إِفْرَاطٌ وَغُلُوٌّ، فَإِنَّهُ يَأْتِي إِلَى العَبْدِ؛ فَإِنْ وَجَدَ فِيهِ فُتُورًا وَتَوَانِيًا وَتَرَخُّصًا ثَبَّطَهُ، وَأَقْعَدَهُ وَضَرَبَهُ بِالكَسَلِ وَالتَّوَانِي وَالفُتُورِ وَفَتَحَ لَهُ بَابَ التَّأْوِيلاَتِ، حَتَّى رُبَّمَا يَتْرُكُ هَذَا العَبْدُ أَوَامِرَ اللهِ جُمْلَةً، وَإِنْ وَجَدَ عِنْدَهُ رَغْبَةً فِي الخَيْرِ وَحُبًّا فِي العَمَلِ وَحِرْصًا عَلَى الطَّاعَةِ وَخَوْفًا مِنَ المَعَاصِي أَمَرَهُ بِالاجْتِهَادِ الزَّائِدِ حَتَّى يُزَهِّدَهُ بِالاقْتِصَارِ عَلَى الحَدِّ المَشْرُوعِ، فَيَحْمِلَهُ عَلَى الغُلُوِّ وَالمُجَاوَزَةِ وَتَعَدِّي الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، كَمَا يَحْمِلُ الأَوَّلَ عَلَى القُصُورِ دُونَ هٰذَا الصِّرَاطِ، وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

---

(١) النسائي في «الرقائق» وابن ماجه (٤٢٤٣) وغيرُهما.

(٢) رواه البخاريُّ (٦٤٩٢) عن أنسٍ، رضي اللهُ عنه.

الدُّخُولِ فِيهِ.

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ﴾ [فاطر: ٥ - ٦].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ عَلَى نِعَمِهِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، جَعَلَ الدُّنْيَا مَزْرَعَةً لِلآخِرَةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المُؤَيَّدُ بِالمُعْجِزَاتِ البَاهِرَةِ، صَلَّى الله عليه وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ نُجُومِ الهُدَى الزَّاهِرَةِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا..

أَمَّا بَعدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَتَأَمَّلُوا فِي دُنْيَاكُم وَسُرْعَةِ زَوَالِهَا، وَتَغَيُّرِ أَحْوَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يَحْمِلُكُمْ عَلَى عَدَمِ الاغْتِرَارِ بِهَا، وَيُحَفِّزُكُمْ عَلَى اغْتِنَامِ أَوْقَاتِهَا قَبْلَ فَوَاتِهَا. يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: فَإِنْ ضَعُفَتِ النَّفْسُ عَنْ مُلاَحَظَةِ قِصَرِ الوَقْتِ وَسُرْعَةِ انْقِضَائِهِ، فَلْيَتَدَبَّرْ قَوْلَهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وَقَوْلَهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝١١٢ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ۝١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١٤ ﴾ [المؤمنون: ١١٢ - ١١٤]، وَقَوْلَهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۝١٠٢ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۝١٠٣ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۝١٠٤ ﴾ [طه: ١٠٢ - ١٠٤].

وَخَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ يَوْمًا، فَلَمَّا كَانَتِ الشَّمْسُ عَلَى رُؤوسِ الجِبَالِ، وَذَلِكَ عِنْدَ الغُرُوبِ، قَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيما مَضى إِلاَّ كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هٰذَا فِيمَا مَضَىٰ مِنْهُ».

فَلْيَتَأَمَّلِ العَاقِلُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ هٰذَا الحَدِيثَ، وَلْيَعْلَمْ أَيَّ شَيْءٍ حَصَلَ لَهُ مِنْ هٰذَا الوَقْتِ الذِي بَقِيَ فِي الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا؛ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ فِي غُرُورٍ وَأَضْغَاثِ أَحْلَامٍ، وَأَنَّهُ قَدْ بَاعَ سَعَادَةَ الأَبَدِ وَالنَّعِيمَ المُقِيمَ بِحَظٍّ بَخْسٍ خَسِيسٍ لاَ يُسَاوِي شَيْئًا، وَلَوْ طَلَبَ اللهَ تَعَالَىٰ وَالدَّارَ الآخِرَةَ لأَعْطَاهُ ذٰلِكَ الحَظَّ هَنِيئًا مَوْفُورًا، وَأَكْمَلَ مِنْهُ؛ كَمَا فِي بَعْضِ الآثَارِ: «ابْنَ آدَمَ: بِعِ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ تَرْبَحْهُمَا جَمِيعًا، وَلاَ تَبِعِ الآخِرَةَ بِالدُّنْيَا تَخْسَرْهُمَا جَمِيعًا».

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: ابْنَ آدَمَ أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَى نَصِيبِكَ مِنَ الدُّنْيَا وأنت إِلى نَصِيبِكَ مِنَ الآخِرَةِ أَحْوَجُ، فَإِنْ بَدَأْتَ بِنَصِيبِكَ من الدنيا أضعت نصيبَك من الآخرةِ. وكنتَ من نصيبِ الدنيا على خطرٍ، وإن بدأتَ بنصيبِك فِي الآخِرَةِ مُر بِنَصِيبِكَ مِنَ الدُّنْيَا فَانْتَظِمْهُ انْتِظَامًا.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيَا مَحَطَّةٌ تَنْزِلُونَ فِيهَا فِي سَفَرِكُمْ إِلى الآخِرَةِ لِتَأْخُذُوا مِنْها الزَّادَ لِذٰلِكُم السَّفَرِ؛ فَتَزَوَّدُوا ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ . . . إلخ.

* * *

فِي الدِّينِ الحَقِّ

الحَمْدُ للهِ الذي أرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ علَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، وَأَشْهَد أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ المَأْمُونُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ كَانُوا يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ وَاشْكُرُوهُ إِذْ هَدَاكُمْ لِلإِسْلاَمِ وَجَعَلَكُمْ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ خَيْرَ أُمَّةٍ أخرجَتْ لِلنَّاسِ؛ فَإِنَّ الإِسْلاَمَ أَكْبَرُ نِعْمَةٍ أَسْدَاهَا اللهُ لِلْبَشَرِيَّةِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال: ٢٦].

انْظُرُوا إِلَى النَّاسِ منْ حَوْلِكُمْ تَجِدُونَهُمْ مَا بَيْنَ مَلاَحِدَةٍ تَنَكَّرُوا لِلأَدْيَانِ وَأَنْكَرُوا الخالِقَ وَتَجَبَّرُوا عَلَى الخَلْقِ، وَتَسَمَّوْا بِأَسْمَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ مَا بَيْنَ شُيُوعِيَّةٍ وَبَعْثِيَّةٍ وَقَوْمِيَّةٍ وَاشْتِرَاكِيَّةٍ، وَقَدِ اسْتَدْرَجَهُمُ اللهُ فَأَعْطَاهُم منَ السُّلْطَةِ وَالقُوَّةِ والاخْتِرَاعِ وَالتَّكَتُّلِ مَا أَرْهَبُوا بِهِ العَالَمَ وَاغْتَرُّوا بِهِ فِي أَنْفُسِهِم، ثُمَّ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ دَمَّرَهُم بِسُهُولَةٍ؛ فَأَضْعَفَ قُوَّتَهُم وَشَتَّتَ شَمْلَهُم وَمَزَّقَ وحْدَتَهُم، وَسَلَّطَ عَلَيْهِم

الفَقْرَ وَالفَاقَةَ حَتَّى أَصْبَحُوا عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ، وَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ قُوتُهُم، وَلاَ نَفَعَتْهُم جُمُوعُهُم وَجُنُودُهُم، وَلاَ حَمَتْهُمْ أَسْلِحَتُهُمُ الفَتَّاكَةُ، لَقَدِ انْهَارَتِ الشُّيُوعِيَّةُ؛ لأَنَّ أَصْحَابَهَا لَمْ يَبْنُوها عَلَى دِينٍ وَلَمْ يُقِيمُوهَا عَلَى أَسَاسٍ، بَلْ بَنَوهَا عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِمْ فِي نَارِ جَهنَّمَ، وَاللهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَمَسَّكُ بِدِينٍ وَضَعَهُ لِنَفْسِهِ أَوْ وَضَعَهُ لَهُ شَيَاطِينُ الجِنِّ وَالإِنْسِ، يَعْبُدُ صَنَمًا أَوْ قَبْرًا أَوْ شَجَرًا أَوْ حَجَرًا لاَ يَنْفَعُ وَلاَ يَضُرُّ، وَلاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ، بَلْ هُو أَضعفُ مِمَّنْ عَبَدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤ ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

وَذَلِكُمْ هُو دِينُ الوَثَنِيينَ عَلَى اخْتِلافِ أَجْنَاسِهِم وَتَنَوُّعِ مَعْبُوداتِهِم قَدِيمًا وَحَدِيثًا.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَمَسَّكُ بِدِينٍ مُبَدَّلٍ مُحَرَّفٍ أَوْ مَنْسُوخٍ قَدِ انْتَهَىٰ العَمَلُ بِهِ، وَأُولاَئِكُم هُمُ اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، وَهُمُ المَغْضُوب عَلَيْهِم وَالضَّالُّونَ الذِينَ نَسْأَلُ اللهُ أَنْ يُجَنِّبَنَا طَرِيقَهُم فِي آخِرِ سُورَةِ الفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلاَتِنَا.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْتَسِبَ إلى الدينِ الصحيحِ وهو الإسلامُ انتساباً في الظاهرِ وهو يكفرُ به في الباطنِ، وإنما انتسب إِلْيهِ لِيَعِيشَ مَعَ المُسْلِمِينَ وَيُخَادِعَهُمْ؛ أُولاَئِكُمْ هُمُ المُنَافقُونَ الذِينَ أَخْبرَ الله أَنَّهُمْ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا.

ومن الناسِ الآن من ينتسبُ إلى الإسلامِ بأقوالهِ لكنَّه يخالفُه بأفعالِهِ وتعبداتِهِ، فيدعو غَيْرَ اللهِ، وَيذْبَحُ لِغَيْرِ اللهِ، وَيَسْتَغِيثُ بِالأَمْوَاتِ، وَيَعْبُدُ القُبُورَ، أَوْ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ بِدِينٍ لَمْ يَشْرَعْهُ، فَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالبِدَعِ وَالمُحْدَثَاتِ، يُفْنِي عُمْرَهُ وَيُتْعِبُ جِسْمَهُ وَينْفِقُ مَالَهُ فِي إِحْيَاءِ البِدَعِ وَالخُرَافَاتِ بِاسْمِ الإِسْلاَمِ وَالدِّينِ، وَهُو يَبْعُدُ عَنْ رَبِّ العَالَمِينَ، وَأُولاَئِكُمْ هُمْ عُبَّادُ الأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ الذِينَ

يَقُولُونَ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. أُولَائِكُمْ هُمُ الذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيهِم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغاشية: ٢ ـ ٧].

وَمِنْ تَمَامِ عُقُوبَتِهِم وَابْتِلاَئِهِم أَنَّهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ فَلاَ يَقْبَلُونَ النَّصِيحَةَ وَلاَ يُفِيدُ فِيهِمُ التَّوْجِيهُ، ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾. [الزخرف: ٢٢].

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الإِسْلاَمِ الآنَ لَكِنَّهُ لاَ يُقِيمُ أَرْكَانَهُ؛ فَلاَ يُصَلِّي وَلاَ يُزَكِّي وَلاَ يَصُومُ وَلاَ يَحُجُّ، وَلاَ يَحْكُمُ بِشَرْعِ اللهِ وَلاَ يُحَرِّمُ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الرِّبَا وَالمَكَاسِبِ الخَبِيثَةِ، وَإِنَّمَا يَكْتَفِي بِمُجَرَّدِ التَّسَمِّي وَما يُكْتَبُ فِي جَوَازِ السَّفَرِ وَحَفِيظَةِ النُّفُوسِ، قَدِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ.

وَمِنَ النَّاسِ اليَوْمَ خَلْقٌ كَثِيرٌ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الإِسْلاَمِ لَكِنَّهُم فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا؛ فَانْقَسَمُوا إِلَى جَمَاعَاتٍ وَجَمْعِيَّاتٍ وَأَحْزَابٍ وَفِرَقٍ، لِكُلِّ فِرْقَةٍ وَجَمَاعَةٍ مَنْهَجٌ يَخْتَلِفُ عَنْ مَنْهَجِ الفِرَقِ الأُخْرَىٰ فِي الاعْتِقَادِ وَالتَّعَبُّدِ وَالدَّعْوَةِ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَى الحَقِّ مِن هَذِهِ الفِرَقِ إِلاَّ مَن تَمَسَّكَ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَسَارَ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً». قِيلَ: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»[1]. وَلَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ بَرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ من هَذِهِ

---

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٦)، وابنُ ماجه (٣٩٩٢)، وغيرُهما.

الفِرَقِ المُخَالِفَةِ لِلفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ طَرِيقَ النَّجَاةِ مِنْ هَذَا الاخْتِلاَفِ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إِنَّهُ لاَ صَلاَحَ وَلاَ فَرَجَ وَلاَ نَجَاةَ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِلاَّ بِالتَّمَسُّكِ بِالإِسْلاَمِ عِلْمًا وَعَمَلاً وَاعْتِقَادَاً وَقَوْلاً وَفِعْلاً وَحُكْمًا بِهِ بَيْنَ النَّاسِ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣]. ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وَهُنَاكَ مَنْ يَتَحَمَّسُونَ لِلإِسْلاَمِ اليَوْمَ وَيَقُومُونَ بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ بِزَعْمِهِمْ وَهُمْ جُهَّالٌ بِأَحْكَامِهِ، أَوْ مُغْرِضُونَ يُرِيدُونَ الدَّسَّ فِيهِ وَإِثَارَةَ الفِتَنِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، فَيُرَوِّجُونَ الشُّبَهَ وَيُزَهِّدُونَ فِي عِلْمِ السَّلَفِ، وَيَصِفُونَ العُلَمَاءَ بِأَنَّهُمْ قَاصِرُو النَّظَرِ لاَ يَفْهَمُونَ فِقْهَ الوَاقِعِ، وَهُمْ يرِيدُونَ بِذلِكَ أَنْ يَفْصِلُوا المُسْلِمِينَ عَنْ عُلَمَائِهِم حَتَّى يُدْخِلُوا عَلَيْهِم مَبَادِئَهُم وَأَفْكَارَهُمُ المُنْحَرِفَةَ، وَقَدْ يَسْتَخْدِمُونَ لِذلِكَ بَعْضَ أَبْنَائِنَا المَغْرُورِينَ. فَتَنَبَّهُوا لِذَلِكَ وَاحْذَرُوا فِتْنَتَهُم وَلاَ تُرَوِّجُوا أَقْوَالَهُم بَيْنَكُم فَإِنَّهَا سَبَبُ فِتْنَةٍ وَشَرٍّ، رَعَانَا اللهُ وَإِيَّاكُم وَجَمِيعَ المُسْلِمِينَ مِنَ الفِتَنِ.

إِنَّ الذي لاَ يَفْهَمُ فِقْهَ الوَاقِعِ فِي الحقِيقَةِ هُو الذِي لاَ يَتَنَبَّهُ لِلدَّعَوَاتِ المَدْسُوسَةِ بِاسْمِ الإِسْلاَمِ مِنْ أَجْلِ إِثَارَةِ الفِتْنَةِ وَشَقِّ عَصَا الطَّاعَةِ وَتَفْرِيقِ الكَلِمَةِ، فَاحْذَرُوا هَذَا الصِّنْفَ وَاحْذَروا مِنْ دُعَاةِ السُّوءِ، وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُم تُرْحَمُونَ.

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، رَضِيَ لَنَا دِينَ الإِسْلَامِ، فَلَا يَقْبَلُ دِينًا سِوَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلاَ نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَعْلَمُ الخَلْقِ وأَخْشَاهُم وَأَتْقَاهُم للهِ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالاَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لاَ يَتَحَقَّقُ لِلإِنْسَانِ التَّمَسُّكُ بِدِينِ الإِسْلَامِ حَتَّىٰ يَتَبَرَّأَ مِمَّا سِوَاهُ مِنْ سَائِرِ الأَدْيَانِ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ بَعْدَ بِعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ دِينٌ صَحِيحٌ إِلاَّ دِينُ الإِسْلَامِ الذِي جَاءَ بِهِ، قَالَ ﷺ: «وَاللهِ لَوْ كَانَ أَخِي مُوسَىٰ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلاَّ اتِّبَاعِي»، وَقَالَ ﷺ: «لاَ يَسْمَعُ بِي يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لاَ يُؤْمِنُ بِي إِلاَّ دَخَلَ النَّارَ»[1]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦].

بَعْضُ الجُهَّالِ يَقُولُ إِنَّ الإِسْلَامَ جَاءَ بِحُرِّيَةِ الأَدْيَانِ وَالتَّعَايُشِ بَيْنَ أَصْحَابِهَا، وَهَذَا خَطَأٌ وَاضِحٌ. وَجَهْلٌ فَاضِحٌ. فَالإِسْلَامُ لاَ يُقِرُّ الأَدْيَانَ البَاطِلَةَ، وَلِذَلِكَ شَرَعَ عِنْدَ القُدْرَةِ قِتَالَ أَهْلِها لإِزَالَتِهَا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَإِنَّمَا أَمَرَ بِتَرْكِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ عَلَى دِينِهِم إِذَا بَذَلُوا الجِزْيَةَ وَخَضَعُوا لِدِينِ الإِسْلَامِ وَهُم صَاغِرُونَ؛ وَذَلِكَ لأَنَّهُمْ أَهْلُ دِينٍ سَمَاوِيٍّ مَنْسُوخٍ فَأُعْطُوا الفُرْصَةَ

(١) رواه مسلم (١٥٣).

مِنْ أَجْلِ أَنْ يَنْتَقِلُوا مِنْهُ إِلَى دِينِ الإِسْلاَمِ بَعْدَ تَأَمُّلِهِ، بِخَلاَفِ الوَثَنِيِّينَ وَالدَّهْرِيَّةِ فَهَؤُلاَءِ لاَ يَجُوزُ تَرْكُهُم عَلَى كُفْرِهِم. فَالوَاجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أَلاَّ يَتَكَلَّمَ فِي هَذِهِ المَسَائِلِ الخَطِيرَةِ، إِلاَّ عَنْ عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ دِينَ الإِسْلاَمِ دِينُ العِزَّةِ فَهُو يَعْلُو وَلاَ يُعْلَى عَلَيْهِ، فَمَا بَالُ بَعْضِ المُسْلِمِينَ يُذِلُّونَ أَنْفُسَهُم لِلْكَفَرَةِ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ويَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨].

قَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللهُ بِالإِسْلاَمِ فَإِذَا أَرَدْنَا العِزَّةَ بِغَيْرِهِ أَذَلَّنَا اللهُ». فَالوَاجِبُ على المُسْلِمِ أَنْ يَعْتَزَّ بِدِينِهِ وَلاَ يَذِلَّ وَلاَ يَهُونَ. وَالوَاجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَتَرَفَّعَ بِدِينِهِ عَنِ الدَّنَايَا وَالرَّذَائِلِ وَالأَخْلاَقِ الفَاسِدَةِ وَالصِّفَاتِ الهَابِطَةِ. وَلَكِنَّ بَعْضَ المُنْتَسِبِينَ إِلَى الإِسْلاَمِ إِذَا سَافَرُوا إِلَى الكُفَّارِ صَارُوا عَارًا عَلَى الإِسْلاَمِ بِأَخْلاَقِهِم وَتَصَرُّفَاتِهِمُ القَبِيحَةِ؛ يُمَارِسُونَ أَقْبَحَ الفُحْشِ وَالإِجْرَامِ، وَلاَ يَتَوَرَّعُونَ عَنِ الحَرَامِ؛ يُعَاقِرُونَ الخُمُورَ، وَيَغْشَونَ مَجَالِسَ اللَّهْوِ وَالفُجُورِ، وَيُظْهِرُونَ نِسَاءَهُمْ بِأَقْبَحِ مَظَاهِرِ العُرِي وَالسُّفُورِ، فَيُشَوِّهُونَ الإِسْلاَمَ عِنْدَ مَنْ لاَ يَعْرِفُ الإِسْلاَمَ، وَهُمْ فِي الحَقِيقَةِ إِنَّمَا يُمَثِّلُونَ أَنْفُسَهُمُ الحَقِيرَةَ وَيُظْهِرُونَ مَا تُكِنُّهُ قُلُوبُهُم مِنْ مَرَضٍ وَنِفَاقٍ، وَالإِسْلاَمُ بَرِيءٌ مِنْهُم وَمِنَ تَصَرُّفَاتِهِمْ.

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَاحْمَدُوا اللهَ عَلَى دِينِ الإِسْلاَمِ وَاعتَزُّوا بِهِ وَأَظْهِرُوهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ فِي أَيِّ مَكَانٍ يعزكُمُ اللهُ وَيَنْصُركُم، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ.. إلخ.

* * *

بمُنَاسَبَةِ ظُهُورِ مَرَضِ الإيدْزِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، عَلَى فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةَ مُخْلِصٍ للهِ فِي السِّرِّ وَالعَلَنِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ تَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَى البَيْضَاءِ لاَ يَزِيغُ عَنْهَا إلاَّ مَنْ فُتِنَ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ تَمَسَّكُوا بِهَدْيِهِ فَأَدَّوا الفَرَائِضَ وَالسُّنَنَ. وَتَجَنَّبُوا المَحَارِمَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ وَاحْذَرُوا المَعَاصِيَ فَإِنَّهَا سَبَبُ العُقُوبَاتِ العَاجِلَةِ والآجِلَةِ، فَمَا حَلَّ فِي العَالَمِ بَلاَءٌ إلاَّ وَهِيَ سَبَبُهُ. وَقَدْ تَنَاقَلَ العَالَمُ فِي هَذِه الأَيَّامِ بِوَاسطَةِ وَكَالاَتِ الأَنْبَاءِ العَالَمِيَّةِ وَوَسَائِلِ الإعْلاَمِ المُخْتَلِفَةِ، نَبَأَ حُدُوثِ وَبَاءٍ خَطِيرٍ سَمَّوهُ طَاعُونَ العَصْرِ يُسَمَّىٰ بِمَرَضِ الإيدْزِ أَوْ فَقْدِ المَنَاعَةِ فِي الجِسْمِ الإنْسَانِيِّ حَتَّى يُصْبِحَ مُعَرَّضاً للإِصَابَةِ بِالأَمْرَاضِ وَالأَوْرَامِ الخَطِيرَةِ التِي تَقْضِي عَلَيْهِ بِسُرْعَةٍ، وَرَغْمَ البُحُوثِ الطِبِّيَّةِ لَمْ يَتَوَصَّلِ الطِّبُّ عَلَى تَقَدُّمِهِ إِلَى عِلاَجٍ لَهُ، فَصَارَ مَرَضًا مُسْتَعْصِيًا، وَقَدْ ذَكَرَ الأَطبَّاءُ أَن السببَ لِهَذَا المَرَضِ هُو الزِّنَىٰ وَاللوَاطُ وَتَنَاوُلُ المُخَدِّرَاتِ؛ وَهَذَا مِصْدَاقُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢]، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَا ظَهَرَتِ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ حَتَى أَعْلَنُوا بها إلاَّ ابْتُلُوا بِالطَّوَاعِينِ وَالأَوْجَاعِ التِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الذِينَ مَضوا**» صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ.

الآنَ اعْتَرَفَ العَالَمُ كُلُّهُ ضِمْنًا بِمَا نَصتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ والحَدِيثُ

الشَّرِيفُ، لَكِنْ هَلْ نَعْتَبِرُ؟ بَلْ لَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ هَذَا المَرَضَ لاَ يَقْتَصِرُ عَلَى مَنْ أُصِيب بِهِ، بَلْ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى زَوْجَتِهِ وَأَوْلاَدِهِ، بَلْ وَيَنْتَقِلُ عَنْ طَرِيقِ نَقْلِ الدَّمِ مِن شَخْصٍ مُصَابٍ بِهِ إِلَى شَخْصٍ سَلِيمٍ، وَعَنْ طَرِيقِ مُصَافَحَةِ المُصَابِ أَوْ مُعَانَقَتِهِ لِلشَّخْصِ السَّلِيمِ، وَعَنْ طَرِيقِ اخْتِلاطِ المُصَابِينَ بِهَذَا المَرَضِ بِالسَّالِمِينَ مِنْهُ فِي المَجَالِسِ وَالمَوَاطِنِ المُزْدَحِمَةِ أَوِ التَّعَاقُبِ عَلَى دَوْرَاتِ المِيَاهِ.

وَتُقَدِّرُ مُنَظَّمَةُ الصِّحةِ العَالَمِيَّةِ أَنَّ مَا يَقْرُبُ مِنْ عَشَرَةِ مَلاَيِينِ مِنَ البَشَرِ مُصَابُونَ الآنَ بِهَذَا المَرَضِ، وَيُتَوَقَّعُ أَنْ يَنْتَشِرَ بِشَكْلٍ أَكْثَرَ مَا لَمْ يُقْضَ عَلَى أَسْبَابِهِ مِنَ الزِّنَىٰ وَاللوَاطِ وَتَنَاوُلِ المُخَدِّرَاتِ.

وَلاَ يُمْكِنُ القَضَاءُ عَلَى هَذِهِ الأَسْبَابِ إلاَّ بِتَطْبِيقِ الحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى الزُّنَاةِ وَاللُّوطِيَّةِ وَمُرَوِّجِي المُخَدِّرَاتِ، فَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِرَجْمِ الزَّانِي المُحْصَنِ حَتَّىٰ يَمُوتَ، وَخَسَفَ الأَرْضَ بِاللُّوطِيَّةِ وَأَمْطَرَهُمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ، وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَتْلِ الفَاعِلِ وَالمَفْعُولِ بِهِ فِي اللوَاطِ، وَأَجْمَعَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عَلَى وجُوبِ قَتْلِهِ، لَكِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّةِ قَتْلِهِ؛ فَمِنْهُم مَنْ قَالَ: يُلْقَىٰ مِنْ شاهِقٍ وَيُتْبَعُ بِالحِجَارَةِ كما فعل الله بقوم لوطٍ، ومنهم من قال: يحرقُ بالنارِ كما حرق خالد بن الوليد اللوطيَّ بِأَمْرِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يُقْتَلُ بِالسَّيْفِ. فَهُمْ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي وجُوبِ قَتْلِهِ. وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّةِ تَنْفِيذِ القَتْلِ، وَهَذَا الاخْتِلاَفُ لاَ يُؤَثِّرُ.

وَأَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَتْلِ المُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ، وَمِنْهُم مُرَوِّجُو المُخَدِّرَاتِ بِزِرَاعَتِهَا أَوْ بَيْعِها، مِنْ أَجْلِ رَاحَةِ البَشَرِيَّةِ مِنْ شَرِّهِمْ وَالقَضَاءِ عَلَى الآثَارِ القَبِيحَةِ التِي تَنْتُجُ مِنْ جَرائِمِهِم. وَأَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِغَضِّ البَصَرِ وَحِفْظِ الفُرُوجِ، وَتَحَجُّبِ النِّسَاءِ، عن الرجال وقرارهن في البيوت، وحرم سفر المرأة بدون محرمٍ، ومنع

من الاختلاط بين الرجال والنساء، وَحَرَّمَ خَلْوَةَ الرَّجُلِ بِالمرْأَةِ التِي لاَ تَحِلُّ لَهُ.
كُلّ ذلِكَ مِنْ أَجْلِ القَضَاءِ عَلَى هَذِهِ الجَرَائِمِ وَوِقَايَةِ النَّاسِ مِنْ آثَارِهَا القبيحَةِ، وَلَكِنْ يَأْبَى الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ إلاَّ أَنْ يُمدوا المرْأَةَ عَلَى هَذِهِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ويصفوها بأنها تقاليد قديمة وظلم للمرأة. وهضم لحقوقها.. إلخ ما يقولون من الزور وَالأَقوالِ الخَبِيثَةِ، وَالآنَ لِيذوقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ.

قَالَ الإِمَامُ العَلاَّمَةُ ابنُ القَيِّمِ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ: وَلَمَّا كَانَتْ مَفْسَدَةُ الزِّنَىٰ مِنْ أَعْظَمِ المَفَاسِدِ وَهِي مُنَافِيَةٌ لِمَصْلَحَةِ نِظَامِ العَالَمِ فِي حِفْظِ الأَنْسَابِ، وَحِمَايَةِ الفُرُوجِ، وَصِيَانَةِ الحُرُمَاتِ، وَتَوَقِّي مَا يُوقِعُ أَعْظَمَ العَدَاوَةِ وَالبَغْضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ، مِنْ إِفْسَادِ كُلٌّ مِنهُمْ امْرَأَةَ صَاحِبِهِ وبِنْتَهُ وَأُخْتَهُ وَأُمَّه، وفِي ذلِكَ خَرَابُ العَالَمِ ـ كَانَتْ مَفْسَدَةَ الزِّنَىٰ تَلِي مَفْسَدَةَ القَتْلِ فِي الكِبَرِ، وَلِهَذَا قَرَنَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَرَسُولُهُ ﷺ فِي سُنَّتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠]، فَقَرَنَ الزِّنَىٰ بِالشِّرْكِ وَقَتْلِ النَّفْسِ، وَجَعَلَ جَزَاءَ ذَلِكَ الخُلُودَ فِي العَذَابِ المُضَاعَفِ المُهِينِ مَا لَمْ يَرْفَعِ العَبْدُ مُوجِبَ ذَلِكَ بِالتَّوْبَةِ وَالإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ.

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَاعْمَلُوا الأَسْبَابَ الوَاقِيَةَ مِنْ عُقُوبَاتِهِ العَاجِلَةِ وَالآجِلَةِ بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللهِ وَحِفْظِ أَنْفُسِكُمْ وَحِفْظِ مَحَارِمِكُمْ مِنَ الفَوَاحِشِ وَأَسْبَابِهَا لعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَمَرَنَا بِالتَّمَسُّكِ بِهَذَا الدِّينِ لِنَكُونَ مِنَ المُفْلِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ مُخْلِصًا لهُ الدِّينِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ وَاحْذَرُوا مِنْ عِقَابِهِ.

يَا مَنْ تُسَافِرُونَ لِلْخَارِجِ إِلَى مَوَاطِنِ الوَبَاءِ وَمَعَاطِنِ البَلاَءِ، اتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَفِي أَهْلِكُمْ وَعَوَائِلِكُمْ وَفِي مُجْتَمَعِكُمْ، لاَ تَتمرَّغُوا فِي الوَحْلِ، وَتَغْمِسُوا أَنْفُسَكُمْ فِي البَلاَءِ، وَتَجْلِبُوه إِلَى بِلاَدِكُمْ كَالذُّبَابِ الذِي يَقَعُ عَلَى النَّجَاسَةِ وَالقَاذُورَاتِ ثُمَّ يَحْمِلُهَا بِرِجْلَيْهِ إِلَى أَجْسَامِ الأَبْرِيَاءِ.

يَقُولُ الأَطِبَّاءُ: إِنَّ جُرْثُومَةَ هَذَا المَرَضِ الخَطِيرِ الذي سَمِعْتُمْ شَيْئًا عَنْ آثَارِهِ المُدَمِّرَةِ لاَتَنْتَشِرُ بِشَكْلٍ عَارِضٍ، وَإِنَّما تَنْتَقِلُ نَتِيجَةً لِسُلُوكٍ بَشَرِيٍّ، يُمْكِنُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَتَوقَّاهُ بِالدِّينِ وَالقِيمِ الأَخْلاَقِيَّةِ النَّزِيهَةِ، وَالابْتِعَادِ عَنْ مَوَاطِنِ الفَسَادِ وَقُرَنَاءِ السُّوءِ، وَتُجَنُّبِ الاسْتِمتَاعِ المُحَرَّمِ، وَالابْتِعَادِ عَنْ تَعَاطِي المُخَدِّرَاتِ، وَتَجَنُّبِ نَقْلِ الدَّمِ مِنْ شَخْصٍ لآخَرَ قَبْلَ التَّأَكُّدِ مِنْ سَلاَمَتِهِ.

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَاحْمَدُوا اللهَ عَلَى هَذَا الدِّينِ القَوِيمِ الذِي بَيَّنَ لَكُمُ الخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَشَرَعَ لَكُمْ مَا يَكْفُلُ سَلاَمَتَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَدْ نَفَى العَدْوَىٰ بِقَوْلِهِ ﷺ: «**لاَ عَدْوَىٰ وَلا**

طِيَرَةَ»[١] فَمَا بَالُكَ تَذْكُرُ لَنَا قَوْلَ الأَطِبَّاءِ فِي إِعْدَاءِ هَذَا المَرَضِ؟ وَنَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَفَى العَدْوَى التِي كَانَتْ تَعْتَقِدُهَا الجَاهِلِيَّةِ مِن أَنَّ المَرَضَ يَعْدِي بِنَفْسِهِ، وَأَثْبَتَ العَدْوَىٰ التِي تَكُونُ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ عُقُوبَةً مِنْهُ سُبْحَانَهُ بِسَبَبِ مُخَالَطَةِ المجْذُومِ، ومُخَالَطَةِ المُمْرِضِ لِلمُصحِّ، وَالقُدُومِ عَلَى بَلَد الوَبَاءِ، فَالوَاجِبُ عَلَيْنَا تَعَاطِي أَسْبَاب النَّجَاةِ، وَتَجَنُّبُ أَسْبَابِ الهَلاَكِ وَالعُقُوبَاتِ.

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ... إلخ.

* * *

(١) رواه البخاريُّ (٥٧٠٧)، ومسلمٌ (٢٢٢٠).

تأملات في سورة العصر

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَنْزَلَ القُرْآنَ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَىٰ وَالفُرْقَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المُؤَيَّدُ بِالمُعْجِزَاتِ وَالبُرْهَانِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ جَاهَدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، بِالمَالِ وَاللِّسَانِ وَالسِّنَانِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسِ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ وَتَأَمَّلُوا كِتَابَ رَبِّكُمْ فَفِيهِ الهُدَىٰ وَالنُّورُ، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ، وَمَعَنَا الآنَ سُورَةٌ وَجِيزَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ، هِي سُورَةُ العَصْرِ قَالَ فِيهَا الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ لَوَسِعَتْهُم. وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا الْتَقَوا لَمْ يَتَفَرَّقُوا إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يَقْرَأَ أَحَدُهُم عَلَى الآخَرِ سُورَةَ العَصْرِ، وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ العَمَلِ بِهَا.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

ثَلاَثُ آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ بَيَانَ أَسْبَابِ الخُسْرَانِ وَالرِّبْحِ، وَلاَ شَكَّ أَنْ كُلَّ عَاقِلٍ يُرِيدُ الرِّبْحَ وَلاَ يُرِيدُ الخَسَارَةَ، لَكِنَّهُ لاَ يَعْلَمُ الأَسْبَابَ المُوصِلَةَ إِلَى الخَسَارَةِ فَيَتَجَنَّبَهَا وَالأَسْبَابَ المُوصِلَةَ إِلَى الرِّبْحِ فَيَطْلُبَهَا. وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ فَبَيَّنَ ذَلِكَ لَهُمْ فِي سُورَةٍ وَجِيزَةٍ، يَحْفَظُهَا وَيَفْهَمُهَا الكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ، وَالعَامِّي وَالمُتَعَلِّمُ، لِتَقُومَ بِذلكَ حُجَّتُهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَلِيَعْمَلَ بِهَا مَنْ يُرِيدُ النَّجَاةَ لِنَفْسِهِ فَلِلَّهِ

الحَمْدُ وَالمِنَّةُ، وَلَهُ الحُجَّةُ البَالِغَةُ عَلَى خَلْقِهِ.

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالعَصْرِ الذِي هُو الوَقْتُ الذِي يَعِيشُهُ النَّاسُ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ، وَهُو سُبْحَانَهُ يُقْسِمُ بِمَا يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَمَّا المَخْلُوقُ فَلاَ يَجُوزُ له أَنْ يُقْسِمَ إلاَّ بِاللهِ، لأَنَّ القَسَمَ مِنَ المَخْلُوقِ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ، وَهُو سُبْحَانَهُ لاَ يُقْسِمُ بِشَيءٍ مِنْ خَلْقِهِ إلاَّ إذا كَانَ فِيهِ سِرٌّ عَظِيمٌ وَحِكْمَةٌ بَالِغَةٌ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَلْفِتَ الأَنْظَارَ إِلَيْهِ، إِمَّا للاعْتِبَارِ بِهِ أَو الاسْتِفَادَةِ مِنْهُ، وَهُو هُنَا أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالعَصْرِ الذِي هُو الزَّمَانُ وَالوَقْتُ الذِي يَعِيشُهُ النَّاسُ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ لِمَا فِيهِ مِنَ العِبَرِ، مِنْ تَقَلُّبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا يَجْرِي فِيهِمَا مِنَ الحَوَادِثِ وَالمُتَغَيِّرَاتِ وَالمُتَضَادَّاتِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الفَائِدَةِ العَظِيمَةِ للإِنْسَانِ إِذَا اسْتَغَلَّ هَذَا الوَقْتَ فِيمَا يَنْفَعُهُ وَيُفِيدُهُ.

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ خَاسِرٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، سَوَاء كَانَ مَلِكًا أَوْ صُعْلُوكًا، غِنياً أَوْ فَقِيرًا، أَمْ عَالِمًا أَوْ جَاهِلاً، أَمْ شَرِيفًا أَمْ وَضِيعًا، أَوْ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَىٰ. إلاَّ مَنِ اسْتَغَلَّ هَذَا الوَقْتَ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: الإِيمَانِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالتَّوَاصِي بِالحَقِّ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ. فَالإِيمَانُ وهُو تَصْدِيقُ القَلْبِ لاَ يَنْفَعُ بِدُونِ عَمَلٍ، كَمَا قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: لَيْسَ الإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي وَلاَ بِالتَّمَنِّي وَلَكِنَّهُ مَا وَقَرَ فِي القُلُوبِ وَصَدَّقَتْهُ الأَعْمَالُ، وَمَا كُلُّ عَمَلٍ يَكُونُ صَالِحًا إلاَّ مَا تَوَفَّرَ فِيهِ الإِخْلاَصُ للهِ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ، وَالمُتَابَعَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَتَرْكُ جَمِيعِ البِدَعِ وَالمُحْدَثَاتِ، وَهُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ الخَلْقِ يَعْمَلُونَ أَعْمَالاً يَرْجُونَ فَائِدَتَهَا وَثَوَابَهَا وَهِي تُبْعِدُهُم عَنِ اللهِ وَعَنْ جَنَّتِهِ وَتُدْخِلُهُم نَارَ جَهَنَّمَ؛ لَمَّا كَانَتْ فَاقِدَةً لِهَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا: الإِخْلاَصُ وَالمُتَابعَةُ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ [الغاشية: ٢ ـ ٥]، يَعْنِي حَارَّةً شَدِيدَةَ الحَرَارَةِ ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ [الغاشية: ٢ ـ ٧].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: تَخْشَعُ وَلاَ يَنْفَعُهَا عَمَلُهَا ((نَاصِبَةٌ)) عَمِلَتْ عَمَلاً كَثِيرًا تَعِبَتْ فِيهِ دَخَلَتْ بِهِ النَّارَ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى المَنْهَجِ المَشْرُوعِ، وَإِذَا كَانَ هذَا حَالُ الذِينَ يَعْمَلُونَ ـ لَكِنَّهُم يَعْمَلُون عَلَى غَيْرِ هُدًى ـ فَمَا حَالُ الذِينَ لاَ يَعْمَلُونَ أَصْلاً؟ وَإِنَّمَا يَعِيشُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عِيشَةَ البَهَائِمِ لِبُطُونِهِمْ وَفُرُوجِهِم، فَلاَ يُصَلُّونَ وَلاَ يُزَكُّونَ وَلاَ يَتَوَرَّعُونَ عَنْ حَرَامٍ، وَلاَ يَكُفُّونَ عَنِ الإِثْمِ وَالإِجْرَامِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ﴾ التَّوَاصِي بالحق هُو الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ وَبِحِكْمَةٍ، وَتَعْلِيمُ الجَاهِلِ، وَتَذْكِيرُ الغَافِلِ، فَلاَ يَكْفِي أَنَّ الإِنْسَانَ يَعْمَلُ العَمَلَ الصَّالِحَ وَيَقْتَصِرُ عَلَى إِصْلاَحِ نَفْسِهِ بَلْ لاَ بُدَّ أَنْ يَعْمَلَ عَلَى إِصْلاَحِ غَيْرِهِ؛ لأَنَّهُ لاَ يَكُونُ مُؤْمِنًا حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَلاَ يَكُونُ الإِنْسَانُ نَاجِيًا مِنَ الخَسَارَةِ حَاصِلاً عَلَى الرِّبْحِ إِلاَّ إِذَا عَمِلَ عَلَى إِصْلاَحِ نَفْسِهِ وَإِصْلاَحِ غَيْرِهِ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَلاَ يُعَدُّ تَدَخُّلاً فِي أُمُورِ النَّاسِ كَمَا يَقُولُ بَعْضُ السُّفَهَاءِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ: إِنَّ هَيْئَاتِ الأَمْرِ بِالمعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ تَتَدَخَّلُ فِي أُمُورِ النَّاسِ، وَلاَ يَدْرِي هَذَا الجَاهِلُ أَنَّ الآمِرِينَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّاهِينَ عَنِ المُنْكَرِ يُرِيدُونَ الخَيْرَ لِلنَّاسِ وَالنَّجَاةَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَإِنْقَاذَهُمْ مِنَ الهَلاَكِ؛ وَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا المُنْكَرَ وَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ**»(١). وَقَدْ لَعَنَ اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ الصَّبْرُ هُو حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ وَإِبْعَادُهَا عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَهُو ثَلاَثَةُ أَنْوَاعٍ: صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللهِ. وَصَبْرٌ عَنْ مَحَارِمِ

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذيُّ (٢١٦٩) ورواه أيضاً النسائي وابنُ ماجه.

اللهِ، وَصَبْرٌ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ المُؤْلِمَةِ. وَمُنَاسَبَةُ ذِكْرِ الصَّبْرِ بَعْدَ ذِكْرِ التَّوَاصِي بِالحَقِّ: أَنَّ الذِي يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰ عَنِ المُنْكَرِ يَتَعَرَّضُ لأَذَىٰ النَّاسِ القَوْلِيِّ وَالفِعْلِيِّ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى ذلِكَ وَيَسْتَمِرَّ فِي الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَيَتَحَمَّلَ مَا يَنَالُهُ مِنَ النَّاسِ مِنَ الأَذَىٰ؛ لأَنَّ الذِي لاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ لاَ يَسْتَمِرُّ عَلَى نَصِيحَتِهِمْ، وَقَدْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧]، وَقَالَ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ لأُمَمِهِمْ: ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وَالذِي لَيْسَ عِنْدَهُ صَبْرٌ لاَ يَصْلُحُ لِلْقِيَامِ بِإِصْلاَحِ النَّاسِ، بَلْ لاَ يَقْوَىٰ عَلَى القِيَامِ بِإِصْلاَحِ نَفْسِهِ؛ وَلِهَذَا قَال أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الصَّبْرُ مِنَ الدِّينِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ». وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: وَجَدْنَا خَيْرَ أُمُورِنَا بِالصَّبْرِ.

إِنَّ سُورَةَ العَصْرِ سُورَةٌ عَظِيمَةٌ مُعْجِزَةٌ، وَجِيزَةٌ، فِي أَلْفَاظِهَا غَزِيرَةٌ فِي مَعَانِيهَا. جَامِعَةٌ لأَسْبَابِ السَّعَادَةِ بحَذَافِيرِهَا، وَمُحَذِّرَةٌ مِنْ أَسْبَابَ الشَّقَاوَةِ جَمِيعِهَا، وَلَوْ أَرَادَ أَبْلَغُ النَّاسِ وَأَفْصَحُهُم أَنْ يُبَيِّنَ أَسْبَابَ السَّعَادَةِ وَأَسْبَابَ الشَّقَاوَةِ لاحْتَاجَ إِلَى مُجَلَّدَاتٍ وَقَدْ لاَ يَصِلُ إِلَى المَطْلُوبِ، لَكِنَّهُ كَلاَمُ اللهِ الذِي لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ، وَلا يَسْتَطِيعُ الجِنُّ وَالإِنْسُ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ.

فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، وَاجْعَلُوا سُورَةَ العَصْرِ مِنْهَاجًا تَسِيرُونَ عَلَيْهِ فِي طَرِيقِكُمْ إِلَى اللهِ، وَلاَ تُضَيِّعُوا العَمَلَ بِهَا فَتَكُونُوا مِنَ الخَاسِرِينَ.

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ

شَكُورًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَه، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عَلوّاً كَبِيرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ وَاحْفَظُوا أَوْقَاتَكُمْ مِنَ الضَّيَاعِ وَأَعْمَالَكُمْ مِنَ الفَسَادِ، وَاغْتَنِمُوا أَعْمَارَكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تَنْدَمُوا عَلَى فَوَاتِهَا يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ النَّدَمُ: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزمر: ٥٦ـ٥٨].

إِنَّهُ عُمْرُكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ، فرْصَةٌ وَهَبَهَا اللهُ لَكَ لِتُنْفِقَهُ فِيمَا يَنْفَعُكَ، فَاحْرِصْ عَلَى حِفْظِهِ أَكْثَرَ مِمَّا تَحْرِصُ عَلَى حِفْظِ مَالِكَ؛ لأَنَّ المَالَ إِذَا ضَاعَ يُمْكِنُ التَّعْوِيضُ عَنْهُ، أَمَّا العُمْرِ فَلاَ يمكِنُ التَّعْوِيضُ عَنْهُ.

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَشْكُو مِنَ الفَرَاغِ وَيُرِيدُ أَنْ يَشْغَلَ الوَقْتَ بِمَا يَسْتَنْفِدُهُ وَلَو كَانَ ضَارًا أَوْ لافَائِدَة مِنْهُ، يَسْهَرُ اللَّيْلَ في اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاَةِ، يُسَافِرُ لِلنُّزْهَةِ وَقَضَاءِ الإِجَازَةِ الصَّيْفِيَّةِ وَلَوْ فِي أَفْسَدِ البِقَاعِ، يُعْطِي نَفْسَهُ مَا تَشْتَهِي وَلَوْ كَانَ فِيهِ مَضَرَّتُهَا وَشَقَاوَتُهَا، لاَ يَحْسبُ حِسَابًا لِغدِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ، لاَ يُفَكِّرُ فِي المَوْتِ وَالقَبْرِ وَالحَشْرِ وَالحِسَابِ وَالمَصِيرِ الدَّائِمِ، لاَ يَتَأَمَّلُ فِي سُورَةِ العَصْرِ وَمَا تَطْلُبُهُ مِنهُ، لاَ يُفَكِّرُ فِي العَوَاقِبِ وَلاَ يَعْتَبِرُ بِمَا حَصَلَ لِغَيْرِهِ مِنْ سُوءِ العَوَاقِبِ.

فَاتَّقُوا اللهَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ.. إلخ.

* * *

فِي النَّهْيِ عَنْ تَغْيِيرِ العِبَادَاتِ عَنْ وَضْعِهَا الشَّرْعِيِّ

الحَمْدُ للهِ أَمَرَنَا بطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ، وَنَهَانَا عَنِ اتِّبَاعِ أَهْوَائِنَا وَالقَوْلِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِلاَ عِلْمٍ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ القَائِلُ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**»(١) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعالَى، وَاتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ رَبِّكُمْ، وَلاَ تُغَيِّرُوا وَلاَ تُبَدِّلُوا؛ فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُو رَدٌّ**»(٢). وَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ يُحَاوِلُونَ تَغْيِيرَ العِبَادَاتِ عَنْ وَضْعِهَا الشَّرْعِيِّ، وَلِذَلِكَ أَمْثِلَةٌ كَثِيرةٌ، فَمَثَلاً صَدَقَةُ الفِطْرِ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِخْرَاجِهَا مِنَ الطَّعَامِ فِي البَلَدِ الذِي يُوجَدُ فِيهِ المُسْلِمُ عِنْدَ نِهَايَةِ شَهْرِ رَمَضَانَ، بِأَنْ يُخْرِجَهَا فِي مَسَاكِينِ ذَلِكَ البَلَدِ، وَقَدْ وُجِدَ مَنْ يُفْتِي بِإِخْرَاجِ القِيمَةِ بَدَلاً مِنَ الطَّعام، وَمَنْ يُفْتِي بِدَفْعِ دَرَاهِمَ يُشْتَرَى بِهَا طَعَامٌ فِي بَلَدٍ آخَرَ بَعِيدٍ عَنْ بَلَدِ الصَّائِمِ وَتُوَزَّعُ هُنَاكَ. وَهَذَا تَغْيِيرٌ لِلْعِبَادَةِ عَنْ وَضْعِهَا الشَّرْعِيِّ، فَصَدَقَةُ الفِطْرِ لَهَا وَقْتٌ تُخْرَجُ فِيهِ، وَهُو لَيْلَةُ العِيدِ

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧).

(٢) رواه مسلم (١٧١٨).

أَوْ قَبْلَهُ بِيَوْمَيْنِ فَقَطْ، وَلَهَا مَكَانٌ تُخْرَجُ فِيهِ، وَهُو البَلَدُ الذِي يُوَافِي تَمَامُ الشَّهرِ وَالمُسْلِمُ فِيهِ، وَلَهَا أَهْلٌ تُصْرَفُ فِيهِمْ، وَهُم مَسَاكِينُ ذَلِكَ البَلَدِ، وَلَهَا نَوْعٌ تُخْرَجُ مِنْهُ وَهُو الطَّعَامُ، فَلاَ بُدَّ مِنَ التَّقَيُّدِ بِهَذِهِ الاعْتِبَارَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَإِلاَّ فَإِنَّهَا لاَ تَكُونُ عِبَادَةً صَحِيحَةً وَلاَ مُبْرِئَةً لِلذِّمَّةِ، وَقَدِ اتَّفَقَ الأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ عَلَى وجُوبِ إِخْرَاجِ صَدَقَةِ الفِطْرِ فِي البَلَدِ الذِي فِيهِ الصَّائِم مَا دَامَ فِيهِ مُسْتَحِقُّونَ لَهَا. وَصَدَرَ بِذَلِكَ قَرَارٌ مِنْ هَيْئَةِ كِبَارِ العُلَمَاءِ فِي المَمْلَكَةِ، فَالْوَاجِبُ التَّقَيُّدُ بِذلِكَ، وَعَدَمُ الالْتِفَاتِ إِلَى مَنْ يُنَادُونَ بِخِلاَفِهِ؛ لأَنَّ المُسْلِمَ يَحْرِصُ علَى بَرَاءَةِ ذِمَّتِهِ وَالاحْتِيَاطِ لِدِينِهِ.

وَهَكَذَا كُلُّ العِبَادَاتِ لابد من أدائها على مقتضى الاعتبارات الشرعية نوعاً ووقتاً ومصرفاً، فلا يغير نوع العبادةِ الذِي شَرَعَهُ اللهُ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ. فَمَثَلاً: فِدْيَةُ الصِّيَام بِالنِّسْبَةِ لِلْكَبِيرِ الهَرِمِ وَالمَرِيضِ الزَّمِنِ اللذَيْنِ لاَ يَسْتَطِيعَانِ الصِّيَامَ، قَدْ أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِمَا الإِطْعَامَ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ بَدَلاً مِنَ الصيَامِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وَكَذَلِكَ الإِطْعَامُ فِي الكَفَّارَاتِ: وكَفَّارَةِ الظِّهَارِ، وَكَفَّارَةِ الجِمَاعِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، وَكَفَّارَةِ اليَمِينِ. وَكَذَلِكَ إِخْرَاجُ الطَّعَامِ فِي صَدَقَةِ الفِطْرِ، كُلّ هَذِهِ العِبَادَاتِ لاَ بُدَّ مِنْ إِخْرَاجِ الطَّعَامِ فِيهَا وَلاَ يُجْزِىءِ عَنْهُ إِخْرَاجُ القِيمَةِ مِنَ النُّقُودِ؛ لأَنَّهُ تَغْيِيرٌ لِلْعِبَادَةِ عَنْ نَوْعِهَا الذِي وَجَبَتْ مِنْهُ؛ لأَنَّ اللهَ نَصَّ فِيهَا عَلَى الإِطْعَامِ فَلاَ بُدَّ مِنَ التَّقَيُّدِ بِهِ. وَمَنْ لَمْ يَتَقَيَّدْ بِهِ فَقَدَ غَيَّرَ العِبَادَةَ عَنْ نَوْعِهَا الذِي أَوْجَبَهُ اللهُ.

وَكَذَلِكَ الهَدْيُ وَالأَضَاحِي وَالعَقِيقَةُ عَنِ المَوْلُودِ، لاَ بُدَّ فِي هَذِهِ العِبَادَاتِ أَنْ يُذْبَحَ فِيهَا مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ النَّوْعُ الذِي يُجْزِىءُ مِنْهَا، وَلاَ يُجْزِىءُ عَنْهَا إِخْرَاجُ القِيمَةِ أَو التَّصَدُّقُ بِثَمَنِهَا؛ لأَنَّ الذَّبْحَ عِبَادَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝﴾ [الكوثر: ٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ

رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وَالأكلُ مِنْ هَذِهِ الذَّبَائِحِ وَالتَّصَدُّقُ مِنْ لُحُومِهَا عِبَادَةٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحج: ٢٨]، فلاَ يَجُوزُ وَلاَ يُجزِىءُ إِخراجُ القِيمَةِ أَوِ التَّصدُّقِ بِالدَّرَاهِمِ بَدَلاً من الذَّبح؛ لأَنَّ هَذَا تغييرٌ لِلعِبَادَةِ عَنْ نَوعِهَا الذي شَرَعَهُ الله.

وَلاَ بُدَّ أَيْضًا أَنْ تُذْبَحَ هَذِهِ الذَّبَائِحُ فِي المَكَانِ الذي شَرَعَ الله ذَبْحَهَا فِيهِ؛ فَالهَدْيُ يُذْبَحُ فِي الحَرَمِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الحج: ٣٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي المُحْرِمِينَ الذِينَ سَاقُوا مَعَهُمُ الهَدْيَ: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وَالأُضْحِيةُ وَالعَقِيقَةُ يَذْبَحُهُمَا المُسْلِمُ فِي بَلَدِهِ وَفِي بَيْتِهِ، وَيَأْكُلُ وَيَتَصَدَّقُ مِنْهُمَا، وَلاَ يَبْعَثُ بِقِيمَتِهِمَا لِيَشْتَرِيَ بِهَا ذَبِيحَةً تُذْبَحُ وَتُوزَّعُ فِي بَلَدٍ آخَرَ، كَمَا يُنَادِي بِهِ اليَوْمَ بَعْضُ الطَّلَبَةِ المُبْتَدِئِينَ، أَوْ بَعْضُ العَوَامِّ بِحُجَّةِ أَنَّ بَعْضَ البِلاَدِ فِيهَا فُقَرَاءُ وَمُحْتَاجُونَ، وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ مُسَاعَدَةَ المُحْتَاجِينَ مِنَ المُسْلِمِينَ مَطْلُوبَةٌ فِي أَيِّ مَكَانٍ، لَكِنَّ العِبَادَةَ التِي شَرَعَ الله فِعْلَهَا فِي مَكَانٍ مُعَيَّنٍ لاَ يَجُوزُ تَجَاوُزُ الصِّفَةِ التِي شَرَعَهَا الله بِهَا، وَهَؤُلاَءِ شَوَّشُوا عَلَى النَّاسِ حَتَّى كَثُرَ تَسَاؤُلُهُمْ عَنْ هَذِهِ المَسْأَلَةِ. وَلَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَبْعَثُ بِالهَدْيِ إِلَى مَكَّةَ ليذبح فيها وهو مقيم بالمدينة، ويذبح الأضحية والعقيقة في بيته بالمدينة ولا يبعث بهما إلى مكة مَعَ أَنَّهَا أَفْضَلُ مِنَ المَدِينَةِ وَفِيهَا فُقَرَاءُ قَدْ يَكُونُونَ أَكْثَرَ حَاجَةً مِنْ فُقَرَاءِ المَدِينَةِ، وَمَعَ هَذَا تَقَيَّدَ بِالمَكَانِ الذِي شَرَعَ الله أداء العِبَادَةِ فِيهِ، فَلَمْ يَذْبَحِ الهَدْيَ بِالمَدِينَةِ وَلَمْ يَبْعَثْ بِالأُضْحِيةِ وَالعَقِيقَةِ إِلَى مَكَّةَ، بَلْ ذَبَحَ كُلَّ نَوعٍ فِي مَكَانِهِ المَشْرُوعِ ذَبْحُهُ فِيهِ **«وَخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»**. نَعَمْ لاَ مَانِعَ مِنْ إِرْسَالِ اللُّحُومِ الفَائِضَةِ مِنَ الهَدْيِ وَالأَضَاحِي إِلَى البِلاَدِ المُحْتَاجَةِ، لَكِنَّ الذَّبْحَ لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي المَكَانِ

المُخَصَّصِ لَهُ شَرْعًا. وَمَنْ أَرَادَ نَفْعَ المُحْتَاجِينَ مِنْ إِخْوَانِنَا المُسْلِمِينَ فِي البِلاَدِ الأُخْرَىٰ، فَلْيُسَاعِدْهُم بِالأَمْوَالِ وَالمَلاَبِسِ وَالأَطْعِمَةِ وَكُلِّ مَا فِيهِ نَفْعٌ لَهُمْ، أَمَّا العِبَادَاتُ فَإِنَّها لاَ تُغَيَّرُ عَنْ وَقْتِهَا وَمَكَانِهَا بِدعوىٰ مُسَاعَدَةِ المُحْتَاجِينَ فِي مَكَانٍ آخَرَ وَالعَاطِفَةُ لاَ تَكُونُ عَلَى حِساب الدِّينِ وَتَغْيِيرِ العِبَادَةِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُم

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَكْمَلَ لَنَا الدِّين، وَأَتمَّ عَلَيْنَا النِّعْمَة/ وَأَوْضَحَ لَنَا الأَحْكَامَ، وَأَمَرَنَا بِتَعَلُّمِهَا وَالتَّقَيُّدِ بِهَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اتَّبَعَ هَدْيَهُ وَتَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ وَاعْبُدُوهُ عَلَى نُورٍ منَ هَدْيِ كِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَاحْذَرُوا القَوْلَ عَلَيْهِ بِلاَ عِلْمٍ وَالفَتْوَىٰ فِي دِينِهِ بِغَيْرِ بَصِيرَةٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ المُحَرَّمَاتِ، وَإِذَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ شَيءٌ مِنْ أُمُورِ دِينِكُمْ فَرَاجِعُوا فِيهِ أَهْلَ العِلْمِ، كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء: ٧].

فَالفَتْوَىٰ فِي الدِّينِ لاَ تُؤْخَذُ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا تُؤْخَذُ عَنْ أَهْلِ الذِّكْرِ، وَأَهْلُ الذِّكْرِ هُمُ العُلَمَاءُ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ. وَإِنَّنَا نَرَىٰ فِي هَذِهِ الأَزْمِنَةِ تَسَاهُلاً فِي أَمْرِ الفَتْوَىٰ وَقَبُولِهَا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، فَعِنْدَمَا يَخْطُبُ خَطِيبٌ أَوْ يَتَكَلَّمُ مُتَكَلِّمٌ فِي مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِ الدِّينِ يُبَادِرُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى قَبُولِهَا وَالعَمَلِ بِهَا دُونَ رُجُوعٍ إِلَى أَهْلِ العِلْمِ. وَهَذَا الأَمْرُ يُنْذِرُ بِخُطُورَةٍ شَدِيدَةٍ. إِنَّ الكَثِير مِمَّنْ يَخْطُبُونَ

وَيَتَكَلَّمُونَ لَيْسُوا فقهَاءَ، وَالفُقَهَاءُ قَلِيلٌ. وَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ أَنَّهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَكْثُرُ القرَّاءُ وَيَقِلُّ الفُقَهَاءُ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالتَّثَبُّتِ فِي أُمُورِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ. فَإِنَّ هَذَا مِنْ دِينِكُمْ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ. . . إلخ.

* * *

فِي النَّهْيِ عَنْ تَغْيِيرِ العِبَادَاتِ عَنْ وَضْعِهَا الشَّرْعِيِّ

الحَمْدُ للهِ الذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإِيمَانِ، وَغَمَرَنَا بِالفَضْلِ وَالنِّعَمِ وَالإِحْسَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الرَّحِيمُ الرَّحْمٰنُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المُؤَيَّدُ بِالمُعْجِزَاتِ وَالبُرْهَانِ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ وَاشْكُرُوا نِعَمَهُ فَقَدْ تَأَذَّنَ بِالمَزِيدِ لِمَنْ شَكَرَهُ، وَتَأَذَّنَ بِالعَذَابِ الشَّدِيدِ لِمَنْ كَفَرَهُ، تَعْلَمُونَ مَا كَانَتْ تَنْعَمُ بِهِ هَذِهِ البِلاَدُ مُنْذُ أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهَا بِظُهُورِ دَعوةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ، وَمُؤَازَرَةِ آلِ سُعُودٍ لَهُ، رَحِمَ اللهُ الأَمْوَاتَ وَوَفَّقَ الأَحْيَاءَ لِلْقِيَامِ بِمُنَاصَرَةِ هَذِهِ الدَّعوَةِ المُبَارَكَةِ التِي أَزَاحَ اللهُ بِهَا عَنْ هذه البلادِ كثيرًا من الشرور من الفتن وحل محلها الاجتماع والوفاق وسلامة الاعْتِقَادِ وَالأَخْلاَق. فَأَهْلُ هَذِهِ البِلاَدِ وَللهِ الحَمْدُ جَمَاعَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الاعْتِقَادِ وَالسُّلَوكِ وَالحُكْمِ، قَادَتهُمْ ورَعِيَّتُهُمْ يَحْرُسُونَ العَقِيدَةَ، وَيُحَكِّمُونَ الشَّرِيعَةَ، وَيُقِيمونَ الحُدُودَ، وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ، وَيَصُونُونَ الأَعْرَاضَ وَالأَمْوَالَ. لاَ نَقُولُ إِنَّهُمْ كَامِلُونَ فِي كُلِّ شَيءٍ وَلاَ نَقولَ: إِنَّهُ لا تَقَعُ عندَهُم بَعْضُ المُخَالَفَاتِ، لَكِنَّ مَا يَقَعُ مِنْ ذلِكَ فَإِنَّهُ وَللهِ الحَمْدُ يُعَالجُ عَلَى ضَوْءِ الشريعَةِ، وَكَانَ مِثْلُ هَذَا يَقَعُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ وجِدَ مَنْ يَسْرِقُ، وَمَنْ يَزْنِي، وَمَنْ يَشْرَبُ الخَمْرَ، وَمَنْ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ، لَكِنَّهُ كَانَ يُقِيمُ الحُدُودَ وَيَرْدَعُ المُجْرِمِينَ وَكَانَتْ بِلاَدُنَا وللهِ الحَمْدُ تَسِيرُ عَلَى هَذَا النَّهْجِ المُسْتَقِيمِ، وَلَكِنْ فِي

هَذِهِ الأَزْمَانِ المُتَأَخِّرَةِ بِحُكْمِ تَقَارُبِ العَالَمِ وَاخْتِلاَطِ النَّاسِ وَحُدُوثِ وَسَائِلِ الإِعْلاَمِ التِي تَبُثُّ مَا يُقَالُ وَمَا يُفْعَلُ هُنَا وَهُنَاكَ، تَأَثَّرَ بَعْضُ شَبَابِ هَذِهِ البِلاَدِ، وَخُصُوصًا بَعْضَ المُتَدَيِّنِينَ مِنْهُمْ، بِأَفْكَارٍ غَرِيبَةٍ تَفِدُ إِلَيْهِمْ مِنْ مُجْتَمَعَاتٍ أُخْرَىٰ وَمِنْ جَمَاعَاتٍ تَنْتَسِبُ إِلَى الإِسْلاَمِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ لَكِنْ عِنْدَهَا جَهْلٌ كَثِيرٌ وَفِيهَا أَخْلاَطٌ مَشْبُوهُونَ مُنْدَسُّونَ بَيْنَ تِلْكَ الجَمَاعَاتِ، تَرَىٰ تَضْلِيلَ مَنْ خَالَفَهَا، بَلْ إِنَّ هَذِهِ الجَمَاعَاتِ يُضَلِّلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَرُبَّمَا يُكَفِّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَتَأَثَّرَ بِذَلِكَ بَعْضُ شَبَابِنَا وَتَشَرَّبُوا أَفْكَارَ هَذِهِ الجَمَاعَاتِ وَتَنَكَّرُوا لِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ البِلاَدُ الطَّيِّبَةُ مِنْ مَنْهَجٍ سَلِيمٍ وَاتِّبَاعٍ لِمَذْهَبِ سَلَفِ هَذِهِ الأُمَّةِ وَصَارُوا يُسِيئُونَ الظَّنَّ بِعُلَمَاءِ هَذِهِ البِلاَدِ وَقَادَتِهَا، وَيُطَبِّقُونَ عَلَيْهِمْ مَا تَقُولُهُ الجَمَاعَاتُ التِي فِي البِلاَدِ الأُخْرَىٰ فِي بَعْضِ عُلَمَائِهِمُ المُنْحَرِفِينَ وَقَادَتِهِم المُخَالِفِينَ لِهَدْيِ الإِسْلاَمِ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ الزَّلاتِ اليَسِيرَةِ وَالأَخْطَاءِ القَلِيلَةِ التِي تَقَعُ فِي هَذِهِ البِلاَدِ حُجَّةً لَهُمْ فِيمَا يَقُولُونَهُ مِنْ سَيِّءِ القَوْلِ، وَلاَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الخَطَإِ اليَسِيرِ الذِي يُمْكِنُ عِلاَجُهُ فِي هَذِهِ البِلاَدِ، وَبَيْنَ الخَطَأِ الكَبِيرِ المَوْجُودِ فِي البِلاَدِ الأُخْرَىٰ. وَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا تَنْعَمُ بِهِ هَذِهِ البِلاَدُ فِي ظِلِّ الحُكْمِ الإِسْلاَمِيِّ وَتَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ، وَمَا تَعِيشُهُ البِلاَدُ الأُخْرَىٰ مِن انْحِرَافَاتٍ فِي العَقِيدَةِ وَتَعْطِيلٍ لأَحْكَامِ الشَّرْعِ مِمَّا سَبَّبَ لَهَا الفَوْضَىٰ وَالقَلَقَ وَاخْتِلاَلَ الأَمْنِ.

وَبَلَغَ الأَمْرُ بِبَعْضِ هَؤُلاَءِ الشَّبَابِ ـ هَدَاهُمُ اللهُ ـ إِلَى الوَقِيعَةِ فِي العُلَمَاءِ وَوُلاَةِ الأُمُورِ وَالتَّهَوُّرِ فِي الأَقْوَالِ؛ بَلْ لَقَدْ حَصَلَ بَيْنَ فِئَاتِ هَؤُلاَءِ الشَّبَابِ من الاخْتِلاَفِ وَالمُهَاتَرَاتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي المَجَالِسِ وَفِيمَا يُسَجِّلُونَهُ عَلَى الأَشْرِطَةِ أَوْ يَقُولُونَهُ فِي مُحَاضَرَاتِهِمْ، مَا يَنْدَىٰ لَهُ الجَبِينُ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ أَنْ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنْ هَؤُلاَءِ الشَّبَابِ انْتَمَىٰ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الجَمَاعَاتِ المُعَاصِرَةِ المُخْتَلِفَةِ فِي مَنَاهِجِهَا وَمَقَاصِدِهَا،

وَلَمْ يَبْقَ مِنْ شَبَابِنَا سَالِمًا مِنْ هَذِه الأفْكَارِ إلاَّ مَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بالتَّعقُّلِ وَاتِّبَاعِ المَنْهَجِ السَّلِيمِ الذِي تَسِيرُ عَلَيْهِ هَذِهِ البِلاَدُ وَهُو مَنْهَجُ السَّلَفِ الصَّالِحِ الذِي دَعَا إِلَيْهِ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ ـ رَحِمهُ اللهُ ـ وسَارَتْ عَلَيْهِ سِيَاسَةُ هَذِهِ البِلاَدِ مِنْ بَعْدِهِ.

لَقَدْ عَظُمَ الأَمْرُ وَتَجَاوَزَ حَدَّهُ وَصَارَ شُغْلُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الشَّاغِلَ هُو القِيلَ وَالقَالَ، وَتَذَاكُر العُيوبِ، والبَحْث عَنِ النَّقَائِصِ، وَدَفْن الفَضَائِلِ، وَتَرْدِيد مَا يَقُولُهُ أنَاسٌ يَعِيشُونَ فِي مُجْتَمَعَاتٍ تَخْتَلِفُ عَنْ بِلاَدِنَا كَثِيرًا فِي عَقَائِدِهَا وَنَزَعَاتِهَا، وَثقَافَتِهَا وَأَفْكَارِهَا. وَرُبَّمَا اسْتَغَلَّ بَعْضُ أَفْرَادِ هَذِهِ الجَمَاعَاتِ الأَجْنَبِيَّةِ عَنْ بِلاَدِنَا وَبَعْضُ قَادَتِهَا، حَمَاسَ بَعْضِ شَبَابِنَا وَجَهْلَهُمْ بِدِينِهِمْ وَبِوَاقِعِهِمْ فَلَقَّنُوهُمْ تِلْكَ الأَفْكَارِ وَنَموهَا فِي رُؤُوسِهِم مِنْ أَجْلِ إِزَالَةِ مَا تَنْعَمُ هَذِهِ البِلاَدُ بِهِ مِنْ وِفَاقٍ وَوِئَامٍ وَأَمْنٍ وَاسْتِقْرَارٍ؛ لأَنَّهَا هِيَ الدَّوْلَةُ الوَحِيدَةُ التِي تَحْكُمُ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَتُحَارِبُ الشِّرْكَ وَالبِدَعَ، وَالمَذَاهِبَ الهَدَّامَةَ، وَالنِّحَلَ الضَّالَّةَ، وَتُسَاعِدُ المُسْلِمِينَ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ وَتَنْشُرُ فِيهِم العَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ وَالمَفَاهِيمَ السَّلِيمَةَ. وَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا سَيَغِيظُ أَصْحَابَ العَقَائِدِ الفَاسِدَةِ، وَالمَبَادِىءِ المُنْحَرِفَةِ، وَالمَنَاهِجَ المُعْوَجَّةَ؛ فَلِذلِكَ صَارُوا يَكِيدُونَ لَهَا بِمُخْتلفِ الدَّسَائِس حَتَّى شَوَّشَوا عَلَى شَبَابِنَا وَشَكَّكُوهُمْ فِي صِحَّةِ مَسِيرَةِ هَذِهِ البِلاَدِ وَنَوَايَا قَادَتِهَا وعلمائها حَتَّى وُجِدَ مِن شَبَابِ هَذِهِ البِلاَدِ وَمُثقَّفِيهِم مَنْ يَنْتَقِصُ عُلمَاءَنَا وَيَرْمِيهِم إِمَّا بِالمُدَاهَنَةِ وَإِمَّا بقُصُورِ الأفْهَامِ وَعَدَمِ فِقْهِ الوَاقِعِ.

إِنَّ الذِي لاَ يَفْهَمُ الوَاقِعَ فِي الحَقِيقَةِ هُو الذِي لاَ يُمَيِّزُ بَيْنَ المَنَاهِجِ المُنْحَرِفَةِ وَالمَنْهَجِ السَّلِيم، هُو الذِي يَتَقَبَّلُ الأفْكَارَ المَشْبوهَةَ وَيَتْرُكُ فِقْهَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، هُو الذِي لاَ يُمَيِّزُ بَيْنَ الضَّارِّ وَالنَّافِعِ، هُو الذي يَتْرُكُ مَنْهَجَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ

الذي لاَ انْقِسَامَ فِيهِ وَلاَ اخْتِلاَفَ، وَيَسْتَبْدِلُهُ بِمَنَاهِجَ مُسْتَوْرَدَةٍ مَشْبُوهَةٍ، لَمْ تَنْفَعْ أَهْلَهَا وَلَمْ تُصْلِحِ بِلاَدَهَا، وَلَمْ تَصْدُرْ عَنْ عُلَمَاءَ مُحَقِّقِينَ، وَإِنَّمَا صَدرَتْ عَنْ جَهَلَةٍ وَأَصْحَابِ ثَقَافَاتٍ ضَحْلَةٍ لاَ تُسْمِنُ وَلاَ تُغْنِي مِنْ جُوعٍ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: إِنَّ الذِي نَدْعُو إِلَيْهِ أُمَّتَنَا عُمُومًا وَشَبَابَنَا خُصُوصًا هُوَ مَعْرِفَةُ الحَقِّ وَالثَّبَاتُ عَلَيْهِ وَالسَّيْرُ عَلَى مَا سَارَ عَلَيْهِ سَلَفُنَا، كَمَا قَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ: لَنْ يُصْلِحَ آخِرَ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا. إِنَّ هَذِهِ البِلاَدَ وَالحَمْدُ للهِ لَيْسَتْ بِحَاجَةٍ إِلَى اسْتِيرَادِ الأَفْكَارِ، إِنَّهَا بِحَاجَةٍ إِلَى التَّمَسُّكِ بِعَقِيدَتِهَا وَالمُحَافَظَةِ عَلَى مَنْهَجِهَا السَّلِيمِ الذِي سَارَتْ عَلَيْهِ مِنْ مِئَاتِ السِّنِينَ بِنَجَاحٍ وَوِفَاقٍ وَوِئَامٍ. وَكَانَ يَجِبُ أَنْ تُؤَثِّرَ عَلَى غَيْرِهَا بِالدَّعْوَةِ الصَّحِيحَةِ وَالعَقِيدَةِ السَّلِيمَةِ لاَ أَنْ تَتَأَثَّرَ بِمَا يُخَالِفُ مَنْهَجَهَا وَعَقِيدَتَهَا.

فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، وَاسْمَعُوا قَوْلَ اللهِ لَكُمْ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ الذِي أَنْزَلَ القُرْآنَ، وَجَعَلَهُ عِصْمَةً لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ عِنْدَ حُصُولِ الامْتِحَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الحِسَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المَبْعُوثُ إِلَى كَافَّةِ الثَّقَلَيْنِ الإِنْسِ وَالجَانِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي البِرِّ وَالإِحْسَانِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ وَاعْلَمُوا أَنَّ نَبِينَا ﷺ أَخْبَرَنَا أَنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَتَمَسَّكَ بِكِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا لِنَنْجُوَ مِنْ شَرِّهَا، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي»[1]، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ. وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[2]. وَقَالَ: «وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»، قَالُوا: مَنْ هِيَ يَارَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»[3]. وَقَدْ وَعَدَ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ السَّلَفَ الصَّالِحَ بِالرِّضَا وَالْجَنَّةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

فَلَا خُرُوجَ لَنَا مِنْ هَذِهِ الاخْتِلَافَاتِ الْوَاقِعَةِ الْيَوْمَ وَتَعَدُّدِ الْجَمَاعَاتِ إِلَّا بِالاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالتَّمَسُّكِ بِمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالدَّعْوَةِ وَالسُّلُوكِ، وَهُوَ الْمَنْهَجُ الَّذِي كَانَتْ تَسِيرُ عَلَيْهِ هَذِه الْبِلَادُ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ مُنْذُ ظُهُورِ دَعْوَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ فِيهَا إِلَى الآنَ. وَنَرْجُو اللهَ أَنْ يَسْتَمِرَّ هَذَا الْخَيْرُ، وَلَنْ يَسْتَمِرَّ إِلَّا إِذَا حَفِظْنَاهُ مِنَ الدَّخِيلِ وَعَمَّقْنَاهُ فِي نُفُوسِ شَبَابِنَا

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٩٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٠٧).

(٣) رواه أبو داود (٤٥٩٧) وابن ماجة (٣٩٩٣).

وَحَذَّرْنَاهُمْ مِنَ التَّيَّارَاتِ الْمُضَادَّةِ لَهُ، أَيُّ خَيْرٍ فِي تِلْكَ الْجَمَاعَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمُتَصَارِعَةِ الْمُخْتَلِطَةِ مِنْ كُلِّ جَاهِلٍ وَمُبْتَدِعٍ وَقُبُورِيٍّ وَصُوفِيٍّ وَمُعْتَزِلِيٍّ، لاَ تُقِيمُ لِلْعَقِيدَةِ وَزْنًا وَلاَ تَنْتَمِي لِمَذْهَبِ السَّلَفِ، وَإِنَّمَا تُرَكِّزُ فِي دَعَوَاتِهَا عَلَى جَوَانِبَ جَانِبِيَّةٍ، كُلٌّ يَهْدِفُ مِنْ وَرَائِهَا إِلى مَطَامِعَ وَأَهْدَافٍ مَشْبُوهَةٍ؟ وَلِذلِكَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا، فَهُمْ بِحَاجَةٍ إِلى دَعْوَةٍ، وَلَنْ يَجْمَعَهُمْ إِلاَّ الرُّجُوعُ لِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَالتَّمَسُّكُ بِمَنْهَجِ السَّلَفِ، وَأَنْ يَكُونُوا جَمَاعَةً وَاحِدَةً عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ.

وَفَّقَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ لِلتَّمَسُّكِ بِكِتَابِهِ وَهَدْيِ نَبِيِّهِ.

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ. . . إلخ.

* * *

فهرس الموضوعات